

مركز دراسات الدكتوراه : "اللغات والتراث والتهيئة المجالية"
تكوين الدكتوراه : التاريخ والتراث
محور : التاريخ
مختبر : التراث: دراسة وصيانة وإنقاذ

أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية

في موضوع :

دائرة ورغة العليا على عهد الحماية:

التدخل الاستعماري الفرنسي واستراتيجية تدبيره للشؤون الأهلية
1912-1956م.

الأستاذ المشرف: د. خالد صقلي

إعداد الطالب الباحث: محمد ابراهيمي

تاريخ المناقشة : 2021-10-18

لجنة المناقشة :

رئيسا/	كلية الآداب سايس فاس	الدكتور سمير بوزويطة
عضوة/	كلية الآداب سايس فاس	الدكتورة ماجدة كريمي
عضوا/	كلية الآداب القنيطرة	الدكتور محمد مزيان
مشرفا/	كلية الآداب ظهر المهراس فاس	الدكتور خالد صقلي

<u>الإختزالات المستعملة</u>	
باللغة العربية	
م.س	مصدر أو مرجع سابق
د.ت	دون تاريخ
ص.	صفحة
ج.	جزء
ط.	طبعة
باللغة الفرنسية	
A.D.N.	Archives Diplomatiques de Nantes
A. M.	Archives du Maroc
B.R.P.	Bulletin de Renseignements Politiques
B.E.M.	Bulletin Economique Mensuel
C.H.E.A.M	Centre des Hautes Etudes Administratives sur l'Afrique et l'Asie Modernes.
R.E.M	Rapport Economique Mensuel
R.M.P	Rapport Mensuel du Protectorat
R.M.E.P.	Rapport Mensuelle d'Ensemble du Protectorat
R.P.M	Rapport Politique Mensuel
S.P.M	Situation Politique et Militaire

مقدمة عامة

شكلت فترة الحماية نقطة مفصلية في تاريخ المغرب، نظرا لما خلفته من تأثيرات على المغرب المستقل، فقد أدت هذه المرحلة التي عرفت حضورا للمستعمر بجهازه العسكري والإداري إلى إحداث متغيرات جوهرية، أثرت على حياة المغاربة في مختلف المجالات، وقد تعددت الأبحاث والكتابات التاريخية حول تاريخ المغرب العام، بالمقابل لا زالت مناطق متعددة من المغرب تحتاج لمزيد من البحث، للكشف عن شكل الحضور العسكري والإداري الفرنسي بها -تاريخ المغرب الخاص-، حيث تساهم هذه الدراسات الموجهة صوب مناطق بعينها بشكل كبير في كشف جوانب حضور المستعمر بمدن وقرى المغرب.

استنادا لما سبق، جاء التوجه في هذا الإطار من خلال إخضاع منطقة ورغة العليا (دائرة ورغة العليا) لدراسة تاريخية، جعلت من فترة الحماية إطارا تاريخيا وزمنيا لها، للكشف عن مختلف الجوانب التي عرفت المنطقة خلال هذه الفترة، والتي أحدثت العديد من المتغيرات فيها، بغية إدراك شكل الحضور الفرنسي بالمنطقة في علاقته اليومية بالسكان خاصة والقبائل بصفة عامة.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يهدف إلى تسليط الضوء على منطقة "دائرة ورغة العليا" بخصوصياتها المتفردة خاصة في الشق الحدودي، إبان مرحلة تاريخية مهمة من تاريخ المغرب، لتعزيز رصيد الأبحاث المنجزة حول منطقة تاونات، لكن بطابع جديد يصب في التركيز على رصد المتغيرات التي أحدثتها المستعمر الفرنسي، وفي علاقتها بالمنطقة الإسبانية والتأثير الحاصل عليها، نظرا لموقعها المتميز بالنسبة للمستعمر. فالشيء الذي يميز هذا الموضوع عن باقي المواضيع التي اهتمت بدراسة قبائل تاونات حاليا، هو أن دائرة ورغة العليا بمسماها التاريخي خلال مرحلة الحماية، اندثرت مع التقسيم الإداري الذي أنجزه المغرب بعد الاستقلال، حيث سيصب موضوع البحث في الكشف عن هذه المنطقة وتحديد مداها جغرافيا

وقبليا وإداريا، وبذلك يكون قد تم وضع إطار للاشتغال بشكل دقيق، عوض الحديث عن قبائل تاوانات بصفة عامة بعيدا عن إطارها الإداري الحقيقي خلال المرحلة المؤطرة له زمنيا، خاصة عندما يذهب الموضوع إلى الحديث عن الجوانب التدبيرية.

سينكب العمل على الاهتمام بالمنطقة وفق التقسيم الإداري الاستعماري لدائرة ورغة العليا، التي ضمت كل من قبائل مزيات ورغوية ومثوية ومزراوة وبني وليد وصنهاجة مصباح وفرقة أولاد عمران (الحياينة)، بحيث سيكون التركيز موجها صوب إبراز حساسية المنطقة بالنسبة للجهاز الاستعماري بشقيه العسكري والإداري، كعمل يهدف لسد فجوة تاريخية تركها المهتمون بتاريخ المنطقة على هامش اهتماماتهم مقارنة بتاريخ مناطق أخرى، أو ربما لكونها كانت تحتاج لبحث وتدقيق أكثر كي يبادر الباحثون في نبش تاريخ المنطقة في الجانب التدبري عامة والشق الحدودي خاصة، وفي مستويات مختلفة.

إن موضوع "دائرة ورغة العليا على عهد الحماية: التدخل الاستعماري الفرنسي واستراتيجية تدبيره للشؤون الأهلية 1912-1956"، يأخذ أهمية بالغة في علاقته بالإشكالية المركزية التي سيتم العمل على تفكيكها ثم تركيبها وفق تقسيم الدراسة، حيث تتبع مراحل التدخل الاستعماري سيقود إلى إظهار بدايات التواجد الفرنسي بالمنطقة، وآليات اشتغال جهازه العسكري للنفوذ إلى عمق القبائل، موظفا في ذلك استراتيجيات وأساليب مختلفة، مع بروز مقاومة عملت على محاولة إفشال هذا المخطط الاستعماري بالمنطقة، دون إغفال الحديث عن خصوصيات المنطقة وتفردا عن مناطق أخرى، الأمر الذي جعلها ذو أهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لكل من الثورة الريفية وكذا المستعمر الفرنسي.

بالمقابل ستبرز الاستراتيجية التدبيرية بشكل أوضح في مرحلة ما بعد الاحتلال العسكري، فتتبع الاستراتيجية الفرنسية في تدبير الشأن الأهلي بمنطقة ورغة العليا على مختلف المستويات، خاصة في علاقتها بالحدود مع المنطقة الإسبانية، يقود إلى الحديث عن الطرق والأساليب التي وظفها المستعمر في التعاطي مع التحديات والعراقيل المطروحة،

وكذا طرق تفكير أجهزة الحماية الفرنسية، لتفعيل مختلف الاستراتيجيات والأفكار، كممارسة يومية على أرض الواقع تبعا لما تفرضه خصوصيات المنطقة.

السير في هذا التوجه سيساعد بشكل كبير في الكشف عما عرفته الممارسة الفرنسية المباشرة من جوانب مختلفة، كانت سلبية أم إيجابية، ساهمت في صياغة تمثلات وتصورات مجتمعية عن مغرب مرحلة الحماية، باعتبارها مرحلة تجسدت فيها مقومات التغيير الخارجي، الذي أحدثت تغييرا عميقا في بنية المغرب عامة والقبيلة خاصة، على أساس أن القرويين كانوا يشكلون أكثر من ثلاثة أرباع مجموع ساكنة المغرب، ومن ثم تبرز مدى فاعلية استراتيجية التوغل الفرنسي (الشقين العسكري والتدبيري)، وقدرته على التحكم في المجال ومراقبة السكان، دون الاصطدام مع أصحاب المصالح، وبذلك تكون هذه الاستراتيجية يتقاطع فيها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والمادي بالرمزي.

شكل تفعيل العمل الميداني داخل الأوساط القبلية مرتكز الاستراتيجية الفرنسية في تدبير الشؤون الأهلية، حيث برزت مصلحة الشؤون الأهلية كمرر للإجراءات والتدابير المرجوة من الفرنسيين داخل الوسط الأهلي، تبعا لأهداف الجهات العليا مرتكزة في ذلك على ضباط مؤطرين لتحقيقها والتي تصب أساسا في تثبيت السيطرة الفرنسية على الميدان، حيث اهتم هؤلاء الضباط بتنشيط الحياة الاقتصادية والمجتمعية للقبائل التي وضعت في مجال نفوذهم الإداري، مع تطوير أساليبهم وطرق تدبيرهم، تبعا لخصوصيات المنطقة التي يتواجدون فيها، موظفين في ذلك جميع الأساليب الممكنة لضبط مناطقهم وحل المشاكل والتحديات الحاضرة يوميا أو الطارئة، عبر الجمع بين الأساليب السياسية والقمعية، أو بين الليونة والحزم، والقيام بإصلاحات اقتصادية واجتماعية، تعمل على تغطية المرام الحقيقية للسياسة التدبيرية الفرنسية بالمنطقة.

فتقارير الضباط التي كانت ترفع إلى الجهات العليا، خير دليل على الأهداف الحقيقية للسياسة الأهلية، حيث كان يتم العمل على معرفة مكانن نقط ضعف القبيلة للنفاز إليها بالطرق السلمية، واللعب على وتر النزاعات القبلية، لتدخل مصلحة الشؤون الأهلية كوسيط يسهر على استئباب الأمن، كحكم في فض النزاعات والضامن لسير أحكامه على جميع المخالفين والمتنازعين بمجال دائرة ورغة العليا، التي خضعت انطلاقا من مركزها للشؤون الأهلية بتاونات إلى

أشكال متنوعة من التدبير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري، ساهمت في تعزيز وترسيخ التواجد الفرنسي بالجمال القبلي، من منطلق الحضور اليومي لمصلحة الشؤون الأهلية كأداة لتفريغ السياسة التي وضعها منظرو السياسة الأهلية الفرنسية، بفضل هيئة خاصة من رجال الإدارة والمراقبين (الضباط الأهليون) والمتعاونون من الرؤساء الأهليين (قواد وشيوخ وأعيان) تعمل على أجراء المنظومة الأهلية ونقلها من الشق النظري إلى التطبيقي.

انبتت مصلحة الشؤون الأهلية على الجانب الممارساتي في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، فكان الجانب الاقتصادي في شقه التدبيري يبنى بالأساس على التحكم في الأرض، عبر وضع قوانين التسيير والمراقبة في كل مجال قبائل دائرة ورغة العليا، خاصة بالشريط الحدودي لقبيلة مثوية، وبداخل الدائرة، حيث يخضع أهالي تلك المنطقة لضباط مصلحة الشؤون الأهلية على مستوى تدبير القطاع الفلاحي، وفي حل النزاعات الحدودية المشتركة بين قبائل المنطقتين، إضافة إلى وضع رخص تنقل الأهالي بالمناطق الحدودية، قصد تصريف منتجاتهم صوب المنطقة الإسبانية أو العكس، كما أولت الإدارة الأهلية بالمنطقة أهمية كبيرة للجوانب الاجتماعية في استراتيجية تدبير الشأن الأهلي والعمل على تطوير هذا التدبير، لكون الوضع الاجتماعي هو مفتاح تثبيت الاستقرار وضبط الأمن، في ظل تواجد شريط حدودي لا ترتاح له سلطات الحماية، نظرا لما يمكن أن يشكله من خطر، حيث يتم ضبط إيقاع التسيير اليومي للأهالي من خلال محاولة حل مشاكلهم والفصل في المنازعات القبلية، أما الجانب العسكري فكانت أحداث المنطقة الإسبانية وظهور خلايا جيش التحرير وتهريب الأسلحة، تدخل ضمن الاعتبارات الأمنية التي تبقى أكثر حضورا ضمن الاستراتيجية الفرنسية في تدبير الشأن الأهلي خلال مرحلة الخمسينيات، فكانت المراكز التي تسهر على هذا الشأن تحاول استباق أي انفلات أمني ممكن الوقوع، عبر اتخاذ مجموعة من الإجراءات والاحتياطات العسكرية، خاصة على الجبهة الحدودية، انطلاقا من مركزي تاونات لقشور وبني بربر ومكتب حدادة، مع تمركز واضح للأوامر المسطرة بمكتب تاونات، الذي شكل قلب السياسة التدبيرية لدائرة ورغة العليا.

جاء اختيار الفترة الزمنية بين 1912 و1956 كإطار زمني للدراسة، رغبة في الكشف عن شكلي الاستراتيجية الفرنسية في فترتين زمنيتين، فالفترة الأولى المؤطرة بـ1912-1926 انبثت على استراتيجية عسكرية بالدرجة الأولى أثناء التوغل الفرنسي بالمنطقة، وإنشاء مجموعة من الحصون والمراكز العسكرية، لتثبيت التواجد العسكري الفرنسي ومعه تحقيق السيطرة الميدانية، وصولاً إلى سنة 1926 التي أشرت على نهاية آخر أشكال المقاومة بالمنطقة الحدودية للدائرة، حيث سيصبح العمل منكبا على تدبير المنطقة، وتفادي التهديدات القادمة من المنطقة الخلفية بعد أن قاد السليطن المقاومة ضد القوات الإسبانية سنة 1927، نظرا للترابط الحاصل بين المنطقتين الحدوديتين من منطلق التأثير والتأثر، فبعد تثبيت التواجد العسكري الفرنسي بالمنطقة، تأتي الفترة الزمنية الثانية التي امتدت من 1927 إلى حدود بداية سنة 1956، التي نهج فيها المستعمر استراتيجية تعطي الأهمية القصوى للجانب الإداري والتدبري، لتثبيت السيطرة التي تحققت عسكرياً، تقوم على استيعاب واحتواء منطقة ورغة العليا بخصوصياتها ضمن المنظومة الفرنسية الجديدة، ومحاولة تجاوز الصعوبات المرتبطة بالحدود وعلى رأسها ترسيم الحدود ومحاربة التهريب وضبط الأمن. وبذلك من خلال هذا العمل ستكون محاولة التعرف على بعض سمات الاستراتيجيتين، عبر رصد مظاهرها بدائرة ورغة العليا إلى حدود سنة 1956.

إشكالية الدراسة

تتمحور إشكالية موضوع الدراسة، حول تحديد شكل الاستراتيجية التي اتبعتها مؤسسة الحماية، بجهازها العسكري والتدبري بدائرة ورغة العليا في السيطرة على المنطقة ارتباطاً بخصوصياتها، ورصد واستيعاب هذه الاستراتيجية بأساليبها وأهدافها المتبعة في التدخل الاستعماري، وكيفية إدارة وتدبير الشأن الأهلي بالدائرة ارتباطاً بالمنطقة الحدودية. هكذا، ستكون الانطلاقة من محاولة تتبع مجريات التوغل العسكري الفرنسي بالمنطقة، ورصد التحديات التي واجهته وعلى رأسها التي ساهمت فيها الحدود، ثم تحديد شكل التدبير الفرنسي لمختلف قضايا الدائرة والآليات الموظفة في ذلك. فهذه الدائرة لها من المميزات ما يكفي، جعلتها تختلف عن باقي المناطق، حيث التدبير الأهلي للمنطقة له روابط

حدودية مع المنطقة الخليفية إضافة إلى ارتباطها بمدينة فاس، وهو ما جعلها محط تأثير وتأثر بما يقع داخل الحدود الفرنسية وخارجها، ما كان يُخلف ظهور مجموعة من الملفات والتحديات، التي تستوجب تدبيرا تراعى فيه خصوصيات المنطقة.

انطلاقا من الإشكالية التي تم تحديدها كإطار للدراسة، ستمخض مجموعة من التساؤلات من أهمها:

- هل التوغل العسكري الفرنسي بالمنطقة جاء كنجاح مسطر له من قبل مؤسسة الحماية، أم جاء لظروف فرضتها المقاومة والأحداث الطارئة، التي دفعت المؤسسة إلى أن تتأقلم، وتضع كل إمكانياتها عسكريا وسياسيا للسيطرة أو للحفاظ على وجودها بالمنطقة؟
- مامدى قدرة الجهاز الاستعماري على استيعاب الخصوصيات الطبيعية والجغرافية ضمن تدبير الشأن الأهلي؟ وإلى أي حد كانت فرنسا قادرة على تجاوز العداء القبلي لها والانتقال من مرحلة طبعها التدخل العسكري والاصطدام إلى مرحلة تتسم باستراتيجية تنبني على الاحتواء والاستيعاب في إطار ما يسمى بالسياسة الأهلية؟
- ما نوع المشاكل العابرة من المنطقة الإسبانية والتحديات التي واجهتها الإدارة الاستعمارية عبر الحدود، وكيف كانت تتم مواجهتها بالدائرة؟ ألا يمكن القول بأن نظرة الفرنسيين للجانب الإسباني هي نظرة المقصر أو العاجز عن مسايرة المنجزات الفرنسية، وما المهدف من رصد وإيلاء الفرنسيين اهتماما بالغاً لما يقع بالمناطق الحدودية من الجهة الإسبانية؟.
- هل يكفي تتبع الممارسة الفرنسية في تدبير الشأن الأهلي في الجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو الحدودي، للحكم على نجاح أو فشل الاستراتيجية الفرنسية بالمنطقة، أم أن هنالك عوامل تؤثر على هذه السياسة؟
- ألا تدل أشكال التسيير في ظل مصلحة الشؤون الأهلية على بعد النظر ومستوى إدراك فرنسي عال لكل المخاطر التي كانت تهدد الحضور الاستعماري بالمنطقة؟ ينضاف إلى ذلك أن موضوع الدراسة يحاول أن يواكب قضية التدبير في مجالين مختلفين جغرافيا مناطق حدودية وأخرى داخلية، فإلى أي مدى كان التدبير الفرنسي مواكبا لهذا الطرح؟

تبقى هذه الدراسة المقترحة تحاول عبر هذه التساؤلات التي لا تعني على أنها ستقابل بأجوبة قطعية، تسليط الضوء على جانب من جوانب السيطرة الاستعمارية في شقيها العسكري والإداري التديري على وجه التحديد. فتفكيك هذه الثنائية لا يستقيم دون ملامسة العلاقات التفاعلية القائمة بين العوامل الطبيعية والجغرافية (الموقع الاستراتيجي) والخصوصيات المحلية والعمل العسكري ونوعية الممارسة الاستعمارية، فدراسة هذه الجوانب مهمة لفهم طبيعة المجال الذي تحركت عليه سلطات الحماية بكل قوتها، ولتيسير فهم الأرضية التي أجرت عليها مؤسسة الحماية سلطتها، والتي من خلالها ستظهر جوانب تفرد المنطقة عن باقي المناطق ومعها أهميتها بالنسبة للمستعمر الفرنسي والجوانب التي ركز عليها في تدبيره للدائرة.

دراسة بيبليوغرافية

تطلب البحث في هذا الموضوع الاعتماد على مصادر ومراجع مختلفة ومتنوعة، توزعت بين وثائق من أرشيف المغرب بالرباط، وأخرى انطلاقا من أرشيفات "نانط"، إضافة لدراسات قريبة من الموضوع، تم إبراز أشكال التدبير في مناطق مختلفة، وقد جاءت هذه المصادر والمراجع على الشكل التالي:

تعد التقارير الشهرية دعامة مهمة في بناء النسق الذي قام عليه التواجد الفرنسي بالمنطقة، فمن خلالها سيتم رصد بداية التدخل الفرنسي بالمنطقة منذ سنة 1913 بإنشاء مركز تيسة، كأول نقطة تواصل وجدت على الأرض أحدثها المستعمر مع قبائل الدائرة، مروراً بانطلاق العمليات العسكرية لتطويق قبائل ورغة العليا، وصولاً إلى سنة 1926 والسيطرة على الحدود الشمالية لقبليّة مثوية، من هذه المنطلقات ستوظف هذه التقارير بغية إبراز الأساليب التي وظفتها القوات الفرنسية للتوغل بالمنطقة التي توزعت بين أساليب سياسية وعسكرية واقتصادية.

وثائق تخص الغرامات الحربية، التي فرضت على قبائل ورغة المستسلمة سنة 1918 إثر التوغل العسكري الفرنسي، و أخرى فرضت سنة 1926 على القبائل التي شاركت في الحرب الريفية ضد القوات الفرنسية، التي ستمكن من الكشف عن الأسلوب العقابي الذي طبقته القوات الفرنسية على القبائل التي اختارت المقاومة أو التمرد، من خلال

فرض غرامات حربية تُحمل تلك القبائل كل تكاليف الحرب، وتلزمها مستقبلا بدفع ضريبة الترتيب، هذه الوثائق ستفيد في إبراز عقلية الفكر الاستعماري في عدم التساهل مع القبائل المقاومة، كأسلوب من بين الأساليب التي وضفت لإضعاف القبائل و تفقيرها من موارد يمكن أن تنهض بها مستقبلا لتقوية كيانها القبلي.

التقارير الاقتصادية بين سنتي 1925 و1927 ستكون جد مهمة لتوضيح أوضاع المنطقة خلال وبعد نهاية حرب الريف (الثورة الريفية)، وما خلفه هذا الصراع على دائرة ورغة العليا من تأثيرات اقتصادية و اجتماعية، حيث أصبحت جل المناطق تعيش تبعات مرحلة الحرب. فبعد زوال الخطر الريفي والمحلي (المقاومة) على القوات الفرنسية، ستشرع الإدارة الفرنسية بالمنطقة في تثبيت الجهاز الإداري، عبر استصدار مجموعة من الظهائر و القرارات التي تواجدت بأرشفة المغرب في مختلف المحافظ، لمصالح توزعت بين الاستيطان و الأشغال العمومية، بغية إدخال مجموعة من الإصلاحات و الإدارات الجديدة بالمنطقة، و التي كان على رأسها الطرق و الأسواق، والشركة الأهلية الإحتياطية لورغة العليا سنة 1927 لتغطية العجز الحاصل والإشراف على ضمان إنتاجية أفضل في السنوات المقبلة.

التقارير الشهرية للحماية، من خلالها ستتوضح بعض أشكال التنسيق الإداري و العسكري بين دائرة ورغة العليا و القوات الإسبانية، التي واجهت صعوبات عدة قبل سيطرتها على مجالها الاستعماري. وتعتبر التقارير الصادرة عن إدارة الشؤون الأهلية ذات أهمية بالغة، والتي توزعت بين تقارير شمال فاس و جهة فاس و الصادرة عن دائرة ورغة العليا من سنة 1927 إلى غاية 1933، نظرا لكونها صدرت عن الجهاز المختص بالتدبير و التسيير في الوسط الأهلي.

ستكون أهمية هذه التقارير تتمركز حول إبراز المجالات التي أشرف عليها مركز الشؤون الأهلية بتاونات، وكيفية تدبير العديد من القضايا، خاصة الإدارية منها، والمتمثلة في تتبع التعديلات التي عرفتھا الدائرة إداريا وفي تسيير المنطقة، و كيف جاء تأهيل المنطقة بالبنية التحتية، من طرق ومواصلات ومقرات إدارية، بحيث سيكون العمل على توضيح أشكال تدبير مركز تاونات للملفات الاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية منها، كمحاولة لتوضيح و فهم الاختيارات الاستراتيجية الفرنسية في عملية التدبير بالمغرب عموما وبدائرة ورغة العليا خصوصا، لما لها من خصائص ومعطيات

وملفات تختلف عن غيرها من المناطق، من قبيل التهريب، المشاكل الحدودية، الهجرة، أشكال الملكية، تبعاً لما هو متوفر من الوثائق.

وتبقى الوثائق الصادرة عن وزارة الشؤون الخارجية والأوربية المتواجدة بأرشفيات "نانط"، ذات أهمية بالغة في إبراز مختلف المشاكل الحدودية للدائرة مع الجانب الإسباني وكيف تم تسويتها، ونوعية المشاكل التي كان يركز عليها الجانب الفرنسي على شريطه الحدودي، إضافة إلى إبراز أشكال التدبير والمقومات التي قامت عليها البنية الإدارية بالمنطقة من شيوخ وقياد وضباط أهليون، وطرق التدبير للمنطقة، في فترة اتسمت ببداية اشتعال لهيب الإنفلات الأمني بالمناطق الحدودية، وبرز بؤادر عودة العمل المسلح في فترة زمنية تمتد من 1953 إلى 1956.

تعزيراً لهذا الرصيد من الوثائق، تم الاعتماد على مجموعة من الكتب باللغتين العربية والفرنسية، التي تمت بشكل كلي أو جزئي للموضوع، كان من أهمها كتاب "ليوطي ومؤسسة الحماية بالمغرب" لصاحبه Daniel Rivet، فالحديث عن مصلحة الشؤون الأهلية لا يستقيم دون الحديث عن رؤية هذا الكاتب الذي يحيلنا على نوعية الخطاب الذي كانت توظفه هذه المصلحة، وعلى أي أسس انبنت مؤسسة الحماية بالمغرب إبان فترة ليوطي، ويبقى كتاب "الآثار المجيدة للمهدئين في المغرب" للكولونيل فوانو، من المصادر المهمة لتتبع مسار التوغل العسكري الفرنسي بمنطقة ورغة العليا، انطلاقاً من تتبع أبرز المعارك التي دارت بالمنطقة وبدايات التوغل العسكري، إضافة إلى الصعوبات التي واجهتها القوات الفرنسية، مما يشكل إضافة مهمة تنضاف إلى التقارير العسكرية المتوفرة، مع ضرورة التعامل مع المحتوى بعين الفاحص والمدقق لكونه كتب وفق ذهنية استعمارية صرفة، كما يعتبر كتاب ليوطي الإفريقي: نصوص ورسائل حول الثورة الريفية 1924-1925 مهما في فهم مرحلة جد حساسة من تاريخ المنطقة، التي عرفت تجاذبات سياسية وعسكرية، بفعل الحضور الريفي لتأطير المقاومة المحلية ضد قوات الاحتلال الفرنسي الطامحة للسيطرة عليها، من خلال الإطلاع على مراسلات ليوطي وفهم الدوافع الحقيقية للتعجيل بالسيطرة على قبائل ورغة العليا. وكتاب "نهضة المغرب عشر سنوات من الحماية" الذي صدر عن الإقامة العامة، يستعرض مقالات لكتاب وضباط فرنسيين، يحملون فيها

حصيلة السيطرة الفرنسية خلال العقد الأول من الحماية، حيث نجد مقال للعقيد 'هيويت' مدير مصلحة الشؤون الأهلية ومدير الاستخبارات، يصب في صلب الموضوع حول السياسة الأهلية، من منظور رسمي.

المنهج المعتمد

تحديد طبيعة المنهج الذي سيعتمد في أي دراسة لا بد أن يكون رهينا بطبيعة الموضوع، وبما أن موضوع هذه الدراسة يعالج قضايا متعددة ومتصلة فيما بينها، حتم الاستعانة بوثائق ومصادر مختلفة، فإن الإعتماد على منهج دون آخر قد يظهر عدم إلتزام كلي به خلال أطوار تصفح هذا العمل، والإلتزام بمنهج وحيد لن يعطي بناء تاريخي متكامل، ورسم صورة واضحة عن طبيعة الاستراتيجية الفرنسية في شقيها العسكري والتدويري بالمنطقة، وعلى ضوء ما سبق تقرر الإعتماد على منهج تكاملي يقوم على تفسير الأحداث واستقراء الوثائق، وعلى الوصف والتحليل للمعطيات، إضافة إلى ما يقتضيه التعامل مع الوثائق الفرنسية من تدقيق وتمحيص ومقابلة.

محاور الدراسة

انطلاقا مما توفر من رصيد مصدري ومرجعي، تم وضع تصور عام للموضوع يتماشى مع ما تتيحه هذه المصادر والمراجع من معلومات، فجاء العمل مقسما إلى بابين وكل باب يضم ثلاثة فصول أساسية:

خصص الباب الأول للحديث عن التدخل الاستعماري بالمنطقة والأهمية الاستراتيجية لقبائل دائرة ورغة العليا 1912-1956، حيث خصص الفصل الأول في محوره الأول للحديث عن خصائص منطقة ورغة العليا طبيعيا وبشريا، كضرورة حتمية لمعرفة مجال الدراسة والنفوذ إليه، وضمه تم وضع الإطار العام للمجال الإداري للدائرة ومراحل تطوره، كضرورة لمعرفة القبائل المعنية بالدراسة وفق تقسيم الدائرة، وخصص المحور الثاني من الفصل لمعرفة أساليب وطرق التوغل الفرنسي التي نهجها المستعمر منذ بداية تواجده في المنطقة.

الفصل الثاني من الباب الأول، خصص محوره الأول للحديث عن الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة 1913-1924، بهدف تتبع دوافع وأسباب تحرك الآلة الفرنسية لوضع خطط لاحتلال قبائل المنطقة، والظروف المتحركة في

ذلك زمنيا، حيث واجهت القوات الفرنسية تحديات كثيرة، كان على رأسها المقاومة، التي عملت جاهدة على عرقلة زحف القوات الفرنسية، هذه الأخيرة اضطرت إلى التريث وعدم استعجال الزحف عسكريا على المنطقة، مخافة أن يقع انكسارها في معركة غير مدروسة، خاصة مع ما عرفته الجيوش الإسبانية بمنطقتها جراء هزيمة أنوال، فظهور المستجد الريفي والخوف من دخوله لقيادة المقاومة بقبائل المنطقة، سيساهم في دفع القوات الفرنسية إلى تحديد الخطط والاستراتيجيات الكفيلة بتسريع وثيرة الاحتلال صوب المنطقة، قبل تحقق الدخول الريفي إليها. أما المحور الثاني فخصص للحديث عن التنافس الريفي-كفاعل في مقاومة الاحتلال- والفرنسي -كمحتل يريد إنجاح مشروعه الاستعماري- على منطقة ورغة العليا، من خلال إبراز أهمية المنطقة استراتيجيا بالنسبة للثورة الريفية وكذا للمستعمر الفرنسي، نظرا لما ستعرفه المنطقة من تحاذبات سياسية وعسكرية كانت قبائل المنطقة مسرحا لها.

الفصل الثالث، خصص محوره الأول للحديث عن احتدام الصراع العسكري بين المقاومة المسلحة والقوات الفرنسية خلال سنة 1925، حيث ستعرف هذه المرحلة معارك قوية بين الجانبين، دفعت القوات الفرنسية إلى التراجع أمام إصرار المقاومين على طرد الفرنسيين من المنطقة، وهو الأمر الذي أربك حسابات القيادة الفرنسية العليا التي سارعت إلى تغيير خططها وقياداتها، بغية وقف نزيفها العسكري، كما قامت بجلب التعزيزات العسكرية اللازمة للقضاء على التواجد الريفي والمقاومة بشكل عام. وخصص المحور الثاني من هذا الفصل للحديث عن آثار المعارك التي دارت على أرض قبائل مجال الدراسة، عبر رصد وتحديد هذه الآثار على المستويين الاجتماعي والاقتصادي، ورصد تجلياته من خلال دراسة وضعية التجارة والأسواق بالمنطقة خلال الفترة الممتدة ما بين 1925-1926، للتعرف على تأثيرات هذه الحرب على المنطقة.

أما الباب الثاني من الدراسة، فعنون ب: جوانب من الاستراتيجية الفرنسية في تدبير المنطقة: على المستوى الحدودي والاقتصادي والسياسي، حيث خصص الفصل الأول من هذا الباب للحديث عن مسألة حدود دائرة ورغة العليا والتحديات المترتبة عنها، اهتم المحور الأول باستعراض مراحل تسطير حدود الدائرة بين الجانبين الفرنسي والإسباني، واستحضار الخصوصيات المحلية والسياسية للدائرة من منطلق الإشراف الحدودي، في حين المحور الثاني

انكب على الحديث عن المشاكل المترتبة على الحدود والإجراءات التي اتخذها الجهاز التدبيري الفرنسي المحلي للحد منها، سواء على المستوى الأمني أو السياسي أو في علاقته بالسلطات الإسبانية، حيث خلفت هذه الحدود تحديات على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، وجد معها المستعمر الفرنسي نفسه ملزوما بالبحث عن الطرق الكفيلة للقضاء عليها أو الحد منها.

خصص الفصل الثاني من الباب، للحديث عن البنية التحتية والتدبير الاقتصادي آلية لإحكام السيطرة الفرنسية، حيث سيستعرض المحور الأول شكل البنية التحتية التي عمل المستعمر على تثبيتها أو تطويرها، لتحقيق السيطرة التامة على المنطقة، من خلال التجهيز الطرقي لتحقيق الربط الاقتصادي، أو عبر تهيئ مقراته الإدارية لتعزيز إشرافها الإداري التدبيري على المنطقة، كأداة مهمة للمراقبة وأجرة السياسة الأهلية. بالمقابل المحور الثاني سيخوض في الحديث عن القطاع الفلاحي بالمنطقة والتحول التي طرأت عليه مع دخول المستعمر، ورصد تجلياته على مستوى تنامي الاستيطان الزراعي وتشخيص وضعية الفلاح المحلي، ورصد الطرق التي وظفها الجهاز الاستعماري لكسر البنى الاقتصادية القبلية التي سادت قبل دخوله للمنطقة، من خلال تملك الأراضي للخواص أو للدولة.

في حين خصص الفصل الثالث من الباب، للحديث عن معالم من السياسة القايدية بالدائرة في علاقتها بالجهاز الاستعماري وكذا الأهلي، حيث سيعرف المحور الأول بالقياد ومعاونيهم كأداة مهمة لسلطات الحماية تدرج ضمن أدوات تصريف السياسة الأهلية، بذكر نماذج من أهم قياد المنطقة والتعريف بهم ومميزات اختياريهم من قبل الجهاز التدبيري، كما خصص فيه حيز للحديث عن وضعية هؤلاء القياد إبان السنتين الأخيرتين قبل استقلال المغرب 1954-1956، بهدف الوقوف على المشاكل التي واجهت مناطقهم وكيف كانت علاقتهم مع رؤسائهم من الضباط، أما المحور الثاني توجه صوب الحديث عن ما كان يشوب علاقات القياد مع منافسيهم، ومصيرهم في حالة عدم تحقق الرضا من قبل الضباط الفرنسيين، وإبراز الإجراءات الفرنسية التي كانت تتخذ في حق القياد المتجاوزين لحدود صلاحياتهم، من خلال استعراض نموذج ولد الجديد، دون إغفال طريقة اختيار رئيس الدائرة أو رؤساء

المكاتب لقيادهم بعناية، إنطلاقا من التقارير الاستخباراتية التي كانوا ينجزونها، مروراً برصد شكل التنافس بين الأشخاص المؤهلين لشغل منصب القاييد، وصولاً إلى وضع قراءة عامة في شكل المكون القايدي بالمنطقة.

الباب الأول:

التدخل الاستعماري والأهمية

الاستراتيجية لقبائل دائرة ورغة العليا

1912-1926.

الفصل الأول: خصائص منطقة ورغة العليا وأساليب التدخل الفرنسي.

الفصل الثاني: الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة، والمنافسة الريفية.

الفصل الثالث: اندماج المقاومة ومواجهة الاحتلال، وآثار الحرب على

المنطقة.

مقدمة الباب الأول

فهم التصور التدبيري لسلطات الحماية يقتضي تتبع العوامل والظروف المؤثرة في السياسة التدبيرية التي ستنهجها سلطات الحماية بعد مرحلة المقاومة، فوضع مقارنة واضحة لشكل التوغل الفرنسي بالمنطقة طيلة مراحل تواجده، يستوجب الإحاطة بالمعطيات الطبيعية والبشرية وشكل التقسيم الإداري من جهة، كضرورة للتقعيد لموضوع الدراسة ومعرفة المنطقة المقصودة بدائرة ورغة العليا، والمعطيات السياسية والعسكرية من جهة ثانية.

تتوخى هذه الازدواجية الوقوف عند الجوانب السابقة، من خلال الكشف عنها من منطلق التأثير والتأثر بين مختلف مكونات المجال الورغي، بغية الكشف عن شكل الاستراتيجية الفرنسية، ورصد تفاعلها مع الجوانب الطبيعية والبشرية التي تؤثر في شكلها. كل هذه المقومات (طبيعية بشرية) سيكون لها أثر بليغ في تأخير أو تسريع وثيرة الاحتلال الفرنسي، تبعا للظروف التي تخلقها هذه العوامل، مما كان يستلزم من القوات الفرنسية تنويع أساليبها والعمل وعلى توظيف هذه المقومات لصالحها. بالمقابل فالحديث عن الجانب العسكري، سيقود للحديث عن أشكال المقاومة الورغية ومراحل تطورها والتفاعلات التي ساهمت في تقويتها أو ضعفها، أمام تواجد فاعلين كثر يتحركون على أرض ورغة العليا؛ فهذه العوامل المتشابكة جعلت المنطقة تعيش تقلبات ومراحل ضعف وقوة كمتلازمة للأوضاع والظروف التي فرضتها كل مرحلة.

يهدف هذا الباب إلى الكشف عن شكل المنطقة خلال الفترة الممتدة بين 1912 و 1926، والتجاذبات التي عرفت، والتطورات والأحداث التي ساهمت في جعل المنطقة تخرج من خلال هذه المرحلة بشكل معين، وسيكون ذلك عبر طرح تساؤلات تهم ما الموقع الجغرافي والخصوصيات الطبيعية والبشرية لقبائل الدراسة والأساليب التي وظفها المستعمر للتوغل في مناطقها؟، وما المراحل التي مر منها الاحتلال وكيف واجهته المقاومة وتأثير ذلك على خطته؟،

----- دائرة ورغة العليا على عهد الحماية: التدخل الاستعماري الفرنسي واستراتيجية تدبيره للشؤون الأهلية 1912-1956م.-----

وصولاً إلى كيف سيطرة القوات الفرنسية على المنطقة وحدودها؟ وما مخلفات المعارك والحرب الدائرة على المنطقة في مستويات مختلفة؟.

الفصل الأول: خصائص منطقة ورغة العليا وأساليب التوغل الفرنسي.

يعتبر تحديد المجالين الجغرافي والطبيعي لمنطقة معينة من الأساسيات في حقل البحث التاريخي لأي مجال قبلي أو حضري، وارتباطا بهذا النهج فدراسة الخصوصيات البشرية والطبيعية للمجال المدروس، تمكن من فهم أعمق للتفاعل الحاصل بين ما هو طبيعي وما هو بشري، لوضع تصور واضح للتفاعل القائم بين هذين الجانبين ودورها في إعطاء ما أصبح قيد الدراسة، لارتباط الإنسان بالمجال.

يعتبر المجال الجغرافي محددًا رئيسيًا في الجانب الاستراتيجي للحروب وطبيعة سكان هذا المجال، من حيث قوة أو ضعف مقاومة التدخل الاستعماري الأجنبي، فمجال ورغة العليا بطابعه الجبلي شكل محددًا رئيسيًا في إطالة أمد المقاومة وتأخر الآلة العسكرية في التوغل منذ سنواتها الأولى، إضافة إلى كونه يشكل عامل تحد للقوات العسكرية وللتواجد الفرنسي، سواء خلال فترة المقاومة أو إبان بداية ظهور خلايا جيش التحرير بالمنطقة.

شكلت خصائص هذه المنطقة أصعب التحديات التي واجهتها القوات العسكرية الفرنسية، وكذلك بالنسبة للجهاز الإداري التديري، الذي كان لابد له من وضع تصور تديري في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، يتماشى مع هذه الخصوصيات، لتشكيل وحدة منسجمة لا يمكن الفصل بين مكوناتها، من مناخ وتضاريس وموارد سطحية وسكان، وهو ما سيتم العمل على إبرازه خلال باقي الصفحات، لوضع مقارنة متكاملة حول المجال الطبيعي للمنطقة من جهة والمكون البشري بالدائرة من جهة ثانية.

فبعد مرحلة توغل القوات الفرنسية وتقدمها العسكري للسيطرة على المجال والمجتمع القبلي، فإن سلطات الحماية كانت ملزمة بالانتقال إلى الخطوة الموالية، المتمثلة في إعطاء تقسيم إداري واضح لمجال القبائل التي ستدخل ضمن حدود دائرة ورغة العليا، ومعه ستعرف هذه الدائرة تطورات ومتغيرات تم رصدها كسيروية ضرورية واكبت التحولات التي أحدثتها المستعمر بالمنطقة.

المحور الأول: الخصائص الطبيعية والبشرية والحدود الإدارية.

يتميز مجال دائرة ورغة بالأهمية الجغرافية من حيث الموقع الاستراتيجي، بحكم تواجده بمحاذاة الحدود الاستعمارية الإسبانية، إضافة إلى الارتباط مع القبائل الريفية، التي كانت قد أشعلت لهيب المقاومة ضد الإسبان في وقت مبكر، هذا الموقع الجغرافي يتميز بخصوصيات بشرية وطبيعية جعلته متميزا عن باقي المناطق، كعلاقة حتمية للتفاعل الحاصل بين الإنسان ومجاله الطبيعي.

1- الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية:

1-1 - الموقع الجغرافي :

تقع دائرة ورغة العليا بمسماها التاريخي ضمن الحدود الإدارية الحالية لإقليم تاونات¹، الذي أحدث بظهير رقم 376.77.1 بتاريخ 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977)²، بذلك لا بد من تحديد موقع الدائرة وفق الخصوصيات التاريخية للمرحلة كي تكون الموضوعة في المكان والزمان تتماشى مع الفترة الزمنية للدراسة 1912-1956 ، فدائرة ورغة العليا خلال فترة الحماية، هو ذاك المجال الذي تبلغ مساحته بعد التقسيم الإداري لسنة 1931 ما مجموعه 1275 كلم مربع، بكثافة سكانية وصلت سنة 1936 إلى 56.60ن. في كلم مربع³، وجاءت هذه المساحة والكثافة السكانية موزعة على المكتبين الرئيسيين للدائرة وفق الشكل التالي⁴:

¹ - هذا الإقليم لا يضم فقط دائرة ورغة العليا التاريخية فقط، بل تنتمي إليه أيضا المناطق التي كانت واقعة تحت نفوذ دائرة ورغة الوسطى ومناطق من منطقة تازة.

² - مونوغرافية إقليم تاونات، المملكة المغربية، وزارة الداخلية، إقليم تاونات، 2010، ص.1.

³ - A.M, Statistique de la Population par Région, TABLEAU G., Etat récapitulatif de la population civil par région, Région de Fès, 1936. p.18

⁴ - تم وضع الجدول وتنظيمه من خلال توظيف المعطيات الواردة في إحصاء سنة 1936 وترتيبها على الشكل الذي يظهر في الجدول وفي باقي الجداول الأخرى التي تم الاعتماد فيها على معطيات إحصائية.

جدول رقم 1: مساحة الدائرة وكثافتها السكانية.⁵

مكتب الشؤون الأهلية بالدائرة	أهم المراكز السكنية		السكنة القروية بالمكتب	مجموع ساكنة المكتب بـ (ن)	المساحة العامة بـ كلم ²	الكثافة السكانية في كلومتر مربع بالنسمة	المساحة العامة للدائرة بـ كلم ²	الكثافة السكانية بـ (ن)
	المركز السكاني	السكنة بالنسمة						
تاونات ⁶	مركز تاونات	1493	49586	52701	1050	50,19	1275	56,60
	التجمع السكاني بعين عائشة	9						
	التجمع السكاني بباب وندر	1247						
	التجمع السكاني بحدادة	366						
بني وليد ⁷	مركز ثلاثاء بني وليد	98	19336	19470	225	86,53		
	مركز عين مديونة	36						

تحد الدائرة شمالا المنطقة الإسبانية عند الحدود الشمالية لمثوية مع قبيلة صنهاجة السراير، وجنوبا المنطقة المدنية

بتيسة (ملحقة الحياينة) عند الحدود الجنوبية لقبيلتي مزيات وصنهاجة مصباح وفخدة أولاد عمران (الحياينة)، ودائرة

⁵ - A.M, Statistique de la Population par Région, TABLEAU G, op.cit., p.18-19

⁶ -- تم احتساب العنصر الأجنبي المكون من فرنسيين وإسبان وإيطاليين وآخرون إضافة إلى اليهود، الذين يصل عددهم في المجموع إلى 106 بالدائرة ككل.

⁷ - تم احتساب 11 فرنسيا متواجدا بالمكتب كساكنة محلية وفق الإحصاء الفرنسي.

ورغة الوسطى (سلاس) من الجهة الغربية لقبيلة مزراوة، وواد اللبن جنوبا من جهة قبيلة صنهاجة مصباح، وشرقا صنهاجة غدو، وغربا قبيلتي "بني زروال" و"الجاية" عند الحدود الغربية لقبيلتي مثيو ومزراوة⁸.

تحديد الموقع الجغرافي للمنطقة المدروسة، يتيح إمكانية فهم أدق لخصوصيات المجال المدروس، وامتداده الجغرافي وفق أهميته الاستراتيجية، هذه الأهمية ستظهر من خلال توفر الدائرة على مجال حدودي بين الدولتين المستعمرتين، وهو ما يعني أهمية استراتيجية في عديد الملفات التي يجتمع فيها الأمني والاجتماعي، والاقتصادي بالسياسي، والعسكري بالتضاريسي، وبالتالي فالدائرة برز موقعها المتميز، من خلال كونها كانت تتحكم في مجال حدودي جد حساس أرق الجهاز الاستعماري الفرنسي بالمنطقة، حيث تتموقع قبيلة مثيو التابعة للدائرة في تماس مع قبيلة صنهاجة السراير التابعة للجهة الإسبانية، ولعل ذلك ما جعل الدائرة من موقعها الحدودي على الرغم من فقرها الاقتصادي مقارنة مع دوائر أخرى، تحتل أهمية استراتيجية للمستعمر، وضعها على رأس أولوياته في مخطط تقدمه العسكري، للقضاء على الثورة الريفية وقبائل المنطقة المقاومة*، فتحديد موقع المنطقة يُمكن من تلمس أهمية هذا المجال في علاقته بالجهات الأربع التي تحده والتي لا يمكن فصله عنها، والذي يظهر من خلال:

- علاقة هذه الدائرة بالثقل الاستراتيجي لتماسه مع منطقة تازة وشرطها الحدودي، من خلال الجوار مع قبائل مريسة وفناسة وطهر السوق.

- الأهمية الاستراتيجية لموقع الدائرة كحائط صد أمامي أمام محاولات زحف المقاومين من الشمال باتجاه فاس، خاصة خلال سنة 1925، خلال مرحلة تهديد فاس، إبان أوج فترة المقاومة وارتباطا بالثورة الريفية، حيث تواجدت مراكز ذات ثقل عسكري كبير، بكل من عين عائشة وتيسة وعين معطوف. أو خلال فترة عزل السلطان محمد الخامس منذ 20 غشت 1953م، وتخوف الفرنسيين من تسرب العمل الفدائي وعمليات جيش التحرير وتهريب السلاح والوطنيين بين المنطقتين.

⁸ - أنظر خريطة قبائل دائرة ورغة العليا.

* - أنظر الجزء الخاص بالأجنحة الفرنسية لاحتلال قبائل ورغة العليا، وأهميتها الاستراتيجية بالنسبة لفرنسا في حربها على الثوار الريفيين، وكذا مع الجانب الإسباني في مرحلة لاحقة.

-أهميته في تماسه مع مناطق الثقل الاقتصادي بالجهة، حيث قبيلة الحياينة في الجنوب، وابني زروال في الغرب، اللتان تعتبران مهمتان للمستعمر في تشديد الحناق الاقتصادي على القبائل المقاومة، والتحكم في موارد اقتصادية مهمة على رأسها الحبوب، نظرا لكون قبائل الدائرة كانت تعتبر حلقة الوصل في نقل المواد الحيوية بالمنطقة (خاصة القمح) صوب القبائل الشمالية، أو باتجاه المناطق الحدودية، نظرا لأهمية القبيلتين في توفير هذه المادة، وارتباطها الاقتصادي تاريخيا بمجالها الأعلى.

-أهميته الاستراتيجية في تجسيد السياسة التدبيرية الحدودية على الواجهة الشمالية للدائرة من خلال مكتب تاوانات وحدادة والمركزين الحدوديين بني بربر وتاوانات لقشور، خاصة في مسألة تسطير الحدود مع الجانب الإسباني وكذا الإشراف على مراقبة الشريط الحدودي، الذي شكل للفرنسيين هاجسا تم إعطاؤه أهمية كبيرة في تدبيره والتركيز على محاولة ضبطه، نظرا للتداخل الحاصل بين المنطقتين بشريا واقتصاديا وسياسيا.

انطلاقا مما ذكر تتضح الأهمية البالغة لمنطقة دائرة ورغة العليا على مختلف الجوانب، وأهميتها الاستراتيجية للمستعمر، فعسكريا خلال المرحلة الأولى من التقدم، لم يدخر جهدا في توظيف آله العسكرية والجيش، الذي سيطر على المجال الجغرافي المدروس، ليأتي في المرحلة الثانية بناء وتثبيت ركائز الجهاز الاستعماري بالمنطقة، من خلال تشييد المراكز والمكاتب، التي سيكون معها الشق التدبيري مصاحبا للمكاسب العسكرية، ممثلا في الجهاز الإداري بالمنطقة، وعلى رأسه الضباط ومعاونيهم، بغية تحقيق السيطرة من عمق القبائل وتحقيق الاختراق الداخلي لها ، لتظهر الملامح النهائية لهذا الجهاز التدبيري بحدود قارة وثابتة يضعها لجاله الإداري.

خريطة: قبائل دائرة ورغة العليا

(*****)

1-2- الخصائص الطبيعية:

أ- التضاريس:

تتميز المنطقة المدروسة، بكون معظم قبائلها كانت تقع على الضفة اليمنى لنهر ورغة (رغيوة، مزيات، مزراوة، مثيوة)، ولها ارتباط مجالي بمقدمة جبال الريف، حيث يبقى الجزء الشمالي من هذا النهر دو طابع جبلي بشكل كبير، وتنحدر طبوغرافية هذا المجال كلما كان الاتجاه جنوبا صوب واد ورغة، الذي تصب فيه عديد الروافد أهمها السرى، أمزيز، جزار والساهلة الخ.، في حين تبقى قبائل صنهاجة مصباح، وبني وليد وفخذة ولاد عمران (الحياينة) على الضفة اليسرى للنهر، وفي الغالب تبقى أغلب الأراضي عبارة عن هضاب وتلال شديدة التدرج كسلاسل جبلية صغيرة⁹، وتبقى أهم المناطق التي تعرف الإنبساط من الدائرة، التي تواجدت فيها المستوطنات الزراعية للمستعمر، بسواطي (عين مديونة)، و ساحل بوطاهر، وبقبيلة الحياينة عند فرقة أولاد عمران، التي ظلت تابعة للدائرة بعد التقسيم الإداري لسنة 1931، وبذلك فغالبية هذه الأراضي المنبسطة، تركزت على الضفة اليسرى أو بجنوب ورغة، مع انحسار مساحات صغيرة (سهول ضيقة) على الضفة اليمنى.

يظهر الطابع التضاريسي للمنطقة، من خلال خرائط الاستعلامات الفرنسية التي كانت تلتقطها الطائرات الفرنسية قبل تقدمها للمنطقة، أو من خلال الترسيمات التي كان يضعها الضباط ومعاونيهم لتعيين قبائل وقرى المنطقة، حيث تظهر إحدى الصور لهذه الترسيمات مدى غلبة طابع الإرتفاع على المنطقة كلما كان العبور صعودا إلى الضفة اليمنى للنهر باتجاه قبيلة مثيوة الحدودية¹⁰، أو من خلال الدراسات الجغرافية الموجودة حول المنطقة، فمثلا نجد أنه

⁹ - DE SEGONZAC M^{is}, **voyages au Maroc (1899-1901)**, Librairie Armand Colin, 2^{em} édition, Paris, 2008, p. 68 et p.70.

¹⁰ - A.M, R.M.P, Juillet 1925, p. 3.

بمنطقة عين مديونة وبني وليد وبوعادل، تغلب التضاريس الجبلية بأزيد من 75% من المساحة العامة للمنطقة، وتوزع على ثلاث وحدات تضاريسية:¹¹

الوحدة الجبلية الضخمة: تمتد بـ 45% بجماعة عين مديونة، و 85% من مساحة جماعة بني وليد، و 30% من جماعة بوعادل. وتضم هذه الوحدة سلسلة جبلية تعرف ارتفاعا في قممها: جبل الكيل 1628 متر، جبل لقرع 1000 متر، جبل درينكيل 1600 متر، جبل درسان 1402 متر، جبل باب التويلة 1632 متر، وجبل أبحير 1433 متر.

الوحدة الثانية المستغلة: وهي التي تتراوح ارتفاعاتها بين 300 و 600 متر، وهي ذات قمم بشكل دائري تختلف نسب توزيعها من منطقة لأخرى، وتبقى أهم هذه الكتل التلية: كتلة الكدية 450 متر بجماعة عين مديونة، وكتلة لعزيب 497 متر بجماعة بوعادل، وكتلة سيدي سوسان 590 متر بجماعة بني وليد.

وحدة المنخفضات: وهي الأراضي المنبسطة التي تشكل 37% من تراب جماعة عين مديونة، و 21% من جماعة بوعادل و 2% فقط من مساحة جماعة بني وليد، وهي الأراضي المخصصة للنشاط الزراعي السقوي والتي توجد على طول واد ورغة.

حدد الفرنسيون أهم هذه المرتفعات أثناء توجههم للسيطرة على المنطقة في شهر ماي من سنة 1924 في " جبل الكيل وجبل درينكيل يتجاوزان 1600 متر عند صنهاجة؛ جبل أغيل المتوج بـ 800 متر عند مزراوة؛ وجبل أستر بـ 800 متر لدى مزيات، وكتلة باب شراقة بـ 846 متر"¹²، حيث شكلت هذه المرتفعات تحديا حقيقيا للقوات الفرنسية التي كانت تعتبرها كنقطة استراتيجية، يمكن أن يأتي منها التهديد المفاجئ من طرف المقاومين المتمركزين بالمرتفعات.

¹¹ - العمراني عبد الواحد، أطلس العيون المائية بعالية حوض ورغة الأوسط ودورها في تنظيم المجال والمجتمع (حالة جماعات: عين مديونة وبوعادل وبني وليد)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، السنة الجامعية 2013-2014م، صص. 37-38

¹² - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

رسم فرنسي لأشكال التضاريسية المتواجدة على الضفة

اليمنى لنهر ورغة وأهم الأماكن بها 1924.

بالمقابل الطابع الجبلي للمنطقة الواقعة بالقرب من الريف يتميز بصعوبته وكثرة تقطعاته، مما جعل مؤهلاته الاقتصادية جد محدودة مقارنة بمناطق أخرى، خاصة من مادة أساسية كالحبوب وفي أفضل الأحوال يكون تحقيق اكتفاء ذاتي طفيف، فالمنطقة تعرف ترابطا طبيعيا مع المجال الريفي، مما جعل غالبية ساكنتها تعتمد بشكل أساسي على زراعة الشعير والفلاحة البورية لتحقيق محصول جيد، في ظل تواجد أودية متعمقة، وانحصار الأراضي الصالحة للسقي في مجال ضيق، تتماشى مع خصوصيات المجال الريفي وصعوبة استغلال المياه الجوفية تبعا للخصائص الجيولوجية للمنطقة، التي تجعل مياه المنطقة تجري على السطح في الأودية، ما يجعلها معرضة للنقص وانخفاض مستوياتها في سنوات الجفاف¹³.

ب- المناخ:

تتميز المنطقة بخصائص المناخ المتوسطي، بارد ورطب شتاء (5°) وحار وجاف صيفا (40°)، ويصل المعدل السنوي للتساقطات المطرية بالمنطقة حسب التقرير الاقتصادي لفاس سنة 1925، إلى معدل يتراوح بين 800مم و 1850مم كحد أقصى في بعض السنوات، وعلى المستوى بيو مناخي تتميز المنطقة الشمالية من الدائرة بكونها تقع في طبقة متوسطة وسطى وعليا تحت رطوبة وفوق رطوبة، تتأثر بخصائص المناخ المتوسطي¹⁴.

تتميز التساقطات بالمناطق المنتمة لعالية ورغة الأوسط - حيث بني وليد وعين مديونة وبوعادل - بعدم انتظامها تبعا للتقلبات المناخية، متأثرة بعامل الرياح والارتفاع والتوجيه حيث توجد أشهر رطوبة وأخرى جافة، والمناطق الجبلية تتلقى كمية أكبر من الأمطار مقارنة بالمنخفضة، كما أن "عدم انتظام تهطل الأمطار خلال الموسم الفلاحي الواحد وتركزها في فترات معينة، يؤثر سلبا على انتظام الجريان المائي السطحي، فضلا عن الإنعكاسات السلبية على الاختزان المتوازن للماء داخل التربة وبالتالي على الدورة النباتية"¹⁵.

¹³ --A.M, Anonyme, « l'orge dans le RIF », EL ECO DE TETUAN, 6 Juin 1917.

¹⁴ - A.M, Rapport Economique d'Ensemble, 3^e Trimestre 1925, p.18

¹⁵ - العمراني عبد الواحد، م.س، ص.43

ت- ورغة وروافده : شريان حياة قبائل الدائرة

• وصف موليراس

ذكر موليراس من خلال رحلة مخبره سنة 1897 بأن أربعة مجاري بالريف لها اسم ورغة وأهمها بقبيلة زرقت، الذي يأتي من المنبع ليدخل أراضي بني بشير (الريف) تنضاف إليه بعض الوديان مخترقا مريسة حيث تكثر مياهه ببروز روافد أخرى، يمر بفناسة التي تسقي منه، مارا عبر بني وليد حيث المنبسط، لتضاف إليه روافد أخرى، ويصل عرضه إلى ثلاثين مترا ثم يعبر صنهاجة لوطا ومزيات ليزداد منسوبه بروافد أخرى ويتقلص عرضه بسبب التضاريس الجبلية ويزيد عمقه¹⁶.

بخروجه من مزيات ينضاف إليه واد سري ليعبر قبيلة الحياينة حيث تتسع مساحته ويقل عمقه، ويستمر عبوره بقبيلة الحياينة وبني زروال ليلتقي بواد الميز ليصبح متعرجا يمر تارة بمنطقة جبالة وتارة بدائرة فاس مع استمرار تواجده بالحياينة ، وعند وصوله لقبيلة بني ورياغل ينضاف إليه واد أودور، وبين بني ورياغل وشراكة تنضاف اليه روافد من بني مسارة وبني مزكدة حاملة معها كميات كبيرة من المياه خلال فصل الشتاء يحتاج معها القوارب لعبور النهر، ليستمر النهر باتجاه الجنوب بعيدا عن جبالة، ووسط شراكة يسير باتجاه الغرب عابرا اولاد عيسى حيث يتطلب القوارب لعبوره وعند الحدود الغربية لهذه القبيلة يلتقي بنهر سبو ، ومن خصائص نهر ورغة تميزه بصفاء مياهه في المناطق الجبلية¹⁷.

• وصف الضباط الفرنسيين (الأهمية الاستراتيجية للنهر):

تحدث ضابط فرنسي في أحد التقارير عن نهر ورغة، قائلا: "من ضفة إلى أخرى هناك تناقض شبه موحش، فبعد سهول القمح بالحياينة، يصبح معذبا بشكل صريح، لكن بحرمانه من الماء الذي بخرتة الشمس، يصبح

¹⁶ - موليراس أوجيست، المغرب المجهول: اكتشاف جبالة، جزأين، ترجمة وتقديم د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، ط.1، الدار البيضاء، 2013، ج.2، صص. 311-312.
¹⁷ - نفسه، ص.312.

الارتياح أكثر وضوحا بمجرد عبور الوادي، فهو ليس سوى عبارة عن حلمة غير منتهية لكن جد بارزة، حيث يرتفع في اتجاه الشمال وباتجاه الشرق إلى غاية حاجز جبال الريف الشديدة الارتفاع¹⁸، مما يؤكد على الحياة التي يقدمها هذا النهر وروافده لسكان قبائل المنطقة، وأهميته في حياتهم.

انبهر المستعمر الفرنسي بجمالية المنطقة، لما خلقتها هذه الروافد من مناظر قائلا "تندفق الوديان إلى بعضها البعض وأحيانا تختنق في انسدادات {...} الوديان التي في الغالب تحدد القبائل، تنبض بالحياة، وبعضها يتدفق في جميع الفصول، وتنبع من الشلالات حيث تجري المياه صافية على فراش من الحصى، الموارد عديدة ودائمة، والمنحدرات المواجهة للشمال خاصة، مظلة بالزيتون، التين، والكمثري، وأشجار الخروب، وكروم العنب، وبكل نبتة وشجيرة برية، القرى عديدة، ومرسومة، ومبنية جيدا بمصادرها مع غسيلها ومعاصر زيتها وأراضيها المروية. هناك مناظر طبيعية شبيهة بأو فرني **Auvergne** أو جبال الألب **Alpes**"¹⁹.

بالرجوع إلى الدور الذي تلعبه هذه الروافد إلى جانب ورغة في تسطير الحدود بين القبائل، فهذه الموارد المائية شكلت حدودا طبيعية بين قبائل الدائرة، فورغة يعتبر حدا فاصلا بين صنهاجة مصباح على يسار (جنوب) النهر ومثوية ورغوية من جهة اليمين (شمالا)، وبين الحياينة من اليسار ومزيات ومزراوة من اليمين. لتشكل روافد النهر من جهة اليمين القادمة من الشمال حدا فاصلا بين قبائل الضفة اليمنى (مزراوة-مزيات-رغوية-مثوية)، حيث تواجدت قبيلة مثوية بين واد جزار الذي يحدها مع "بني ونجل" من جهة الشرق وواد الساهلة غربا مع "بني زروال"، وفي جزء من الحدود مع مزراوة، وجنوبا تشكل مجاري واد السرى الذي يقسم مثوية إلى قسمين لوطا والجبل، الحد الفاصل مع قبائل رغوية ومزيات، فواد "السرى" (السرا) الذي يخترق مثوية نزولا باتجاه ورغة يعتبر كذلك الحد الفاصل بين قبيلة

¹⁸ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

¹⁹ - ibidem

رغوة ومزيات، وغرب مزيات يشكل واد الساهلة الحد الفاصل بينها وبين قبيلة مزاوة، هذه الأخيرة التي بدورها يشكل واد أمزيز حدودها الغربية مع قبيلة الجاية²⁰.

²⁰ - أنظر خريطة نهر ورغة وأهم روافده.

خريطة نهر ورغة وأهم روافده

(المنطقة الوسطى للعمليات الفرنسية بالجهة الشمالية)

2- الخصائص البشرية:

تتميز الدائرة بخصائص بشرية متفردة عن باقي المناطق، تبعا لخاصية العامل الطبيعي والتوزيع التضاريسي، مما ساهم في اختلاف توزيع السكان وكثافتهم داخل حدود الدائرة، إضافة إلى ذلك فهي تتميز بخاصية التركيب القبلي المتنوع، الذي لا تندمج فيه قبيلة ضمن قبيلة أخرى، بل تحافظ على استقلالها المستمر من خلال الحدود الطبيعية، خاصة نهر ورغة وروافده، التي تشكل الحد الفاصل بين كل قبيلة وأخرى، حيث بلغت عدد القبائل التي تواجدت بالدائرة سبعة قبائل -تنقسم بدورها لعدة فخذات و فرق تتواجد فيها مجموعة من الدواوير-، وقد عرفت ساكنة المنطقة تطورا عدديا في اتجاه تصاعدي، حسب الإحصاءات الفرنسية التي تم الإطلاع عليها، وأصبح المكون الأجنبي حاضرا، تبعا لمهامه بالأجهزة الإدارية المتواجدة بالمنطقة، وارتباطا بتوسع مجال الاستيطان، الذي ظل ضيقا مقارنة بمناطق أخرى.

2-1 إثنوغرافيا موليراس ووصفه لقبائل المنطقة:

أ- قبيلة بني وليد

هي المنطقة الواقعة جنوب جبالة، حيث تتحول الجبال إلى تلال مخضرة توجد بها أنواع مختلفة من أشجار الفاكهة وخاصة أشجار الزيتون، يتميز سكانها بالنشاط والذكاء، يستعملون شبكة من السواقي لري بساتينهم ويزرعون الشعير والقمح في الأراضي البور، وأغلبية قراها توجد بالقرب من المخابز المائية، وبالقرب من زيامة كان يتواجد سوق الثلاثاء الكبير، وتباع فيه الحبوب والأسلحة والملابس والشاي والسكر والشموع، وأغلبية التجار يأتون إليها من فاس الذي يبعد مسافة يومين على الأقدام. ويرتبط سكان المنطقة بمليالية، حيث يشترون الأسلحة والسكر والشموع مرورا عبر الريف برفقة "الزطاط"، وبالقرب من زيامة توجد زاوية اسم راشد الذي تقام له "وعدة" سنوية بالزيامة في عيد المولد النبوي²¹.

²¹ - موليراس أوجيست، م.س، صص. 301-302

جدول رقم 2: القرى الرئيسية ببني وليد حسب مخبر موليراس

القرية	عدد المنازل
القلعة	500
عين الحمرا	100
الميزاب	300
الزيامة	300
على واد ورغة سوق الثلاثاء - امطرفية	100
حوالي 40 قرية غير معروفة.	
القوة العسكرية: 4000 من المشاة، العدد المحتمل للسكان: 18 ألف نسمة.	

ب- قبيلة مثوية²²

هي من أصل غماري، وتبلغ مساحتها 20 كيلومترا من الشمال إلى الجنوب، و 40 كيلومترا من الشرق إلى الغرب، وتنقسم إلى ثلاث أقسام: مثوية لوطا (السهل)، مثوية الوسط (المنطقة الوسطى)، ومثوية الجبل (الجبال)، وتوجد مثوية لوطا (السهل) من جهة الغرب، بين مثوية وبني زروال وجزء من بني وليد، وهي عبارة عن تلال تخترقها وديان، وتتميز أرضها بالخصوبة وتكثر فيها أشجار الزيتون والبرتقال والتين التي تزرع الذرة أسفلها. أما مثوية الوسط توجد بالمناطق القريبة من الريف، وتتوفر على منحدرين واحد بجبل تفلواس الممتد شرقا ليلتقي بجبال الريف، وغربا يوجد جبل كثامة ويلتقي بالجبال الغمارية الأخرى، وتعرف المناطق الجبلية للمنطقة تساقط الثلوج طيلة فصل الشتاء، وتتميز

²² - نفسه، صص. 303-310

المنطقة فلاحيا بزراعة القمح والشعير والعدس وأشجار الزيتون، وفي أسفل المنحدرات الجبلية توجد الكروم وأشجار التين الأبيض المعروف في المنطقة بالمشوي والتي تكثر زراعتها بجبل تفلواس.

مناخ القبيلة كان شديد البرودة بالقمم الشاهقة ومعتدلا بالوسط وحارا بالجنوب الغربي، كما ساعد هذا التنوع في المناخ في تنوع الغطاء الغابوي بالمنطقة والزراعي، وتشتهر كذلك بزراعة الكيف وطابة بمساعدة من جيرانها الكتامين، تصدرهما بواسطة التجار إلى أبعد الأسواق، كما تشتهر القبيلة بتنوع مأكولاتها.

اعتمد السكان في استهلاك الأسماك على الصيد في الأنهار الرئيسية بالمنطقة : واد إمرزاين، واد تامديث، واد مشكور، واد بني بربر الذي يصبح اسمه عندما يصل لبني وليد واد الناضور، كما أن التجمعات السكانية بالقبيلة المتمثلة في القرى تجتمع لتشكيل مراكز سكنية، بأزقتها ووجود ساحات منظمة كأنها تجمعات ذات طابع حضري، كما تشتهر نساء المنطقة بلباس الحايك الأبيض.

جدول رقم 3: القرى الرئيسية بمشيوة حسب مخبر موليراس

الفرقة أو القسم	القرى	عدد المنازل
بني غفر	23 - قلعة بني غفر	500
	- إيزارن	500
	- قلعة بني وانذر (بني وندر) يوجد بها سوق الإثنين	300
قسم بني بربر	- قلعة بني بربر (يوجد بها سوق الخميس ومناجم الذهب)	300
	- ايشتوم (قرب غابات السنديان ومنازلها معلقة بالقمم)	—
	- القلعة	300
	- تاورطا (تورطة)	300
مشيوة لوطا	الناضور	300
	زبوجة الوسطى (دريوة)	100

²³ - يوجد بها سوق الإثنين ومناجم الحديد بواد تمديث

500	مشكور	مشكور
100	تاغونا	
500	إمراغدن	
500	إمرازين	قسم إمرازين
500	قلعة الساحل	
50	عين الحمرا	
10	الميزاب	
500	باب محرز	قسم باب محرز
100	مولاي بوشتي	
200	بورضول	
50	الثلاثاء	
القوى العسكرية: 10 آلاف جندي من المشاة، العدد المحتمل للسكان 70 ألف نسمة ²⁴		

ت- قبيلة مزيات²⁵

يشير موليراس إلى كون اسم القبيلة هو أمازيغي ويحيل "إلى أننا ببلد الزيت وشجرة الزيتون والأراضي الخصبة"، وهي قبيلة خاضعة للمخزن بفعل موقعها الجغرافي القريب من فاس وتضاريسها الغير الوعرة التي لا تحميها من الأعداء، وأن سهلها المخضر جعل المخزن يستهدفها بالسيطرة والجشع الضريبي، ولها قرابة مع صنهاجة التي تخلت عنها وتركتها كصمام أمان بينها وبين المخزن .

تواجد بشمالها غابات كثيرة و أشجار الفستق والزان والعرجار والخروع وأزير، وتهتم بزراعة الشعير والقمح والبقول وتتوفر على الجياد والخراف والماعز والعجول، وتعتمد في سقي أراضيها من نهر ورغة وسرى وواد امزير بالشمال، وقراها مأهولة بالسكان ولهم ارتباط وثيق بفاس، وتكثر المساجد بها، وبها سيد للولي الصالح سيدي بوزيد، الذي تتم زيارة

²⁴ - تقدير مخبر موليراس كان مجانباً للصواب، فيما يخص عدد سكان قبيلة مئوية، حيث أثبت التقدير الفرنسي من خلال ضباط دائرة فاس أن عدد سكان القبيلة سنة 1912 وصل 2000 نسمة وفي إحصاء 1936 بـ 15273 نسمة، كذلك أدخل قبيلة مولاي بوشتي ضمن فرق قبيلة مئوية على عكس الإحصاءات الفرنسية. أنظر الإحصاءين الفرنسيين اللذان تم إدراجهما في البحث، والخطأ نفسه وقع في تقدير عدد سكان باقي القبائل.
²⁵ - موليراس أوجيست، م.س، صص. 311-312 وص. 314.

ضريحه كل يوم سبت الذي يكون سوقا أسبوعيا، كما تشتهر القبيلة باستخراج النساء للكحل بالقرب من سيدي بوزيد لبيعه بالأسواق كمادة للتجميل.

جدول رقم 4: القرى الرئيسية بمزيات حسب مخبر مولييراس

القرية	عدد المنازل
سيدي بوزيد	300
العزايب	400
قلعة مزيات	400
مزيات (على واد سري)	500
مزيات (بالغرب)	300
القوى العسكرية: 3 آلاف جندي من المشاة، العدد المحتمل للسكان حسب مخبر مولييراس 21 ألف نسمة.	

اعتبرها الفرنسيون من أكثر القبائل التي سكانها مرتبطون بمنازلهم وثقافتهم وأشجارهم، ويحتضنون أي شخص ينقدهم من النهب والخراب، يتحلون بشجاعة المحاربين، وحازمين في التسليح بأنواع البنادق الإسبانية التي باعهم إياها الريفيون، الذين غنموها من انتصارهم في معركة أنوال²⁶.

ث- قبيلة رغيوة²⁷

هي حسب توصيف مولييراس كما ذكر ابن خلدون، فرع من قبيلة أوربة الأمازيغية المنحدرة من البرانس، وبذلك فهي "على صلة بالبرانس وصنهاجة الحاليين". وهي الجارة الشرقية لمزيات وطول حدودها مع دائرة فاس حوالي 10 كيلومترات، وهي من القبائل الصغيرة المجبرة على دفع الضرائب للمخزن والخضوع لسيطرة القبائل

²⁶ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

²⁷ - مولييراس أوجيست، م.س، صص. 315-316

القوية المحيطة بها، أرضها غير جبلية وغنية بأشجار الزيتون والبرتقال وكثيرة المنابع المائية، تشتهر نساء القبيلة كما نساء مزيات بصناعة القراميد والأدوات المنزلية من الطين الجيد.

تتميز منازلها بساحة وحظيرتها والبستان المحيط بها، ومخزن يوجد بالطابق الأول، ومدخل رئيسي وتفتح الغرف على الساحة، وتعرف القبيلة بمساجدها التي تستخدم أيضا كمدارس، وغالبية الرجال يمارسون مهنة الخياطة أو العزف.

جدول رقم 5: القرى الرئيسية برغبة حسب مخبر موليراس

القسم أو الفرقة	القرى	عدد المنازل
باب وندر	باب وندر	500
	تازوذا	100
	أحجيون	200
قسم الرملة	الرملة	500
هناك حوالي عشرين قرية متفرقة لم يتم إدراجها.		
القوى العسكرية: 1500 جندي من المشاة، العدد المحتمل للسكان 10500 نسمة.		

ج- قبيلة صنهاجة لوطا²⁸

هي من الأسرة الثالثة من الصنهاجيين، وتنقسم إلى ستة أقسام محاذية لدائرة فاس والحياينة، بالشمال يوجد قسم بوعادل وسط جبال غابوية، ويتميز بالسقي والبساتين ووفرة الزيتون والمياه وكثرة أشجار الرمان، وقسم بني قره المليء بالدواوير المحاطة بأشجار الفواكه من زيتون وبرتقال وسفرجل والليمون والموز ووفرة الخضراوات، وقسم عين مديونة الذي يجمع بين السهل والجبل، ويوجد بالقرية منبع مائي غزير، كما يوجد بها سوق أربعاء عين مديونة، الذي تباع فيه مختلف المنتوجات. وشبه الدرويش مخبر موليراس عين مديونة بالمدينة الصغيرة، لتوفر أحيائها على دكاكين ومطاعم شعبية وحانات لاستقبال الزائر وفرسه. وقسمي الجنوب هما بني سلمان وسيدي داوود، المتواجدان بالسهل قبالة لحياينة. وتضم صنهاجة لوطا أربعة جداول تغدي بساتينها وهي: واد عين مديونة وواد بني قره بالشمال، واد بني سلمان

²⁸ نفسه، صص. 316-318 و صص. 324-325.

وروافده، وواد بوكنانة بالجنوب. ويمارس معظم رجال أقسام القبيلة مهنة الخياطة والحياكة، ويصنعون ملابسهم بأنفسهم المكونة من سراويل قصيرة وجلابة سوداء.

جدول رقم 6: القرى الرئيسية بصنهاجة لوطا حسب مخبر موليراس

القسمة أو الفرقة	القرى	عدد المنازل
بني قرّة	بني قرّة أولاد أزم تازروت سيدي عبد الله	300 200 200 10
بوعادل	بوعادل (يوجد بها سوق الاثنين)	300
بوكنانة	بوكنانة	300
سيدي داوود	سيدي داوود	300
بني سلمان	الواد (يوجد بها سوق الإثنين)	500
القوى العسكرية: 12 ألف رجل من بينهم ألفي فارس، العدد المحتمل للسكان 84 ألف نسمة ²⁹ .		

2-2 المعطيات الإحصائية الفرنسية لقبائل دائرة ورغة العليا

أ- معطيات ضباط دائرة فاس

بعد احتلال الفرنسيين لفاس عملوا جاهدين على توسيع دراساتهم السابقة وأبحاثهم، خاصة بعد توقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912، ليصبح العمل على قدم وساق قصد التمكن الدقيق من المجال الجغرافي المحيط بفاس، من خصائص طبيعية وبشرية، ومعه منطقة ورغة التي تعتبر من أكثر المناطق الآهلة بالسكان وتعرف ازدحاما قريبا، عن طريق مباشرة العمل الاستعلاماتي من طرف الضباط الفرنسيين، حيث سيصدر كتاب سري عبارة عن لمحة عن قبائل

²⁹ - هنا أضاف موليراس لقسم صنهاجة لوطا التي هي جزء من صنهاجة مصباح (الظل والشمس)، كل من صنهاجة غدو والسرير اللتان اعتبرتهما تفرعا عن نفس القبيلة الأم.

المغرب الشرقي، وضعه ضباط الاستعلامات الفرنسية بدائرة فاس، حيث جاء تقدير عدد سكان المجال المدروس خلال سنة 1912 على الشكل التالي:

جدول رقم 7: معطيات قبائل دائرة ورغة العليا حسب ضباط دائرة فاس 1912.³⁰

القبيلة وأقسامها	الفرق والدواوير	السكان بالنسمة	ممثل المخزن	الأعيان
مثنوة	ولاد بوعددي: بوهودة، الزاوية، جعفر، تاونات، أسمل، أسويل	2000 ن	القايد سي المهدي داودي	سي محمد ولد سي محمد، محمد بن حمو، الحاج مسعود، محمد بلحاج، محمد ولد دحمان، عبد الله بن سيدي عبد السلام. أهل الواد
	أهل الواد: تاونات، بني بربر، القلعة.			الشيخ سلام، عبد الله بن سيدي عبد السلام، الحاج حمو.
	مثنوة ديال لوطا: امبرادن، تزرين، دشر فلاح، مرزاي، تيدجا، القلعة			القاضي عبد السلام، الحمو بن شطا، محمد بلحسن، عبد الله بن عمار، حمدان بن علي.

³⁰ - Les Officiers de Renseignements du Cercle de Fès, **NOTES sur les Tribus du Maroc Oriental**, publication du Comite du Maroc, Paris, 1912, pp. 5-13 et pp. 34-35

			<u>تموراس:</u> باب محرز، قرية عبد السلام، كتبة، بوردود.		سي حمو محمد، زباطي، سي حمو
مزيات	خمالشة، القلعة، حجر رباب، تاوانات، دشير، أهل ستة، عشائش، حجر معبد، ولاد بو سلطان، دمناء.	1200 ن.	القايد محمد بن عبد السلام	سي بوزيد	
رغبوة	باب وندر، الرملة، الحاجين، العنصر، بوعزون		القايد محمد بن حمو وابنه أحمد	محمد بن علي	
بني وليد	<u>الشرفاء:</u> رباينة، سكوريين، شرارطا، تمتازت <u>ولاد لوان:</u> دجراة، زرارقة، ولاد جديدي، العنصر. <u>زيامة:</u> ولاد الغزيل، ولاد بوطين، ولاد عزيز، أمسكر، حجر قلال.	1000 ن.	القايد: الحاج محمد ايدر	_____	
صنهاجة مصباح	بني قورة	_____	قايد محمد بن حميدو	_____	_____
	بوعادل			سي عبد الله بن أحمد الشريف	_____
	ولاد أزم			_____	_____
	تروضا			_____	_____
	عين مديونة			_____	_____
	كرناية			_____	_____
				_____	_____

			بوقنالة	
			دوار المناع-تزرونا	
			أولاد بوحسون	فناسة، أولاد الغازي، القليعة
			ولاد رباب	ولاد يحيى (شعشعا، غرابية، ولاد عياد)، ولاد مخخال (الغوال، ولاد هلال، هبارجة، بني ستين، ولاد عبد الكريم، الشبابات، بني خليفة)
	القايد الجيلاي ولد هندة	9000 ن.	ولاد عليان	الدومة، ولاد ملوك، ولاد عمور، ولاد علي، ولاد تحيل، سدراتة، ولاد الحمون، ولاد عزيز، مطالسة، ولاد عدجة، دجيهانة، ولاد لحسن، زوامة، ولاد جبور
	القايد محمد القايد الطيب بنعمان		ولاد عمران	جعفرة، التحتانين، ولاد بلغينة، ولاد عمارة، الرشاشيين، ولاد سلطان، الحرارشة، ولاد غنام، ولاد بوشتي، المحارين، ولاد دجموح، ولاد عيسى
	أحمد ولد الحياط	8000 ن.		
	القايد أحمد بن عبد الله بن محمد المودن	11000 ن.		

هذه الإحصائيات من طرف الجهاز الاستخباراتي الفرنسي، هي في الأساس مبنية على تقديرات، بشكل نظري استخباراتي، انطلاقا من الزيارات التي كان يقوم بها أعيان تلك المناطق، لتقديم الولاء للقوت الفرنسية منذ دجنبر

1911 وصولاً إلى سنة 1912 وتوقيع المعاهدة مع المغرب³¹. كان الهدف الأساس منها هو معرفة عدد الرجال القادرين على حمل السلاح، فكانت هذه المعطيات ذات أهداف عسكرية، لا تبتغي أي مقارنة اجتماعية أو اقتصادية لتدبير المجال، كما أن الإحصائيات لم تكن دقيقة، وغابت العديد القبائل كقبيلة مزراوة، التي قد يفسر ذلك بعدم توفر معلومات حولها، إضافة لتعدد الأخطاء في أسماء الفخذات والفرق والدواوير. فإلى غاية 1924 ظلت المنطقة غير واضحة المعالم، من حيث عدد السكان والكثافة السكانية، فقد ركزت القوات الفرنسية في شقها الاستخباراتي على دراسة القبائل الاستراتيجية، خاصة في حربها على المقاومة المرتبطة بالشريط الحدودي، حيث قدرت الكثافة السكانية لقبيلة مزيات، بعد وضع اللبنة الأولى لمركز تاونات خلال شهر ماي 1924، بأنها تصل إلى 30 نسمة في الكيلومتر مربع³².

ب- معطيات الإحصاء الفرنسي لسنة 1936

بمرور السنوات، وتعزز آليات سيطرة القوات الفرنسية على المغرب، التي كان على رأسها الإدارة الاستعمارية، تمكنت سلطات الحماية من السيطرة على المنطقة عسكرياً، وتثبيت حضورها بالجهاز الإداري التدييري على أرض تلك القبائل، وبهذا التثبيت ستجمع المعلومات حول خصائص المنطقة بشكل أكثر دقة وشمولية، حيث سيأتي إحصاء 8مارس 1936 الذي أعطى تفصيلاً دقيقاً لسكان المنطقة وقبائلها، فظهرت معطيات أكثر وضوحاً وتفصيلاً عن شكل البنية السكانية بالمنطقة، التي جاءت معطياتها على الشكل التالي:

³¹ - ibidem

³² - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

جدول رقم 8: ساكنة دائرة ورغة العليا من المغاربة حسب إحصاء سنة 1936³³

اسم القبيلة	عدد المنازل				الأطفال	البالغين	المسنين	المجموع
	منزل	نواله ³⁴	مشتا ³⁵	خيمة ³⁶				
مكتب الشؤون الأهلية بتاونات								
مثيوّة	2769	201	—	—	6769	7507	997	15273
مزيات (حجر معبد، الدمنة)	1128	144	—	—	2482	2779	454	5715
مزاوّة	342	169	—	—	1237	2779	454	5715
ولاد عمران	3082	861	—	—	5623	12269	1781	24990
رغيوّة	738	44	—	—	1725	1917	235	3877
مجموع الساكنة					52595 ن.			

³³ - A.M, Statistique de la Population par Région, TABLEAU M, statistique de la population civile Marocaine par tribus et fractions de tribus, Région de Fès, 1936, pp. 489-91

³⁴ - حسب تعريف Sicault هي "بناء أسطواني مخروطي يتكون في قسمه الأعلى من أعواد القصب المكسوة بالتبن، ويقوم على قاعدة من البناء لها باب واحد لا يمكن المرور منه إلا بالقرصاء. ومن النوايل ما كانت قاعدته مستديرة ومنها المربعة الزوايا، كما أن منها من يقوم على الأرض مباشرة وتتكون النواله من غرفة واحدة، وهي تقي من البرد والمطر لكنها مظلمة، وهي بذلك نموذج لسكن غير صحي، إذ يقبع في حيز ضيق عدد من الناس والأطفال والقمل"، أنظر: رويان بوجمعة، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013، ص. 56.

³⁵ - هذا النوع من السكن لم يتواجد بالمنطقة حيث الساكنة مستقرة طيلة السنة في مجالها، هذا النوع انتشر بالمناطق الأطلسية خاصة لدى القبائل الأمازيغية الجبلية التي تجمع في مجالها الجغرافي بين الجبل ولوطا، كما هو الشأن لبعض فرق قبيلة بني وراين الغربية التي كان يتحقق تكاملها الاقتصادي من خلال التحرك إلى لوطا شتاء نظرا لقساوة المناخ بالجبل والحفاظ على المورد الأساسي للقبيلة المتمثل في قطعان الماشية، وصيفا يتم الصعود للجبل حيث يتوفر الكلال قطعانهم ويسكنون القرى الجبلية حيث الأودية، وهو ما سمي عند سكان المنطقة بـ"أزغار" و"أدرار" أي المناطق الجبلية التي يتم فيها قضاء الصيف والهضبة المنخفضة التي يكون فيها قضاء فصل الشتاء.

³⁶ - حسب معلمة المغرب في ج. 12 "وهي من أقدم أنواع السكن بالمغرب، وهي النوع الأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ". وتتكون الخيمة من مجموعة من الفلجان المصنوعة من الوبر أو شعر المعز أو ألياف الدوم، والفليج شريط منسوج عرضه 75 سم. وتتطلب كل خيمة سبعة فلجان مخاطة إلى بعضها البعض، وتقف الخيمة على ركيزتين وتشدها مجموعة من الأوتاد إلى الأرض.

أنظر: رويان بوجمعة، م.س، ص. 55.

وغياب هذا النوع من السكن بالمنطقة يحيل على أن الساكنة لم تعتمد على حياة التنقل أو الإنتاج كما هو الشأن بالنسبة لقبائل الأطلس المتوسط، وبذلك فحياة الساكنة كانت مرتبطة كليا بمجال محدد يتم الاستقرار فيه طيلة السنة.

مكتب الشؤون الأهلية بثلاثاء بني وليد							
5212	336	2504	2362	—	—	—	774 بني وليد
14247	860	6814	6573	—	—	33	2042 صنهاجة
							مصباح (الظل والشمس)
19459 ن.				مجموع ساكنة المكتب			

ببتبع معطيات الجدول، سيتضح بأن ساكنة الدائرة كانت مقسمة على مكتبين رئيسيين، هما بني وليد ومكتب تاوانات، وباقي المكاتب الصغيرة كانت تابعة للمكتب الرئيسي، بذلك فمعطيات الدائرة كانت تجمع انطلاقاً من المكاتب الصغيرة، لتتجمع لدى المكتب الرئيسي، ثم بمكتب الدائرة، الذي يكون تابعا لمكتب الجهة، وصولاً إلى المكتب الأساسي المتمركز بالرباط، الذي يعمل على إخراج هذه المعطيات بشكل شامل لجميع مناطق المغرب.

جدول رقم 9: العنصر اليهودي المتواجد بالدائرة سنة 1936³⁷:

العدد	الدوار أو المنطقة	المكتب	القبيلة
3	تاوانات	تاوانات	مزيات (الدمنة)
1	عين مديونة	بني وليد	صنهاجة الشمس

³⁷ - ibid, p.490-91

انطلاقاً من الجدول يتضح على أن العنصر اليهودي بالدائرة كان جد قليل، مقارنة بمناطق أخرى، ويمكن إرجاع هذا المعطى بالأساس إلى غياب مراكز حضرية بالمنطقة، التي قد تساعد على استقرارهم، في ظل توجههم لممارسة النشاط التجاري بالدرجة الأولى، وارتباط حداثة تواجدهم في هذه المرحلة بحضور المستعمر الفرنسي بالمنطقة.

جدول 10: العنصر الأجنبي المتواجد بالدائرة سنة 1936:³⁸

الفرنسيين	الإسبانيين	الإيطاليين	جنسيات أخرى
مكتب تاونات			
96	3	2	2
بني وليد			
11	—	—	—

حضور العنصر الأجنبي بالمنطقة، يرجع بالأساس إلى الارتباط بالمكاتب الفرنسية المتواجدة بالدائرة، إضافة إلى تواجد مستوطنات زراعية، يستغلها الأجانب تماشياً مع توسع الاستيطان الزراعي على قلة نقطه بالدائرة.

جدول 11: تصنيف الساكنة المغربية القروية بالدائرة سنة 1936 (المسلمين واليهود).³⁹

مكتب الشؤون الأهلية	القبيلة	الساكنة القروية	تجمع سكني	السكان بالنسبة	مجموع ساكنة القبيلة	مجموع ساكنة الدائرة ب النسمة
تاونات	مثوية	15273	—	—	15273	72057
	مزيات	4264	دوار تاونات	1451	5715	
	مزاوطة	2743	—	—	2743	
	ولاد عمران	24990	—	—	24990	
	رغوية	3877	—	—	3877	

³⁸ - ibid, TABLEAU G. Etat récapitulatif de la population civil par Région , Région de Fès, 1932, pp.18-19

³⁹ - A.M, Statistique de la population par Région, TABLEAU M, Statistique de la Population civile Marocaine par tribus et fractions de tribus, Région de Fès, 1936, pp. 489-91

	5212	—	—	5212	بني وليد	بني وليد
	14247	—	—	14247	صنهاجة	
					مصباح	

ت- معطيات مديرية التواصل 1941

بحلول سنة 1941 سيصدر عن مديرية التواصل للإنتاج الصناعي والشغل (مصلحة الشغل)، دليل أبجدي عبارة عن (مجلد ضخمة)، أكثر توضيحا لإحصاء 8 مارس 1936، حول القبائل وفرقها وتعداد سكانها والدواوير المتواجدة بكل قبيلة، حيث جاء توزيع قبائل الدائرة بفرقها على الشكل الوارد في الجدول أسفله:

جدول رقم 12: أسماء قبائل وفرق ودواوير الدائرة، وتعدادها السكاني.⁴⁰

مكتب الشؤون الأهلية لدائرة ورغة العليا بتاونات		
القبيلة	الفرق	الدواوير
مشيوة 15237 ن.	أهل الواد	بني بشير، القلعة ، ولاد بندادود ولاد موسى، ولاد سعيد
	أهل السليب	دار خنس، مشكور، الطاهريين ، يملغدن
	بني خالد	دشر فلاح، ابزازين، قلعة بني مركان، مرزاين، الميزاب، تاورطا
	ولاد بوهادي	أوجكال، أسمل، باب الجمعة، بني حمزة، بودة، الدويرة، الجعفرية، ولاد حساين، ولاد يوب، السانية، تونات لوطا، الزاوية.
	الربع الفوقي	أيشتوم، خاطبة، الناضور

⁴⁰ - Direction des Communications, de la Production Industrielle et du Travail, SERVICE DU TRAVAIL, **répertoire alphabétique des agglomérations de la zone Française de l'Empire Chérifien classes par Tribus et par Fractions de Tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936**, IMP.J. THÉVENIN, Rabat, 1941, pp. 119-129

تاوانات لقشور	علاوة، لبرابر، حدادة*، حجحوجة، خاللفة تزرين، مرايطون تزرين، تاوانات لقشور، تيجدا، تيجدا مزملة، زحريرين، باب محرز، بوردود، القرية، لمناصرة، الرتبة
مزيات 5715 ن.	أبيض، العبديين، العشائش، أستر، بوشعالة، بصيلة، شهب، شقيفة، دار الكدية، دشر سمارة، الظهيورة، دشير، حجر مطاحن، لحويطة، معالة، الوستيين، ارجانة، سيدي عمر بن الحسن
الدمنة	العدوة دالقلعة، العسرين، العزيفات ديال خمالشة، الدمنة، حجر دريان، القلعة، خمالشة، ولاد سعيد، تاوانات*
مزراوة	عين بنزكري، عين الدالية، عين البعيدة، عين البيضة، عين البوهروش، عين حمو لعرج، عين الهاني، عين اللوح، باب لربعا، البري، شريطات، دمينات، هواره، الحاراشة، الهرموش، قاع سبيط، القرنوعة، مزراوة الفوقانية، مزراوة السفلية، ولاد الدكالي، ولاد رحول، ولاد الطاهر، راس الكدية، الغبيشات، غمارة دالحاجب، غمارة السفلا، ساحل بوطاهر*، ساحل-مرح، سيدي أحمد مول لعمارة،
هواره دلحجر	العزاية، بوجدر، القعدة، المجابرة، المرحارة، ولاد بنحمامو، الريانية
الجعفرية السفلية	عين المرشوش، عين النعجة، عين عوليط، باب لحجر، الدقون، دشر بن العافية، الفراريش، حدولة، حجرة الحيار، الحجرية، جياهنة، القرية، الخربة، الميايخة، المجابدة، ولاد عبد السلام، ولاد علي، ولاد عزيز، ولاد بوعيشة، ولاد الحاج، ولاد جابر، ولاد لحسن، ولاد تومي، غيابة،
ولاد عمران 24990 ن.	

* - تواجد به مركز للشؤون الأهلية والغوم مكون من 18 أوروبي و348 مغربي.

* - تواجد بالدوار 42 أوروبي و 1448 مسلم و 3 يهود.

* - مستوطنة زراعية ودوار يضم 15 أوروبي و 400 مسلم.

سيدي سعيد، تازكة، طريفة، زكريطا، زناكة،		
عدالة، عين البالا، عين لعدالة، عين لقرع، عين معطوف، عين النحاس، أسطور، لعزيب، بوعويد، بوزيدات، الشراط، الدخلة، الفريشة، الكعدة الحمراء، غورات(ط)، هداهدا، الخروبة، القلا، المشطة، مزدو، المودنين، وداد، ولاد عبد السلام، ولاد احمد بن جيلالي، ولاد بوعطية، ولاد بوسعدون، ولاد لخريف، ارشاشيين، ارشاشيين لكومر، الرفدة، اركايين، ارميلة، اصباب، اصوطين	المحاريين EL-MHARINE	
لعشاش، عين بوزنطار، عين لقطارة، ارگوب، اشريطات، ادشارا، الضراضرا، اجعاونة، لخزاين، واد السلوم، ولاد عجا، لورارشا، لوطاوطا، اروا، زيريات، ازرايين.	أولاد عيسى	
لعدامة، عين عيشة، عيش بوشالا، عين الذيب، عين البوحجاج، لعزايب مراكشيين، البازلا، حدادة، الحارشة، القليعة، المصدورة، لمصلا، ولاد غمر، ولاد دحو، ولاد النيف، ولاد قدور، ولاد مسعود، ولاد غنام، ولاد يحيى، توانسة، اطوزا.	أولاد بلغينة	
أهل الواد، أهل سالم، عين بوحسينة، عزابة، باب اندا، بني جمبلا، بني وكيل، لباحادة، جياهنة، لخياضرة، القراعبة، محاجر، لماورا، ولاد عطية، ولاد بلقاسم، ولاد الفقير محمد، ولاد الحيايني، ولاد قدور، ولاد معمور، ولاد منصور، ولاد مولاي غمار، ولاد سيدي العربي، غمارة، الزاوية، زرهونة، زناكة، ازراكنة.	أولاد جموح	
عين بوعروس، لفراوا، لحورش، جياهنة، جويرا، لخيايطة، الكدية، ولاد بنسلمون، ولاد لعربي، ولاد لحاج، ولاد احساين، ولاد مسعود.	أولاد سلطان	
باب وندر	باب وندر	رغوية 3877 ن.
لعناصر، العنصر، بوعزون، الحاجيين، مسرح بوعزون، اريحانة دلعنصر.	بوعزون	

مكتب الشؤون الأهلية لثلاثاء بني وليد		
بني وليد 5212 ن.	القلعة	عين الحمرا، القلعة الصغيرة، مزاب، واد لون، زرارقا.
	الغرفة	شرارطا، رباينة، سكورين.
	تمضعاس	أهل ربع، حجر قلال، ولاد غزل، تيمد(ض)راس.
	زيامة	عين عبدون، أمسكر، القب، الصوف، طارقة، ثلاثاء وليد *
صنهاجة الظل صنهاجة مصباح (الظل والشمس) 14247 ن.	صنهاجة الظل	BENI- KORRA عين اماللو، عزيز، برومين، مروج، ولاد أحمد-المحمد، بلقاسم، ولاد طالب عبد الله، غراسة، صرعة.
		ظهير، قرارشا، ولاد عرفة، ولاد ميمون
	صنهاجة الشمس	أمالو، شعيرة، دارلوحرا DAR-LOUHRA، حومة سفلية، ولاد بونظر.
		عين مديونة *، عين غماري، ولاد عبد الله.
	صنهاجة الشمس	بنو سلمان-ولاد عيسى
		بنو سلمان
	صنهاجة الشمس	بوقنالة
		فناسة-ولاد بوحسن
	صنهاجة الشمس	القرية، الكدية، ولاد لحسن، الزاوية.
		ساقية ولاد بلقاسم، تيزروان
	صنهاجة الشمس	مناعة-تيزغوان (MENÂA- IZERHOANE)
		تزوذا TAZODA دار حسنة، القوريش-تاركيا TARKIA، سدراتة

* - مكتب للشؤون الأهلية وسوق، يضم 10 أوروبيين و 88 مسلم

* - يضم مركز للشؤون الأهلية تواجد به أوروبي واحد و 34 مسلم ويهودي ومجموع التجمع السكني به بلغ 364 مسلم، أما الدوار بنفس الاسم فهو يبعد عن المركز بـ 900 متر ويضم 598 مسلم من الساكنة.

3 التنظيم الترابي لدائرة ورغة العليا.

يعتبر التحديد الواضح لمجال دائرة ورغة العليا بشكله الإداري والواضح صعب التحقق قبل سنة 1926، ونهاية حرب الريف، وبداية الإنشغال الفرنسي بتنظيم المجالين الحدودي والداخلي، في ظل وجود ملفات عالقة مع الجانب الإسباني حول الحدود، تم عقد لقاءات بين الجانبين حولها، انتهت بإبرام عديد الاتفاقيات، التي تجاذب فيها التنافس الإسباني والفرنسي، والتي دائما ما كانت تميل لإرادة الجانب الفرنسي.

فالحديث عن مجال دائرة ورغة العليا من منطلق الإسم، قد يتبادر للذهن منذ الوهلة الأولى، هو أنه بالأساس ذاك المجال المرتبط بالتحديد الطبيعي للمنطقة، أي أنه يرتبط بالمجال العلوي لنهر ورغة، لكن هذا التحديد سيكون غير تام، بحكم تواجد عديد القبائل بالقرب من هذا النهر وفي عاليته، لكن لم تخضع لدائرة ورغة العليا، كقبيلة مريسة وغيرها من القبائل التي كانت تابعة لدوائر أخرى وتوجد في أعلى ورغة، فتحديد المجال الترابي لدائرة ورغة العليا تحدد وفق تبعية لعاملين مهمين.

3-1 العوامل المتحركة في التقسيم الإداري للدائرة:

أ- العامل العسكري

تواجد هذا المجال في القاموس الفرنسي منذ بداية تفكير القوات الفرنسية في التقدم إلى المجال القبلي الأعلى، الواقع أمام قبائل الحيانية باتجاه الشمال، فهذا المجال التدييري خضع لتبعية التقدم العسكري الفرنسي، انطلاقا من أول نقطة تمركزت فيها القوات الفرنسية بقبيلة الحيانة بإنشاء مركز تيسة الذي يشرف على القبيلة، ثم عين معطوف لمراقبة صنهاجة الشمس، ثم مركز مديونة لمراقبة بني وليد، بحيث في هذه المرحلة لم تتجاوز القوات الفرنسية مناطق الضفة اليسرى (جنوبا) لنهر ورغة، فاقصر تنظيمها في البداية على مناطق تواجد مراكزها العسكرية، وهكذا شكلت تيسة

قلب هذا التوسع العسكري، ومركز انطلاقه إلى جانب عين معطوف، اللذان وضعهما التقسيم الإداري لسنة 1919 ضمن ملحقة الحياينة كما يبين الجدول أسفله:

جدول رقم 13: التقسيم الإداري الخاص بملحقة الحياينة سنة 1919: ⁴¹

المنطقة القبليّة	المركز أو الملحقة	القبائل الواقعة تحت الإشراف
ملحقة الحياينة	مكتب الملحقة بتيسة	الحياينة: -أولاد رباب -أولاد عليان -أولاد عمران
	مركز الاستعلامات عين معطوف	يقوم بمراقبة الجبهة الشمالية والعلاقات مع (مريسة، صنهاجة، مثيو، بني وليد، فناس، ولاد بوسلامة، بني ونجل)

انطلاقا مما سبق، يمكن القول على أن الحديث عن تنظيم إداري للمنطقة، هو بعيد عن كونه تنظيما جغرافيا صرفا، يخص عالية نهر ورغة بالتحديد، تبعا فقط للمعطى الجغرافي، بل هو أكثر من ذلك، تنظيم امتزج فيه البعد الجغرافي بالعسكري للمنطقة. فالتنظيم الإداري تواجد تبعا للشق العسكري، تماشيا مع خصوصية المجال وتنظيم الفرق العسكرية للسيطرة عليه، والذي يمتد إلى الحدود مع المنطقة الإسبانية، فقد ظل يشكل جبهة مقاومة للتقدم الفرنسي، في مجال تزعمه عديد المنافسين لقيادة المقاومة، كان أبرزهم عبد المالك، ثم بعده التنسيق المقاوماتي مع الثورة الريفية في شخص الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي. فقد كانت الأولوية بالنسبة للفرنسيين مرتبطة بتحقيق السيطرة العسكرية، من خلال القضاء على جميع أشكال المقاومة بهذا المجال، الذي تعتبره فرنسا منتميا إلى حدودها المتقاسمة مع الإسبان،

⁴¹ - A.M, SEPARATION ADMINISTRATIF AU MAROC 1919, Région de Fès.

فالتنظيم خلال هذه الفترة، كان مرتبطا بتواجد مركز عسكري، وقوات عسكرية مدافعة مقسمة إلى قطاعات وأرتال عسكرية، تعمل على القيام بالأشغال التنظيمية⁴².

هذا المعطى جعل تواجد مجال ترابي قار وواضح التقسيم، غير ممكن قبل نهاية أشكال المقاومة ومعها القادمة من منطقة الريف إلا بعد شهر ماي من سنة 1926، حيث ظهر تقسيم ترابي جديد، لكن بطابع عسكري استخباراتي، حيث أنه وعلى سبيل المثال، كانت منطقة بني وليد خاضعة لتدبير عسكري تابع لمكتب جهة تازة، الذي سهر على تدبير الأوضاع في المنطقة، بعد أن صدر قرار مقيمي بتاريخ 9 فبراير 1926، تواجدت من خلاله قبيلة بني وليد في التقسيم الجديد تابعة لمكتب الاستعلامات الشايب بواد أمليل (يضم كل من: بني بويغلا، صنهاجة غدو، بني وليد)، الذي كان تابعا للحدود الإدارية لدائرة شمال تازة، بالمقابل تواجدت دائرة ورغة العليا بجهة فاس وتضم كل من :

-مكتب الاستعلامات للدائرة بسوق الأربعاء تيسة (حيانية)

-مكتب للاستعلامات بتاونات يشرف على قبائل مزراوة ورغوية ومثوية

- مكتب للاستعلامات بعين معطوف يتواجد بشرق فرقة ولاد عمران (حيانية) يشرف على الفرقة وقبيلة

صنهاجة مصباح⁴³.

ب- العامل التدبيري:

التقسيم وفق هذا العامل، سيبرز بشكل واضح مع تحقق السيطرة الكلية للفرنسيين على مجال حمايتهم، بعد نهاية حرب الريف والوصول إلى الحدود وتأسيس مجموعة من المراكز على الشريط الحدودي، بكل من تاونات لقشور وبني بربر، وتأسيس مركز للاستعلامات بحدادة⁴⁴، فبتحقيق السيطرة الفعلية للقوات العسكرية على المجال الترابي وبروز

⁴²- A.M, R.P.M, Région de Fès, 1^{er} partie, juin 1924, p.1

⁴³- A.M, R.M.P, Janvier 1926, p.6

⁴⁴- A.M, Situation Politique et Militaire, du 19 au 26 Octobre 1926, p1

تحديات ومشاكل اقتصادية واجتماعية وحدودية، ستفرض الإهتمام أكثر بالجانب التدييري والإجرائي للسياسات الأهلية المراد تنزيلها، والتي من خلالها سيتم تجاوز هذه التحديات بمختلف أشكالها، وبذلك سينتقل الثقل الترابي، من الأهداف العسكرية كأولوية قبل وخلال حرب الريف، إلى أهداف عملياتية لتدبير هذا المجال الترابي بعد نهاية مرحلة المقاومة المسلحة، وفق منهج استعماري له خصوصيات اقتصادية وسياسية واجتماعية، تتمحور حول الحفاظ على تواجده، دون الحاجة إلى الرجوع إلى الاصطدام المسلح مع السكان، والعمل على تطويعهم وفق منظور تسييري عصري، حيث ستمنح لمراكز الشؤون الأهلية عديد الصلاحيات في حل المشاكل المحلية، التي تستوجب الحل دون الرجوع إلى الآلة العسكرية، بل حلها سيكون وفق منظور تراتبي إداري، تبعا لخصوصية المنطقة، فأصبحت بذلك مراكز الشؤون الأهلية التي يرأسها الضباط، يسهرون من خلالها على تثبيت السيطرة الفرنسية، وتدبير هذا المجال الترابي وحل مشاكله الداخلية أو العلائقية مع الجوار⁴⁵، أو ارتباطا بالشريط الحدودي، الذي كانت مشاكله تستوجب دراسة ومقاربة اجتماعية واقتصادية، مع استحضار التنسيق مع الجانب الإسباني⁴⁶.

3-2 مراحل تطور الدائرة بداية من سنة 1926

تبعا للعامل الأخير سيتم تحديد التقسيم الترابي لدائرة ورغة العليا من منطلقه التدييري، منذ حصول أول إعادة تنظيم مجالي للمنطقة، بعد مركزة الفرنسيين لقواتهم بكل القبائل، والتيقن من حتمية السيطرة الكلية على المجال:

أ- تعديل 1926 وتأخر تفعيله:

جاء أول اقتراح لإعادة التنظيم المجالي لدائرة ورغة العليا، الذي تم الشروع في التهيئ له كمشروع قرار وزيري يحتاج للمصادقة بداية من تاريخ 1 غشت 1926، فأصبحت ورغة العليا مقسمة على الشكل الآتي:

⁴⁵ - نموذج من مشاكل الجوار توجد بالتقريرين الفرنسيين الخاصين بشمال فاس، اللذان يتحدثان عن بعض النزاعات التي وقعت بين قبائل تابعة لمركز بني وليد وأخرى من قبيلة "البرانس" التابعة لمكتب كاف الغار (كهف الغار)، حيث يتضح مدى دور هذه المكاتب في حل النزاعات التي تتجاوز المجال الإداري نفسه، أنظر:

-A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1er partie, Septembre 1930, p.4 /Novembre 1930, p3.

⁴⁶ - بهذا الصدد يمكن الرجوع إلى الجزء الخاص بالحدود، الذي تم فيه الحديث عن أدوار مركز تاونات في حل المشاكل الحدودية والتنسيق مع الجانب الإسباني، والتعرف أكثر على الأدوار التي أصبح يلعبها الضباط التابعين للمركز في حل الخلافات القبلية على الحدود وكذلك تلك المرتبطة بالاتفاقيات الحدودية مع الإسبان.

- مكتب للاستعلامات بتاونات: مركزا لشؤون الدائرة ومن جانب آخر يقوم بالمراقبة السياسية والتحكم إداريا في "رغوة"، "مزيات"، "مزراوة" و "مثوية".

- مكتب للاستعلامات بسوق الأربعاء لتياسة، - المراقبة والتحكم السياسي والاداري للحيانة (ولاد عمران، ولاد عليان، ولاد رباب).

- مكتب للاستعلام بثلاثاء بني وليد - المراقبة السياسية والإدارية لبني وليد وصنهاجة مصباح⁴⁷.

بداية من هذا التعديل أصبحت قبيلة بني وليد التي كانت تابعة لجهة تازة، رسميا تابعة للمراقبة السياسية والإدارية للدائرة (ورغة العليا) منذ 11 غشت 1926⁴⁸، كما سيصبح مركز تاونات مكتبا لشؤون دائرة ورغة العليا عوض مكتب تيسة سابقا، ومكتب بني وليد للإشراف على بني وليد وصنهاجة مصباح التي كان يشرف عليها سابقا مكتب عين معطوف قبل انتهاء الصراع مع الريفيين، كما تم تحويل فرقة بني ملول التي كانت سابقا تحت إشراف دائرة ورغة العليا سياسيا وإداريا، بشكل نهائي لدائرة ورغة الوسطى التي أصبحت معنية بمراقبة كل اتحادية بني زروال⁴⁹، وهو ما يوضح محاولة الجهاز التنظيمي الفرنسي في وضع نموذج متكامل، ينطلق من خصوصيات التقسيم الترابي والقبلي للمنطقة، عوض التقسيم العسكري السابق، الذي كان قد يجرى بين قبيلتين من نفس الاتحادية، كما هو الشأن لبني زروال.

التقسيم الإداري السابق، لم يتم أجرأته في سنة 1926 على أرض الواقع، خاصة فيما يخص نقل مهام دائرة ورغة العليا، من مكتبها الرئيسي السابق بتيسة إلى المكتب المراد جعله قلب الدائرة بتاونات، نظرا لما تكتسيه هذه العملية من أهمية بالغة، حيث ازدادت أهمية مركز تاونات بتوسطه للقبائل التي سيشراف عليها، التي تجمع بين المناطق الداخلية والحدودية، في ظل بروز تحديات مختلفة بهذا المجال الحساس سياسيا وعسكريا.

⁴⁷ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 27 Juillet au 2 Août 1926, p.2

⁴⁸ - A.M, R.M.P, Août 1926, p.2

⁴⁹ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 21 au 27 Septembre 1926, p.1

إقرار هذا التقسيم، لم يتم إلى بعد صدور قرار مقيمي بتاريخ 26 نونبر 1926 لتقسيم المجال الترابي للمغرب، تحت اقتراح من المدير العام للشؤون الأهلية، وبعد تأشير المدير العام للمالية عليه، حيث جاء القرار مقسما إلى فصلين فيما يخص فاس ومحيطها:

الفصل الأول: تم إعادة تنظيم جهة فاس إداريا وتفعيله بداية من تاريخ 1 يناير 1927 وتضم:

- المكتب الجهوي للشؤون الأهلية بفاس، أسندت له مهمة تركز الشؤون السياسية والإدارية للجهة.
- المصالح البلدية لمدينة فاس.
- مجال شمال فاس المحيط بفاس.
- مجال وزان المحيط بوزان.

الفصل الثاني: يضم منطقة شمال فاس:

(1) - مكتب المنطقة للشؤون الأهلية بفاس، تتمركز به الشؤون السياسية والإدارية للمجال.

(2) - دائرة ورغة العليا حيث القيادة بمقر تاوانات، ويضم:

- مكتب الدائرة للشؤون الأهلية بتاوانات، أسندت له مهمة الإشراف على شؤون الدائرة، ومراقبة قبائل رغيوة ومزيات، مزاروة ومثيو.

- مكتب للشؤون الأهلية بسوق أربعاء تيسة.

- مكتب الشؤون الأهلية بثلاثاء بني وليد⁵⁰.

⁵⁰ - A.M, Direction Général des Affaires Indigènes, Arrêté n°.72 A.P/ le 21 Avril 1927, **SEPARATION ADMINISTRATIF AU MAROC 1926.**

ب- بداية اشتغال الدائرة بمكتب تاونات 1927

استمر تأخر نقل مركز دائرة ورغة العليا صوب تاونات إلى حدود أواخر شهر نونبر من سنة 1927، فابتداء من تاريخ 25 / 11 / 1927 أصبح مكتب تاونات مركزا للدائرة⁵¹ بشكل رسمي، وتحت رئاسة النقيب LE BLANC، وبعدها سيتم استصدار قرار وزاري في إحداث جماعات للفرق بالدائرة⁵²، ليعين بعده ISNER رئيسا على مكتب دائرة ورغة العليا بتاريخ 17 مارس 1929، قادما من منطقة مراكش⁵³، والذي لم يستمر طويلا في مهامه، بعد أن تم تعيينه بقرار مقيمي بتاريخ 13 فبراير 1931 ليشرّف على منطقة جرسيف⁵⁴، بالمقابل تم تعيين رئيس مكتب دائرة ورغة العليا السابق LE BLANC ليقود دائرة بني ملال بقرار مقيمي⁵⁵.

مع هذا الانتقال الإداري لمركز الدائرة، ستصبح لمكتب تاونات صلاحيات متعددة في تدبير المجال الواقع تحت نفوذ الدائرة سياسيا وإداريا، وهو ما سيجعل هذا المكتب يلعب دورا مهما في عديد الملفات خاصة الحدودية منها، ومعه سيتم إحداث متغيرات تتماشى مع هذه التعديلات الإدارية، وفي 27 فبراير 1928 سيصدر قرار وزيري جديد، يهم إحداث جماعات لفخذات القبائل المتواجدة بالدائرة، باقتراح من المدير العام لإدارة الشؤون الأهلية، حيث تقرر:

-إحداث جماعات بقبيلة مثوية لوطا والجبل، كل جماعة تتشكل من عدد من الأعضاء:

- جماعة تيموراس من ستة أعضاء
- جماعة بني خالد من ستة أعضاء
- جماعة أهل سليب من خمسة أعضاء
- جماعة أهل الواد من خمسة أعضاء

⁵¹ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1927, p.3

⁵² - الجريدة الرسمية، عدد 805، 1928، ص 882.

⁵³ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 2^e partie, Mars 1929, p.1

⁵⁴ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 2^e partie, période du 26 Février au 25 Mars 1931, p.1

⁵⁵ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 2^e partie, Avril 1929, p.1

- جماعة الربع الفوقي من أربعة أعضاء
- جماعة ولاد بوهادي من أربعة أعضاء
- جماعة أهل عسوال من ستة أعضاء

-إحداث جماعات بقبيلة صنهاجة الشمس للفخذات:

- جماعة اولاد بوحس وفناسة وبني سلمان من ستة أعضاء
- جماعة المناهة وتزوغدان وبوقنالة وكزناية من ستة أعضاء
- جماعة مديونة وتزودة من ستة أعضاء

-بصنهاجة الظل:

- جماعة اولاد أزم وبوعادل مشكلة من ستة أعضاء
- جماعة بني كرة نكونة من ثلاثة أعضاء

-بقبيلة بني وليد:

- جماعة تيموراس والشرفاء مكونة من أربعة أعضاء
- جماعة سامة والقلعة مكونة من ستة أعضاء⁵⁶

ت- تعديل الإداري لسنة 1931 وإبعاد مكتب تيسة:

بحلول سنة 1931 سيتم الشروع تدريجيا في العمل على فصل مكتب تيسة عن دائرة ورغة العليا، بعدما ظل لسنوات المكتب المركزي المشرف على الدائرة، حيث أصبح هذا المكتب منذ شهر أبريل تابعا لمصلحة المراقبة المدنية،

⁵⁶ - "قرار وزيري في إحداث جماعات للفخذات بدائرة ورغة العليا"، الجريدة الرسمية، العدد 805، 27 مارس 1928، ص.282

غير أنه اقتطعت فرقة ولاد عمران (قبيلة الحياينة) من نفوذه السياسي والإداري، لتبقى تابعة لدائرة ورغة العليا على عكس شقيقتها ولاد رباب وولاد عليان، اللتان أصبحتا تحت قيادة مصلحة المراقبة المدنية بتيسة⁵⁷.

هذا الفصل لقبيلة أولاد عمران من المنطقة المدنية، قد يعود بالأساس لمشاكل سابقة انخرطت القبيلة فيها منذ سنوات، كقبيلة رافضة للتواجد الفرنسي، وكمساهمة في دعم مناطق المقاومة، من خلال دعم المقاومين والإنخراط مع عبد المالك في مواجهة الاحتلال الفرنسي، كما توجه عديد الأفراد منها للمقاومة إبان فترة حرب الريف، وبذلك استثنيت من المنطقة المدنية لصالح المنطقة العسكرية، التي لها خصوصيات تسييرية وتديرية خاصة بالنسبة لسلطات الحماية، لتظل النموذج الوحيد بالمنطقة المحزاً لفرقة من قبيلتها الأم، وبذلك استمرت الدائرة تابعة للمنطقة العسكرية تبعاً لما تقتضيه الإرادة الفرنسية.⁵⁸

جدول رقم 14: رؤساء دائرة ورغة، وتاريخ تعيينهم خلال السنوات الخمس الأولى من تفعيل عملها بتاونات:

الإسم	تاريخ التعيين أو الالتحاق
Blanc	25 نونبر 1927
Isner ⁵⁹	17 مارس 1929
Chef de bataillon EMANUELLI ⁶⁰	13 فبراير أبريل 1931
⁶¹ Le commandant chef de bataillon VIGNOLI	15 أبريل 1932
Capitane BALMIGERE ⁶²	دجنبر 1932

⁵⁷ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 2^e partie, Avril 1931, p.2

⁵⁸ - MERAUD Marc, **Service des Affaires Indigènes du Maroc**, LA KOUMIA Public-Réalisation, (s.a), p.383

⁵⁹ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 2^e partie Mars 1929, p.1

⁶⁰ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 2^e partie, du 26 Mars au 25 Avril 1931, p1

⁶¹ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 2^e partie, Période du 26 Mars au 25 Avril 1932, p.1

⁶² - A.M, Statistiques Economiques Mensuelles, Cercle du Haut Ouergha, Décembre 1932, p.1

خريطة مراحل تطور الدائرة بداية من سنة 1926

المحور الثاني: آليات تدخل المؤسسة العسكرية الفرنسية لإخضاع قبائل الدائرة:

مباشرة بعدما تمكنت فرنسا من تثبيت السيطرة القانونية، وشرعنة تواجدها بالمغرب عبر توقيعها معاهدة الحماية بتاريخ 30 مارس 1912م، أصبح تحرك الآلة العسكرية للمحتل ضرورة ملحة لتحقيق السيطرة الميدانية، هذا التحرك كخاصية ملازمة في تلك الفترة، لا يستقيم إلا عبر الإنطلاق من المناطق المنخفضة والسيطرة عليها كمجال حيوي مهم للقبائل، ليصل هذا التحرك في نهاية المطاف إلى السيطرة على المناطق الأكثر ارتفاعا، والتي تكون في الغالب الملاذ الأخير للمقاومين ومحدودة الموارد، لكن السيطرة عليها تبقى ضرورية لضمان الاحتلال الفعلي للميدان الهضبي والسهلي، لما تكتسبه هذه المناطق الجبلية من خصائص طبوغرافية على وجه التحديد، والتي تشكل العقبة الحقيقية لتقدم الآلة العسكرية.

شكلت فاس معقل توقيع معاهدة الحماية، فكانت بمثابة رمز للجهاز الفرنسي على بداية انطلاقه الفعلي لتحقيق مشروعه الاستعماري بشكل رسمي، كونها مهد هذه الحماية ومنطلقها القانوني، إضافة إلى رمزياتها التاريخية والروحية لدى المغاربة عبر التاريخ، فمن يسيطر على فاس تتحقق له السيطرة الفعلية على المغرب، وغير ذلك لا يعد سيطرة عليه، وسعيا للحفاظ على هذا المكسب، وضعت القوات الفرنسية ضمن أولوياتها ضمان السيطرة الدائمة على فاس، خاصة بعد الأحداث التي عرفتها المدينة مباشرة بعد التوقيع على المعاهدة والمعروفة بـ "أيام فاس الدامية". ضف إلى ذلك شراسة القبائل التي تحيط بفاس، فكان من الضروري توسيع السيطرة على محيطها، لإعطاء المدينة متنفسا أرحب حسب المنظور الفرنسي⁶³.

شكل المجال الورغي بصفة عامة هاجسا مستعجل التخطيط للسيطرة عليه من قبل القوات الفرنسية، لضمان عدم تهديد فاس، الذي قد يكون معه سقوط المشروع الاستعماري في مهده، فالسيطرة على هذا المجال، خاصة المجاور للطريق الرابطة بين فاس وتازة، يضمن تحقيق الربط الأمثل للمغرب بباقي مستعمراتها المتواجدة بشمال إفريقيا (الجزائر

⁶³ - RIVET Daniel, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc(1912-1925)*, Tome I, l'Harmattan, Paris, 1996, p. 213

وتونس)، وعبره يتحقق حلم اللوبي الاستعماري الفرنسي، المتمثل في توحيد المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا، وربط المغرب الشرقي بالغربي⁶⁴، وثانيا تحقيق "التهدة" المحلية كليا، وتسخير الإمكانيات الفرنسية لتحقيق الاستغلال الأمثل للمغرب على جميع المستويات.

شكلت هذه الأولويات وغيرها من الظروف التي فرضت نفسها على المستعمر، أن يجعلها من بين أهم الدوافع المسؤولة عن شكل التحرك الذي سلكته الإقامة العامة في تحركها بمحيط فاس، حيث جعلت من المجال المتواجد شمال المدينة ضمن أولويات تحرك جهازها العسكري منذ السنوات الأولى لها بالمغرب، هذا المجال الشمالي، الذي شكلت فيه أعمالي ورغة نقطة مهمة، لتثبيت السيطرة على المجال الحدودي المقابل للحدود الإسبانية المتفق عليها بين البلدين في تقسيم المغرب، وعدم منح المقاومة الريفية والقبائل المنخرطة معها في مشروع المقاومة، فرصة النزول عند قبائل الحياينة، هذه الأخيرة التي تشكل الفاصل الوحيد بينهم وبين فاس، كي لا يتم تهديد خط الربط السككي فاس-تازة، الذي يربط فرنسا بمستعمراتها الجزائر في الشرق⁶⁵.

فتحقق هذا الاحتلال الفرنسي، لن يتأتى إلى عبر المرور من المناطق المنخفضة، صعودا باتجاه المناطق الجبلية لورغة العليا، بداية من تيسة وعين معطوف وعين عيشة وقصبة مديونة وبني وليد(الح)، لتكون نقطة الوصول إلى المجال التاوناتي والحدودي على وجه التحديد (مثوية)، الذي سيعرف منعطفات حاسمة وأحداث بارزة في تاريخ المقاومة خاصة أثناء حرب الريف، فقد ظل هذا المجال إلى نهاية التواجد الفرنسي بالمغرب، مجالا أرق الجهاز الفرنسي لتعدد مشاكله وتحدياته، فرض طابعه الجبلي على فرنسا شأنه في ذلك شأن العديد من المناطق، تغيير خططها الحربية وطرقها وأساليبها، "الموقفين عسكريين رئيسيين، تمثل أولهما في حملة محمد بن عبد الكريم سنة 1923، والثاني

⁶⁴ -VIAL Jean, **le Maroc héroïque**, Librairie Hachette, Paris, 1952, pp.140-141

⁶⁵ -A.M, R.M.P, Mai 1924, p.4

لخصوصيات حرب الجبال"⁶⁶، ومع هذا التقدم للقوات الفرنسية، وظف الجهاز الاستعماري مجموعة من الأساليب المتنوعة لإخضاع القبائل، كمحاولة للتقليل من تكاليف الحرب.

⁶⁶-Anonyme, « les opération de montagne au Maroc », Revue d'Infanterie, n° 490, 1^{er} Juillet 1933, Charles-la Vauzelle, Paris, 1933, p.111

1- الأسلوب السياسي كمنفذ للتوغل بورغة العليا

1-1 أهمية المراكز العسكرية في الدفع بالعمل السياسي

الحديث عن العمل السياسي الذي تم توظيفه بمنطقة ورغة العليا وتحليل تقارير ضباط القيادة العسكرية الفرنسية يقود إلى القول أن العمل السياسي بجانب العمل العسكري هما وجهان متكاملان يصعب الفصل بينهما وتحديد متى يبدأ الأول وينتهي الثاني⁶⁷، فالعمل السياسي متلازم مع العمل العسكري ودائما ما تبرز أهمية هذا الأخير بالنتائج التي تتحقق بالعمل الاستخباراتي لضباط الاستعلامات. فإحتلال الأرض عسكريا رهين بانطلاق العمل المخبراتي وسبر أغوار المجال ومعرفة التشكيلة الإثنوغرافية للعمق الجغرافي للمجال المراد اقتحامه وتنظيمه⁶⁸.

أ- مركز تيسة وبداية تفعيل العمل السياسي:

لقد كانت المؤسسة العسكرية الفرنسية على دراية تامة بأهمية العمل الاستخباراتي والسياسي، فراهنت من خلاله على جذب رؤساء القبائل وتثبيت سيطرتها برضى الساكنة المحلية، وهو ما اتضح من خلال تركيز الجنرال Gouraud على إنشاء مركز أربعاء تيسة بتاريخ 18 مارس 1913، كنقطة للتنظيم والمراقبة الدائمة للمجال المحيط بقبائل الحياينة⁶⁹، فضمن من خلاله ولاء قبيلة الحياينة، كما ضمن نقطة لتمرکز الجهاز الاستخباراتي الفرنسي للتواصل مع القبائل المجاورة واستمالة أعيانها، حيث اعتبر المركز منطلقا للاشتغال سياسيا على قبائل الضفة اليمنى لورغة، للحد من تحريضها للقبائل ضد القوات الفرنسية والعمل على تفرقة المجموعات المشكوك فيها⁷⁰.

فبوصول القوات الفرنسية لمنطقة ما، يتم العمل سياسيا على القبائل المجاورة لمعرفة ردود فعلها المحتملة إذا ما تم التقدم صوبها، فبرز هذا الدور مع قيام الملازم الأول Odinot، الذي قدم من مكتب فاس وناحيته يوم 22

⁶⁷ - RIVET Daniel, op.cit., p. 202

⁶⁸-ibid, p.203

⁶⁹ - A.M, R.M.P, 1^{er} Partie, Mars 1913, p4 .

⁷⁰-ibid, 2^{em} Partie, p.8

مارس، للقيام بجولة عند قبيلتي السلاس وفشتالة، حيث دخل في تواصل مع بني ورياكل، كما استقبل من طرف القايد عبد السلام من أولاد قاسم (بني زروال)، بحضور عدد من أعيان بني مركلدة وبني زروال، الذين عبروا عن الاستعداد لقبول التواجد الفرنسي فوق ترابهم بشكل سلمي حسب الرواية الفرنسية⁷¹.

للوهلة الأولى سيتبين أن هذا العمل لم يكن موجهًا صوب قبائل ورغة العليا، لكنه في الحقيقة ماهو إلا شكل من أشكال الدعاية ومحاولة التأثير فيها، انطلاقًا من قبائل الجوار، نظرًا للعلاقات التي تجمعها، واهتمام كل قبيلة بما يحدث في القبيلة المجاورة، والدليل على ذلك أن قبيلة الحياينة هي على تماس واضح مع كل من صنهاجة مصباح ورغوة ومزيات ومزراوة، في حين نجد من جهة الغرب والجنوب الغربي لقبيلة مزراوة، قبيلتي الجاية وقلعة السلاس من ورغة الوسطى، بالمقابل نجد أن قبيلة بني زروال الكبيرة تمتد بمحاذاة المجال الغربي لقبائل ورغة العليا، حيث توجد على تماس مع كل من قبيلتي مزراوة ومشوة.

برسم معالم هذا التواجد الفرنسي بهذه القبائل المجاورة للمجال الورغي الأعلى، يلاحظ على أنه ما هو إلا شكل من أشكال التطويق السياسي قبل العسكري لهذا المجال ومحاصرته سياسيًا، قبل الدخول معه في أي احتكاك مباشر، الأمر الذي أفصح عنه تقرير شهر مارس 1913، الذي أوضح بأن الهدف من قيام Odinot بهذه الجولة الاستخباراتية كان يهدف بالأساس إلى جس نبض تلك القبائل، ومعرفة مدى استعدادها لاستقبال سلطات الحماية فوق أراضيها، حيث "إن فخذات من مزيات وصنهاجة، مستعدة للخضوع بمجرد ظهور طابور فرنسي قرب منطقتهم"⁷².

⁷¹ -ibidem.

⁷² - ibid, p.5

ب- التقدم الاستخباراتي والتمركز العسكري.

ساعد العمل الاستخباراتي المرتكز على تثبيت نواة مركز عسكري برضا القبائل دون الحاجة للإصطدام بها، بشكل كبير في تيسير تقدم القوات الفرنسية بمجال ورغة العليا، فقد لعب مركز عين معطوف دورا مهما منذ 1917 في اشتغال الجهاز الاستعلامي سياسيا على قبيلة صنهاجة مصباح، ثم جاء تأسيس مركز عين مديونة الذي لعب دورا كبيرا في توسيع نطاق الاشتغال سياسيا على قبيلة بني وليد، حيث تكون من مركز عسكري في قصبة قديمة وآخر استخباراتي أنشأه الفرنسيون، قبل أن يتم طردهم منه سنة 1919 قبل عودتهم إليه لاحقا، ثم مركز عين عائشة (عين عيشة) سنة 1918، الذي أصبح قاعدة عسكرية استراتيجية للقوات الفرنسية بداية من سنة 1920، وكان مكونا من مركز عسكري أمامي، وقاعدة عسكرية خلفية لتجمع القوات الفرنسية تواجد بها مدرج للطائرات، التي كانت تقوم بعمليات استطلاعية طولاً وعرضاً باتجاه قبائل ورغة العليا، حيث ساعدت بشكل كبير القوات الفرنسية على دراسة المنطقة طبيعياً وعسكرياً، كما شكلت القلب النابض للعمليات التي قادها كل من **كولومبا** و**كامباي** برتليهما، باتجاه قبائل ورغة، وصولاً إلى الحدود الجنوبية لقبيلة مثوية في شهر يونيو 1924⁷³.

لعب مركز تاونات العسكري والاستخباراتي، دورا مهما في تثبيت السيطرة على قبيلة مزيات، والاشتغال سياسيا على القبائل المجاورة لها، حيث تم تأسيسه في ماي 1924 بـ **بغارة مزيات**، لتنتقل منه العمليات العسكرية والاستخباراتية، فقد اعتبر من المواقع التي راهنت عليها القوات الفرنسية خلال حرب الريف، حيث عملت جاهدة كي لا يسقط في يد المقاومين، نظرا لموقعه الاستراتيجي المتميز. كما ستستمر أهميته طيلة تواجد الفرنسيين بالمنطقة، بجعله مكتبا للشؤون الأهلية يشرف على دائرة ورغة العليا ككل، لتستمر هذه المراكز في التزايد إلى حدود سنة 1926 بعد تأسيس القوات الفرنسية لمركزي **تاونات لقشور** و**بني بربر** الحدوديين، لضمان تثبيت تواجدها على الشريط الحدودي،

⁷³ - A.M, R.M.P, Juin 1924, p.2

لصد الهجمات القادمة من المنطقة الإسبانية، إضافة إلى مراقبة حركة الأشخاص والبضائع، ليليهما تأسيس مكتب حدادة، للإشراف على قبيلة مثوية والربط مع المركزين الحدوديين السابقين⁷⁴.

ت- أهمية المركز العسكري في العمل السياسي

بين تأسيس مركز تيسة سنة 1913م وإنشاء مركز عسكري استخباراتي بتاونات سنة 1924، تأسست عديد المراكز والحاميات العسكرية والاستخباراتية طولا وعرضا على حدود الدائرة، كما عرفت تقلصا وتمددا بحسب الفترات التي مرت منها القوات الفرنسية، لكن الثوابت منها استمرت طيلة مرحلة الحماية الفرنسية.

الوصول إلى احتلال منطقة تاونات عسكريا في شهر ماي 1924، يمكن إرجاعه إلى عمل ضباط الاستخبارات منذ سنة 1918، الذين اشتغلوا حسب ما أظهرته عديد التقارير الفرنسية، بشكل مكثف للتعرف على المنطقة، فقد كان مخططا في هذه السنة أن يكون الوصول المحتمل الأول إلى غاية جبل تاونات عبر اختراق بلاد رغبة وفناسة وزيارة مزرارة ومزيات، حيث قامت الفرقتان المتحركتان لكل من فاس وتازة بعمليات مشتركة ضد المقاومة التي قادها عبد المالك، الذي كان يقودها في المجال الورغي، ليحصل أول اتصال بين فرقة فاس مع صنهاجة الضفة اليمنى لنهر ورغة العليا سنة 1918⁷⁵.

هذا الإتصال بين القوات الفرنسية في نقطة تتحقق بعد وضع المنطقة تحت التطويق، لا يمكن أن يكون إلا من خلال تسخير منجزات العمل العسكري للقوات الفرنسية للاشتغال على القبائل القريبة من موقع تمركزها سياسيا، حيث يتم توظيف المخبرين من أبناء المناطق المقاومة، لمعرفة أوضاع تلك القبائل، أو عبر الضباط أنفسهم الذين يدخلون في اتصالات ومفاوضات مباشرة مع ممثلي تلك القبائل، أو عبر توظيف الزعامات الدينية لاستمالة القبائل ودفعها باتجاه الخضوع، من خلال طمأننتها على مصيرها، حيث يظهر الشريف الوزاني سي امحمد المكي كنموذج لهاته

⁷⁴ - A.M, R.P.M, Situation Politique et Militaire, du 19 au 26 Octobre, 1926, p.1

⁷⁵ - A.M, R.M.P, Juin 1918, p.2

الزعامات، الذي عهد إليه بمهمة التأثير في قبائل الضفة الشمالية لورغة لدفعها للخضوع، تماشيا مع التحرك السياسي المخطط له من قبل القوات الفرنسية⁷⁶.

لقد أخذت فرنسا العمل السياسي بالمناطق المراد احتلالها، ركيزة أساسية قبل أي تقدم عسكري محتمل صوب المناطق الصعبة المراس، التي توجد بها قبائل شديدة المقاومة في مجالها، فارتكزت في محاولة اختراقها على المراكز العسكرية المتواجدة بالقرب من تلك المناطق، حيث اشغلت مصلحة الاستعلامات بشكل كبير على توظيف المركز سياسيا لتحقيق الاختراق الاستخباراتي بالمناطق المراد التقدم صوبها، من منطلق تشريح خصوصيات القبائل استخباراتيا، لمعرفة مميزات مجالها اثنيا واقتصاديا وبنويا، الأمر الذي يمكن القول على أنه أنجى فرنسا في عديد المرات من تكبد خسائر عسكرية فادحة تزلزل تواجدتها فعليا بالمغرب قبل حرب الريف، على عكس إسبانيا التي وقعت في فخ هذا الإهمال، نظرا لأهمية الاشتغال على المجال المراد اقتحامه انطلاقا من أقرب مركز عسكري، سياسيا قبل أي تقدم عسكري، الأمر الذي كبدها خسائر فادحة في معركة أنوال الشهيرة سنة 1921، التي قاد فيها الجيوش الإسبانية الجنرال سلفستر في مواجهة المقاومة التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي، نظرا لما خلفته هذه المعركة من ارتجاج عميق في الجهاز العسكري والإداري بإسبانيا، ونزل بثقله على الرأي العام الدولي والإقليمي، ببروز مقاومة استطاعت مجابهة أحد أبرز أضلع العالم الإمبريالي، ما حمل العديد من المخاطر والمخاوف لدى القوى الإمبريالية ككل، خاصة فرنسا التي لا زالت منشغلة بعمليات "التهدة".

عن أهمية هذا العمل السياسي، المنطلق من المراكز العسكرية بالنسبة لفرنسا، ودوره في تفادي هذه المآسي العسكرية لجيوشها، عكس إسبانيا التي اهتزت أركانها بمعركة أنوال، يقول الجنرال DE BOISBOISSEL حول مرد الخسارة الفادحة لإسبانيا بهذه المعركة "عملية كذلك سيئة الإعداد، أدت إلى سوء إدارتها، لم يكن هناك أي عمل سياسي سابق، أو بالأحرى، الطريقة الغريبة التي تم التعامل بها مع السكان الأصليين في المناطق

⁷⁶ -A.M, R.M.P, Mai 1924, p.2

المعنية، والتي تتعلق باتفاقيات حيادية زائفة تركت لهؤلاء أسلحتهم ، و التجنيد غير الحكيم للوحدات الإضافية المرتبطة بالقبائل المقترحة للمضي في الحرب ، بالإضافة إلى ضعف جهاز المخابرات والمراكز السيئة التصميم والسيئة البناء ، والتي لا يمكن الدفاع عنها تقريبا: تمامًا عكس الأساليب الفرنسية في المغرب ، أساليب ليوطي" ⁷⁷ .

2-1 توظيف سياسة الاستقطاب وكسر وحدة القبائل

سلكت القيادة العسكرية الفرنسية سياسة استقطاب الأعيان، ليساهموا في إرساء نظام الحماية، وزرع الدسائس السياسية، لتلافي الخسائر البشرية، بواسطة ضباط محنكين في توظيف سياسة ليوطي الأهلية، التي تهم عدم المساس بالأحوال الشخصية للسكان، عبر احترام مقدساتهم والابتعاد عن كل ما يؤجج فيهم روح المقاومة والعمل على الأخذ بعين الاعتبار تحركات وصراعات الزعماء القبليين، بغية التأثير في قبائل المنطقة الشمالية، بعد الفراغ الذي خلفته إسبانيا، عقب خسارتها الفادحة فاسحة بذلك المجال أمام محمد بن عبد الكريم الخطابي للتأثير سياسيا في قبائل ورغة العليا خاصة صنهاجة مصباح ومزيات ومثوية والدفع بجناح المقاومة صوب منطقة ورغة، التي تعتبرها فرنسا تدخل ضمن مجال نفوذها استنادا إلى الاتفاق الحدودي مع إسبانيا، فأصبحت بذلك ملزمة بالتحرك للاشتغال على هذه القبائل، ليس في مواجهة محمد بن عبد الكريم فقط بل وكذلك تخوفا من إسبانيا لتحرك صوب هذه المناطق مستقبلا، ف"من المرجح أن تكون سيطرة الإسبان أو محمد بن عبد الكريم على القبائل التي نعتبرها تابعة لمنطقتنا، مقدمة لانهاية التجارة بمدينة فاس. لهذه الأسباب، فإن تقويم جبهة ورغة يفرض نفسه علينا" ⁷⁸ .

ينضاف إلى ما سبق، رغبة القوات الفرنسية في استرجاع هيبتها التي فقدتها أثناء تقدمها بالمنطقة واضطرابها إلى الإنسحاب من الضفة اليمنى لورغة، نتيجة للخسائر التي تكبدتها القوات الفرنسية سنة 1919، أثناء زحف مقاومين

⁷⁷-DE BOISBOISSEL Yves(Général), dans l'ombre de Lyautey, André Bonne éditeur, Paris, 1954, p. 182

⁷⁸-ليوطي بيير، ليوطي الإفريقي: نصوص ورسائل حول الثورة الريفية 1924-1925، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013، ص. 22

من قبائل ورغة العليا -خاصة قبيلة ميثوة لحضورها القوي كقبيلة تجمع بين الجبل ولوطا إضافة إلى اتصالها المباشر بالقبائل الريفية وصنهاجة السراير على وجه التحديد حيث تستقر كتامة وبني أحمد- بجانب آلاف المقاومين من مناطق مختلفة صوب قصبة مديونة، التي تم فيها محاصرة القوات الفرنسية خمسة أيام مما دفعها إلى التراجع، تبعها زحف المقاومين صوب عين معطوف، قبل أن تتدخل القوات الفرنسية بعتاد متنوع وكبير، للحفاظ على موطئ القدم أمام هذه القبائل⁷⁹.

أ- استغلال التنافس القبلي:

من خلال ما سبق، يتضح على أن العمل السياسي، يبقى رهينا بقوة التجاذبات السياسية والعسكرية، التي تريد التحكم في مجال ورغة العليا، وهو ما يؤكد ليوطي الذي يرى ضرورة استعمال القوة حتى في حالة السلم، وذلك لإرهاب الأهالي والحفاظ على ولائهم، انسجاما مع قوله الشهيرة "يجب إظهار القوة لتفادي استعمالها"، فمن لا يستطيع القيام بالفعل ورد الفعل يستعصي عليه ضبط المجال، فمجال ورغة العليا إلى حدود سنة 1919 كان يعرف تواجد زعماء كثر قادوا القبائل في مواجهة القوات الفرنسية، من خلال تطهيرهم وتنظيم مقاومة قبائل المنطقة، وعلى رأسهم رئيس زاوية ترجيست (الخمليشي)، وميمون الشنكيطي الذي كان العدو للدود للجنرال Gouraud أثناء محاولته التقدم صوب ورغة، وحميدو الوزاني من زاوية صنادة ويزيد البقالي، وعبد المالك الذي تجتمع حوله عدة قبائل⁸⁰، وتعدد هؤلاء المنافسين تتجزأ مناطق النفوذ لكل واحد منهم مما يبعد عن القبائل إمكانية الالتحام تحت قيادة رجل واحد وبفكر واحد يكون موجها نحو عدو واحد وهو المستعمر الأجنبي، الأمر الذي لم يكن يخفى عن الجهاز السياسي الفرنسي، الذي سيحسب أي خطوة يقوم بها، كي لا تتمكن هذه القبائل المشتتة من الالتحام تحت قيادة واحدة.

⁷⁹ - هذه المعلومات أوردها التقرير الفرنسي لشهر ماي من سنة 1924 للذكير بما شهدته القوات الفرنسية بالمنطقة من مصاعب وتحديات قبل أن تصل في سنة 1924 إلى احتلال هذه القبائل، أنظر : A.M, R.M.P, Mai 1924, p.3

⁸⁰-ibid, p.2

عبر هذا العمل السياسي، تصبح فرنسا بأجهزتها متمكنة من المجال ولو مرحليا، وفي أسوأ الحالات ستقتضم أجزاء من تراب القبائل المقاومة، في حالة تعذر تحقق النتائج المرجوة من العمل السياسي، وهو ما كان يسميه ليوطي "ببقعة الزيت"، لغرض الاشتغال على المنطقة بعمليات الكر والفر والصبر في إعداد العمل السياسي وتمديده وعدم ترك الجبهات هادئة⁸¹، مع الانتشار البطيء والتوسع التدريجي، لجعل هذا العمل السياسي تمهيدا للتخطيط لسيناريو العمل العسكري إن تطلب الأمر ذلك، مع إكسابه خاصية المرونة ليتغير بتغير الظروف والمعطيات، وفي حالة تحقق الانشقاق في صفوف المقاومين، قد يوظف الضباط بعض الفخذات والدواوير الموالية، لجذب باقي الفرق الراضية "وهكذا يجد أفراد من عائلة واحدة أنفسهم مقسمين، يفصل بينهم حاجز. وبالعزف على وتر القرابة بينهم يكون من السهل الجمع بينهم"⁸²، فعملية التفكيك التدريجي للقبيلة تبدأ من خلال الضغط على الفرق والفخذات للوصول إلى سيطرة كلية على القبيلة، وبذلك تكون العملية بمثابة إيجاد نقط الضعف لدى القبيلة، والعمل على استغلالها بشكل أمثل، عوض الانخراط المباشر في العمل العسكري، الذي يكون مكلفا ماديا وكذلك غير محسوب العواقب، في حالة لم يوفق العمل الاستخباراتي في وضع تقييم حقيقي لقدرات القبيلة والبحث عن مكامن القوة والضعف لديها، خاصة أن المغاربة كانوا يفاجئون القوات الفرنسية ليس بعتادهم وقوتهم بل بعزيمتهم وجلدهم عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن أرضهم.

تنفيذا لمبدأ فرق تسد، عمل الجهاز المخبراتي الفرنسي على إذكاء سبل الشقاق والفرقة بين قبائل ورغة العليا، واستغلال نزاعاتها القديمة، فهذه القبائل تتميز بخاصية التعدد والغيرة على الاستقلال الذاتي عن أي قبيلة أخرى، في ظل ازدحام قبلي في المنطقة، ما يجعل التنافس محموم بين غالبية القبائل حول موارد المنطقة (المجال الغابوي والزراعي والمائي)، فتكريس هذه التفرقة يخدم المصالح الفرنسية، ففي يوليو 1918 تم استقطاب قبائل صنهاجة وأهل مزريات

⁸¹ - DE BOISBOISSEL Yves(Général), op.cit, pp.184-185

⁸² - ابن المليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار -البنيات السياسية-، ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014، ص.213

ورغوة، فأصبحت بذلك المنطقة الواقعة بين ورغة واللبن تخضع سياسيا للنفوذ الفرنسي حسب التصور الفرنسي، حيث أسندت مهمة الإشراف على هذه القبائل للشريف المكي الوزاني لضمان استمرار ولاء تلك القبائل⁸³.

اسناد مهمة النفوذ السياسي الفرنسي للشريف المكي هو تعبير عن مناصرة زعيم محلي على زعيم آخر، ومعه قبيلة على قبيلة أخرى، دون الحاجة لإظهار التواجد الفرنسي والإعلام بأن فرنسا هي من تتولى الأمر، بل تخضع القبائل من خلال استمالة الزعماء والشخصيات النافذة " مهما يكن، فمنذ 1918 ساكنة ورغة غيروا بشكل متكرر معلمهم، يخضعون أكثرية دون مقاومة أو إلى الأقوى، يعيشون في تناقض لاستمرارية سلالتهم التي تعبر عن خصوصيتهم وعلى روح استقلالهم، الذي يتماشى مع نفس خصائص بلاد جد مقسمة وجد منقسمة"⁸⁴.

هذا الخضوع السياسي لم يكن ليمر مرور الكرام على القبائل الراضية للتواجد الفرنسي بالمجال الورغي الأعلى، لتدخل هذه القبائل في مواجهات بينية، مما يوضح الحث الفرنسي في العمل على مغربة الحرب، عبر ضرب المغربي بمغربي، واستغلال العامل الإثني والثقافي⁸⁵، هذا التوظيف للقبائل ضد بعضها سيبرز انطلاقا مما جاء عند L.Voinot حينما أقدمت مثنوية الغير الخاضعة في 9 مارس 1919 على مهاجمة إحدى دواوير مزيات الخاضعة جنوب جبل تاونات⁸⁶، وللاخذ بالثأر أقدم أتباع السي المكي الوزاني على إحراق قرية تاونات التي ناصرت المثنويين، هذا المسلسل سيستمر بإقدام بني ونجل الغير خاضعة على مهاجمة بني وليد⁸⁷.

⁸³ - VOINOT L. Colonel, *Sur les Traces Glorieuses des Pacificateurs du Maroc*, Charles-Lavauzelle, Paris, 1939, p.266

⁸⁴ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

⁸⁵ - RIVET Daniel, op.cit, T. 2, p. 80

⁸⁶ وهو عكس الطرح الذي جاء به بعض الباحثين والمهتمين بدراسة المقاومة بمنطقة تاونات، حيث انساقوا في القول بأن مثنوية في سنة 1919 كانت متعاونة مع الاستعمار وهاجمت مزيات الغير الخاضعة لمصالحه، وهي من المغالطات التاريخية التي توضح غياب الإدراك السليم لمجال الاشتغال وعدم التدقيق فيما جاء به فوانو وكذا التقارير الشهرية، إضافة لغياب تصور واضح للمجال حيث أن قبيلة مثنوية هي من أكبر قبائل ورغة العليا مساحة، ومجالها يأتي خلف قبائل صنهاجة مصباح ومزيات ورغوة ومزراوة، كما لها امتداد صوب المجال الحدودي، فكيف يمكن لفرنسا أن تخترق المجال الأعلى لورغة دون المرور بالقبائل المذكورة وهي قبائل ليس لها مجال ترابي وتضاريسي صعب مقارنة بخصوصية المجال الطبيعي لمثنوية، التي تنقسم إلى لوطا وجبل، وهي على تماس مع قبائل مقاومة كصنهاجة السراير، إضافة إلى ذلك فالصراعات القبلية لم تغب شمسها عن المجال خلال مرحلة التوغل الفرنسي، ومثنوية كانت آخر قبائل الدائرة التي لم تسيطر عليها القوات الفرنسية بشكل نهائي إلا بحلول سنة 1926، وتواصل مثنوية مع فرنسا مبكرا كان دو طابع سياسي فقط من خلال قائدتها الداودي.

⁸⁷ - VOINOT L. Colonel, op. cit, p.266

بذلك، أصبحت الأوضاع أكثر تأزما واحتقاناً، نتيجة لهذه التفرقة التي تجسدت بالصراع القبلي في ظاهره وفي عمقه هو نزاع حول مسألة نفوذ وتبعية سياسية لعدد الزعامات والأعيان المحليين، الذين انقسموا بين مؤيد ومعارض للتواجد الفرنسي تبعا لمصالح وامتيازات، وكذا فرصة للتملص من ضغط القبائل الكبيرة التي ربما كانت في فترات سابقة تمارس نوعا من الحيف تجاه القبائل الصغيرة لورغة العليا تبعا لمبدأ الكثرة العددية. فشكل المستعمر لدى البعض فرصة للإحتماء به من استقواء قبلي محلي لفخذات وفرق على بعضها أو بينها وبين القبائل المجاورة، بهدف استرجاع بعض المزايا والمنافع التي سلبت من طرف القبائل المستقوية، وهو الوتر الحساس الذي لعبت عليه القيادة الفرنسية في استمالة القبائل خاصة المستضعفة منها، والعمل على تقديم الأمان لها وإعطائها ضمانات على مناصرتها في أي تدخل للقبائل الأخرى ضدها، وهي سياسة ترتكز بالأساس على حماية المستضعف الذي هو بحاجة للحماية ويميل صوب من يهره بقوته للحفاظ على تواجد، عبر تقديم الولاء وتوظيف عنصره البشري من قبل القوات الفرنسية كمناصرين للتقدم صوب مناطق الجوار.

ب- . تنافس الزعماء المحليين:

شكل زعماء المقاومة الخيط الرابط الذي كان بإمكانه أن يجمع قبائل ورغة ويوحدها تحت لواء واحد، فقد كان عبد المالك من أبرز القيادات الفاعلة محليا في قيادة المقاومة ضد فرنسا، حيث اعتبر من أهم ركائز عرقلة مشروعها السياسي بالمنطقة، فمع غياب هذه الشخصية نتيجة لأسباب مختلفة وقراره بعدم الاستمرار في قيادة تحركات المقاومين، بعد لجوئه لمولاي عين الجنان، استبشرت فرنسا به خيرا واعتبرته مؤشرا يضمن هدوء قبائل ورغة العليا وتقلص عدائها للقبائل الخاضعة خاصة الحيانية، حيث وجدت هذه القبائل نفسها دون قيادة، في ظل تنامي الأطراف المتنازعة حول المنطقة والتي تسعى لمد نفوذها عليها واستقطابها، فشكلت هذه التبعية مشكلا يورق المجال الورغي الأعلى زاده الخوف من الانتقام القبلي، نتيجة لانتصار طرف على آخر، فبرز تخوف واضح من معاينة محمد بن عبد الكريم لها نتيجة لولائها لعبد المالك.

هذا التخوف نتيجة الفراغ الذي خلفه عبد المالك، جعل المنطقة محط أطماع نفوذ درقاوي بني زروال الموالين لفرنسا قصد استمالتها لصفهم⁸⁸، فأصبحت المنطقة تعيش توترا وتطاحنا داخليا، نتيجة للتنافس بين من سيسد هذا الفراغ أمام تنامي التأثير الفرنسي ودخول المقاومة الريفية على الخط، التي ترغب في استمرار المقاومة ضد القوات الفرنسية كي لا يتحقق التنسيق الإسباني الفرنسي، فنشب صراع دامي بين مختلف فرق قبيلة "رغوة" خلف عشرات القتلى والجرحى بحسب التقرير الاستخباراتي الفرنسي لشهر مارس، كما نشب صراع داخلي بين سكان "مثنوة لوطا" مخلفا أربعة قتلى نتيجة هذا التأثير الحاصل⁸⁹.

ظلت الصراعات بمجال ورغة العليا وافتقادها لزعامات قوية توحيدها، من بين أبرز المكاسب السياسية التي اعتبرها الجهاز الفرنسي قد تتحقق، للاشتغال بشكل جيد على تلك القبائل والحيلولة دون توحيد مجهوداتها في المقاومة، فـ "على طول ورغة لعبة بسيطة من التنافس بين القبائل، جعلتها حرة بسبب انعزال وتواري عبد المالك عن الأنظار، ما ضمن لنا هدنة شبه مطلقة، فهو الشخصية الوحيدة القادر على جمع عناصر هي بطبيعتها معادية لبعضها البعض، بيد أنه يجب علينا الإعتماد على تنوع رجال المنطقة واستغلال شعور الخصومة، حيث لاشيء يدل على تغير المشاعر تجاهنا"⁹⁰.

سعت القوات الفرنسية بجهازها الاستخباراتي، إلى عدم استثارة القبائل المجاورة للقبائل الخاضعة لها، والعمل على استقطاب تلك القبائل وعقد معها اتفاقيات صلح وعهد الأمان إن رغبت في ذلك، لتفادي اعتداء القبائل الخاضعة على غير الخاضعة أو العكس، وهو ما يعتبر قبولاً تدريجياً لبداية الاختراق الفرنسي لتلك القبائل، حيث برز هذا الأمر بمجرد توحيد قبائل بني زروال على يد الشريف الدرقاوي الموالي لفرنسا في اتحادية كبيرة، فعقدت الاتحادية اجتماعاً يوم

⁸⁸ - كانت مسألة توسيع النفوذ والتبعية لقبائل المجال الورغي الأعلى ومحيطه حاضرة بقوة في مشروع عبد المالك، لكن الدرقاويين الموالين لفرنسا والمدعومين من قبلها لاستمالة قبائل المنطقة والجوار، كانوا يشكلون حائط الصد الأمامي الذي حال دون وصول عبد المالك لاستقطاب قبائل بني زروال التي كانت تعيش نوعاً من التردد، ليكتفي بقبائل ورغة العليا عند تخوم بني زروال، لكن بمجرد تراجعها عن المقاومة ومواجهة فرنسا بعد لجوئه لمولاي عين الجنان (رغوة) دخلت قبائل ورغة العليا المتاخمة لمناطق النفوذ الفرنسي في صراعات داخلية، أظهرت تطاحنا بين زعامات محلية أصبحت محط استقطاب من ثلاث متنافسين حول المنطقة: من قبل الثورة الريفية، والمحتل الفرنسي، والمقاومين الموالين لعبد المالك.

⁸⁹ - A.M, R.M.P, Mars, 1922, p. 1

⁹⁰ - A.M, R.M.P, Avril, 1922, p. 1

25 أبريل 1922، كان من مخرجاته الاتفاق على عقد اتفاقية صداقة مع قبيلتي مزيات وصنهاجة، وهو ما يوضح السعي الجاد للجهاز الفرنسي في حفاظ قبائله الخاضعة على عقد علاقات ود وصداقة، لتجنيبها التعرض لهجمات محتملة من قبائل المقاومة المتحالفة أو لجرها لحضن المقاومة، وبذلك وضع حائط صد متقدم لتفادي هجوم القبائل المقاومة عبر المجال الترابي لنفوذ القبائل التي تحالفت معها من منطلق الحوار، أو على الأقل سيصبح لفرنسا موطئ قدم بتلك القبائل سياسيا، وبذلك معرفة كل المخاطر المحدقة بقبائل الخضوع ومعه يكون استباق التهديدات والمخاطر المحتملة، في ظل اشتغال الجبهة المقابلة للحياينة التي شهدت العديد من الخلافات المحلية والدامية أحيانا التي تقسم دوريا قبائل ورغة العليا⁹¹.

لم يكن بمقدور فرنسا الاستمرار بالقبائل المجاورة والحفاظ على مواقعها للاشتغال سياسيا على المجال والعمل على زرع بذور الشقاق واستقطاب الأعيان، لولا وجود وسط ملائم شجع على تكريس التفرقة، في ظل تنافس محموم بين تلك القبائل وظهور ميلها نحو الفردانية، في ظل غياب شخصية لها ثقل وقدرة قيادية كعبد المالك، الذي وصفه تقرير شهر أبريل على أنه الوحيد الذي كان قادرا على لم شمل هذه القبائل والتحكيم بينها.

ت- التفكك القبلي

اعتبر التقرير الفرنسي لشهر ماي أن احتدام الصراعات بين القبائل والفرق هو بمثابة نقطة ضوء للقوات الفرنسية، تغنيها عن الدخول المبكر في صراع مع هذه القبائل، ومكنها ذلك من حماية القبائل الخاضعة عبر إنشاء مراكز صغيرة لحمايتها أو تسليحها لصد هجومات القبائل الراضية للتواجد الفرنسي، "عبر تلقينها دروسا قاسية تجعلها أكثر تريثا في المهاجمة"⁹²، فهذا النزاع ضمان لاستمرار التواجد الفرنسي بالمنطقة والاشتغال سياسيا على تلك القبائل، لاستمالة أعيانها، حيث بدأ يؤتي أكله ببروز تقارب فرنسي مع قبيلة مثوية الجبل المجاورة لمناطق نفوذها، الأمر الذي سر الفرنسيين وزاد رغبتهم في إعطاء العمل السياسي دفعة أكبر قبل أي اصطدام عسكري، هذا التقارب سيصبح واقعا بعد

⁹¹ - ibidem

⁹² - A.M, R.M.P, Mai 1922, p .1

مجيء أكثر الشيوخ وثوقا بالقبيلة بمناسبة العيد، لإلقاء التحية والتعبير عن حسن نية القبيلة واستعدادها للتفاوض حول شروط الخضوع⁹³.

أقدام قبيلة مثبوة على التعبير عن الرغبة في التفاوض مع الفرنسيين من منطلق حسن النية من خلال شيوخها البارزين، يقبل عديد الإحتمالات والتأويلات، فقد يقود إلا القول أن القبيلة في ظل غياب زعيم يوحد كلمة قبائل المنطقة استشعرت الخطورة على نفسها، أمام اشتعال المنطقة بالصراعات الداخلية وتصفية الحسابات، فأحست بضرورة ضمان انضوائها تحت لواء قوة أكبر تكون قادرة على حمايتها من أي تكتل أو عداء قبلي مجاور يوجه ضدها، أو أن هذا الأمر نتيجة لتقديم ضمانات فرنسية بحماية القبيلة من الخطر الريفي حسب ما يعتبره الفرنسيون، الذي أصبح يتهدد المنطقة، التي كانت كما تمت الإشارة لذلك سابقا تابعة لعبد المالك الراض للريفيين والمتواطئ مع الإسبان من خلال تقديم مجموعة من التنازلات ضد مصالح الفرنسيين تبعا لما جاء في تقرير شهر مارس⁹⁴، أو أن المسألة مرتبطة بوعي أعيان القبيلة بضرورة تجاوز هذه الفترة الحرجة وعدم الدخول في أي مواجهات مباشرة مع أي طرف تبعا لموازن القوى.

3-1 توظيف العمل السياسي مع العسكري:

هذا العمل السياسي لم يكن يؤتي أكله دائما بالشكل المرغوب، في ظل خضوع قبائل ورغة العليا لتجاذبات سياسية وعسكرية، تزايدت حدتها مع بروز تقدم المقاومة من الريف بشكل قوي صوب المجال الورغي لدعم المقاومة المحلية، حيث ستتقلب عديد القبائل لتعود لكنف المقاومة، وذلك تبعا للظروف التي تفرضها التبعية في سبيل الحفاظ على الاستقلال والبقاء في مأمن من الاجتثاث، وهو ما كان يعرضها في الغالب إلى عقوبات اقتصادية قاسية كلما أدعت لطرف من بعدما واجهته كخيار لتفادي النزيف البشري، هذا العدول عن مهادنة الفرنسيين والتنصل من اتفاقية

⁹³ -ibidem

⁹⁴ - A.M, R.M.P, Mars, 1922, p .1

الجوار مع بني زروال، سيداً مع رفض إحدى فرق مزراوة دفع الترتيب للفرنسيين ورفض مزيات الخضوع لنفوذ الشريف الدرقاوي⁹⁵.

كلما ظهرت قوة ضاغطة جديدة على المجال الورغي الأعلى وأصبحت الأمور تسير نحو الانفلات من يد القوة المسيطرة وبروز تهديد محتمل يبتغي مد نفوذه، إلا وخلف الأمر قلقاً لدى قبائله، وهو ما يتضح من خلال إقدام 6 قبائل من ورغة العليا، بمجرد سماعها بتواجد مجموعة كبيرة من المقاومين الريفيين على حدودها، بالإسراع إلى إرسال مبعوثين لزعيم المجموعة⁹⁶.

وقد أرجعت فرنسا استمرار بعض القبائل في ولائها لها وعدم انسحاقها وراء الانشقاق باتجاه النفوذ الريفي، إلى نجاح عملها السياسي، فأمام ظهور الضغط الريفي لصعد التقدم الفرنسي على ورغة العليا وتكثيف العمل الاستخباراتي والدعائي من الجانبين، حيث راهن الريفيون على استمالة قبيلة مشيوة في حين عمل الفرنسيون على تثبيت نفوذهم السياسي والعسكري بمجال قبيلة مزيات، التي اختبرت في مدى ولائها لفرنسا بعدما وقفت إلى جانب فرنسا في مواجهة مجموعة مقاومة مشكلة من 400 مثنوي، هاجمت حامية "أستر"، حيث قام عناصر من القبيلة مدعومين بفرق الكُوم على صد الهجوم الذي خلف 7 قتلى و 15 جريحاً من مشيوة مقابل 3 قتلى و 9 جرحى من بينهم رجل كُوم من الجانب الفرنسي ومزيات، وكان مرد هذا الانتصار حسب التفسير الفرنسي إلى الثقة بالنفس التي أصبحت للقبيلة (مزيات) بفضل العمل السياسي الذي أنجز مسبقاً خلال ثلاثة أشهر فقط من احتلال القبيلة⁹⁷.

حافظت فرنسا على أولوية العمل الاستخباراتي حتى في أحلك أيامها بمجال ورغة العليا، فقد لعب المخبرون من الأهالي، دوراً كبيراً في معرفة أوضاع المنطقة ورصد تحركات المقاومة الريفية، في ظل صعوبة كسر التفاف قبائل المنطقة حول محمد بن عبد الكريم، فعلى سبيل المثال وجد الجهاز الاستخباراتي الفرنسي في المخبرين المحليين مكسباً لاستمرار

⁹⁵ - A.M, R.M.P, Juin, 1922, p .1

⁹⁶ - A.M, R.M.P, Août, 1923, p.3

⁹⁷ - A.M, R.M. P, Septembre, 1924, p2

العمل الاستخباراتي، حيث استعان الجهاز بمخبر من الأهالي أقام مدة خمسة عشر يوما بقبيلتي بني زروال ومشوية لمعرفة تحركات المقاومين والخطط العسكرية التي يعدونها لمهاجمة القوات الفرنسية⁹⁸.

فقد كان يتم التركيز على معرفة خطط المقاومين من خلال المخبرين قبل أي تحرك عسكري، عبر رصد مدى تحمس عناصر المقاومة للوصول إلى فاس، في ظل تبقي أربع مراكز للمقاومة بين باب وندر وتاونات، حيث كشف أحد العملاء أنهم سيتوجهون لضم مزاوة والسيطرة على مركز تاونات، والتحركات المزمع القيام بها من طرف أخ محمد بن عبد الكريم وكذلك السليطن وبوطاهر، بهدف الزحف صوب تيسة، كما كشف العتاد الذي سيوظف، والأسلوب الذي سيعتمده المقاومون من خلال التحرك الليلي لتفادي ضربات الطائرات، كل هذه المعطيات ثبتت مصداقيتها، ودفعت فرنسا إلى إدراك حجم المخاطر التي أصبحت تتهددها، ومكنتها من تغيير عديد الاستراتيجيات، وإعطاء الأولوية للمناطق التي تشكل حائط الصد الأمامي للحيلولة دون تقدم المقاومين من ورغة والريف صوب فاس⁹⁹.

⁹⁸ - A.M, S.P.M, du 2 au 8 Juin 1925, p5

⁹⁹ - ibidem

2- أهمية العامل الاقتصادي في التوغل الفرنسي

وظفت الإدارة الاستعمارية كاستراتيجية أثناء تقدمها إلى المناطق المستهدفة إلى جانب سياسة الزعماء الهادفة إلى استمالة الأشخاص البارزين بالمنطقة، ما يعرف كذلك بـ "السياسة الاقتصادية"، وهي من بين الأساليب التي وضفتها سلطات الاحتلال في إخضاع القبائل بالإقناع أو بالإكراه، فهناك طرق كثيرة توظف ضمن هذه السياسة، استمد بعضها من الممارسات السلطانية لمعاقبة القبائل الرافضة للخضوع أو التي يراد إخضاعها، بطرق تجمع بين اللين والشدّة. "قد تتخذ السياسة الاقتصادية ((شكل سلطة)) أو ((شكل شيء جذاب)). يقتضي الشكل الأول فرض الحصار على القبائل التي تقاوم (إغلاق الأسواق التي تباع فيها تلك القبائل وتشتري، وطرد السكان نحو المناطق الفقيرة). ويقضي الشكل الثاني بجلب القبائل باستخدام تقنيات اقتصادية باقتراح منتجات جديدة (سياسة الشاي، والسكر والقطن) وبناء الطرق وخلق الأسواق"¹⁰⁰

2-1- مقومات الحصار الاقتصادي وخصائصه بالمجال الورغي

أ- مقومات الحصار الاقتصادي

لقد تنوعت أشكال الحصار الاقتصادي لقبائل ورغة العليا، تماشيا مع العوامل المتحركة في نوع هذا الحصار الاقتصادي، وتتجلى بدرجة أولى في: تحديد الموارد التي يتركز عليها اقتصاد القبيلة وشكل هذا النشاط الاقتصادي (انتجاع، زراعة الحبوب، مغروسات، الخ)، حتى يعطي حصارها النتائج المرجوة ويكون أشد وطأة وثقلا على كاهل أفراد القبيلة، لدرجة يصبحون محط ريب وشك من جدوى الدخول في المقاومة أو الاستمرار فيها، فهدف التقدم الفرنسي بجيوشه وعتاده: أن يعمل على تخريب موارد القبائل المقاومة، من خلال تخريب القرى ونهب المواشي أو قتلها، أو سرقة المؤن وفتح المطامر وإتلاف المخزونات، تماشيا مع سياسة الأرض المحروقة بشكل متعدد التظاهرات، بمهدف موجه أساسا إلى تجويع السكان وعرقلة السير العادي للنشاط الاقتصادي والتجاري للقبائل، عبر إدخال اقتصادها في حالة

¹⁰⁰ -ابن المليح عبد الله، م.س، ص.214

كساد وعوز تام، فضلا عن مصادرة الأراضي الخصبة التي تعود السكان على زراعتها، وتأسيس مراكز وحاميات عسكرية بمحاذاتها، وتوجيه فوهات المدافع صوب من يريد استغلالها من حرث أو حصاد دون إعلان خضوعه وطلب الإذن من المراكز الفرنسية، وهو ما عبر عنه بيدويل عندما قال: "للقضاء على عدو عنيد يجب ضرب مصالحه بعزم قوي، يجب إذا حرق محاصيله بدون شفقة ونهب قطعانه وتجويعه، حينذاك فقط يستسلم"¹⁰¹؛ وهو الأمر الذي يوضح العقيدة المشتركة لجميع أنواع تحرك القوات الفرنسية بشقيها الاستخباراتي والعسكري ضد القبائل المقاومة، فالشق الاستخباراتي يكون مهما لتحديد عصب الحياة الاقتصادية للقبيلة وتعيينه مجاليا وجغرافيا وامتداداته، وعسكريا للإجهاد على هذه الموارد، وضرب النقط المركزية في حياة القبيلة، التي ستضعفها دون الدخول لأمد طويل في حروب سجال أو حرب استنزاف، التي لن تكون من صالح الجيوش النظامية التي تعتمد على الخطط وضرب الأهداف الحساسة بدرجة أولى، لتحقيق السيطرة في أقرب وقت ممكن وبمجهود أقل.

يعتبر الشق الاقتصادي من أهم الأوراق المميزة التي وظفتها أجهزة الحماية الفرنسية بالمغرب، فهي تتمظهر بوجهين على وجه التحديد، أوله قد يكون إغرائي والثاني قد يكون عقابي، وغالبا ما يوظف الشق الثاني منه ضد القبائل التي تجمع في مجالها بين الجبل والسهل (لوطا)، حيث يعتمد الفرنسيون إلى السيطرة على السهول والوديان الخصبة ويدفعون بالقبائل وقطعائهم للنزوح إلى قمم الجبال، حيث يباغتهم فصل الشتاء الصعب ولا يجدون ما يسدون به رمقهم فيكون مآل قطعائهم الهلاك، أو حتى إن صمدت القبيلة أمام التجويع والحصار فهي تضعف تدريجيا، ما يجعل مقاومتها شاحبة أمام التفوق العسكري الفرنسي، وبذلك دفع المقاومين للخضوع بدل الموت وخسارة كل شيء، لأن هؤلاء حسب Homo Roger لا يحتملون قضاء فصل الشتاء في الجبال¹⁰².

¹⁰¹ - ANDRE-JULIEN Charles, **le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956**, Edition Jeune Afrique, Paris, 1978, pp. 144-145

¹⁰² - ROGER Homo, « **la pacification du Maroc** », La Renaissance du Maroc dix ans de Protectorat 1912-1922, Résidence Générale de la République Française au Maroc, Imprimé Marc Texier, Paris, 1922, p.153

الحصار الاقتصادي كان ناجحا بنسبة كبيرة للقوات الفرنسية لمواجهة تعنت القبائل المقاومة ونهج سياسة التجويع من خلال السيطرة على الموارد الرئيسية التي تعتبر شريان حياة القبائل "فليس صدفة أن تتزامن عمليات الاحتلال والتوغل في القبائل وتشديد الحصار عليها مع مواسم الحصاد، وإنما يندرج ضمن تكتيك إرغام القبائل إما على المواجهة للدفاع عن مصالحها بواسطة المعارك أو الدخول في مفاوضات الخضوع"¹⁰³، فهذا العمل يهدف إلى تضيق سبل العيش لدى القبائل المقاومة، لما لهذا النهج من أثر فعال في دفع الساكنة لطلب الأمان والدخول مع المراكز الفرنسية في مفاوضات الاستسلام، وهو الأمر الذي وصفه جرمان عياش قائلا: "تعرض جميع وسائل عيشها للتدمير الواحدة بعد الأخرى، فحارثوها يقتلون أمام محارثهم. بينما تمنع المدفعية على قطعانها ارتياد المراعي ومراكز الماء. وإلا تكفي غارة لفرقة الفرسان لحرمانها منها بكل بساطة. فبين مرتفعاتها المكسوة بالثلوج وفوه المدافع، كانت القبيلة التي تعاني من الجوع والعزلة والانشقاق الداخلي تستنزف مقومات عيشها وقد تستسلم ذات يوم"¹⁰⁴.

كان هذا الشكل من الحصار حاسما في تطويق القبائل المعروفة بشراسة مقاومتها، خاصة بالأطلس المتوسط حيث كانت غالبية القبائل تعتمد بالأساس على الإنتاج في حياتها الاقتصادية بين السهل والجبل، كما هو الحال بالنسبة لبني وراين بالأطلس المتوسط الشمالي الشرقي للمغرب، حيث دائما ما تكون وراء هذا الحصار مقاصد متعددة، حيث عولت المؤسسة العسكرية على تقزيم تحركات هذه القبيلة بالأطلس المتوسط نظرا لموقعها الاستراتيجي بين كتلي المقاومة المشتعلة بالأطلس المتوسط والريف.

¹⁰³ - RIVET Daniel, Lyautey et l'Institution..., op. cit, p.74

¹⁰⁴ - عياش جرمان، أصول حرب الريف ، ترجمة محمد أمين البزاز وعبد العزيز التسماني خلوق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992 ، صص. 61-62

ب- خصوصيات المجال الورغي

هذه المقاصد من توظيف الجانب الاقتصادي لإخضاع القبائل في مجال ورغة العليا، ستبرز منذ الوهلة الأولى أثناء تقدم القوات الفرنسية صوب هذا المجال، فقد تظاهرات في أشكال مختلفة زواج فيها المستعمر بين الإغراء والعقاب. فليس من الصدفة أن تتحرك القوات الفرنسية في عمليات الاحتلال والتوغل بمجال ما فقط خلال نضج المغروسات والمحاصيل الزراعية، بتزامن مع موسم الحصاد، قد يقول البعض أنه بحكم الظروف المناخية وصعوبة المسالك في الفصل المطر، لكن في الحقيقة، العقل المذبر للآلة الاستعمارية، على دراية تامة بالمرام المتوخاة من تزامن التحرك العسكري مع موسم الحصاد، لكون "الأهلي" هو أشد حرصا على عدم ضياع مجهود شهور من العمل وترقب ما ينتظره من محصول، لكونه يسمح بضمان بذور سنة مقبلة وقوت شهور مقبلة، فالأمر يندرج ضمن تكتيك إرغام القبائل إما على المواجهة للدفاع عن مصالحها بواسطة المعارك، أو الدخول في مفاوضات الخضوع ومعه عدم ضياع هذا الجهد¹⁰⁵.

خصوصيات المجال الورغي الأعلى جعلت القوات الفرنسية تبحث عن الطرق الممكنة في التعامل مع قبائل المنطقة عبر توظيف ماهو إقتصادي، حيث أن هذا المجال يعرف ازدحاما قريبا كبيرا نظرا لقدم الاستيطان به وجل قبائله تعيش في حالة تنافس فيما بينها حتى داخل القبيلة الواحدة، كما أن هاته القبائل على عكس قبائل المناطق الجبلية بالأطلس تعتمد بالدرجة الأولى على الاستقرار طيلة السنة بالمجال، وتمتهن الزراعة المعيشية على وجه الخصوص كنشاط إقتصادي، فهي بذلك لا تجد سبيلا لتحركها أو هروبا من غير مجالها الذي تقاوم فيه أو ستخضع فيه.

يعرف هذا المجال تباينا بينا في الموارد الاقتصادية تبعا لاحتمية خصوصية المجال الذي تتواجد فيه كل قبيلة، حيث توجد القبائل الجبلية المتواجدة في العالية كمشيوة ومزيات وغيرها من الفرق الجبلية للقبائل الأخرى، التي تعتمد على الغرسة بالوديان والمناطق الممكنة التوظيف مع نقص واضح في الأراضي المنبسطة الصالحة للزراعة، مما كان يضطرها للجوء إلى الأسواق المجاورة للتزود بحاجياتها من الحبوب، وكلما اتجهنا نزولا صوب المنخفض وجدنا أراضي خصبة كما

¹⁰⁵ - RIVET Daniel, op.cit, t 2, pp.337-338

هو الشأن لمزراوة ومنطقة عين عيشة وساحل بوطاهر وبقبيلة صنهاجة مصباح، وصولا إلى أغني قبيلة بالأسفل وهي الحياينة، هذه الأخيرة تشكل المزود رئيسي للقبائل الجبلية بالمنطقة بالحبوب نظرا لشساعة أراضيها الصالحة للزراعة، وهو ما جعلها محط استهداف مبكر من قبل القوات الفرنسية، لتوظيفها كعنصر مهم في الضغط على المجال الورغي وتضييق الخناق الاقتصادي عليه.

2-2 مظاهر الحصار الاقتصادي

أ- دور المراكز العسكرية (تيسة، عين معطوف)

وضعت فرنسا قدمها بقبيلة الحياينة منذ 1913، عبر النزول بثقلها العسكري وعملها السياسي، مستميلة أعيانها، وموظفة قوتها في إقناع القبيلة أنها جاءت لحمايتها من ضغط القبائل المجاورة، موظفة في ذلك الصراعات التاريخية حول الأرض، خاصة من جهة الشرق مع بني وراين، حيث كان المستعمر يعمد إلى إيهام عديد القبائل بالمغرب على أنه جاء ليحميها من هجومات الأمازيغ¹⁰⁶.

أنشأت فرنسا داخل القبيلة مركز تيسة، لمراقبة المجال وتنظيمه اقتصاديا، وضبط حركة القبائل الوافدة لأسواق المنطقة، لتكون قد أطبقت إحكامها على قبيلة الحياينة، عبر تأطيرها اقتصاديا والتحكم في مواردها، وإخضاعها لضريبة الترتيب، مقابل حمايتها من القبائل الطامعة في خيراتها، لتصبح تحت الإشراف الفرنسي في كل أمورها.

الإشراف الفرنسي على قبيلة الحياينة كوسي بأجهزة مختلفة، كان بمثابة حصار اقتصادي، ضد القبائل القادمة من الريف وورغة العليا، التي تتردد على المنطقة، ومعه جعلها ملزمة بالتواصل مع فرنسا وإبداء حسن النية، ليفسح أمامها المجال للتسوق من أسواق المنطقة، وأخذ حاجياتها من المنتوجات الأساسية، وهو ما أتاح للجهاز الاستخباراتي التواصل

¹⁰⁶ - RIVET Daniel, op.cit, p81 .

مع المناطق المجاورة، من منطلق توظيف ماهو اقتصادي لاختراق تلك القبائل، ومحاولة التواصل مع أعيانها للخضوع، عبر تقديم مجموعة من الإغراءات والامتيازات الممكنة¹⁰⁷.

برز هذا الشكل من التطويق تأثيره على قبائل ورغة، التي حاولت الإبقاء على هذا المورد لتزودها بالحبوب، حيث أبدت قبيلة **مثوية** سنة 1917 رغبة في دفع ترتيب مبدئي، رغبة من القبيلة في الحفاظ على علاقات ودية مع مناطق تزودها بحاجياتها، من خلال إظهار قبول الإدعان لضريبة الترتيب ولو كان فقط من منطلق إبداء حسن النية لا غير، كشكل من أشكال المراوغة الذي يمكن أن تنهجه القبائل الجبلية لتجاوز هذا الحصار¹⁰⁸، خاصة في الفترات الصعبة، نتيجة لانعدام محصول كافي خلال موسم الحصاد، أو خلال فصل الشتاء القاسي الذي يصعب معه استغلال الأرض بالشكل الأمثل ونقص المأونة المخزنة، ما يهدد استمرارية الحياة الإعتيادية للأفراد والقطعان في الآن نفسه.

إنشاء المراكز العسكرية لم يكن في الحقيقة إلا شكلا من أشكال الحصار الاقتصادي، الذي تهدف القوات الفرنسية من خلاله إلى إخضاع قبائل المنطقة اقتصاديا، عبر الإشراف على الموارد المتواجدة بالمجال، أو بدفع القبائل المتمردة إلى مجالات ضيقة وأقل غنا، وهو ما يلاحظ من خلال ما نحتاجه هذه القوات الفرنسية بالمجال الورغي منذ أن أنشأت مركز **تيسة** في شهر مارس سنة 1913 ليشرف على أخصب أراضي المنطقة المتواجدة بقبيلة **الحياينة**¹⁰⁹، ليتم بعد ذلك تأسيس مركز **عين معطوف** سنة 1917 لتكريس التطويق الاقتصادي للمجال وتضييق الخناق على القبائل التي ترتاد الأسواق التي أصبحت تحت سيطرة الفرنسيين.

فالمركز العسكري كان يحتم على القبائل الخضوع للفرنسيين وبذلك منحها الحق في استغلال المجال المحيط بالمركز، وفي حالة الرفض يتم تخريب محصولاتها وطردها صوب مناطق بعيدة عن المركز وتعريضها للقصف كلما حاولت استغلال

¹⁰⁷ - A.M, R.M.P, 1^{er} et 2^e partie , Mars 1913, p. 4 et p. 8.

¹⁰⁸ - A.M, R.M.P, Mars 1917, p.7

¹⁰⁹ - A.M, R.M.P, Mars 1913, p. 4

المجال، وبذلك تصبح الأرض ورقة ضغط بيد المستعمر يوظفها قصد استسلام القبائل شريطة عودتها للمجال والامتثال للتدبير الفرنسي والخضوع لنظامها.

برز هذا الشكل من الضغط مع قبيلة **صنهاجة الشمس**، التي وجدت نفسها أمام تقدم القوات الفرنسية صوب **مديونة** سنة 1918 محرومة من عديد أراضيها التي اعتادت حريتها واستغلالها، نتيجة لعدم خضوعها، وبإقدام القوات الفرنسية على قصف كل من يحاول الإقتراب من تلك الأراضي دون حصوله على إذن بالتصريح لاستغلال تلك الأراضي، وأمام حرمان القبيلة من مجال اقتصادي حيوي لها، لم تجد بدا بعد حلول شهر أكتوبر من سنة 1919 غير العمل على الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين، لتجنب القصف المدفعي لأراضيهم خاصة مع اقتراب انطلاق عمليات الحرث، حيث أرسلت مبعوثين وبشكل متكرر وبوتيرة متصاعدة إلى مركزي **تسية** و**عين معطوف** طيلة هذا الشهر، للحصول على إذن حرث الأراضي الخصبة التي تتوفر عليها خلف **مديونة** قرب **الدرادر** وفي وادي **Téhirs** وبذلك تجنب تعرض أفراد القبيلة للقصف أو لتخريب المحاصيل الزراعية¹¹⁰.

ب- الأرض والحبوب:

شكل توظيف الأرض والحبوب مظهرا بارزا للأساليب التي وظيفها المستعمر ضد القبائل، كورقة مهمة لاستمالتها ولو مرحليا، نتيجة لكون هذا العامل الاقتصادي يعتبر نقطة التواصل التي يبتغيها المستعمر، فمن خلاله صار لضباط الشؤون الأهلية إمكانية الإتصال بأعيان القبيلة للعمل على استمالتهم، وخلق نقطة تكون منطلقا للتفاوض على استسلام القبيلة نهائيا، حيث أدى انتزاع أراضي قبيلة **صنهاجة الشمس** بالقرب من **مديونة** سنة 1918 إلى توظيفها كنقطة للتفاوض خلال السنة الموالية للحرث 1919¹¹¹.

¹¹⁰ - A.M, R.M.P, Octobre 1919, p .4

¹¹¹ -ibidem

قبول التفاوض مع الجهاز الفرنسي يشكل أهمية بالغة لمؤسسة الحماية، فهو بمثابة اعتراف ضمني بوجود سلطة وقوة تتحكم في المجال، وأن الوضع أصبح بيد مسير ووصي جديد على المنطقة، يجب الخضوع لشروطه وليس لشروط قبيلة ما، وقد تم بالفعل منح القبيلة الإذن بحرث المجال المذكور فضلا عن التردد على الأسواق، مع استثناء شراء الحبوب ما لم تخضع القبيلة بشكل كلي¹¹²، لتكون بذلك الأرض والحبوب ورقة ثانية وظفها الجهاز الفرنسي بشقيه العسكري والاستخباراتي، لمساومة القبائل على خضوعها لسلطات المحتل، الذي لم يدخر جهدا في توظيف أساليبه الماكرة واللاإنسانية تجاه المنطقة.

من خلال الموافقة المبدئية على استغلال القبيلة للمجال، يمكن أن يستشف أمرين مهمين من الطريقة التي وافقت بها الإدارة الفرنسية، أولهما أن المستعمر بموافقته لم يرد قطع وصال التواصل والحفاظ على استمراريته مع القبيلة نتيجة لعدم خضوعها التام، وبذلك محاولة إعطاء القبيلة مغزى من ذلك، على أساس أن الفرنسيين أعطوا حسن نية في الحفاظ على علاقات ودية مع القبيلة، الأمر الثاني وهو أن فرنسا وظفت شكلا آخر من الضغط الاقتصادي، فبعدما وظفت الأرض للضغط جاء الشكل الثاني بمجرد انتهاء الأول متمثلا في الأسواق والحبوب، فالأسواق تشكل ورقة مهمة وعصبا حيويا في الإقتصاد، لكونها تعد المنفذ الوحيد للقبائل لتصريف منتوجاتها وأوللتزود بحاجياتها، والرد الفرنسي كان ملغوما "شريطة أن لا يشتروا الحبوب"¹¹³، فهي تعطي الحق للقبيلة في استغلال المجال والتردد على الأسواق لكن شريطة عدم التزود بالحبوب، وهو ما يحيل على التحكم الفرنسي في تصريف هذا المنتج، وتوظيفه كورقة ضغط ضد القبائل المقاومة أو المترددة في استسلامها، فالحبوب العنصر الأساسي بعد الأرض لدى القبائل للشروع في الحرث، والتأخر في الحصول عليها خلال فترة الحرث يعني ضياع موسم فلاحى بكامله ودخولها في حالة من الفاقة.

عدم التزود بالحبوب في فترة انطلاق موسم الحرث يعد ضغطا على تلك القبائل وإضعافا لها على الرغم من كونها حصلت على أراضي، فهي ستكون بحاجة ماسة للحبوب لسد حاجاتها الغذائية وكذا لحرث أراضيها، فبذلك

¹¹² -ibidem

¹¹³ -ibidem

تصبح مسألة الحبوب والأسواق على وجه التحديد، ماهي إلا وجه من أوجه الضغط الاقتصادي الموظف من قبل المستعمر، لدفع القبيلة للتفاوض وقبول شروط الإدعان وفق ما تقتضيه الرغبة الفرنسية وعلى رأسها دفع ضريبة الترتيب وأداء غرامات حرية لا يقل أثرها عما يحدثه ضياع الموسم الفلاحي.

أمام ضبابية موقف القبائل من مسألة الاستسلام وفق الشروط الفرنسية، والخيرة بين الاستسلام الكلي للمستعمر والتخلي عن فكرة المقاومة والحصول على أراضي وارتياح الأسواق للحصول على الحبوب، أو المقاومة والحرمان من موارد اقتصادية مهمة، حاولت قبيلتي **صنهاجة الشمس ورغوة** سنة 1920 تقديم مقترحات في مفاوضاتهما مع الفرنسيين للاستمرار في استغلال أراضيها التي أصبحت تحت سيطرة الفرنسيين، حيث قدم موفدون من القبيلتين لتقديم مقترح لقائد ملحقة **الحيانة**، يهم تحويل مقدار معين من منتوجاتهم الفلاحية بالأراضي المتواجدة قرب **مركزي درادر ومديونة** لصالح الفرنسيين¹¹⁴.

هذا الأمر يحيل على كون القبيلتين كانتا تسعيان جاهدتين لعدم تقديم الخضوع الكلي للفرنسيين، في الوقت نفسه العمل على إيجاد صيغ بديلة للحفاظ على استغلال الأرض التي أصبحت مستهدفة بالقصف الفرنسي في حالة ظهور أي تحرك قبلي عليها. الأمر نفسه سيتم توظيفه مع قبيلتي **مثوية ومزيات** خلال السنة نفسها، حيث أبدتا هاتين القبيلتين رغبة في الاصطفاف بجانب قبيلة **الجاية** لمواجهة **الخمليشي**، مقابل إعادة التثبيت على الأراضي التي فقدتها حسب ما ورد بالتقرير الفرنسي¹¹⁵.

الخوف من خسارة الأرض، لصالح قبائل منافسة، أو دخولها في مجال الاستيطان الزراعي، كان الهاجس الأكبر لدى القبيلة، أو خروج أملاكها من حيازة القبيلة إلى ملكية خاصة لأحد الأعيان، أو تصبح محط نزاع بين أعيان القبيلة

¹¹⁴ - A.M, R.M.P, Mai 1920, p.11

¹¹⁵ - A.M, R.M.P, Novembre 1920, p17.

مستقبلاً، كما هو الشأن بالنسبة لقبيلة أولاد عمران، التي فقدت أراضي لصالح الاستيطان الزراعي سنة 1922، نتيجة للصراع الذي كان قائماً بين الشيخ الجيلالي بن الحسن والقايد فضول بن لغويد¹¹⁶.

وبذلك، تكون الأرض انتقلت من حيازة القبيلة إلى ملكية الأشخاص النافذين، لتصبح محط صراع تداخل فيه الاقتصادي بالسلطة والسياسة، لتصبح جزءاً من الاستيطان الزراعي كحل للنزاعات الشخصية بين ممثلي الفرنسيين بالمناطق القبلية، وتفادي تبعات ذلك النزاع، كمحاولة لإرضاء الجانبين لكن مع خسارة الأرض¹¹⁷.

¹¹⁶ - A.M, Secrétariat Général du Protectorat (service des études législatives), Domaine Colonisation, Dahir n° 248/ Septembre 1922, **cession Cheikh Jilali BEN EL HASSAN et Caïd Fedhoul BEN EL GOUID**.

¹¹⁷ - بحسب ما جاء في وثيقة ثانية مؤرخة بتاريخ 14 شتنبر 1922 مرفقة بالظهير، كتوضيح للقرار الذي اتخذ كحل للنزاع الذي كان قائماً بين الشيخ الجيلالي بن الحسن الذي حصل على الأرض، نتيجة لمسألة مصادرة وحجز جميع ممتلكات وريث القايد سي الصديق العمراني، وكون القايد فضول بن الغويد يدعي أن القطعة المتنازع حولها تعود لأبيه اغتصبها منه القايد سي الصديق العمراني، واعتبرت الوثيقة أن قرار البيع يعود بامتياز على الدولة لكونه يجنب الدخول في نزاع قضائي غير معروف العواقب.

3- الغرامات الحربية و ضريبة الترتيب إفقار اقتصادي:

شكلت الغرامات الحربية وضريبة الترتيب، شكلا من أشكال عمل القوات الفرنسية وجهازها التدبيري لإفقار القبائل، وتجريدتها من الثروات التي قد تؤهلها لتصبح مصدر إزعاج أو دعم للمقاومة، عبر مراقبة منتوجاتها ومحاصيلها، وجعلها هي من تدفع تكاليف التدبير الفرنسي للمجال، من خلال توظيف شيوخ وقياد وضباط، يسهرون على هذا التفجير للقبيلة، وعدم ترك الساكنة لحال سبيلها في تحقيق الفائض أو الثروة دون وجود نصيب للمستعمر فيها يضخه إلى خزنته وكذا في جيوب معاونيه من الأهالي. وقد توزعت هذه الغرامات تبعا لمراحل التقدم الفرنسي والشدة والجذب خلال حرب الريف.

3-1. مرحلة التوغل (1913-1922م)

لم تكن فرنسا تترك مجالا لتمر مسألة استسلام القبائل المقاومة مرور الكرام، حيث كانت تُحمل القبائل إضافة لحسائرها كل تكاليف الحرب التي خاضتها ضد الفرنسيين، كشكل من أشكال التدليل وإهانة القبيلة حتى لا تعود لفعل المقاومة دون أن تعي ما ينتظرها من عقوبات، فقد فُرضت على قبيلة الحياينة منذ تثبيت مركز تيسة بسوق الأربعاء سنة 1913 غرامات استخلصت من فرقها بسوق الأربعاء¹¹⁸، وبعدها جاءت غرامات فرضت على قبيلة صنهاجة مصباح كغرامة حربية ثقيلة سنة 1918 قدرت بـ 18000 فرنك، بغية إضعاف قدراتها وضربها في موارد اقتصادها بعد تقدم قوات الاحتلال صوبها سنة 1918، حيث تفصح مراسلتين عبارة عن برقيتين تعرض القبيلة لغرامة حربية، أراد من خلالها الجنرال قائد منطقة فاس معرفة قيمة المبالغ التي تم تحصيلها من القبيلة ومآلها، والمتبقية منها، كتعبير عن أشكال المراقبة لتلك الغرامات التي يجب أن تذهب لمداخيل ميزانية الحماية¹¹⁹، ليتم الرد عليها في اليوم الموالي بمراسلة، من خلال الإشارة إلى مآل تلك الغرامة الحربية، وضرورة تخصيص مبلغ منها للحفاظ على 200 من

¹¹⁸ - A.M, Lettre n° 388 dr², du Anonyme au Monsieur le Directeur Général des Services Financiers du Protectorat, sujet: **Paiement de dégâts commis à SOUQ EL ARBA de TISSA**, 28 Juillet 1914.

¹¹⁹ - A.M, Amendes de guerre V/2, n° 1006 D.R.8, dossier XIV/5, Région Fès, 6 Juillet 1918.

المناصرين خلال كل شهر، مع اقتراح تنظيم مخزن مشكل من 25 فارس تقليدي و50 من المشاة بالقبيلة¹²⁰، مما يوضح كيفية إثقال كاهل القبيلة بالمصاريف، والضرر البين على قدراتها الاقتصادية، وجعلها هي من تتحمل وزر الأعباء المالية التي يوظفها الفرنسيون لمراقبتها من مناصرين ومخزن.

فإضافة إلى الغرامات التي قد تتعرض لها القبيلة من طرف الفرنسيين، قد تجدد القبيلة نفسها مطالبة بأداء غرامة لقبيلة أخرى، قد تكون نتيجة لعهد تم قطعه بين القبائل في عدم التوجه للمستعمر في فترة من الفترات، التي يتم الاتفاق عليها مسبقا حتى لا تعتبر تلك القبيلة خائنة، فقد تحرك وفد من **صنهاجة الشمس** سنة 1920 متوجها صوب قبيلة **الجاية** لتغريمها غرامة تقدر بـ 1200 دورو بتهمة التوجه إلى مكتب **القلعة** للتواصل مع الفرنسيين¹²¹، وهو شكل يطبق حينما تتحقق الغلبة ميدانيا للقبائل على القوات الفرنسية، فيكون معه تأديب القبائل المتحايلة أو المتذبذبة الموقف التي خانت عهد المقاومة لمجرد تحرك الفرنسيين باتجاهها، ما يوضح الضغط الذي مارسه القبائل المقاومة على المستعمر الفرنسي، وعدم ترك قواته في منحنى تصاعدي لضم القبائل، فقد تجدد هذه القوات نفسها تعيد نفس الجهود سياسيا وعسكريا لمحاولة السيطرة مجددا على قبائل سابقة تمت استمالتها، لكن عادت إلى كنف المقاومة بفعل ضغط المقاومين وتحقيقهم لمكاسب ميدانية، في ظل تجاذبات مستمرة بين تقدم فرنسي ورد فعل قبائل المقاومة.

ما يمكن قوله عن الغرامات الحربية هو نفسه ما يجب أن يقال عن الترتيب، لأنه لم يكن أرحم باقتصاد تلك القبائل من الغرامات الحربية، فعملية الإحصاء كانت في العديد من المرات تقابل بالرفض من قبائل دائرة ورغة العليا، التي خضعت، فبمجرد أن تستشعر ضعف القدرات الفرنسية وإمكانية الخروج من اتفاق دفع ضريبة الترتيب كعهد أمان للفرنسيين كي لا تتعرض لعمل عسكري، تتنصل هاته القبائل من الاتفاق، نظرا للأثر الذي تخلفه هذه الضريبة على سكان القبيلة اقتصاديا ومن إضعاف للقدرة المعيشية وإمكانية الإدخار، في ظل تعسف القواد والشيخوخ أو المعاونين الذين يوظفون من قبل الفرنسيين بصفة عامة.

¹²⁰-A.M, dossier Amendes de guerre XIV/5/2, Direction des Affaires Indigènes, Réponse N° 178 D.R.C2, du BERRIAU au General et Directeur Intendance (Région Fès), sujet : **Réponse à 65 R.C. du 6 Juillet**, 7 Juillet 1918.

¹²¹- A.M, R.M.P, Octobre 1920, p21

ففي شهر يونيو من سنة 1922، أثناء محاولة الفرنسيين القيام بإحصاء ترتيب هذه السنة بقبيلة مزراوة، ووجهوا برفضت القبيلة، فما كان من الفرنسيين إلا اللجوء يوم 17 لقصف القبيلة، لدفعها للقبول بالإحصاء كشكل من أشكال الردع وتأكيد رفض جناح الممانعة داخل القبيلة، وهو نفس المصير الذي كانت تلقاه عديد القبائل من المناطق المجاورة التي تود التراجع عن دفع ضريبة الترتيب التي هي من شروط استسلام القبيلة للفرنسيين¹²²، فما كان من القبائل التي توجد أمام التقدم الفرنسي إلى أن تجد نفسها بين سندان القصف والزحف الفرنسي ومطرقة الخضوع لضريبة الترتيب أو الغرامات الحربية في حالة انقلاب الأوضاع لتعود لصالح الفرنسيين.

3-2. مرحلة عودة السيطرة الفرنسية 1925-1926

حرب الريف بدورها لم تكن لتمر على قبائل ورغة العليا مرور الكرام، فقد فرضت غرامات حربية على عديد القبائل التي ساهمت في المقاومة بجانب المقاومين الريفيين، والغالب في هذه الغرامات أنها تكون غرامات مترتبة عن ترتيب لسنة أو سنوات سابقة انقطعت فيها القبيلة عن دفع هذه الضريبة، وتبرز قسوتها في كونها لا تراعي شكل الموسم الفلاحي ومحصوله في تلك السنة لتتماشى مع قدرة القبيلة على دفع الترتيب، بل هي متعمدة لتكون بتلك القسوة لتسمى بغرامات حربية، لإضعاف القبيلة أكثر مما هي متأزمة نتيجة لتبعات الحرب والمعارك التي دارت رحاها على أرضها، فالخضوع الفلاحي لقبائل ورغة العليا إبان هذه الحرب يكاد في الأصل يكون منعما نتيجة لكون عديد المعارك كان المجال الورغي الأعلى مسرحا لها، وهو ما يحيل على إدخال قبائل المنطقة في مديونية من نوع آخر، فقد برزت هذه الغرامات الحربية القاسية على قبائل ورغة العليا بمجرد ما بدأت كفة المواجهة بين المقاومة والفرنسيين تعود لصالح القوات الفرنسية، التي استعادت نفوذها على قبائل المنطقة التي تملصت منه خلال فترة التنسيق مع المقاومة الريفية.

القبائل التي لم تواجه هذا التنسيق المقاوماتي مع الريف وانخرطت فيه من خلال الهجوم على القوات الفرنسية في معاقبتها، ستعرض لغرامات قاسية كعقاب لها، وقد أبرزت وثيقة للغرامات الحربية عبارة عن مراسلة حجم الغرامات التي

1. 1922, p. 1 - A.M, R.M.P, Juin - 122

فرضت على القبائل الوردية خلال شهر دجنبر من سنة 1925، وجاءت موزعة كما يلي: فرضت على قبيلة أولاد عمران (الحياينة) أثقل الغرامات الحربية إذ بلغت 95000 فرنك فرنسي تبعا لما تملكه هذه القبيلة من أراضي ومؤهلات اقتصادية مهمة، قبيلة مزيات 5200 فرنك، رغبة 12000 فرنك¹²³، والملاحظ أن دفع هذه الغرامات لم يتم إلا بعد انتهاء حرب الريف، تبعا للسياسة التي نهجتها فرنسا في مسألة التضيق على القبائل المستسلمة دون العمل على تغييرها في حالة وجود قلاقل بالجوار تجعلها مستعدة للانخراط في أي تمرد جديد للانفلات من تلك العقوبات، إذ لم يتم تحويل هذه الغرامات في نفس السنة بل بقيت لتاريخ 16 مارس 1926¹²⁴، كأنها ديون أصبحت تؤدي من قبل القبائل على شكل دفعات، جعلت ساكنة القبيلة تعيش بين تبعات الأمس وواقع السيطرة الفرنسية في الحاضر.

هذه الغرامات كما تمت الإشارة ستتجدد تبعا لعودة القبائل المقاومة لحضيرة السيطرة الفرنسية، وإدخال بعضها بشكل نهائي تحت النفوذ الفرنسي، كقبيلة مثوية التي كانت من بين أبرز الفاعلين من قبائل المنطقة في ربط جسور تنسيق المقاومة بين الريف وورغة، نظرا لما قدمته من دعم للمقاومة وصعوبة السيطرة عليها في ظل الانفلات الحدودي -لكونها تجاور صنهاجة السراير، فمعا شكلتا حلقة الربط بين القبائل الريفية وباقي قبائل ورغة العليا-، ونظرا لخصوصياتها المحلية حيث تتوزع القبيلة بين لوطا والجل، وبانتهاء حرب الريف وإضعاف الزخم القادم من الحدود إلى منطقة ورغة العليا، استطاعت فرنسا تطويق المجال الوردية الأعلى بشكل نهائي لتعمل على تأديب القبائل بضربها في قدراتها الاقتصادية، التي هي في الأصل منهارة بفعل الحرب فجاءت الغرامات الجديدة على الشكل التالي¹²⁵:

مزيات - رغبة - مزاوة : 30070 فرنك

¹²³- A.M, dossier Amendes de guerre N° V, Direction des Affaires Indigènes, Lettre n° 1290 RC, 12/12/1925, sujet : **les Amendes de guerre : tribu du Cercle du Haut-Ouergha**, Région de Fès, 1926.

¹²⁴ -ibidem

¹²⁵-A.M, dossier Amende de guerre n° V/2, Direction des affaires indigènes, Lettre N° 1733R, du Général de CHAMBRUN le Général Commandant supérieur les Troupes du Maroc aux Messieurs le Général Cdt le Groupement de Fès et le Résident Général, sujet : **les Amendes de guerre infligées aux tribus du Cercle du Haut-Ouergha**, 23 Septembre 1926.

مثنوية : 29150

أولاد عمران : 20540 .

ارتقى مجموع الغرامات المفروضة على قبائل دائرة ورغة العليا إلى 101040 فرنك فرنسي، والملاحظ من هذه الغرامات، هو أنها قد تجددت على بعض القبائل كأولاد عمران ومزيات ورغيوة، وهو الأمر الذي يحيل على إعادة تقدير قيمة العقوبات السابقة، ليتم رفعها تبعاً للمؤهلات الاقتصادية لهذه القبائل التي ربما حققت نوعاً من التعافي، فأراد المستعمر الحد من ثرواتها والعمل على تفقيها تماشياً مع سياسة تركيع هذه القبائل، أو لاعتبارات مرتبطة بالخوف من عودتها للمقاومة إبان اشتعال الأوضاع بصنهاجة السراير، التي كانت تعمل القوات الإسبانية على السيطرة عليها ما جعل الأوضاع غير مستقرة كلياً، وبذلك إظهار سلطات الحماية رحمتها في تلك الغرامات الأولية لتعود بعد هدوء الأوضاع لإظهار قسوتها الحقيقية ، فالمحصول السنوي كان ممكناً أن يدرج الاقتطاع منه ضمن ضريبة الترتيب وليس غرامة حرية، وهو ما يؤشر على عقاب أكثر مما هو إحصاء جديد لمداخل تلك القبائل والقيام بأخذ العشر منها.

الفصل الثاني: الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة، والمنافسة الريفية.

زحف القوات الفرنسية للسيطرة على المجال "الورغي الأعلى" لم يكن بذاك الأمر اليسير، فمنذ البداية صادفت هذه القوات مشاكل عديدة أثرت على سير تحركها وعملياتها الميدانية كانت أولاها بتواجد زعماء للمقاومة عملوا على تشكيل مجموعات مقاومة لمواجهة هذا التحرك من قبيل المقاومة التي قادها الحجامي¹²⁶ وعبد المالك وغيرهما، فمنطقة ورغة العليا شكلت نقطة خلفية مهمة لدى قادة المقاومة، حيث كان يتم العمل على استقطاب قبائل المنطقة واستمالتها لهذه المجموعات المقاومة، أو اتخاذها كنقطة ارتكاز خلفية لهروب المقاومين إليها أثناء الزحف الفرنسي لرص الصفوف مجدداً - فمثلاً أمام عزم الفرنسيين على احتلال قبيلة الحياينة اضطرت عناصر المقاومة من فرقة أولاد عيسى إلى الفرار صوب قبائل ورغة العليا-¹²⁷، وبذلك فالمنطقة كانت مهمة في تحقيق التزود بالعنصر البشري لفرق المقاومة وتنظيم الصفوف، وكذا توفير مجال ملائم للقيام بعمليات الكر والفر صوب مناطق التواجد الفرنسي ومناوشته.

انطلقت فرنسا في إخضاع قبائل ورغة العليا وفقاً لخطط واستراتيجيات استعمارية مدروسة، تقوم على مبدأ السيطرة على المنطقة بأقل التكاليف الممكنة، مركزة على القبائل الراضية للخضوع، لكن أهمية المنطقة حدوديا وعسكريا مع بروز التهديد الريفي، سيفرض على المؤسسة العسكرية الفرنسية التنوع من أساليبها في "تهدئة" المنطقة، كما أن الأوضاع الميدانية أثرت بشكل كبير على نسق سير العمليات العسكرية الفرنسية وكذلك خططها خاصة أمام دخول المقاومين الريفيين إلى المنطقة لتحقيق السبق أمام الفرنسيين، إذ لم تتمكن القوات الفرنسية من السيطرة على هذا المجال إلا عبر مراحل عرفت خلالها فرنسا أحلك الفترات المصيرية التي هددت تواجدتها بالمغرب.

¹²⁶ - هو الشيخ الحجامي العمراني من شرفاء قبيلة الجاية شمال شرق فاس قرب بني زروال، وينتمي إلى السيد عبد الله الحجامي دفين زرهون بزواوية مولاي إدريس الأكبر، ازداد حوالي سنة 1864 وتوفي حوالي سنة 1941، نشأ في وسط محافظ متدين، حفظ القرآن بدار أبيه بزواوية بوليد ثم انتقل إلى جبل أعلام بجوار زواوية الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش، حيث تتلمذ على يده أشهر الشيوخ المتصلين في العلوم الإسلامية والصوفية، وبذلك أصبح يحظى بشعبية وثيقة من طرف القبائل المجاورة، كما توفرت لديه جميع شروط الزعامة والقيادة من علم وترف وجاه وثقة الناس. للتعرف أكثر أنظر: - أحمدوش عبد الكريم، قبيلتنا مزيات وامثوية، بوابة طريق الوحدة بين تاونات واكتامة، معلم ومدرسة لأجيال الأمة المغربية، مطبعة أميمة، ط.1، فاس، 2014، صص. 113-206

¹²⁷ - A.M, R.M.P, Septembre 1913, p.2 / Octobre 1913, p.2

المحور الأول: الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة 1913-1924

ساهمت عدة عوامل في تقدم أو تأخير التوغل الفرنسي بمنطقة ورغة العليا، تبعا لعدة تحاذبات وأحداث دولية ومحلية، ففترة الحرب العالمية الأولى أثرت على قوة وعُدّة الجيش الفرنسي المتواجد بالمغرب وبذلك تراجعت وتيرة تقدمه بمنطقة ورغة، بعد أن وضع موطئ قدم له بتيسة منذ سنة 1913م قصد التمهيد للتوغل صوب قبائل ورغة، إضافة إلى عامل المقاومة المحلية وكذا تقدم المقاومة الريفية بالمنطقة لدعم المقاومة المحلية.

1- الوضع الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918

1-1. حتمية الحرب العالمية وأثرها على القوات الفرنسية بالمغرب

اندلاع الحرب العالمية الأولى حتم على الحكومة الفرنسية خفض جنودها بالمستعمرات، وإلحاقهم بساحات المعارك الأوروبية، والدخول فيما يعرف بالتعبئة الشاملة، ففي عشية 27 يوليوز 1914 تلقى ليوطي برقية من وزير الخارجية جاء فيها "في حالة الحرب يجب أن تهدف كل جهودكم إلى الاحتفاظ في المغرب بالحد الأدنى للقوات، التي لا يمكن الاستغناء عنها، إن مصير المغرب يتقرر في اللورين، وينبغي أن يقتصر إحتلال المغرب على موانئ الشواطئ الرئيسية، وإذا كان ممكنا على خط المواصلات: خنيفرة، مكناس، فاس، وجدة، وينبغي إخلاء كل المراكز والثغور الأمامية، إن واجبكم هو إجلاء الفرنسيين والأجانب من الداخل ونقلهم إلى الموانئ لتأمين سلامتهم"¹²⁸، كما تلقى رسالة أخرى من وزارة الحربية تم فيها تحديد عدد القوات التي يجب أن يحتفظ بها ليوطي والتي حددت في 28 فيلق، وضرورة التخلي عن المراكز الثانوية وهو الأمر الذي يحتم التخفيف من الزخم العسكري الموظف في مواجهة المقاومة، وتبطيء مسار التقدم العسكري تفاديا للتعرض لهزائم مفاجئة.

¹²⁸ - Lyautey Pierre, *Lyautey l'Africain : texte et lettres du Maréchal Lyautey 1913-1915*, T.II, Librairie Plon, Paris, 1954, p.228.

أمام هذه الضغوط على ليوطي من أجل مد الجبهة الأوربية بالجيش، وتشبته بالحفاظ على المغرب الذي يعتبره بداية كتابة مجده، أرسل برقيات في يوم 30 يوليوز وهي بمثابة أسئلة مباشرة لكل من الكولونيل Peltier (المسؤول عن منطقة الجديدة، آسفي)، و Gueydon (الدار البيضاء)، ولكل من الجنرالين Brulard و Henrys (Meknes)، يستفسرهم عن ما يلزمهم للاحتفاظ بالمدن، والإمكانات اللازمة للحفاظ على ما حققته فرنسا من تقدم في المغرب، فكان الملاحظ في إجاباتهم هو ضرورة الحفاظ على المراكز الأمامية خارج المدن الكبرى التي تعمل على مراقبة القبائل ومواجهة تحركها، كما هو الشأن لـ Henrys الذي قال بأن القوات التي سيتم سحبها لن تؤثر كثيرا ما دام الاحتفاظ بجبهة خفيفة وتادلة ساريا¹²⁹.

أمام هذا المستجد قام ليوطي بإرسال 37 كتيبة من المشاة، إضافة إلى فرقة من الخيالة، وست بطاريات من المدفعية ومعدات للهندسة والاتصال إلى فرنسا، في حين احتفظ في المغرب بـ 23 كتيبة للمشاة، وعدد قليل من فرق الخيالة وبعض البطاريات، وشكل مجموع ما تم الاحتفاظ به 40000 رجل يقودهم مجموعة من الضباط والقادة العسكريين كـ Brulard وأومبير Humbert وبويميرو Poeymirau وگورو Gouraud¹³⁰.

فتقلص عدد القوات العسكرية بالمغرب ونقلها صوب الجبهة الأوربية، جعل سياسة المستعمر يعرفون اضطرابا، وهو ما حدا بالإقامة العامة إلى نهج أسلوب السياسي كاستراتيجية مهمة للحفاظ على المكتسبات، وكان يقود هذا العمل مجموعة من المخبرين الفرنسيين، الذين كانوا متواجدين بالمنطقة¹³¹.

فقد اتضح بشكل جلي بعد انهزام القوات الفرنسية بمعركة "الهرري" في نونبر 1914، بأن العمل العسكري لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كلي، وأن القوات يجب أن توضع في وضعية الدفاع ونهج أسلوب الحملات المضادة،

¹²⁹ - BARTHOU Louis, *La Bataille du Maroc*, Librairie Edouard champion, Paris, 1919, p.26

¹³⁰ - COUSSIN capitaine, *vers Taza : souvenir de deux ans de campagne au Maroc*, Librairie Militaire Universelle, Paris 1922. p.284

¹³¹ - A.M, R.M.P, Avril 1913, p.4

والاعتماد على التحرك الخفيف¹³²، وإعطاء الأولوية للعمليات الاستخبارية ودراسة ومعرفة خصائص المجال ومؤهلاته البشرية¹³³، وشكل العلاقات والروابط التي تجمع بين العناصر المحلية.

1-2. إجراءات ليوطي لتجاوز مخاطر نشوب الحرب العالمية على جبهاته في المغرب

عمل ليوطي بشق الوسائل لإبعاد المغاربة عن الاهتمام بالحرب العالمية الأولى ومعرفة تطوراتها، وذلك من خلال ما أفصح عنه بسياسة إظهار الإبتسامة، والتظاهر بعدم الاهتمام لما يجري بأوربا بحيث تستمر الحياة بشكل عادي لكي يأخذ المغاربة انطبعا بالأمان والطمأنينة حسب زعمه، حيث حافظ ليوطي على أسلوب عمله وحياته دون تغيير، كي يحيل على أنه واثق من انتصار بلاده وحلفائها في هذه الحرب¹³⁴، ويتضح ذلك من خلال تبني ليوطي لبرنامج الأشغال الكبرى ونهج سياسة المعارض الكبرى والتظاهرات التجارية، وتحسيس "الأهالي" باهتمام فرنسا بوضعهم الاقتصادي، والعمل على التخفيف من معاناتهم من خلال قيامه بزيارة لعين شكاك في 13 يونيو للاطلاع على حالة المزروعات الفلاحية، كمظهر من مظاهر تسويق الإدارة الفرنسية لمدى انشغالها بأحوالهم، حيث أن ليوطي كان يعتبر بلا شك، أن الإشكالية الاقتصادية هي بمثابة مهيج قوي في حالة استمرار التدهور الاقتصادي¹³⁵.

ظهر قلق واضح على ليوطي وهو يلبي نداء الحكومة الفرنسية، وهو ما أبداه من خلال تحليله للوضعية العسكرية والسياسية بالمغرب بعد مغادرة الأفواج الأولى من الوحدات العسكرية صوب الجبهة الأوربية، أمام رغبته في الحفاظ على القوات اللازمة للحفاظ على مكتسبات فرنسا العسكرية، وضمان استمرار الربط بين مراكزها، في ظل بروز الاضطرابات بعديد المناطق بفعل هذا النقص العسكري¹³⁶، فاستمرار السيطرة الفعلية للقوات الفرنسية على أرض الواقع كان رهينا بعدة عوامل منها:

¹³² - VIAL Jean, **le Maroc Héroïque**, Librairie Hachette, Paris, 1938, p.105

¹³³ - A.M, R.M.P, Avril, 1913

¹³⁴ - RIVET Daniel, **le Maroc de Lyautey à Mohamed V : LE DOUBLE VISAGE Du protectorat**, Ed. Noël, Paris 1999, p.72

¹³⁵ - A.M, R.M.P, Juin 1918, p.1

¹³⁶ - A.M, R.M. P, Août 1914, p.12

-وضعية القوات العسكرية الفرنسية في الجبهة الأوربية، فأى انتصار لفرنسا يسهل هذه المأمورية.

-الاحتفاظ بالجبهة الأمامية يبقى ضرورة ملحة، خاصة مع ما أثارته عمليات إفراغ المغرب من عديد الوحدات العسكرية، وما خلفه هذا الأمر من قلق وريب لدى ساكنة القبائل والمدن الخاضعة، مع تسرب الدعاية الألمانية التي أدعت أخبارا حول إجبار ألمانيا لفرنسا على الانسحاب من المغرب، فكان إرسال القوات الفرنسية إلى الجبهة الأوربية ظاهريا يعطي مصداقية لهذه الدعاية، فشن المقاومون بقبائل الأطلس المتوسط هجمات قوية ضد القوات الفرنسية في كل من تازة وخنيفرة وقصبة تادلة، بغية التعجيل بهذا الانسحاب، "لقد بعثت مغادرة الجنود الأمل في نفوس المقاومين فضاغفوا نشاطهم"¹³⁷.

من جهة ثانية عمدت الإدارة الفرنسية إلى تضليل المغاربة، وإيهامهم بأن عدد القوات الفرنسية لا زال ثابتا ولم ينقص، حيث أصدر المقيم العام أمرا بتجنيد الفرنسيين المتواجدين بالمغرب تم نشره بجريدة السعادة¹³⁸، حيث " قررت الوزارة أن جميع الفرنسيين القادرين على حمل السلاح من أي سن كانوا الموجودين بالمغرب، أن يكونوا تحت سلطة الحرية في منطقة الحماية لأجل الدفاع." وقد قام المقيم العام بحضور استعراض لتجريدة عسكرية من الفرنسيين المجندين بالرباط تضم حوالي 25000 رجل بحضور عدد مهم من أعيان المخزن¹³⁹.

أمام النقص الكبير في أعداد القوات الفرنسية، عمد ليوطي إلى جعل الوحدات العسكرية في حالة إستنفار قصوى، مع تنظيمها في فرق لإظهار القوة وتطويق تحركات المقاومين في مناطق محصورة ومنعزلة عن مناطق أخرى، كخاصية اعتمدت على مبدأ إظهار القوة ومحاولة إيهام المقاومة أن فرنسا قادرة على القتال على جبهات مختلفة، وهذا يرجع بالأساس إلى توظيف هذه القوات على شكل ما يعرف بـ"الفرق المتحركة"، التي هي بمثابة آلة حرية مركبة تتوفر على عتاد حربي ولوجيستكي وتنظيم مضبوط لها أهداف محددة تجمع بين الخصائص العسكرية والاستخباراتية

¹³⁷ - A.M, R.M.P, Août 1914, p.12

¹³⁸ - جريدة السعادة، العدد 759، 4 غشت 1914، ص.1

¹³⁹ - جريدة السعادة، العدد 760، 5 غشت 1914، ص.1

والاستقطابية للأهالي، وتعتمد على مبدأ سرعة التحرك والقيام بعمليات مشتركة مع فرق أخرى، تهدف من خلالها إلى تسطير نقطة محددة يكون فيها الالتقاء وبذلك تحقق الهدف، فهي كانت: " بمثابة مصنع تقوم بكل شيء وكما يجب، تحقق نتائج جيدة وتمكن من تحقيق الأقصى في أقل وقت ممكن".¹⁴⁰

3-1. الاستراتيجية الفرنسية المتبعة بالمنطقة

أمام وصول القوات الفرنسية لمنطقة تيسة وإنشاء مركز للاستعلامات بها سنة 1913م، بدا جليا الرغبة الواضحة لهذه القوات للتقدم صوب مناطق المرتفعات باتجاه ورغة العليا، والاشتغال استخباراتيا على عديد قبائل الضفة اليمنى لورغة خاصة قبيلتي مزيات وصنهاجة مصباح، التي كانت تخطط للتقدم صوبهما عسكريا¹⁴¹، إلا أن نشوب الحرب جعلها تركز على العمل الاستخباراتي والاشتغال المتأني على القبائل سياسيا بالدرجة الأولى، فالمؤسسة العسكرية كانت تدرك إمكانياتها المادية وحجم عتاها القتالي، لذلك كانت تعمل على عدم الدخول في خطوات غير محسومة النتيجة لصالحها، وارتكزت على الخطة الدفاعية التي شكلت عقيدة الجيوش الفرنسية المرتكزة على بناء الحصون والمراكز العسكرية، كركيزة أساسية للانطلاق نحو الهجوم، وقد ارتكزت هذه القاعدة حسب أوغستان غيوم حول:

- تطوير المنطقة
- حشد القوات الكافية في القواعد الثابتة من أجل تقوية الجانب الدفاعي
- استنفار القوات المتحركة من أجل مهمة اختراق جبهة المتمردين¹⁴².

الواضح أن القوات الفرنسية كان همها الأساسي هو الحفاظ على مركز تيسة، في ظل اهتمامها بجبهات مشتتة، خاصة بالأطلس المتوسط، والحفاظ على المراكز المتقدمة التي تحمي فاس من السقوط في يد القبائل المقاومة، وقد لعبت

¹⁴⁰ - RIVET D., *Lyautey et l'institution*, T2, op.cit, p.73

¹⁴¹ - A.M, R.M.P, Mars 1913, p.5

¹⁴² - بوزويّة سمير، الاحتلال العسكري الفرنسي للمغرب: دراسة في الاستراتيجية العسكرية 1912-1934، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كنانبرانت، ط.1، الرباط، 2007، ص.72

القوات الفرنسية من خلال هذا المركز دور الحكم في الخلافات التي تنشأ بين القبائل، قصد استمالتها كما هو الشأن بالنسبة للخلاف الذي كان قائما بين فرقتي الهارجة والعصارة من قبيلة الحياينة بعد تدخل عقيد الدائرة وهو ما أسهم في انضوائها تحت لواء القوات الفرنسية¹⁴³، كما اعتمدت القوات الفرنسية على الفرق المتحركة لتسديد ضربات استباقية لعناصر المقاومة وزعمائها خاصة "الروكي" و"الخليشي" اللذان كانا يعيقان تقدمها صوب الشمال، حيث اعتمدت على فرقة متحركة من تيسة وأخريتين من بوسيليو وعين بركات بقيادة اللواء كُورو **Goroud** بهدف ضمان ولاء جميع فرق قبيلة الحياينة والقضاء على الموالين للحكامي، وفي مسار تحرك الفرق الثلاث تم استقطاب قبيلة رغبة وصنهاجة من قبائل ضفة واد ورغة بالدخول معهما في تواصل الذي اعتبره الفرنسيون مكسبا لتحركاتهم¹⁴⁴.

أمام هذه الاستراتيجية المبنية على محاصرة القبائل بالمراكز العسكرية ومحاولة الحد من تحركاتها وتضييق الخناق عليها بالمرتفعات، نهجت القوات العسكرية الفرنسية سياسة تتماشى مع العمل العسكري، تتمثل في فتح مجال التجنيد في وجه المغاربة والذين يطلق عليهم إسم الأنصار (البرطيزة)، حيث كان يتم استقطابهم من القبائل التي تم إخضاعها، كتعبير من تلك القبائل عن مهادنتها للقوى الاستعمارية، وهو ما يلاحظ أثناء الاطلاع على التقارير الفرنسية، حيث كان يتم الاستعانة بفرق من "الأنصار" التي تدمج فيما يسمى بـ الكُوم و"البرطيزة" (الأنصار)، معتمدة على الفرق التي خضعت من الحياينة¹⁴⁵ وفي بعض الأحيان على بني سادن.

بتتبع ما ورد في التقارير الشهرية الفرنسية، فقد أعطيت لمسألة ما يروج من أخبار بالجبهة الشمالية لفاس حول أوضاع فرنسا وأوربا وفي مواجهة عبد المالك حيزا مهما من كل تقرير، حيث تشير إلى أن ساكنة فاس لا تبالي بالأخبار التي تصل عن أوضاع قوات فرنسا بالجبهة الأوربية¹⁴⁶، هذه الطمأنينة التي تحملها التقارير ماهي إلا خوف يتم التستر

¹⁴³ -A.M, R.M.P, Avril 1914, p.2

¹⁴⁴ -A.M, R.M.P, Mai 1914, p.2

¹⁴⁵ -A.M, R.M.P, Juin, 1917, p.2

¹⁴⁶ - A.M, R.M.P, Septembre 1915, p.6

عنه حول إمكانية خروج الأوضاع بالمدينة ومحيطها عن السيطرة، وإلا لما سيتم الحديث عن ما يروج من أخبار داخل المدينة وجس نبض الساكنة حول ماهية الأحداث التي تصل إليها وكيف يتم قبولها وتحليلها .

فالتقارير في حقيقة الأمر تحاول إخفاء حقيقة وضعية فرنسا بجبهتها المشتعلة أوريبا، حيث تستشف هذه

الحقيقة من تقارير أخرى، "الشائعات التي راجت بين ساكنة المدينة حول الحرب العالمية الأولى لم نعمل على تكذيبها حتى لا تبدو بأنها حقيقة"¹⁴⁷.

¹⁴⁷ - A.M, R.M.P, Novembre 1915, p.3

2- زعماء المقاومة ودورهم في تأخير الاحتلال الفرنسي

لعب زعماء المقاومة الذين قاومت القبائل تحت قيادتهم بالمنطقة، دورا بارزا في تأخير التقدم الفرنسي صوب مجال الدراسة، في ظل انشغال القوات الفرنسية بجهات مختلفة، وهو ما لم يمكن الفرنسيين من تحقيق السيطرة على قبائل المنطقة بقوات محدودة، إلا بعد أن استعملت كل إمكانياتها المتاحة بالمغرب، وكذا الاستعانة بما يوجد في مستعمراتها الجزائر، للقضاء على أشكال المقاومة المسلحة بقبائل ورغة العليا، والتي كان على رأسها إسقاط المقاومة الريفية، فقد شكل عبد المالك ومحمد بن عبد الكريم الخطابي من بين أهم رموز الرفض للتواجد الفرنسي بالمنطقة، على الرغم من عدم وجود توافق بين الشخصين حول دمج المقاومة، تبعا لزاوية رؤية كل طرف للآخر والجهة التي يجب الاستعانة بها لمجابهة المستعمر¹⁴⁸.

2-1. عبد المالك والتحالفات، التحدي الصعب:

انشغلت فرنسا بشكل واضح بما يدور بشمال فاس، ومعها منطقة ورغة العليا، نظرا لأهميتها في كونها المنفذ الرئيسي للحرب النفسية على القوات الفرنسية المتواجدة بفاس ومناصيرها من ساكنة القبائل، مخافة قيام انتفاضة نتيجة لما قد يروج من أخبار عن هزائم قواتها في مواجهة عبد المالك أو بالجبهة الأوربية ضد ألمانيا، وهو الأمر الذي دفع القوات الفرنسية في جانبها الاستخباراتي على وجه التحديد إلى التفتن لدور هذا الزعيم، ورصد القبائل التي هي على استعداد تام للانخراط معه في مشروع "إشعال حرب مقدسة"، بدعم ألماني يرتكز بالأساس على التمويل والدعاية، وكذا تشجيع القبائل للوقوف في صف عبد المالك، حسب المنظور الفرنسي¹⁴⁹.

¹⁴⁸ - أنظر الجزء الخاص بالتقدم الريفي صوب المنطقة.

¹⁴⁹ - A.M, R.M.P, Juillet 1915, p.1

شكل تحدي وجود عبد المالك كزعيم للمقاومة الجبلية، وتحالف بني وراين مع قبيلة غيائة لمهاجمة قبيلة الحياينة، من أهم التحديات التي أرقت الفرنسيين ودفعتهم إلى التفكير دائما في سبل دحر هذه التحالفات في معارقلها، والقيام بعمليات إستباقية ضد عناصر المقاومة أثناء تجمعها أو تحركها¹⁵⁰.

كانت فرنسا تعتبر عبد المالك امتدادا للتهديد الأوربي، وبوقا للدعاية الألمانية وأداة لمخططاتها، حيث عملت بدورها على الترويج لهزائم عبد المالك وحلفائه الألمان، كشكل من الدعاية المضادة والعمل على التقليل من خطورته في نظر ساكنة فاس¹⁵¹، فقد أعطيت أهمية لرصد ما يقع بالمجال الورغي لما له من دور في تحقيق الربط مع الجبهة الشمالية التي تعتبر مقر الدعاية الألمانية ومنطقة الدعم الرئيسية لعبد المالك لتجنيد أنصاره من المجال الورغي¹⁵²، وأبان الجهاز الاستعماري عن تخوفه من نسج هذا الزعيم لعلاقات مع قبائل الشمال، التي يفترض أن تكون خاضعة للسيطرة الفرنسية، بعد تخليه عن التحرك بمحيط تازة، رغبة في التقرب من الريسولي وهو ما تسبب في زعزعة نفوذها بشمال ورغة.

تحركات عبد المالك جيئة وذهابا بين منطقة تازة وفاس، زاد من حدة تأهب القوات الفرنسية لرصد تحركاته، التي كانت كلها إن تم التمعن فيها تمر من البرانس وصنهاجتي مصباح وغدو، مروراً برغوية ومزيات ومزراوة وصولاً لتخوم الحاية وبني زروال، وبالتالي لم يكن هذا التحرك سوى عبارة عن حزام من المقاومة أريد منه تطويق معارقل القوات الفرنسية بكل من عين معطوف وتيسة وقلعة سلاس والقبائل الخاضعة خاصة قبيلة الحياينة، وقد عمل عبد المالك على اتخاذ إجراءات عقابية ضد القبائل المستسلمة كما هو الشأن بالنسبة لقرية بني وليد، التي أعلنت خضوعاً مبدئياً للقوات الفرنسية، حيث عمل على دعوة قبيلة لبرانانس إلى توقيف أي وليدي يكون قادماً إليها¹⁵³، الشيء الذي يحيل على أسلوب تأذيي، وضمناً هو تحد للقوات الفرنسية في حالة عجزها عن ضمان الأمان للقبائل المستسلمة،

¹⁵⁰ - A.M, R.M.P, Janvier 1917, p.5

¹⁵¹ - A.M, R.M.P, Février 1916, pp.8-9

¹⁵² - A.M, R.M.P, Juin 1916, p.7

¹⁵³ - A.M, R.M.P, Novembre 1917, p.4

وأن هذا التحرك قد يشكل خطرا عليها، في حالة وُفق في التنسيق مع جباله لتهديد الحيانة وشرأكة، الأمر الذي جعل القيادة الفرنسية تدعو إلى الاهتمام أكثر بتتبع حملاته التي يمكن من خلالها أن يقلب الأوضاع بورغة في أية لحظة¹⁵⁴.

اتضح جدياً تهديد عبد المالك للمصالح الفرنسية بوصول تأثيره إلى تخوم الحيانة، فعمل الجهاز الاستخباراتي بعين معطوف على طمأننة صنهاجة والقبائل المجاورة بعدم الإكتراث لدعايته، لكن هذا الأمر لم يمنع من حدوث انشقاقات في قبيلة الحيانة نفسها التي كانت تحت السيطرة الفرنسية، وهو ما يحيل على حرب دعائية إخبارية بالدرجة الأولى كانت تجعل فرنسا متوجسة منها أكثر من أي سلاح، مخافة خروج الأمور عن السيطرة بنواحي فاس لنتقل إلى فاس، ما دفعها إلى القيام بعمليات دقيقة يومي 13 و 29 يونيو 1918 من طرف الفرقتين المتحركتين لفاس وتازة ضد عبد المالك بالمنطقة الشمالية، لإعادة الأمور إلى نصابها، توجت بإخضاع قبيلة صنهاجة الشمس التي توجد بها 5000 بندقية و 1500 شخص من المقاومين التابعين لعبد المالك¹⁵⁵.

وضعت القوات الفرنسية منذ تمركزها بتيسة صوب أعينها الزحف صوب بني وليد ومناطق الضفة اليمنى لورغة، حيث أعلنت هذه القبيلة خضوعها المبدئي كما قامت ببناء مركز عين معطوف كنجاح لتقدمها، والتفكير في بناء مركز بالقرب من قصبة عين مديونة لتطوير التنظيم المخزني بالمنطقة، وهو ما سيساعد في وضع موطئ قدم للتقدم صوب محاصرة قبائل ورغة والالتفاف عليها، وأمام اشتداد الحرب بالجبهة الأوربية واحتدام الصراع الفرنسي الألماني وازدياد الضغط على القوات الفرنسية للتوجه صوب الجبهة الفرنسية، اكتفت القوات الفرنسية بنهج سياسة إقامة المناطق العازلة لحماية ما يوجد تحت سيطرتها، وتجنب الاصطدام المباشر مع المقاومين، والاعتماد على الأعيان والشرفاء كسيدي محمد الوزاني لضبط ميول المقاومة بقبيلة الحيانة، بتوظيف الطرق السياسية لتفادي اللجوء للتدخل العسكري¹⁵⁶.

¹⁵⁴ - A.M, R.M.P, Octobre 1917, p.4 et p.6

¹⁵⁵ - A.M, R.M.P, Juillet 1918, p.1

¹⁵⁶ - A.M, R.M.P, Mars 1917, p.3

فالملاحظ أن الاعتماد على سياسة التقرب من الأعيان واستمالتهم، كان لها دور كبير في الإبقاء على التواجد الفرنسي بالمنطقة في أحلك فتراتهما، لما قدموه من خدمات في الحفاظ على منجزات القوات الفرنسية، كما هو الحال بالنسبة لسي محمد بن المكي الوزاني وقائد مثوية الداودي، بفضل حضورهما القوي بقبائلهما في مواجهة تأثير عبد المالك¹⁵⁷.

وبذلك لم تستكن القوات الفرنسية، خوفا من دعاية عبد المالك وتأثير أخباره القادمة من صنهاجة ومثوية ومزراوة على منطقتها¹⁵⁸، إلا بعد نهاية الحرب لطمأنة القبائل الخاضعة لها، وعدم إمكانية انتقام عبد المالك وحلفائه وأن أي مقاومة ستقوم ضدها ستكون متأهبة للقضاء عليها¹⁵⁹.

وقد مكن بناء مركز عين معطوف سنة 1917 من وضع القوات الفرنسية لاستراتيجية مستقبلية لغزو منطقة ورغة العليا من جانبها الأيمن (الشمال)، حيث سيقوم قائد ملحقة الحياينة برفقة مخزن عين معطوف بإنجاز أولى الجولات الاستطلاعية بقبيلة مثوية وجبل تاونات، مروراً بتخوم واد تاغروت، انتهت باحتياز مرتفع الجنوب الشرقي لبني زروال، للتعرف على مزراوة عبر سهل مزيات، وتواصلت هذه الجولة بزيارة منطقة عين مديونة¹⁶⁰، كاستراتيجية واضحة تهدف إلى تطويق المنطقة والسعي لكسب أبرز رجالات هذه القبائل للتأثير في قبائلهم لقبول الزحف الفرنسي مستقبلاً صوبها دون اللجوء إلى الاصطدام.

بحلول شهر مارس من سنة 1919 ستصطدم القوات الفرنسية بجندية المقاومين في طردها، بظهور زعماء قادوا مقاومة شرسة ضدها، كما عملوا على ضرب منجزاتها السياسية عبر قيام القيادات المحلية بمهاجمة القبائل التي اعتقد الفرنسيون خضوعها التام، مستغلين في ذلك ترميز القوات الفرنسية بمنطقة تافيلالت، حيث عبر عن ذلك التقرير الفرنسي في تذكيره بما وقع بالمنطقة " في نهاية مارس 1919، نشب صراع بين الخاضعين وغير الخاضعين من

¹⁵⁷ - A.M, R.M.P, Septembre 1918, p.3

¹⁵⁸ - ibidem.

¹⁵⁹ - A.M, R.M.P, Novembre 1918, p.1

¹⁶⁰ - ibidem.

مشيوة وصنهاجة، أصبح يتصاعد، ينتشر، ويجذب إليه مريسة وبني عمارت وترجيست، وريفيين وعدد ممن وظيفتهم التحريض: الخمليشي زعيم زاوية ترجيست، مامون الشنجيطي، خصم الجنرال غورو Gouraud في 1913، حميدو الوزاني من زاوية صنادة، يزيد البقالي، ليوتنان عبد المالك. الزعماء و المناصرين لم يلمحوا شيئا سوى النهب المثمر لفاس ولأسواقها، هم لا يجهلون انشغال الجزء الأكبر من قواتنا في عمليات شاقة بتافيلالت¹⁶¹، وقد أدى هذا الضغط من عناصر المقاومة إلى مهاجمة سرية من المشاة وشعبة 65 على بعد 2 كلمتر، أدت إلى محاصرة قصبة عين مديونة 5 أيام وليالي، استطاع المقاومون خلالها طرد الفرنسيين منها، فتراجعت القوات الفرنسية صوب مركز عين معطوف.

وبحلول شهر مارس من سنة 1920 سيستمر عبد المالك في تهديد القوات الفرنسية بشكل "أكثر تهديدا وجنونا" حسب الإعتراف الفرنسي، مفسرا ذلك بكون عبد المالك يتلق الدعم والسلاح القادم من تطوان، على أساس الرواية الفرنسية التي تقول أنه يعمل لحساب الإسبان ضد الفرنسيين، الذين حاولت مراكزهم الدخول معه في مفاوضات، فقد كان يتلقى ما يحتاجه من مال في معقله مولاي عين الجنان (رغيو)، واعتبر الجهاز الاستخباراتي الفرنسي أن هيئته ونفوذ هذا الزعيم أصبح يقل في مناطقه بعد يوليو 1921، بسبب رفضه الذهاب للريف والوقوف إلى جانب المقاومة الريفية، وهو الأمر الذي دفعه إلى التوجه صوب مريسة¹⁶².

2-2 الخطر الريفي وتأثيره على خطة فرنسا

لم تكن فرنسا تولي جبهة ورغة العليا تلك الأهمية الكبرى مقارنة ببقعة تازة أو مناطق تعرف احتداما شديدا للمقاومة، فهذا لا يعني أنها كانت تعتبر بالنسبة للقوات الفرنسية ليست مستعجلة، وأن ما يوظف من قوات فيها هو كاف لإشغال المقاومين في مناطقهم، أو أن فرنسا لم تكن تعمل جاهدة على الحضور القوي بالمنطقة ورصد ما يجري

¹⁶¹ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.II

¹⁶² -ibid, p.III

من تحركات المقاومين الريفيين وكذا الزعماء المحليين، بل أولت أهمية بالغة للعمل السياسي للاقتصاد في الجهد تبعا لمبدأ الأولوية من خلال: تقديم الوعود للقادة والزعماء المحليين بالقبائل المتواجدة شمال فاس، بترقيتهم وتمكينهم من تثبيت نفوذهم على قبائل المنطقة، مقابل نجاحهم في المساعدة على مد نفوذها، وهو ما سيتضح من خلال الاتفاق الذي أبرمه رئيس ملحقة الحياينة مع محمد بن المكي والقايد المهدي الداودي، كما كان ضمن الاتفاق طرف ثالث وهو سي أحمد الحمليشي الذي دخلت القوات الفرنسية معه في تواصل قصد استمالته للقيام بمهمة الوساطة بين سلطات الحماية وفخذات صنهاجة السراير (كتامة، بني سادات، بني بونصار بني أحمد، بني بشير)، كشخصيات مؤثرة في حوض ورغة¹⁶³.

التدقيق في جدوى قيام فرنسا بهذا اتفاقيات مع أعيان وزعماء قبائل، بعضها يوجد خارج منطقة ورغة العليا، مرتبط أساسا باستراتيجية عسكرية وسياسية لطالما طبقتها سلطات الحماية، تتمثل في تقديم الخطوط الأمامية وإنشاء ما يسمى بحائط الصد الأمامي للحفاظ على ما سيطرت عليه، فقيامها بالإتصال سياسيا بقبائل صنهاجة، ما هو إلا لأهميتها كخط دفاع متقدم، لصدهجمات المقاومة التي تتزايد بشكل مستمر باتجاه كل من قبيلة بني زروال وقبائل ورغة العليا التي تتصل معها حدوديا، فتقدم المقاومة الريفية صوب صنهاجة السراير جاء لكونها كانت تحتل أهمية قصوى لجميع الأطراف المتصارعة بالمنطقة من قادة وزعماء ومستعمر، في انتظار ما ستفرز عنه المواجهات بالريف¹⁶⁴.

وجود احتمال انتصار المقاومين بالريف على الإسبان، كان يعني ضمنا انضمام قبيلة صنهاجة السراير القوية إلى صفوف القبائل الريفية لتحريك فعلها المقاومتي باتجاه المناطق الوردية، وهو ما يعني حتما اشتعال جبهة فرنسا شمال فاس، وهو ما سيزيد نسق تسارع الفعل المقاومتي، وتهديد مستقبل تأثيرها سياسيا على قبائل ميثوة وصنهاجة مصباح ورغوية ومزيات ومزراوة، التي تُعتبر قبائل مؤدية مباشرة لمعاقلة العسكرية ومراكزها الاستخباراتية الأساسية بكل من تيسة وعين معطوف، الأمر الذي لا تريده فرنسا بالتأكيد، حيث ستفتح ثغرة في حدودها الاستعمارية بمحاذاة أشرس

¹⁶³ - A.M, R.M P, Février 1919, p.4

¹⁶⁴ - A.M, R.M.P, Mars 1919, p.4

القبائل بمقاومتها، التي سيكون مجال ورغة حلقة مركزية في أي تسرب عبره لمقاومة مشتركة صوب المناطق المحتلة، الأمر الذي سيجعلها ضربة قوية للمستعمر ومعه إمكانية استمرار قواته شمال فاس وبذلك تهديد معقل الحماية الفرنسية بفاس.

هذا التخوف من مستقبل غير واضح في ظل اشتعال المنطقة الإسبانية، سيحتم على القيادة الفرنسية اتخاذ مجموعة من الإجراءات، تحسبا لأي طارئ في جبهة ورغة، مع التقدم بشكل محسوب العواقب، من قبيل القيام بعمليات تمشيطية وعسكرية للفرق المتحركة بالضفة اليسرى للنهر، وخلق مراكز وحصون جديدة تمتد من منطقة تازة مروراً بورغة العليا وصولاً إلى قلعة سلاس بورغة الوسطى، مع استكمالها بإنشاء مركزي عين مديونة والدرادر في أبريل 1919¹⁶⁵، حيث بدأت القوات الفرنسية تستعيد مبادرتها في التحرك بالمنطقة بعد نهاية الحرب العملية الأولى، من خلال الانتقال إلى مرحلة تثبيت التواجد العسكري ميدانياً، عبر تشييد الحاميات والمراكز العسكرية، وهو ما يحيل على رغبة القوات الفرنسية في بناء حاجز وحزام أمني، لصد الهجمات المحتملة، إضافة إلى تثبيت فرقتين للمراقبة في **كلف GELF** غرب عين معطوف وأخرى في غارة "العلوة" لرصد تحركات المقاومين التي يمكن أن تستهدف قبيلة الحياينة، التي تريد القوات الفرنسية الحصول على هدوء دائم بداخلها¹⁶⁶.

توجس القوات الفرنسية من التوغل المقاوم الريفي صوب مناطقها سيظهر بشكل جلي في التقارير الفرنسية، من خلال عدم تركها تواجد أي تجمع ريفي يمر مرور الكرام، بالنسبة لجهازها الاستخباراتي والعسكري، تماشياً مع سياسة إظهار القوة، لإشعار المقاومين من المنطقة والريف بمراقبة فرنسا لهم، حيث كشف تقرير لشهر يوليو على أن توجه مقاومين ريفيين للتجمع بالواجهة المقابلة للحياينة، يرجع بالأساس إلى النقص الحاصل لديهم في المحاصيل الزراعية وهو ما يدفعهم إلى تهديد أمن القبائل المتاخمة لهم، التي تتوفر على أراضي خصبة¹⁶⁷، هذا الأمر سيدفع بسلطات الحماية

¹⁶⁵ - ROGER Homo, op.cit., p. 153

¹⁶⁶ - A.M, R.M.P, Mai 1919, pp.3-4

¹⁶⁷ - A.M, R.M.P, Juillet 1919, p.3

الفرنسية في شهر غشت 1919م أمام تزايد عدد الريفيين الوافدين باتجاه ورغة إلى إرسال الفرقة التابعة لتيسة في مناسبتين إلى عين معطوف، كإجراء استباقي واحترازي من أي هجوم محتمل، وفي الوقت نفسه مراقبة تحركات المقاومين الريفيين والمحليين، وكذا لجس مدى استمرار الولاءات ورصد التحركات السياسية لمعاونيها، حيث سيقوم مجموعة من وجهاء مرنيسة باستئناف مراسلاتهم مع كل من قائد مثوية والسيد محمد بن المكي الوزاني قائد صنهاجة، فأصبح العديد منهم في اتصال مباشر مع ضباط الاستعلامات بعين معطوف، حيث قاموا بتحذيرهم من الهجمات التي يود الريفيون القيام بها بتنسيق مع المقاومين المحليين على طول خط الإتصال الذي يربط عين معطوف بعين مديونة¹⁶⁸.

خلف الانتصار الكبير الذي حققه المقاومون الريفيون تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة أنوال يوليوز 1921 على القوات الإسبانية، وقعا كبيرا وإيجابيا في نفوس المقاومين المغاربة بمختلف المناطق، وخاصة بالمناطق الحدودية المجاورة لمنطقة ورغة العليا "بقبيلة مثوية"، وهو الأمر الذي يعني أن المدد المقاوماتي الريفي سيصل لا محالة للمناطق التي تعتبرها فرنسا ضمن حدودها الاستعمارية، حسب الاتفاق المبرم مع اسبانيا، في ظل عجز هذه الأخيرة عن صد زحف الريفيين وانشغالها بالدفاع عن ما تبقى في يدها.

هذا الانتصار الريفي سيدفع الجهاز العسكري الفرنسي إلى التفكير مليا في مسألة ورغة العليا والمخاطر المحتملة، حيث ستتابع العمليات بشكل مكثف بمنطقة تازة، قصد تحييد خطر قبائل المنطقة في تهديد خط الربط بين الجزائر والمغرب (ممر تازة)، ومراقبة القبائل التي هي مستعدة للمقاومة مجددا بعد "تهدئتها"، مخافة انفلات الوضع أمام عدم توفر عدد كاف من القوات¹⁶⁹، حيث اعتبر الفرنسيون أنه لم تكن هنالك مؤشرات تدل على ضرورة التدخل بأعالي ورغة في ظل خطورة الوضع بمنطقة تازة.

¹⁶⁸ - A.M, R.M.P, Août 1919, p.2

¹⁶⁹ - GUILLAUME A., **Homme de guerre**, Editions France-Empire, Paris, 1977, p.53

3- التقدم الفرنسي صوب المجال الورغي الأعلى (1924م)

عمدت القوات الفرنسية خلال سنوات 21-23 إلى تهدئة المناطق الحساسة لطريق امداداتها، وتفريق مناطق المقاومة بعزل معاقليها، وسخرت لها قوات ووسائل مهمة حققت من خلالها نتائج سياسية وعسكرية مهمة، فركزت هذه القوات على بناء القواعد العسكرية وجعلها مركزا لتثبيت التواجد الفرنسي درءا للهجمات المضادة، ومراقبة خضوع القبائل التي تتوفر على مؤهلات اقتصادية (المغرب النافع) مهمة، لضمان استمرار ولائها، حيث لم تقم القوات الفرنسية بتطبيق خطة الزحف صوب ورغة لسنة 1923 ظلنا منها على أنها ليست مستعجلة، في ظل الصعوبات المالية والتحديات السياسية والعسكرية بمناطق أخرى، حيث سيقدر ليوطي تحويل اهتمامه صوب ورغة بجانب عمل قواته على بقعة تازة، حيث أعطى تعليماته للقيام بعمليات عسكرية تهدف بالأساس إلى تقويم جبهة ورغة، وبذلك جعل عمليات ورغة تكون سابقة لعمليات "بقعة تازة"، نظرا لمحدودية القوات التي يمكن توظيفها، والتي لا تمكن من إنجاز العمليتين الآن ذاته، إضافة إلى العامل الطبيعي والجغرافي الصعب الذي تتميز به منطقة تازة، وهو الأمر الذي اعتبر غير مساعد في إنجاز عمليات بتلك المنطقة إلا مع نهاية فصل الشتاء الصعب، وبداية انشغال الأهالي بعمليات الحصاد، كما أن عدم التأجيل بالنسبة لليوطي كان نابعا كذلك بـ"سبب الوضعية التي خلفتها السياسة الإسبانية من جهة، وتحركات عبد الكريم (محمد بن عبد الكريم الخطابي) من جهة أخرى"¹⁷⁰.

3-1 دوافع تعجيل سلطات الحماية بالتوجه صوب ورغة

عدم إعطاء الفرنسيين لجبهة ورغة الأهمية اللازمة خلال سنوات سابقة لا يعني عدم وجود مقاومة بالمنطقة، ولكن السبب الأساسي كان هو إعطاء الأولوية لجبهات أخرى كتازة، وانشغال القوات الفرنسية باحتلال تلك المنطقة لأهميتها الاستراتيجية في المخطط الاستعماري، وهو ما يعني أن عدم التحرك صوب ورغة كان ينبني على تقديرات للقوات الفرنسية وتحركها صوب المناطق يكون تبعا لمبدأ الأولوية، هذا الأمر لم يستمر طويلا، حيث وضعت القوات

¹⁷⁰ - ليوطي بيير، م.س.، ص. 22.

الفرنسية خطة لسنة 1924 للزحف باتجاه ورغة أمام تفتونها لأهمية عدم تأجيل الزحف كما وقع سنة 1923، وهو الأمر الذي سيبرز من خلال التوجيهات العامة التي أصدرها ليوطي بخصوص حصيلة سنة 1923 وإدراج ورغة ضمن العمليات الرئيسية التي يتوجب القيام بها حيث يقول: "هناك عملية أخرى ستفرض نفسها علينا سنة 1924، وقد تم تأجيلها رغم كونها تدرج ضمن برنامج التهدة بالمغرب النافع، لأسباب مرتبطة بالسياسة الخارجية ونظرا لعدم توفر الامكانيات، لكنها تكتسي اليوم أهمية وحالة استعجالية رئيسية من وجهة نظر سياسية، إن الأمر يتعلق بجهة ورغة، أي بإقامة نفوذ السلطان على الضفة الشمالية لهذا النهر، داخل الحدود المعترف لنا بها في المعاهدات والتي تمتد حتى تخوم المنطقة الإسبانية"¹⁷¹.

الحاجة بتثبيت نفوذ السلطان من خلال قول ليوطي، ليس بشيء جديد، في ظل تركيز عديد التقارير الشهرية على كون تثبيت الحماية وقبول القبائل بما كما وقع مع قبائل مزيات ورغوة وصنهاجة مصباح، ما هو إلا شكل من أشكال الدخول تحت نفوذ وسلطة السلطان¹⁷²، لكن في واقع الأمر، ما هو إلا نوع من التدبير السياسي لسلطة الحماية في علاقتها بالقبائل، لتخفيف وطأة وحدة المقاومة بمناطق تجد تعاطفا ومشروعية فيها، و تخفيف درجة الحقد والعداء الذي قد يولده تقدم القوات عسكريا، كشكل من أشكال التغطية على المرام الحقيقية من الاحتلال، وبذلك إضفاء مشروعية تقدمها وسيطرتها بوازع روعي وسياسي لرمزية السلطان .

دعوة ليوطي لهذا التعجيل بالزحف صوب ورغة العليا صعودا باتجاه الحدود الإسبانية، يرجع بالأساس إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

- سبق الإسباني لمحاولة التأثير في قبائل المنطقة، من خلال دعم قادة القبائل بالأموال وتشكيل ما يعرف بإمارات على المناطق الحدودية، واستمالة بعض أعيان القبائل المتواجدة بالمنطقة التي من المفترض أن تكون خاضعة للنفوذ الفرنسي، خاصة أمام عجز القوات الإسبانية في الوصول إليها ميدانيا، وبذلك أصبحت

¹⁷¹ - نفسه، ص.21.

¹⁷² - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.4

فرنسا ترى ضرورة منع إسبانيا من الاستفراد بمناطق حدودية لم تتفق بعد فرنسا معها على وضع تسطير دقيق لها في ظل عدم تحقق السيطرة العسكرية للدولتين، وهو ما يجعل المجال مفتوحا للتأويل والسبق، الأمر الذي حتم على القوات الفرنسية التفكير بجدية في التوغل أكثر باتجاه ورغة العليا، والعمل على مد النفوذ السياسي أولا، عبر استمالة أعيان المنطقة واللعب على وتر الصراعات المتواجدة بين القبائل للتوغل بشكل سلس، دون الحاجة لتوظيف القوة العسكرية التي تكون مكلفة من الناحية المادية لآلة العسكرية ومن الناحية النفسية للأهالي الذين سيكون لديهم استعداد للانشقاق عن فرنسا في أولى علامات ضعفها.

- الانتصارات التي يحققها محمد بن عبد الكريم الخطابي ميدانيا، التي كان آخرها على عمر دحميدو (قبيلة مريسة) الذي كانت تعول عليه فرنسا في مد تأثيرها على قبائل ورغة العليا، حيث بسط الزعيم الريفي نفوذه شرقا على قبائل ورغة العليا وتمكن غربا من مد نفوذه، حيث أصبح الأمر لدى الفرنسيين يتعلق بسيطرة الريفيين على القبائل التي لم تخضع لفرنسا بعد، والخوف من ازدياد انتشار صيت انتصارات الزعيم الريفي، وهو ما خلف قلقا للإدارة الفرنسية بجهازها العسكري والسياسي، مخافة أن يصبح هذا الزعيم مركز جذب بالنسبة لكل من يطمح في الاستقلال وهو الأمر الذي كان يرفضه ليوطي¹⁷³.

- الأمر الثالث، وهو رغبة فرنسا في استرجاع هيبتها بشمال فاس، بعد هزيمتها سنة 1919 والتموقع بشكل فعلي بالضفة الشمالية لورغة، وذلك سيكون من خلال احتلال المرتفعات المطلّة على النهر.

شكل انتصار محمد بن عبد الكريم الخطابي على عمر دحميدو نكسة للفرنسيين، وضربا لسياستهم المتبعة في الإعتماد على الأعيان لصد توسع تنسيق المقاومين الريفيين مع باقي المناطق -فرنسا كانت تخندق التحرك الريفي في زاوية خدمة مصالح خارجية، وأهداف شخصية للزعيم الريفي تبغى التوسع وتحقيق مكاسب ميدانية للتفاوض مع الفرنسيين عليها مستقبلا-، حيث سيقدم بعد هذا الانتصار في شهر فبراير من سنة 1924، على إرسال قواته للسيطرة على الأوضاع بورغة العليا، وهو ما شكل ضربا للوضعية الفرنسية بالشمال الأعلى لورغة، حيث بدأت

¹⁷³ - ليوطي بيبير، م.س، ص. 22

سلطات الحماية تحس بسحب الزعيم الريفي للبساط من تحت قدميها، في ظل عدم وجود رادع كفيل بصدده دون الحاجة إلى الاصطدام المباشر معه، مما يوضح على أن سياسة فرنسا كانت تهدف إلى مغربة الحرب للدفاع عن مناطق حدود معاهدتها "الحمائية"، كي لا تشعل فتيل بروز مقاومة موحدة ضدها في حالة إذا ما كانت الطرف المباشر، فقد عملت جاهدة على دعم القبائل التي تعلن الولاء لها، وإذكاء حماس حفاظ تلك القبائل على استقلالها انطلاقاً من مشروعية ولاء الأعيان والزعماء لها كولاء للمخزن والسلطان، وبذلك أصبح الضغط على فرنسا مباشراً للدفاع عن مناصريها من الأعيان والقبائل، في ظل تقدم ريفي أصبح يحتم على فرنسا القيام بالتدخل الذي لم تكن ترجوه، لإثبات صدق وعودها لمن والاهما ولمن لازال تحت نفوذها السياسي، من ضمنهم بعض قبائل ورغة العليا كمزيات، التي أصبح الريفيون يقودون المقاومين على مشارفها لإثبات جدوى مقاومة الاحتلال، "وإذا تحقق ذلك فسيكون له تأثيرات خطيرة على المنطقة مستقبلاً فهو سيضعنا في مواجهة مباشرة مع الريفيين الذين سنصطدم معهم خلال تقدمنا بالمنطقة التي تدخل في حوزتنا، كما تنص المعاهدات على ذلك"¹⁷⁴.

2-3 التعجيل بمسألة ورغة العليا

واضح أنه انطلاقاً مما تم الاطلاع عليه، من خلال التقارير الشهرية أو من خلال رسائل ليوطي المذكورة في المرجع السابق، يتضح أن ما كان يؤرق السلطات الفرنسية من وراء انتصارات محمد بن عبد الكريم المتكررة، وتوجهه صوب منطقة ورغة العليا حيث قبائل مزيات ورغيو وصنهاجة الشمس ومثيو إضافة لقبائل مجاورة، هو أن يسحب منها سلاحاً سياسياً مهماً، يتمثل في الصراعات الضيقة التي كانت بين تلك القبائل، التي جعلت فرنسا تتسرب إليها تدريجياً في فترات سابقة لاستمالة أعيانها وشيوخها ورجال الدين البارزين، الذين لطالما لعبوا دور الحكم في النزاعات المحلية والقبلية، فهذا الأمر كان يخدم فرنسا. لكن مع توجيه المقاومين الريفيين الأنظار صوب المنطقة، أصبح الزعيم الريفي الرجل الممكن أن تتوحد على يده تلك القبائل، بذلك سيقضي على صراعاتها لتتوحد في مواجهة العدو الحقيقي المتمثل في الاستعمار وزرع الرغبة فيها لطرد هذا المحتل، كما أن فرنسا وجدت نفسها بين نارين في هذه المرحلة من

¹⁷⁴ نفسه، ص. 23.

التقدم الريفي، حيث التقدم الريفي في مراحله الأولى من التوجه صوب ورغة العليا يحتم أولاً دراسة هذا الطارئ المفاجئ بشكل محسوب قبل الإقدام على القيام بأي خطوة كانت، فأى هزيمة مباشرة ستكون تبعاتها ثقيلة على التواجد الفرنسي بالمنطقة وسيهدد بنسف معاقله تباعاً، والأمر الثاني يتمثل في كون أن مهادنة محمد بن عبد الكريم وعدم خوض معارك معه على جبهات متعددة لاستنزافه وقطع طرق التموين الخلفية لديه، التي قد يجدها بالمنطقة الفرنسية في صراعه مع الإسبان، يعد بمثابة ضرب للشراكة مع الإسبان وضرباً لما تم الاتفاق عليه في معاهدة تقسيم المغرب.

أ- تقييم الضباط الفرنسيين للوضع بالمنطقة:

عجل تقدم العناصر الريفية (المقاومة) بالمناطق التي تعتبرها فرنسا ضمن حدودها المتعارف عليها في الاتفاق الفرنسي الإسباني، بتفكير سلطات الحماية في ضرورة التحرك صوب مناطق ورغة العليا والتخطيط للسيطرة عليها إلى غاية الحدود المعترف بها لفرنسا، فأصبح مركز هذه التحركات كما خطط له في برنامج العمليات لشهر ماي ويونيو 1924 ينطلق من عين عائشة (عين عيشة)، خصصت فيه للعملية أسراب من الطائرات، كانت مهمتها الاستطلاع والتقاط صور للمنطقة أو لقنبلة تجمعات معادية للرتلين العسكريين المتواجدين على الأرض، فكانت الأهداف المسطرة من هذه العملية وضع رتل تحت قيادة "كولمبا" للعسكرة بمزيات وهضبة سُكر وأستر بالقرب من قبيلة مثيو، والآخر تحت قيادة "كامباي" بقبيلة رغيوة وموقع مولاي عين الجنان، لوضع حاجز بأعالي نهر ورغة عند حدود بني وليد ومثيو، لسد أي احتمال لتواجد منفذ أمام تسرب المقاومين الريفيين¹⁷⁵، هذه الأهداف المسطرة سيتم الإعلان عن تحقيقها من خلال تقرير جهة فاس الذي أقر بتطبيق هذا البرنامج صبيحة يوم 27 ماي¹⁷⁶، وتم من خلاله وضع جبهة متقدمة خلف القبائل الغنية بورغة العليا كمزيات ورغيوة وصنهاجة مصباح، وهو الأمر الذي استحسنته القوات الفرنسية التي ادعى التقرير أنها لم تتشابك مع أي شكل من أشكال المقاومة في بلاد اعتبرها بالصعبة¹⁷⁷.

¹⁷⁵ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.4

¹⁷⁶ - أنظر خريطة العمليات العسكرية لشهر يونيو 1924.

¹⁷⁷ - A.M, R.P.M, Région de Fès, 1^{er} partie, 20 Avril au 19 Juin 1924, p.3

أصبح الطارئ الذي أحدثه الزعيم الريفي واقعا لا مفر منه بالنسبة لسلطات الحماية، وضرورة التدخل بشمال فاس وإيلاء المنطقة الأهمية اللازمة، حيث ضرب هذا الطارئ كل التوقعات الفرنسية للجهة الشمالية عرض الحائط، فقد كان تقليص القوات والارتكاز على العمل السياسي وتثبيت المراكز العسكرية نابعا من فترات الهدوء النسبي الذي عرفته منطقة ورغة العليا ودور الأعيان والضباط الاستخباراتيين في ذلك، حيث نجد تقارير نهاية سنة 1923 و بداية 1924 جد مطمئنة بخصوص وضعية المنطقة، وأن أصعب المناطق تم تطويقها بالحاميات وأن تحركات محمد بن عبد الكريم الخطابي لن تمس بأي حال من الأحوال المناطق الفرنسية.

ب- نظرة وتقييم ليوطي للوضع

الاطمئنان المعبر عنه من قبل الضباط في تقاريرهم فنده ليوطي في قراءته للوضع بالمنطقة، حيث أشر على خطورة الوضع، وهو ما دفعه إلى وضع مخطط إجمالي يجسد فيه وضعية قواته بمنطقة ورغة، التي اعتبر وضعيتها جد معقدة وتستعجل التحرك "وما لم نضع بورغة العليا، عند منفذ هذا النهر وتحديدنا بالمنطقة المحاذية لمركزنا الحالي بمديونة، حاجزا يمنع المجموعات الريفية من النزول باتجاه فاس وتهديد هذه العاصمة الدينية للمغرب، كما حاولت القيام بذلك سنة 1916"¹⁷⁸.

ازداد الضغط والتهديد الريفي للقوات الفرنسية بمنطقة فاس مع بداية صيف 1924 ، حيث أدى استقرار معظم رجال المقاومة بقيادة محمد بن عبد الكريم بعدد قبائل شمال فاس، للاشتغال على توسيع مناطق المقاومة وجعلها كقواعد خلفية لعملياتهم وتحديد مناطق الاحتلال الفرنسي، الأمر الذي اعتبر تهديدا مباشرا للمصالح الفرنسية بالمنطقة¹⁷⁹، الأمر الذي دفع الإدارة الفرنسية إلى دق ناقوس الخطر وتغيير عديد أولوياتها وخططها العسكرية لصالح القيام بعمليات شمال فاس، خاصة بمنافذ تسرب المقاومين خاصة القادمين من الريف عبر جهة ورغة العليا، حيث ظهر قلق ليوطي في مراسلاته، ففي رسالة منه إلى الجنرال نولي وزير الحربية الفرنسية بتاريخ فاتح أكتوبر، بخصوص موضوع

¹⁷⁸ - ببير ليوطي، م.س.، ص.25

¹⁷⁹ - A.M, R.M.R, Mai 1924, p.4 et Juillet 1924, p.8

قوات فرقة الاحتلال بالمغرب وخطة التعزيز المحتمل لها بواسطة قوات من الجزائر، طالبه ليوطي بالتراجع عن فكرة تقليص عدد الجنود الذي كان محددًا في 65 ألف رجل، نظرًا للعواقب الوخيمة التي قد يخلفها هذا القرار على الجبهة الشمالية، في ظل تصاعد التحركات الريفية بالمنطقة، وفي رسالة مؤرخة بـ 15 أكتوبر 1924 عاد ليوطي ليذكر نفس الشخص بضرورة تمكينه من قوات إضافية في الاحتياط، في ظل نقص القوات المتواجدة بالمغرب وضبابية الوضعية الجديدة التي خلقها الريفيون بالمنطقة، حيث قدم عديد المقترحات للوزير بشأن الطرق التي يمكن من خلالها تمكينه من هذه القوات الإضافية¹⁸⁰، الأمر الذي يوضح مدى تخوف ليوطي من مباغثة الريفيين لقواته بمنطقة ورغة، أمام عدم توفر القوات الكافية لحفظ الأمن، مع رغبته في تجنب الدخول في مواجهة مباشرة، في ظل هذا النقص الذي يعد لدى ليوطي بمثابة ركوب للمخاطر.

بعد الإلحاح المستمر لليوطي ولقائه بوزير الحرية بفرنسا، قبل الوزير أن يطلعه ليوطي على الوضعية العامة للمنطقة، ومدى تأثير أحداث المنطقة الإسبانية على الوضعية السياسية والعسكرية لفرنسا بالمغرب، إضافة إلى تقديم الاقتراحات المناسبة فيما يخص الوسائل والجيش وكيفية استخدامها¹⁸¹.

ساهمت الأحداث بشمال فاس، خاصة على طول الشريط الحدودي، وما خلفته من اضطرابات على الخطوط الفرنسية، في تأجيل عديد العمليات التي كانت موجهة بجبهات تادلة و سوس وتازة، نظرًا للنقص الحاصل في القوات، مع تركيز القوات الفرنسية على القيام بدوريات واستعراض طوابيرها العسكرية، لإظهار قوتها بتلك المناطق، وعدم تمكين المقاومين، أو المناصرين (البرطيزية) على حد سواء، من استشعار الفراغ الذي قد تخلفه تلك القوات المتناقصة، مع الاحتفاظ بخاصية الضغط المتواصل على بقعة تازة، نظرًا لقربها من أحداث الريف، وعدم إعطاء فرصة حدوث تنسيق بين زعماء المنطقتين لمواجهة القوات الفرنسية بشمال فاس.

¹⁸⁰ - ببيير ليوطي، م.س، صص. 25-28

¹⁸¹ - أنظر الرسالة الموجهة إلى وزير الحرية بتاريخ 2 نونبر 1924 بالمرجع السابق ص. 30-32

قرر ليوطي في مذكرة تلخص المناقشات التي أجراها بالرباط وتازة وفاس في شهر نونبر 1924، بخصوص الوسائل العسكرية اللازمة لسنة 1925، أن يستخدم أكبر قدر من الإمكانيات بالجبهة الشمالية الرئيسية لتأكيد التفوق على محمد بن عبد الكريم الخطابي عند بداية العمليات، وأنه من مصلحة سلطات الحماية احتلال المناطق المعترف بها لفرنسا انطلاقاً من المعاهدات الموقعة، وتثبيت نفودها العسكري عوض الاكتفاء بالسياسي، من خلال استباق الزعيم الريفي في الوصول إلى مناطق الضفة اليمنى لورغة كسائر المناطق المتاخمة للمنطقة الخليفية، التي لم تتمكن فرنسا من تثبيت وجود عسكري فعلي بها على الرغم من ولاء تلك القبائل سياسياً، فقد كان كل اهتمام ليوطي منصباً على ضرورة تحقيق سبق في المناطق الفرنسية الحدودية والتواجد بها، وإظهار القوة لدرء هذا الزعيم عن مهاجمة القوات الفرنسية بمنطقتها، حتى وإن هاجم فسيجعل نفسه حسب ليوطي في وضع المعتدي وهو الأمر الذي لا يرحوه، من أن تنقل فرنسا هجومها باتجاهه كرد فعل، فتفكير المقيم العام الفرنسي لم يكن يهدف إلى نقل الحرب إلى الجهة الإسبانية بل التفوق على الزعيم الريفي بالمنطقة الفرنسية دون الحاجة إلى مهاجمته خارجها¹⁸².

المحور الثاني: التنافس الريفي الفرنسي على منطقة ورغة العليا

أمام أهمية منطقة ورغة العليا بموقعها الاستراتيجي في الصراعات الدائرة وأهمية السيطرة عليها في حرب الريفيين على المستعمر الإسباني، لأهميتها كمنطقة خلفية تركز عليها المقاومة الريفية اقتصاديا في تزويدها بالحاجيات الأساسية من المواد الفلاحية وبشرى في الاستعانة بعنصرها البشري وضمه للإنخراط في المشروع المقاوماتي الهادف إلى طرد المستعمر من المنطقتين وبذلك عدم ترك مجال لتطويق الفرنسيين لمجال تحركهم، بالمقابل كان مهما لفرنسا تحقيق السيطرة الكاملة على مجالها الحدودي مع الإسبان، وضرورة السيطرة عليه أمام بروز مقاومة ريفية منظمة بشكل جيد لها إرادة قوية في محاربة المستعمر وتعمل على تأطير القبائل الأخرى للاستئناس بالعمل المقاوماتي المنظم، وهو ما يهدد فرنسا كليا في إمكانية استمرار وجودها بالمغرب في حالة نجاح المشروع الريفي.

1- الدخول الريفي إلى المنطقة

الحديث عن مسألة الدخول الريفي لمنطقة الدراسة بصفة خاصة وورغة بشكل عام، يتطلب التمييز بين مرحلتين أساسيتين وفي شقين مختلفين، فالمرحلة الأولى هي التي طبعها الارتباط الاقتصادي لقبائل الريف بالمنطقة للتزود بالحاجيات والتجارة مع ساكنة المنطقة، والمرحلة الثانية هي التي جاءت نتيجة رغبة الزعيم الريفي في توحيد صفوف المقاومة وعدم تمكين فرنسا من الاستفراد بالمنطقة والوصول إلى تحقيق التهدئة، الأمر الذي إذا ما تحقق سيمكن فرنسا من التنسيق مع الإسبان للقضاء على المقاومة الريفية في معقلها.

1-1 حقيقة التواجد الريفي بالمنطقة

أ- الارتباط الاقتصادي والتاريخي

لا يمكن فصل المجال الريفي عن المجال الورغي بأي شكل من الأشكال، أمام تداخل علائقي مركب بين ما هو اقتصادي وما هو اجتماعي، فخصوصيات الريف كمجال تضاريسي صعب كثير التقطعات، جعلت إمكانياته

الاقتصادية جد محدودة لا تتجاوز تحقيق الإكتفاء الذاتي في أفضل الأحوال، فالريف بطابعه المذكور وغلبة الارتفاع عليه جعل غالبية ساكنته تعتمد بشكل أساسي على زراعة الشعير بالدرجة الأولى، معتمدة على الأمطار لضمان محصول سنوي جيد في ظل تعمق الأودية مما يصعب معه تواجد أراضي منبسطة صالحة للسقي، إضافة إلى الخصائص الجيولوجية التي يصعب معها استغلال المياه الجوفية، هذه الخصائص التي تجعل مياه المنطقة تجري على السطح في الأودية ما يجعلها معرضة للنقص وانخفاض مستوياتها في سنوات الجفاف وبذلك يصبح الريفي مهددا في البقاء حيا¹⁸³.

ارتباط الريف بمجال ورغة هو ارتباط لا محيد عنه، لما يتوفر عليه هذا الأخير من إمكانيات في المجال الفلاحي وكذا أراضي الخصبة و موارده المائية المهمة على رأسها نهر ورغة، الذي يساعد في قيام نشاط فلاحي مهم، هذه المؤهلات جعلت من هذا المجال قبلة للريفيين للبحث عن العمل أو لطلب الحاجيات الأساسية للمجتمع الريفي¹⁸⁴، فأمام إجبارية البحث عن فرص الشغل خلال مواسم الجفاف، يمكن القول على أن الريف كان مقسما لقسمين لتوفير حاجياته خلال سنوات الجفاف: قسم أوسط وشرقي يعتمد بالأساس على هجرة رجاله صوب الجزائر وبالتحديد باتجاه وهران، للبحث عن فرص عمل في حقول الحبوب أو العنب لتجاوز الفاقة وضمان إعالة العائلات خلال فصل الشتاء القادم والحصول كذلك على العملة الفرنسية¹⁸⁵، وقسم ريفي جنوبي يعتمد بالأساس على المناطق المتواجدة بحوض ورغة للتزود بحاجياته أو للبحث عن العمل.

شكلت منطقة ورغة بصفة عامة مزودا رئيسيا لعدد قبائل الريف الجنوبي بالمواد الفلاحية، فإذا كانت قبيلة الحياينة اشتهرت بزراعة الحبوب على وجه التحديد، فمنطقة شمال ورغة عرفت بمغروساتها من الأشجار المثمرة لخصوصيات مجالها، وهو ما يجعل الريفيين في ارتباط وثيق مع هذه المنطقة لكونها تشكل حلقة الربط بين قبيلة الحياينة، التي تعد إلى جانب قبيلة بني زروال مزودا مهما لهم بالحبوب الموجهة للاستهلاك أو للزراعة خلال السنوات الجافة، التي

¹⁸³ --A.M, Anonyme, « l'orge dans le RIF », EL ECO DE TETUAN, 6 Juin 1917.

¹⁸⁴ - A.M, R.M.P, Mai 1919, p.7

¹⁸⁵ - 1917. للتفصيل أكثر في الموضوع حول الطريقة التي كانت تتم بها هجرة الريفيين صوب الجزائر والطرق التي يسلكونها في ذلك لتجاوز المراقبة الفرنسية ودور اليهود كوسطاء لمبادلة العملة الإسبانية بالفرنسية وأنواع المهن التي قد يشتغلون بها أنظر مقال :

-A.M,Anonyme, « les Arabes moissonneurs, pour L'Algérie », EL TELEGRAMA DEL RIF, 8 Juin 1917.

يقل فيها إنتاج هذا المحصول بالريف أو بالمناطق القريبة منه، كما كانت قبائل الدائرة الواسطة الضرورية في نقل منتوجات الريف صوب مدينة فاس أو العكس، إضافة إلى اشتهاها بالتوفر على مواد فلاحية مهمة من زيوت ولوز وتين مجفف وفواكه مختلفة ومواد أخرى¹⁸⁶، فهو ارتباط اقتصادي قديم، حيث كانت منطقة بني وليد المشهورة بأشجار الزيتون الجيدة حسب وصف موليراس لها علاقات اقتصادية مع المناطق الريفية وصنهاجة السراير بالتحديد حيث "تحظى زيوت بني وليد بسمعة طيبة في أسواق الريف ومثوية {جباله} أو صنهاجة"¹⁸⁷، وهو ما يحيل على كون جنوب الريف إذا ما كانت حاجته لهذه المواد فهو سيقصد المنطقة لا محالة في ذلك، هذا الأمر ينضاف إليه كون مؤهلات الريف الضعيفة فلاحيا ستساهم في انحصار الأنشطة الفلاحية ومعه ضعفا بينا فيما يخص توفير فرص الشغل لأبنائه، فضعف الموسم الفلاحي وقلة المحاصيل المتوفرة في السنة يجعل أبنائه يبحثون خارج مناطقهم عن تلك الفرص، التي بالتأكيد توفرها منطقة ورغة أو يتم الهجرة صوب مناطق أخرى للبحث عنها لضمان الاستمرار والبقاء لعائلاتهم¹⁸⁸.

فالريف عاجز عن ضمان غذاء قار لسكانته سنويا أمام كثرة جباله وهضابه المتقطعة، ففي الغالب يعتبر المحرك الاقتصادي هو الدافع نحو تحرك سكانه صوب القبائل المجاورة الغنية في حالة تم تضيق الخناق على الريف اقتصاديا أو منعه من التزود بحاجياته، هذا الأمر سيتضح بشكل جلي -يوضح مدى الارتباط الوثيق للريفيين بالمناطق الخلفية لمنطقتهم والموجودة أسفل النهر- مع بروز المد الفرنسي صوب السيطرة عسكريا على قبيلة الحياينة والقبائل المجاورة لها والدفع بالعمل السياسي للتأثير في قبائل ورغة وغيرها، لتضييق الخناق على الريفيين الذين أصبح عليهم لزاما التحرك لحماية مصالحهم الاقتصادية التي تعتبر مسألة وجودية، وبذلك أصبحت العناصر الريفية على أهبة الاستعداد لتهديد تلك القبائل التي في تبعيتها للمستعمر تهديد لاستمرارهم، وهو ما حصل مع قبيلة بني زروال الغنية بمنتوجاتها، حيث

¹⁸⁶ -A.M, R.M.P, Octobre 1918, p.3

¹⁸⁷ -موليراس أوجيست، م.س، ص. 301

¹⁸⁸ -أنظر البحث الذي أنجزه أحد الضباط الفرنسيين حول هجرة الريفيين الموسمية باتجاه الجزائر وتأصيله لدوافع الهجرة عند الريفيين وخصوصيات المجال، في إطار ملفات مركز الدراسات الإدارية العليا حول إفريقيا وآسيا الحديثة والذي كانت ملفاته تتميز بطابع السرية:

-A.M, MILLIOT M., L'Exode Saisonnier des Rifains vers l'Algérie, documents du C.H.E.A.M, Université de Paris, n.330

عمدوا لتهديدها في حالة عدم التمرد على فرنسا، فهم لا يريدون أن يكون مصير أسواق تزودهم بحاجياتهم في يد التدبير الفرنسي، كما توجهوا نزولا عبر ورغة إلى تهديد المناطق المتواجدة تحت التأثير الفرنسي فقاموا بالتجمع بالواجهة المقابلة للحياينة، حيث أرجع تقرير فرنسي هذا الأمر إلى ضعف الموسم الفلاحي والمجاعة التي أصابتهم، ومعه يكون كذلك دفع القبائل التابعة لسلطات الحماية إلى المقاومة¹⁸⁹.

الحديث عن الارتباط الاقتصادي هو حديث عن مجال في كليته بمحيطه ومختلف مكوناته، ويبقى من أهم الروابط ارتياد الأسواق المحلية بالدائرة نزولا من سوق السبت بمثوية وصولا إلى سوق الأربعاء بتيسة، فهي علاقة تكاملية بين ساكنة الجبل والسهل (المنخفض)، فالتقارير الفرنسية طيلة فترة الحماية كانت تؤكد انطلاقا من مكتب الشؤون الأهلية بتاونات مركز الدائرة ومن خلال مكتب حداثة ومركز تاونات لقشور على وجود ترابط اقتصادي، لا محيد عنه بين منطقة الريف وقبائل الدائرة، فالاستعمار فرق بين المجالين سياسيا ولكنه لم يستطع خلق قطيعة اقتصادية، ما اضطر المستعمر الفرنسي والإسباني إلى إيجاد صيغ مناسبة تسمح بتحريك سكان المجالين بين منطقتي الحماية وتبادل السلع ووزارة الأسواق لتصريف البضائع والمنتجات المحلية¹⁹⁰.

ب- النظرة الاستعمارية

الملاحظ أن التقارير الفرنسية غلبت طابع الفاقة والحاجة والموسم الفلاحي السيئ على تحركات الريفيين صوب مجالها وإظهار العداء القوية لها ولإسبانيا، حيث لم تتوانى عن وصفهم بصفات قذحية من قبل "الليصيصون" و"المعتدين" و"المخربون" و"الفوضيون"، لتعود نفسها لتبرير تصرفات الريفيين بوصف صعوبة المجال الريفي وحتمية

¹⁸⁹ - A.M, R.M.P, Juillet 1919, p.9

¹⁹⁰ - أنظر الجزء الخاص من البحث المتعلق بالمشاكل الحدودية ودور مكتب تاونات في حلها.

تحركهم لكراء الأراضي بمناطق جبال أو غيرها من المناطق، في ظل انحصار غالبيتهم في خليج وانعدام أمنهم الغذائي لتحقيق فرص تطور بلادهم في الميدان الاقتصادي¹⁹¹.

الحاجة الاقتصادية للريفيين جعلتها القوات الفرنسية مرتكزا لثباتها من جهة، والتعامل بلين مع الريفيين من جهة ثانية خلال البدايات الأولى للتقدم صوب أعالي ورغة وتفاذي المواجهة المباشرة معهم، تجنبنا لهجماتهم المبكرة على المراكز الفرنسية والاكتفاء بالمراقبة كما جاء على لسان أحد الشرفاء الوزانيين الذي نقل أخبارا لسلطات الحماية بفاس مفادها أن محمد بن عبد الكريم أصبح مقتنعا باستحالة الانشغال بالجهة الإسبانية والفرنسية معا، خاصة أن الريف عرف خلال هذه السنة نقصا حادا في الحبوب مما سيضطر معه إلى التزود من وجدة وتوريرت، فأمر مجموعات المقاومة الاكتفاء بالمراقبة في الجبهة الفرنسية وعدم التدخل إلا في حالة تقدم القوات الفرنسية نحو الشمال¹⁹²، وهو ما يعني توجه الريفيين الجنوبيين لمنطقة ورغة نزولا عبر قبائل الدائرة باتجاه قبيلة بني زروال والحياينة للتزود بحاجياتهم.

لكن حقيقة علاقة الريفيين بمحيطهم —عكس ما يصوره المستعمر— هي أبلغ من أن تقودها اللصوصية والفوضى والتخريب، في ظل تعايش استمر لقرون لو لم تحكمه أواصر التكامل لما استمرت هذه الأطراف حاضرة وبهذا التنوع الاثني والعربي الكبير بالمنطقة، وحتى وإن طفت على السطح صراعات فهي لن تتجاوز مدة معينة لتستمر حياة الساكنة في علائقيتها وحتميتها الاقتصادية والتاريخية.

2-1 الدعاية الريفية بورغة العليا: الطموحات والتحديات 1921-1923

عديدة هي الكتابات التي تقرر بواقعية طموح محمد بن عبد الكريم الخطابي في الزحف على المناطق المتواجدة بالمنطقة الفرنسية لكن ما يميز غالبية هذه الكتابات هو إغفال منطقة ورغة العليا (دائرة ورغة العليا) مقارنة بالحديث عن قبيلة بني زروال، مع أن حقيقة الأمر تقول أن المنطقة المدروسة لم تكن تقل أهمية عن باقي المناطق في المشروع

¹⁹¹ - A.M, R.M.E.P, Juin 1924, p.4 et -Juillet 1924, p.1

¹⁹² - A.M, R.M.P, Août 1924, p.4

الريفي، حيث يتداخل البعد الاقتصادي بالبعد السياسي والوطني، لتتداخل بذلك صراعات الأهداف والمصالح والعداء للاستعمار، وبين أهداف زعيم ريفي يسعى للملمة شمل القبائل المفككة لتقوية شوكة المجاهدة ضد الفرنسيين ومنع زحفهم باتجاه الريف لتطويق طموح الريفيين والإجهاز عليه في معقله، وبين مصالح المستعمر و الأفراد والأعيان بالمنطقة التي يتهدها ربما الزوال، أو الانصهار والتبعية لقبيلة أقوى في حالة نجاح هذا التكتل تحت راية زعيم واحد يمكن أن يحقق التوافق حول نقطة أن المغرب يتعرض للإحتلال.

من هنا جاء الحديث عن كيفية بداية المشروع الريفي بالمنطقة والسبل التي اعتمدها لمد نفوذه على قبائل المنطقة والتأثير عليها، ويبقى المرجع الأساس في ذلك هو ما ورد بالتقارير الفرنسية، التي أكيد أنها لن تكون خالية من أي تأويل أو استنتاج للابتعاد عن الانسياق مع الرواية التي أرادها الفرنسيون والتي من المؤكد أن في العديد من فصولها لا مجال لمقارنة المستعمر الغازي بالسكان الأصلي للبلاد، ومحاولة الفرنسيين التغطية على مجازرهم وأهدافهم التي لا مشروعية فيها مادام المحرك هو الاستعمار وغصب البلدان والسكان.

عمل الريفيون منذ احتدام صراعهم مع الإسبان على مراقبة ظهرهم، ورصد ما يدور بالجبهة الفرنسية وعدم ترك المجال فارغا في ظل تواجد منافسين كثر (عبد المالك، القوات الفرنسية، الريسولي ..) يعملون على التأثير في المنطقة من منطلق سياسي وكذا نفوذي، وهو ما ينم عن استراتيجية واضحة كانت عن قصد أو عن غير قصد سعو من خلالها إلى عدم فتح جبهات متعددة للصراع التي لن تمكنهم من الاستمرار عسكريا، في ظل تعدد الأطراف المتصارعة على المجال الورغي الأعلى، كما سيكون الحديث عن كيف سعى الريفيون من خلال دعايتهم للتسرب إلى المنطقة والرفع من نسق المقاومة بالمجال الورغي، الذي تعتبره فرنسا مجالا مستقبليا لنفوذها تسعى في سبيله، وكيف بدأ الانتقال من التأثير السياسي إلى الرغبة في الحضور المسلح للمقاومين بالمنطقة، بغية قطع الطريق على المتنافسين سياسيا، الذين اعتمدت فرنسا على صراعاتهم في استمالة بعض الأطراف لتكريس تفكك مجهود القبائل في إمكانية تشكيل مقاومة موحدة،

موظفة دعايتها المحرصة لمجابهة الدخول الريفي المسلح للمنطقة، الذي ستظهره كعدو يريد السيطرة على قبائل المنطقة، قبل أن تفكر القوات الفرنسية بالتحرك مباشرة للتدخل العسكري ومواجهة ما تعتبره بالمد الريفي.

أ- عبد المالك ومجابهة النفوذ الريفي

الحضور الريفي بالمنطقة إلى حدود سنة 1921 لم يكن حضورا سياسيا قويا بالشكل الذي كان به حاضرا عبد المالك لمواجهة التقدم الفرنسي، فقد كان عبد المالك يمد نفوذه السياسي والعسكري على عديد قبائل المنطقة ويتزعم مقاومتها، لكن التواجد الريفي الاستخباراتي كان حاضرا في خضم ما يدور من تنافس وصراعات محتمة حول المنطقة، خاصة بعد أن برز التقدم الفرنسي صوب المنطقة ورغبته في الصعود شمالا، ما دفع الريفيين إلى ترك مجموعتين واحدة بمنطقة بوعادل وأخرى بقبيلة مزيات خلال سنة 1919 في مهمة لمراقبة تحركات القوات الفرنسية التي قادتها الفرقة المتحركة التابعة لفاس¹⁹³، فقد كان الحضور الاستخباراتي الريفي بالمنطقة حاضرا في فترات مبكرة، سواء من خلال توظيف العملاء أو من خلال الساكنة التي تتراد المنطقة الخليفية أو من خلال الريفيين المرتادين لأسواق المنطقة الفرنسية.

عمل الريفيون بجهد لاستمالة عبد المالك ليمر تواجدهم بالمنطقة دون اصطدام أثناء حضورهم بها، وهو ما لم يقبله وأكد رفضه للأمر بعد أن قام الخمليشي مدعوما ببعض المقاومين الريفيين ومن بني زروال الشرقية بمهاجمة قرية تاوانات ومثوية في مجموعة مكونة من 1200 بندقية في شهر يناير 1921، حيث يشير التقرير الفرنسي إلى مسارعة عبد المالك لتلبية نداء المساعدة من قبيلة مثوية فطرد برفقة مناصريه من مريسة الريفيين خلفا فيهم عددا من القتلى والمعطوبين، ليتمكن من وقف محاولة سيطرتهم على المجال الذي يعتبره مواليا له، فتوجه يوم 25 يناير صوب قبيلة مزيات ليفرض عليها غرامة حربية كغرامة تأديبية لقبولها مبدئيا التعامل مع الريفيين¹⁹⁴.

¹⁹³ -A.M, R.M.P, Mai 1919, p.8

¹⁹⁴ -A.M, R.M.P, Janvier 1921, p.3

قابل عبد المالك دعوات الريفيين في كل مرة بالرفض وعدم رغبته في مشاركتهم صراعاتهم مع الإسبان، على الرغم من الوقع الذي كانت تحدثه اخفاقات إسبانيا عسكريا في منطقتها أمامهم، حيث يتمكن رد الأمر إلى خوف عبد المالك من حقد إسباني عليه، ففي حالته كمؤطر للمقاومة فهو بحاجة إلى منطقة خلفية قد تتواجد بالمنطقة الإسبانية يعيد فيها تنظيم صفوفه لمواجهة الفرنسيين، أو بدافع في عدم رغبته أن يصبح تحت إمرة الريفيين -في ظل تزعمه المقاومة بالقبائل المحلية لشن حملات على الفرنسيين والريفيين بالمنطقة- وبذلك خضوع القبائل التابعة له لتكون تحت تصرف الريفيين، فقد ظل يعمل بجهد لإخضاع قبائل المنطقة لتأثيره ونفوذه حيث سينجح في إخضاع قبيلة مثوية المحادية للمجال الريفي لنفوذه، كما أصبح يعمل بشكل دأوب على الاشتغال على باقي القبائل الصغرى لورغة العليا لتشكيل مجموعات المقاومة ومددها بالعنصر البشري اللازم¹⁹⁵، وهو ما يوضح مدى توسيع عبد المالك مجال سيطرته، الذي ربما جعله يلغي أي احتمال للتعاون مع الريفيين أمام اقتناعه بقدرته على استمالة قبيلة مثوية بقسميها لوطا والجبل التي تربطها علاقات قوية مع صنهاجة السراير.

سيتغير الأمر تدريجيا مع تسارع الأحداث بالمنطقة الشمالية، حيث أصبحت القبائل الراضية للنفوذ الفرنسي تتطلع إلى ما ستأول إليه الأوضاع بالمنطقة على الرغم من تقليل الفرنسيين من تبعات تلك الأحداث على منطقتهم، التي اعتبروها بمنأى عن تأثير تحركات الريفيين مقارنة بعبد المالك¹⁹⁶، لكن هذا التقليل من العمل المسلح للريفيين وفشلهم في مواجهة رفض عبد المالك لتواجدهم بالمنطقة لم يتم نفيه سياسيا، فقد أقر تقرير شهر أكتوبر 1921 على أن انشغال قادة المقاومة الريفية بمواجهة الإسبان، لم يمنعهم من الاشتغال سياسيا والعمل على نشر دعايتهم بأسواق المناطق الخارجة عن السيطرة الفرنسية¹⁹⁷، والتي ضمنها قبائل مزيات ورغيو ومزراوة وغيرها من القبائل، التي لم تصل إليها القوات الفرنسية المستندة على التبعية السياسية لمعاونين من الأعيان المحليين.

¹⁹⁵ -A.M, R.M.P, Juillet 1921, p.3

¹⁹⁶ -A.M, R.M.P, Août 1921, p.1

¹⁹⁷ -A.M, R.M.P, Septembre 1921, p.3

بحلول سنة 1922 سيصبح عبد المالك حسب التقارير الفرنسية غائبا عن منطقة ورغة بعد أن قرر الانعزال بمنطقة "مولاي عين الجنان"، ربما لترك المجال أمام نفوذ الريفيين دون أن يكون أداتهم للسيطرة على المنطقة، وهو ما يفسر من خلال عدم تركه قائدا يخلفه لقيادة قبائل ورغة العليا، أو ربما نتيجة لما لاقاه من تمردات من عديد القبائل التي كان يقوم بإخضاعها وإحجامها عن دفع الضرائب أو امداده بالعنصر البشري الذي تحتاجه المقاومة، أمام بداية التأثير الريفي واستمالاته لمجموعة من أعيان القبائل المحلية؛ في حين نجد أن تقريراً فرنسياً يبرر تراجع عبد المالك عن قيادة قبائل ورغة العليا إلى أسباب خارجة عن إرادته وأنه أصبح يخشى على سلامته من انتقام أهالي المنطقة بعد أن اعتبروه قد خاطر بتقدم تنازلات للإسبان، وهو ما سيشير حفيظة محمد بن عبد الكريم الخطابي ضدهم -حسب اعتقادهم- للانتقام من مساندتهم له، وما أكد الطرح الذي جاء في التقرير حول خوف عبد المالك على سلامته، هو لجوؤه للاحتماء بحرم سيدي علي بن داود¹⁹⁸.

يبقى الثابت من غياب عبد المالك عن تأطير قبائل المنطقة في مقاومتها، أنه ترك فراغا استحسنته القوات الفرنسية¹⁹⁹، بعد أن كانت تعتبره الشخصية الوحيدة القادرة على توحيد صفوف تلك القبائل، وهو ما دفع سلطات الحماية إلى التفكير بشكل جدي في ملأ هذا الفراغ عن طريق استمالة أعيان المنطقة بقبائل رغبة ومزيات ومزاوة وصولاً إلى مشيوة، تماشياً مع نجاح الشريف الدرقاوي في لم شمل اتحادية بني زروال المجاورة لهم تحت نفوذ القوات الفرنسية، كما لعب دور الحكم في حل نزاعات تلك القبائل التي أصبحت تعيش صراعات فيما بينها²⁰⁰، وبذلك قطع الطريق على تدخل الريفيين.

¹⁹⁸ -A.M, R.M.P, Mars 1922, p.1

¹⁹⁹ -انسحاب عبد المالك من المنطقة ليستقر بمولاي عين الجنان خلف فوضى كبيرة بين قبائل ورغة العليا حيث نشب صراع داخلي بين مختلف فرق قبيلة رغبة خلفاً لعديد القتلى والجرحى، كما وقعت مشاجرات عند ميثوة خلفت أربعة قتلى، الأمر الذي يحيل على الحزازات القبلية وصعوبة هدوء مناوشاتها البينية إلا في حالة حضور زعيم قوي يوحد كلمتهم. وللإطلاع أكثر على تبعات انسحاب عبد المالك من المنطقة أنظر تقارير أشهر: مارس وأبريل وماي من سنة 1922.

²⁰⁰ -A.M, R.M.P, Avril 1922, p.1

وجود الصراعات بين قبائل ورغة سهل على فرنسا الانكباب على العمل السياسي والاستخباراتي، عبر خلق تقارب مع قبيلة مشيوة في قسمها الجبل، التي لطالما هددت قبيلة الحياينة لكونها تعتبر معقل تجمع المقاومين، والإقدام على استمالة شيوخها للانضواء تحت سلطتها، مما جعل القول ممكنا بأن قبائل ورغة أصبحت غير قادرة على العيش دون وجود نفوذ سياسي لجهة قوية، تجعلها ضامنة لأمنها واستقرارها خاصة مع وجود مجال قبلي موقوت ينفجر دوريا بعدد الصراعات في كل مرة، ومهدد باستمرار في حال ترك المجال لحال سبيله أمام وجود أطراف تتجاذب التطاحن فيما بينها للسيطرة على تلك القبائل، وهو ما يخلف شتاتا يدفعها للاحتماء ولو بالفرنسيين²⁰¹ الذين كانوا أعداء الأمس.

استحسان القوات الفرنسية انزواء عبد المالك ظنا منها أنه كان المنافس الأجدر والوحيد لتوحيد قبائل ورغة ضد الفرنسيين بعد أن أصبحت الساحة خالية لها من منافس مؤهل، لن يعمر هذا الاعتقاد طويلا، فالريفيون بدورهم لطالما أرادوا مد نفوذهم بهذه المناطق وخلق جبهة متقدمة لمراقبة تحركات القوات الفرنسية، وهو ما ثبت في تقرير استخباراتي فرنسي من خلال وجود احتمال التخوف مما يروج حول إشاعة أخبار عن قدوم محمد بن عبد الكريم إلى مرنيسة، الأمر الذي جعل هذه القوات تدخل في حيرة من أمرها حول مدى إمكانية صمود نفوذها السياسي الذي مارسه بعدد القبائل المتواجدة بورغة العليا، فتدخل محمد بن عبد الكريم بالمنطقة بقواته، يعني قلب الموازين مجددا، وبذلك أصبح الجهاز الاستخباراتي الفرنسي محط اختبار صعب، وريبة من مدى نجاح دعايته بالمنطقة، أمام صعوبة التكهن بمصيرها²⁰²، فوجود هذا الاحتمال أصبحت تنتفي معه الطمأنينة والثقة، التي يحاول المستعمر الفرنسي إظهارها لإخفاء حقيقة التوجس من طموحات المقاومة الريفية، وأهليتها للزحف باتجاه المنطقة.

لم يكن الحديث الفرنسي عن دعاية ريفية سياسية إلا من منطلق توجسه من احتمال سقوط سياسته كمحتل، بمقابل سياسة تحمل في طياتها حسا وطنيا ورمزية قدسية في الإسلام من منطلق الجهاد وتحرير البلاد من برائين

²⁰¹ -A.M, R.M.P, 2^e partie, Mai 1922, p.1

²⁰² -A.M, R.M.P, Juin 1922, p.1

المستعمر، الذي لا يجمعه شيء ولا ينتمي في شيء لهذا الوطن، غير رغبة في السيطرة وسلب الأرض من أصحابها الأصليين، فمن خلال معظم التقارير الفرنسية التي تحدثت عن الدعاية الريفية يتضح أنها لخصتها في الدعوة إلى المد بالمقاومين وفضح المتعاونين مع فرنسا، واستعمال الإيديولوجية الدينية لحث القبائل على الجهاد وتموين محمد بن عبد الكريم بالمال والعنصر البشري لحركاته.

شكلت الدعاية الريفية في شكلها العام مشروعا سياسيا وعسكريا طموحا لمواجهة قوتين إستعماريتين احتلتا المغرب، وهو ما لم يوجد عند العديد من قادة القبائل الذين عجزوا عن الخروج من إطار القبيلة إلى إطار أكثر شمولية يوحد القبائل في الدفاع عن الاستقلال، وهو ما يتضح من خلال بروز عديد الزعامات المحلية المناصرة للمشروع الفرنسي الذي يتغلف بمسمى "الخضوع لقواته وسلطته" الذي يعني ضمينا خضوعا لسلطة المخزن، هذه السلطة التي كانت عاجزة في كل الأحوال عن ضمان إستقلال أصبح مسلوبا، فالدعاية السياسية هي عصب كل تقدم فرنسي يستهدف التسويق لمشروع إستعماري مبطن، من خلال القول بجمع شتات المغرب القبلي المفكك، حيث يخفي ما يتبع ذلك من امتيازات وإغداقات على الزعماء التابعين، الذين فضل العديد منهم الركون إلى زاوية الاستعمار لضمان الاستمرار في زعامتهم أو تعزيزها محليا، عوض الدخول في جناح الممانعة والمقاومة الذي يهدد كل تلك الإمتيازات، ويؤرقهم في أن تصبح مناصبهم من نصيب أعدائهم في حالة رفض الوجود الفرنسي، وهنا يمكن القول أن مجابهة الفعل المقاوماتي ومحاولة نسفه في بدايته ما هو إلا شكل من أشكال استجلاب الرضا الفرنسي عن هؤلاء وتعزيز سلطته على المجال الأوسع الذي هو الوطن، والاستفادة من سلطة محلية تتمحور حول المجال القبلي.

رصد الفرنسيون تطور الحملة الدعائية للريفيين بشكل مستمر، من خلال تتبع ما يقوم به الريفيون بالمنطقة لتثبيت حضورهم الدائم، من خلال القيام بمجموعة من التدابير داخل هذه القبائل الوردية، من قبيل القيام بتحريك القبائل للقيام والاستئناس بالفعل المقاوماتي عبر تشكيل مجموعات لمهاجمة ومناوشة القبائل التي لم تخضع بعد بمجال ورغة الأعلى والمتردة في مقاومتها، الأمر الذي دفع بست قبائل من هذه المنطقة لإرسال مبعوثين إلى الزعيم الريفي،

لتقديم الدخول المبدئي في نفوذه، أو من خلال تعيين نواب بكل قبيلة لتسهيل ربط تلك القبائل بخطوط المقاومة الريفية²⁰³.

ب- الدخول العسكري الريفي إلى المنطقة

صارت التخوفات والتوقعات التي وضعها الجهاز الاستخباراتي الفرنسي كاحتمالات لتحركات المقاومين الريفيين أمرا واقعا لا مفر منه، بعد أن حل الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي بالصفة اليمنى لورغة، مرفوقا بألف من المقاومين، لفرض الأمر الواقع بالمنطقة، وتثبيت النفوذ السياسي الفعلي على الميدان، بعد أن شغرت الساحة، وأصبحت متاحة لمن يكون له السبق مع الفرنسيين، فقد أصبح جليا رغبة الريفيين في شغل ما تركه عبد المالك لفترة، وقد خلف مجيئهم تضاربا بين القبائل، التي لم تجد خيارا غير الانضمام لصف المقاومة، أو مقاومة الحضور الريفي بإيعاز من الفرنسيين، لكن هذا الأمر أصبح عسيرا، حتى على قبائل النفوذ السياسي الفرنسي، بعد أن حل الزعيم الريفي يوم 6 يوليوز 1922 بمولاي عين الجنان، وعلى مشارف قبيلة مريسة، التي رفض عمر دحميدو أن تطول مدة وجود الريفيين بالمنطقة، ليدخل معهم في مواجهات أيام 8-9 يوليوز، لم تنتهي إلا بعد توقيع اتفاق يوم 26 يوليوز 1922، الذي عبر فيه الزعيم الريفي عن رغبته في تنظيم هذه الضفة، وتوحيد قبائلها تحت إمرته، من خلال تعيين ممثلين عليها، لتحصيل الإعانات كما هو الشأن بالنسبة لبني وليد وصنهاجة مصباح ورغوة ثم مشوية، هذه الأخيرة التي انضوت تحت لواء هذا الزعيم بكل يسر، بعد ما عانته من صراعات وتطاحنات داخلية بين فرقها²⁰⁴. أحدث ظهور الزعيم الريفي بالمنطقة تأثيرا واضحا على القبائل، كشخصية له الأهلية لتوحيد صفوف القبائل التي تعرف انقسامات، جراء تأثير نزاعات فرقها، مع تواجد عمل سياسي فرنسي متوغل لاستغلال تلك الصراعات وضمان استمرار فرقة الساكنة حتى بين أفراد القبيلة الواحدة، هذا التقدم سعت جاهدة التقارير الفرنسية إلى إظهار تناقض بين فيه، بين إعلان عن امتثال القبائل لإرادة الريفيين دون مقاومة، وبين إظهارهم بمظهر الوحشي أثناء نزولهم باتجاه القبائل حيث قاموا بتخريب قرى

²⁰³ -A.M, R.M.P, Novembre 1923, pp.4-3

²⁰⁴ -A.M, R.M.P, Juillet 1922, p.1

هذه القبائل المتردة، ونهب ممتلكاتهم من السلاح والبغال، وإقدام محمد بن عبد الكريم على إلزام شيخ قبيلة مشيوة بمرافقته بالإضافة إلى أعيان ورغة العليا²⁰⁵، كما لو أن القوات الفرنسية بمثابة الجهاز الناعم في تعامله مع سكان القبائل والساهر على مصالحهم، وهو ما يسعى هذا الجهاز دائما إلى تسويقه من خلال دعايته لإخفاء حقيقة خبثه في استعمال جميع الأساليب، لتحقيق السيطرة على مجال يُعتبر فيه تواجد قوات فرنسية تواجدا محتلا.

دخول محمد بن عبد الكريم لهذا المجال وتهديده لمناطق النفوذ الفرنسي الغير الخاضعة، مع وجود تداخل في الأهداف والمصالح، سيدفع عمر دحميدو زعيم مريسة إلى الاستنجاد بعودو الأمس لفرنسا والريفيين عبد المالك، الذي كان له النفوذ الكبير على المجال الورغي قبل تواريه عن الأنظار، ما يظهر تضارب المصالح والصراعات في نفس تواجد شكل موحد لمقاومة واحدة تواجه عدوا واحدا (المستعمر)، حيث وجدت إسبانيا مأربها في عبد المالك لمجابهة محمد بن عبد الكريم، ومحاولة إشعال جبهته الخلفية لتشيت مجهوده الحربي، بدورها وجدت فرنسا في عمر دحميدو الرجل المناسب والمعترف به من قبلها على سيادة قبيلته للتنسيق مع عبد المالك²⁰⁶، ودعمه لحشد القبائل في مواجهة الريفيين، لدفعهم باتجاه منطقتهم التي يتصارعون فيها مع الإسبان، لتصبح المنطقة في ظل هذه التفاعلات بين ثنائية الفعل ورد الفعل مقسمة إلى ثلاث جبهات:

1- جبهة عمر دحميدو وعبد المالك مدعمين بقبيلة مريسة

2- جبهة مشيوة وفناسة المنشقتين عن طاعة المخزن (حسب الزعم الفرنسي)²⁰⁷ والمتعاونة مع المقاومين الريفيين.

3- صنهاجة مصباح الراضة للفرنسيين، مزيات ورغوة اللتان لم تعودا مستعدتان لقبول أي حديث عن عبد

المالك ومناصرته²⁰⁸.

²⁰⁵ -ibid, p.2

²⁰⁶ - سينتهي الأمر به مقتولا يوم 7 غشت بالقرب من ميدار حسب ما جاء في التقرير الفرنسي لشهر غشت، أنظر

A.M, R.M.P, Août 1924, p.2

²⁰⁷ - التقارير الفرنسية تعتمد إلى إخفاء حقيقة تواجد فرنسا كمستعمر، حيث تعمل على إظهار القوات الفرنسية بمظهر أنها ليست طرفا في الصراع مع القبائل أو السكان بل تسعى فقط إلى مساعدة السلطة الشرعية المخزن، في السيطرة على القبائل المتمردة عليه.

²⁰⁸ -A.M, R.M.P, Novembre 1922, p.1

لقد أصبح ما يجري بالمنطقة الإسبانية والتقدم الريفي، الشغل الشاغل للقبائل الحدودية التي تتطلع فرنسا للسيطرة عليها، ومعه لم يكن الأمر مغيبا عن معاوين محمد بن عبد الكريم بهذه المنطقة، بغية الترويج لانتصارات المقاومة وشحذ همم الناس للجهاد والمقاومة، فتقدم الريفيين وطموحهم في خلق وعي سياسي لدى الساكنة تجاه ما يقع من أحداث والتموقع منها بجانب خيار المقاومة. اتخاذ موقف كهذا كان يتطلب وجود مبعوثين للقيام بهكذا عمل، كما لو أن الأمر يتعلق بحملة إعلامية دعائية محمومة للتأثير في القبائل المستهدفة وتحريكها بجانب أعيانها، صوب القيام برد فعل محدد والتموقف من المستعمر، كما هو الشأن بالنسبة للفتية بولحية الذي عينه الزعيم الريفي للقيام بحملة دعائية على طول روافد نهر ورغة، حيث سيمر بعدد القبائل الحدودية الراضية للفرنسيين التي ستوليه استقبالا حارا لإلقاء ما أوصاه به الزعيم الريفي، خاصة مسألة تمكينه من التزود بالعنصر البشري لإخضاع القبائل المتعاونة مع المستعمر، ومقاومة المشروع الاستعماري، وهو ما حاول المستعمر استصغاره وتقليل التجاوب القبلي حول هذا المعطى المتمركز حول امداد الريفيين بالعنصر البشري، والتقليل من قيمة الدعم المقدم له من قبل قبائل ورغة العليا كمشيوة ورغوية ومزيات، التي أرسلت أعدادا مهمة من مقاتليها للمقاتلة بجوار المقاومين الريفيين قبل عودتهم إلى قبائلهم الثلاث²⁰⁹، كمحاولة من جانب الفرنسي لإخفاء خطورة الوضع واستصغار قيمة هذه القبائل الثلاث، مع العلم أنها تشكل المنفذ الرئيسي لنزول المقاومين من الريف وصنهاجة السراير، خاصة صوب أهم القواعد الفرنسية بعين عائشة، ومعها تهديد أكبر قبيلة تستغلها فرنسا لإمكانياتها البشرية والاقتصادية الكبيرة، ألا وهي قبيلة الحياينة.

²⁰⁹ - A.M, R.P.M, Région de Fès, 1^{er} partie, période du 1 au 31 Août 1923, p.2

2- التدخل الفرنسي لصد تنامي النفوذ الريفي 1924م

أمام التدخل الريفي بالمنطقة وسعي المقاومة لتثبيت وجودها ميدانيا بقبائل ورغة العليا، كان لزاما على الفرنسيين التمتع من هذه الأحداث والتطور الحاصل في الجبهة الأمامية، التي أثّرت لديهم على بداية دخول ريفي، يسابق الفرنسيين في السيطرة على مجال تعتبره فرنسا تابعا لها حسب الاتفاقيات الموقعة مع الجانب الإسباني.

1-2 . مرحلة الترقب والتقدم المفاجئ

أ- توظيف سلاح الجو

تماشيا مع سياسة ليوطي المرتكزة على التقدم المدروس، وتوظيف العمل الاستخباراتي والسياسي قبل أي تقدم عسكري باتجاه ورغة تكون خطواته غير محسوبة، تفاديا لنموذج هزيمة أنوال بصيغة فرنسية، حيث سيتم توظيف عمل كثيف للتنسيق مع الشريف الدرقاوي، الذي بدأ يشتغل على فرق بني زروال وتوحيد صفوفها لمواجهة التقدم الريفي القادم من الشمال ومنافذه الأخرى، بعد أن أصبح الريفيون يؤطرون المقاومين للقيام بعمليات ضد القبيلة، ووعيا من الجهاز العسكري بعدم الاتكال فقط على العمل السياسي، وضرورة القيام بالخطوات اللازمة لمنع الريفيين من السيطرة على بني زروال، كان لابد من توظيف سلاح الجو لهذه العمليات للتعرف على حوض ورغة والتهيئة بشكل مدروس ودقيق للتحرك باتجاه عاليته، وتحت طلب من الأركان العامة لفاس للقوات الفرنسية سيقوم السرب الأول للطيران بإنجاز طلعتين لالتقاط الصور فوق وادي ورغة، ففي 4 أبريل 1924 ستقوم فرقة من الأسراب بإنجاز مهمة لالتقاط الصور الجوية على طول الوادي، حيث التقطت 24 كليشي (صور جوية) بحجم 24x18، وفي يوم 17 ستعاود الفرقة القيام بطلعة جوية ثانية لالتقاط 24 كليشي بنفس الحجم بمنطقة ورغة²¹⁰، هذه الطلعات ماهي إلا مرحلة تمهيدية لمرحلة تقدم القوات الفرنسية باتجاه الصعود للمناطق المتواجدة بالضفة اليمنى لورغة، وعلى رأسها الوصول لمرتفعات قبائل صنهاجة مصباح و رغيوة ومزيات ومزراوة، وهي كلها قبائل مترابطة حدوديا مع قبيلة مثوية، التي أصبحت تحركات

²¹⁰ - A.M, R.M.P, Avril 1924, p.15

المقاومة بها واضحة وتشكل خطراً على قبيلة بني زروال وعلى أهم المراكز الفرنسية القديمة المتواجدة على الضفة اليسرى للنهر (عين معطوف وعين عائشة وتيسة)، وبذلك ستخطط فرنسا حسب تصورها لقطع الطريق على الريفيين الطامحين للسيطرة على هاته القبائل، مما سيمكن من وضع حائط صد أمامي أمام طموحات المقاومة بالمنطقة.

بنهاية شهر ماي 1924، كان مجموع ما قامت به الطائرات الفرنسية المجتمعة بعين عائشة من عمليات على الضفة الشمالية لورغة تحت قيادة الجنرال شمبران Chambrun تتلخص فيما يلي:

- وضع سلاح للطيران مع مصلحة للاستعلامات تحت قيادة واحدة، للاشتغال على مجال واد درادر بطلقات يومية في حالة تواجدت صعوبات على الأرض لتحديد التهديدات الميدانية.

- تحليق السربين 1 و 2 لاكتشاف المنطقة والمراقبة.

- تحليق المجموعة الرابعة (السرب السابع والثامن) على منطقة فاس، والسرب الرابع على بني مالك للقيام بضربات جوية.

ت- تحليق سرب طائرات الصحة المكون من 10 طائرات، نصفها الأول كان موجها لمنطقة واد درادر والنصف الثاني لفاس.

ث- مراقبة أعالي ورغة حيث وديان السرى والسهلة وأمزيز، وهي الروافد التي تفصل بين قبائل رغيوة مزيات ومزراوة، حيث حلقت فرق السرب السابع مدة تراوحت ما بين 5 و 11 ساعة على هذه الروافد؛

ج- يوم 27 ماي 1924، بعد احتلال منطقة تاونات، تحركت أسراب الطائرات حول سكر مابين 642-722 مرة، وعلى رغيوة ب 639-725 مرة، ومولاي عين الجنان 640 و 728 مرة، وكلها كانت بهدف ضمان سلامة القوات الفرنسية، التي تمركزت بهذه المنطقة لبناء حاميات فرنسية وتفادي الهجوم المباغت للمقاومين.

قام الجنرال شمبران صباح 28 ماي ، بإعطاء تعليمات للسرب الثاني للقيام بجولة استطلاعية، لاكتشاف المناطق المجاورة لموقع تواجد القوات الفرنسية بتاونات، حيث نفذت طلعات جوية على كل من: واد الزاوية، سوق السبت وجبل أزرو وأزراد وعلى واد أمزيز ثم منطقة مولاي عين الجنان²¹¹، كان الهدف منها رصد تجمعات المقاومين.

في يوم 29 من الشهر، ستقوم طائرة بجولة استطلاعية على القطاع، ثم في 30 ستقوم أسراب الطائرات (7 و 8 و 2 و 4 و 1)، بالتحليق تباعا فوق طريق واد الدردار وسوق السبت وجبل أغيل وعين الباردة وواد الدردار لتخويف الساكنة التي تتحرك على الطرق المؤدية لمناطق تجمع القوات الفرنسية، وخصصت لهذه العمليات 27 آلة (رشاشات)²¹²، وهو ما يوضح مدى الترهيب الذي كان يحاول المستعمر زرعه في السكان المحليين للمناطق الدائرة بها تحركات القوات الفرنسية، وحرمانهم من انعقاد الأسواق كسوق السبت بمشيوة.

وقد وضفت في هذه العمليات سبعة أسراب جلبت من الجزائر و سربين (السابع والثامن) من مكناس، كما نقلت طائرات طبية جريحين من واد الدردار إلى مكناس، وهو ما يوضح الصمت الذي تعمدته التقرير الفرنسي حول المعارك التي دارت بالمنطقة، أثناء تقدمه للسيطرة على تاونات وغيرها من المناطق، التي اعتبرها مناطق احتلت دون معارك كبيرة²¹³.

ب- تفادي المواجهة المباشرة

أصبحت القوات الفرنسية خاصة في شقها الاستخباراتي أشد قلقا من ذي قبل، مع تزايد التهديد الريفي بالمنطقة -رغم تطور هذا الفعل بين النجاح والفشل- ، على مستقبلها ومستقبل معاونيها بالمنطقة والمناطق المجاورة لها، فالتدخل الريفي وسعيه للاستئثار بالفعل المقاوماتي من منطلق قيادي، قلب كل خيوط اللعبة في المنطقة، وأصبحت كلها تدور في فلك الترقب إلى أي حد يريد أن يصل طموح المقاومين وعلى رأسهم القادمون من الريف، فرغم خسارة

²¹¹ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.12

²¹² - ibidem

²¹³ - ibidem

المقاومة بمعية محمد بن عبد الكريم إمكانية جر قبائل شرق ورغة الأعلى مرنيسة وكزناية لصف المقاومة بعد تكبد عديد الخسائر، غير أنه حقق هذا الهدف عند قبائل مزيات مشوية ثم صنهاجة مصباح بفضل نجاح المقاومين في إقناعها بذلك، بالمقابل أرجع الفرنسيون هذا الأمر لنجاح معاونيه في التأثير عليها، لكن الثابت أنها قبائل أصبحت في حضن المقاومة، الأمر الذي رصدته الجهاز الاستخباراتي الفرنسي، حيث ظل في حالة ترقب للأوضاع قبل التحرك صوب المنطقة، مبررا هذا التصاعد لنفوذ الريفيين بالمنطقة إلى استغلال عدم وجود رد فعل إسباني لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الحلفاء ولهذا الغرض " اتجه (محمد بن عبد الكريم الخطابي) بشكل طبيعي إلى القبائل المحادية لمنطقتنا مع إعلان حسن نواياه اتجاهنا"²¹⁴.

حسن النوايا التي تحدث عنها محمد بن عبد الكريم حسب الفرنسيين، هي حسن النوايا نفسها التي كانت تحاول التصريح بها فرنسا، لتبرير مد نفوذها صوب ورغة كأنه حق مشروع يراد أن يسلب منها، تبعا لما اتفقت عليه مع إسبانيا حدوديا في اتفاقهما لتقسيم المغرب²¹⁵، وهو ما اتضح بشكل جلي في عديد التقارير التي تظهر فرنسا على أنها صاحبة حق تطالب به لا غير، راقبة بذلك على كل تصريح أو تحسيس بأنها دولة مستعمرة ما دامت حسب ادعائها تتحرك بمباركة من المخزن. ما ميز القوات الفرنسية هو خبثها في توظيف جميع الأوراق لصالحها، لتبرير مشروعية ردود أفعالها، من خلال عمل سياسي مستمر تعمل فيه على اللعب على الانقسامات القبلية وزرع المنافسة بين من يخدمها، عبر تقديم الجاه والإغراءات والسلطة لمن يناصرها، كإكرامية لما قاموا به لصالحها، فمن هذه النقطة، يصبح الصراع أخويا وبالوكالة في غالبية الصراعات، التي نشبت بمجال ورغة الأعلى، أو في سائر المناطق، التي تتشكل فيها جبهة مضادة، من عناصر تدعوا للانقسام، لاستنزاف الجهد المقاوماتي بعد التدخل العسكري الفرنسي.

هذه الحرب بالوكالة برزت في عديد المرات، كما هو الشأن بالنسبة لبني زروال، حيث لعب الشريف الدرقاوي دورا مهما في جمع كلمة فرق قبيلة بني زروال، التي كانت تعيش الفرقة، لكن هذه المرة لتشكيل اتحادية متماسكة لمواجهة

²¹⁴ ليوطي ببيير، ليوطي، م.س، ص.17

²¹⁵ -الاتفاقيات الحدودية بين الجانب الفرنسي والإسباني ظلت غامضة على أرض الواقع، وكانت دائما تذهب صوب الإرادة الفرنسية، أنظر الجزء الخاص بالاتفاقيات الحدودية من الباب الثاني.

التدخل الريفي، بدعاية مضادة، كما عمل على صد هجمات المقاومة المؤطرة بالريفيين -بفضل المساعدة الفرنسية وتمويله بالسلاح- ووعيد قبائل ورغة المنضمة لصف الريفيين بالانتقام²¹⁶.

هذا الفعل الانتقامي والخوف من رد الفعل العنيف، كان يخدم الفرنسيين بالدرجة الأولى، لسحب بساط السيطرة الميدانية من المقاومين بحجة الوجود الريفي، بإقدام الزرواليين على الانتقام لأنفسهم من القبائل المساهمة في المقاومة والمتعاونة مع الريفيين حسب الرواية الفرنسية، دفع العديد من القبائل إلى المسارعة للمطالبة بالوساطة الفرنسية لمنع الانتقام الزروالي منهم²¹⁷، وبذلك هذه الوضعية أفادت الفرنسيين، خاصة أمام رفض **صنهاجة مصباح** تزويد الريفيين بقوات للمحاربة على الجبهة الإسبانية، باعتبارها وضعية مكنتهم من توسيع العمل السياسي الفرنسي بورغة، وأثناءها قامت القوات الفرنسية بتكثيف تركزها بقاعدة **عين عائشة** لتشن حملة عسكرية للسيطرة على قبيلتي مزيات ورغوة في شهر ماي 1924، مستعينة في ذلك بفرقة متحركة²¹⁸، كشكل من أشكال إظهار القوة لإبراز قدرة فرنسا على حماية القبائل التابعة لها، وكشكل استقطابي للقبائل المترددة أو المتخوفة من الانتقام الريفي، فهي تسعى لإرسال رسالة مفادها أن لا كلمة تعلق على كلمة فرنسا بالمنطقة، وبالفعل قامت قبائل الجاية ومزراوة ومزيات ورغوة وصنهاجة مصباح وأغلب قرى مثوية إعلان خضوعها، عبر حضور مراسيم تقديم الخضوع أمام اللواء قائد منطقة فاس، أثناء زيارته يوم 26 ماي لقاعدة عين عائشة (عين عيشة)²¹⁹.

²¹⁶ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.4

²¹⁷ - تبعا للتقرير الفرنسي لشهر ماي 1924 أقدمت قبيلة بني زروال خلال منتصف الشهر على إحراق دواوين من مزراوة (عين اللوح، ودمينات) ولعزاب من بني ملول لتعاون سكانها مع الريفيين، وبالجانب الشرقي قرى الجاية من بني امحمد وأولاد قرون، وبالشمال بعض قرى بني امحمد السراق، حيث سيدفع هذا الانتقام بعد فشل الهجوم الريفي والمقاومة على قبيلة بني زروال إلى إعلان قبائل ورغة مهادنة قبيلة بني زروال بعد انتقامها.

²¹⁸ - في يوم 27 ماي 1924 بلغ مجموع قوات الفرقة المتحركة 11 كتيبة و12 بطارية و3 أسراب من الطائرات، و 3 فرق للكوم، و 12000 رجل، قسمت هذه القوات على رتلين عسكريين- الأول خصص للتوجه إلى مولاي عين الجنان على الضفة اليمنى لنهر ورغة عند قبيلة رغوة، والرتل الثاني وجه صوب تاونات وأستر بقبيلة مزيات وبسكر بالقرب من مثوية-، ومفرزة من سلاح الفرسان تحركت خفية شرقا على الضفة اليسرى لنهر ورغة، وكتيبة تحركت من مولاي عين الجنان عبر الواد للتمركز ببوعادل. أنظر:

- A.M, R.M.P, Mai 1924, p.IV

²¹⁹ - ibid, p.4

ت- الصدام مع المقاومة المؤطرة من قبل الريفيين

برزت أولى المواجهات المباشرة بين المقاومة المشكلة من الريفيين والعناصر المحلية ضد الفرنسيين، بعد استشعار الزعيم الريفي لخطورة ما تقوم به القوات الفرنسية من إجراءات ضده، بعد إقدامها على القيام ببناء حاجز ببوعادل، الذي يستهدف قطع الطريق على المقاومين، ومنعهم من النزول صوب المناطق المتواجدة بورغة العليا، ليقوم بإرسال مبعوث برفقة فرقة من بني ورياغل إلى بني وليد يوم 5 يونيو 1924، لتتم في مساء اليوم الموالي عملية مهاجمة كتيبة ستيفاني المعنية بإقامة الحاجز، فدارت معركة بين الجانبين، خسر خلالها المقاومون الريفيون ومن معهم من بني وليد 36 قتيلًا و42 جريحًا، وقتل في صفوف الفرنسيين 60 قتيلًا و 60 جريحًا، وأمام إصرار المقاومين على تحطيم الإجراء الفرنسي، عاودوا الهجوم يومه 8 بنفس المنطقة تلقوا خلالها خسارة 43 قتيل و62 جريحًا، وقتيل وجريح واحد في صفوف الفرنسيين تبعًا لما ورد في التقرير الشهري²²⁰، هذه التقارير، التي لا يمكن إبعاد عنها محاولة إخفاء الأرقام الحقيقية للقتلى من صفوف القوات الفرنسية، كي لا تؤول من قيمة قوة المقاومة.

كل هذه الأحداث التي تظهرها التقارير على أنها انتصارات تبرز تفوق الفرنسيين، ن ساعدت على ترسيخ سلطة الحماية على بني زروال وقطع الشك باليقين على قدرة الفرنسيين على مجابهة تقدم المقاومين صوبها، وبذلك ستجد القوات الفرنسية حسب اعتقادها، يسرا في تطبيق خططها والسيطرة على بني زروال دون صعوبات، خاصة بعد أن تم احتلال قبيلة مزراوة في 14 يونيو، 1924 ليتبقى للمقاومين مجموعتين صغيرتين مشكلة من العناصر المحلية والريفية، بكل من بني وليد وأخرى بـمشوة، لضمان ولاء القبائل التي لا زالت رافضة للفرنسيين ومراقبة نواياها في الإتصال بالمراكز الفرنسية²²¹.

²²⁰ A.M, R.M.P, Juin 1924, p.7

²²¹ A.M, R.P.M, Région de Fès, 1^{er} partie, 20 Avril au 19 Juin 1924, p.2

هذا الاطمئنان أمام مقاومة مندمجة ومتحركة، لم يكن ثابتاً -أمام توظيف فرنسي لمعطيات ربما لن تكون دقيقة للحفاظ على المعنويات المرتفعة للجنود والموالين-، مع مقاومة تعتمد على ما يعرف بحرب العصابات والتحرك المباغت، على الرغم من وجود طائرات استطلاعية تركز على رصد التحركات التي تراها في واضحة النهار، فالمقاومون نهجوا في تحركهم سياسة ارتكزت على التواري عن الأنظار نهاراً، أو التحرك ليلاً، لشن هجمات مباغتة وخاطفة مع سرعة الإنسحاب كما وقع لسخرة المياه الفرنسية بنقطة سكر²²².

2-2 الإجراءات الفرنسية للحد من التوسع الريفي

تماشياً مع المخطط الفرنسي لاحتلال منطقة ورغة العليا، وأمام تسارع الأحداث، بدأت القوات الفرنسية في تكثيف جهودها ومركزتها باتجاه الضفة اليمنى لواد ورغة، للسيطرة على قبائل رغيوة ومزيات ومزراوة، وتأسيس الحاميات العسكرية وتكثيف العمل الاستخباراتي، حيث تحرك الفرنسيون بشكل مباغت خارج قاعدة عين عيشة، التي تم وضع قاعدة عسكرية مركزية بها لتجميع القوات وإطلاق العمليات بمختلف أشكالها الجوية والأرضية، لبدأ الشروع في عملية توسيع مجال سيطرة القوات الفرنسية، بتوظيف فرقة متحركة تنطلق من القاعدة لتموين القوات الفرنسية، وتسهيل فك الحصار على قواتها المتحركة باتجاه مرتفعات رغيوة ومزيات وباقي قبائل الضفة اليمنى لورغة، فبحلول شهر ماي اتضحت النوايا الفرنسية بعد أن قررت التحرك بشكل مباغت باتجاه قبائل ورغة بضفتيه التي أصبحت مطوقة بالمراكز²²³.

عبر هذا التحرك سيتم تأسيس مراكز عسكرية بقبيلتي رغيوة (مراكز: باب وندر، بوعزون، مولاي عين الجنان) ومزيات (مركز وحاميتين: تاونات، أستر وسكر)، مع تشكيل فرقة متحركة لضمان استمرار تلك المراكز، تحسباً لهجمات المقاومين عليها، حيث بلغ قوام الفرقة في 27 ماي 1924 : 11 كتيبة و 12 بطارية و 3 أسراب

²²² - A.M, R.M.P, Juillet 1924, p.I

²²³ - A.M, R.M.P, Mai 1924, p.II

من الطائرات، و 3 فرق للـكُوم، و 12000 رجل، قسمت إلى رتلين عسكريين واحد خصص لمولاي عين الجنان على الضفة اليمنى لنهر ورغة عند قبيلة رغيوة، ورتل آخر بتاونات وأستر بقبيلة مزيات ويسكر بالقرب من مشيوة، كما تحركت مفرزة تابعة للفرقة من سلاح الفرسان خفية شرقا على الضفة اليسرى لنهر ورغة، كما تحركت كتيبة من مولاي عين الجنان عبر الواد للتمركز ببوعادل²²⁴.

وضعت القوات الفرنسية طابورين عسكريين بالمنطقة، واحد بقيادة الكولونيل كمباي Cambay كحائط صد أمام مشيوة الجبل، يغطي مراكز مولاي عين الجنان وولاد احمد وبوعادل وبوعزون، وطابور ثاني بقيادة كولومبا Colombat يغطي على مركزي سكر وأستر²²⁵ من الجهة المقابلة لمشيوة لوطا، لتبدأ المراكز العسكرية في توسيع هجماتها على المجال المحيط بها²²⁶، كل هذه التحركات اعتمدت فيها القوات الفرنسية على عنصر المفاجأة، للتمركز بمرتفعات المنطقة من خلال عدم إشعار القبائل بذلك، حيث أن هذه العمليات لم تكن قد جهزت لها الطرقات من قبل القوات الفرنسية، كي لا يتم رصدها من قبل المقاومين، فقد اكتفت القوات الفرنسية بتشديد طرق تموين قاعدتها الرئيسية عين عيشة والمركزين القرييين منها (عين عيشة وحد رصيفة)، والاحتفاظ بالمسالك التي تربط عين معطوف بمركزي عين مديونة ودرادر²²⁷.

تماشيا مع سياسة القوات الفرنسية في مركزة سيطرتها بالمناطق التي خضعت، دون الحاجة إلى تكرار تمرداها أو انضمامها إلى المقاومين وعلى رأسهم القادمين من مشيوة والريف، وتفاديا للهجمات المباغتة، قامت بتقسيم المنطقة المستهدفة إلى قطاعين لتأسيس نقط للمراقبة، فكان القطاع الأول بين واد الساهلة وواد أمزيز، حيث تم احتلال قرية عين اللوح في 4 يوليوز 1924 على الحدود الشمالية لمزراوة، وقطاع ثاني عند الجاية بين واد أمزيز وواد عولاي Aoulai، فهدف القطاعين ارتكز بالأساس على إنشاء مراكز عسكرية متقدمة، وتضييق المساحات بين كل نقطة

²²⁴ - ibid, p.IV

²²⁵ - تم احتلال هضبة سكر ومولاي عين الجنان يوم 27 ماي من طرف طابور كولومبا.

²²⁶ - A.M, R.M.P, Juin 1924, p.7

²²⁷ - أنظر خريطة عمليات جبهة ورغة يونيو 1924.

مراقبة وأخرى. هذا الإجراء سيقابله المقاومون بتأطير من القيادة الريفية بالمنطقة، بإنشاء نقط مراقبة عند الحدود الشمالية لمزيات والجنوبية لمشوية شمال شرق أستر وعند رغبة²²⁸، وهو ما يعد تحديا صريحا من قبل المقاومين بقيادة الريفيين للقوات الفرنسية، باعتبارهم السباقين في الوصول إلى المنطقة حسب ما تم التخطيط له، وأن تجاوز تلك النقط الموضوعية من الجانبين يعني ضمنا اعتداء مباشر على مجال سيادة الريفيين، الذين رفضوا التقدم الفرنسي صوب المنطقة، كما لم يتوقفوا عن نشر دعواتهم للقبائل التي خضعت للفرنسيين، حيث وجدت منشورات ريفية بجوار مركز سكر تدعو المجندين من الأهالي إلى الفرار، كما عمل الريفيون ومعهم العناصر المحلية (المقاومون) بجذ في البحث عن أبرز نقاط ضعف خط الدفاع الذي أنشئ بالقطعين المذكورين²²⁹.

رغم التدابير التي اتخذتها القوات الفرنسية لردع الريفيين عن التقدم لمهاجمتها، ازدادت حدة هجمات المقاومين على المراكز الفرنسية الجديدة، فعادت معها دعاية محمد بن عبد الكريم لتصبح أكثر قوة بورغة العليا، حول ضرورة مواجهة المستعمر الفرنسي، فأصبح الجهاز الاستخباراتي الفرنسي يتساءل مع نفسه عن سر هذا الانتعاش الريفي هل هو راجع إلى مهارة الزعماء الريفيين، أم بالأحرى إلى سياسة التهدة التي تجعل التعليمات لقواتها مكشوفة أمام القادة الريفيين، كما أرجع هذا الجهاز سبب هذا الانتعاش إلى احتمال ضعف الحصول الريفي من الشعير والحبوب، واعتبر الريفيين عصابات لها تمرس على الحرب ودور بني ورياغل، كأشخاص يعرفون التأثير بالكلام، وصرامتهم والتزامهم بتطبيق أوامر زعيمهم أينما ذهبوا، وأن الريفيين لا يعرفون فرقا بين الإسبان أو الفرنسيين، وتصريحات محمد بن عبد الكريم بأن الفرنسيين ليسوا بأعدائه، ما هو إلا تمويه منه، فهو أشد الناس حرصا على ضمان موارد تزود الريف²³⁰. فقد حاول التفسير الفرنسي دائما إبعاد شعور الغيرة الوطنية وضرورة المقاومة عن القبائل والقيادات المقاومة، حيث كانت دائما المحاولة تصب في عزل المقاومة المحلية واختزلها فقط في الأطماع الريفية بالمنطقة.

²²⁸ - A.M, R.M.P, S.P.M, Juillet 1924, p.II

²²⁹ - ibidem

²³⁰ - ibid, pp.III-IV

خريطة عمليات جبهة ورغة يونيو 1924

(*****)

أمام اشتداد ضغط المقاومة المحلية المؤطرة من قبل الريفيين، وازدياد حدتها وقوتها على قبيلة الحياينة، التي فشلت في صد هجوم قوة مشكلة من 2000 رجل، قدمت من ممرات بني وليد وصنهاجة غدو في شكل مجموعتين، تقرر في يوم 23 يوليوز بأمر من اللواء قائد المنطقة بتشكيل مجموعة تحت قيادة Colombat لصد الهجوم، لتصل إلى عين معطوف يومه الموالي، لتدخل القوات الفرنسية في 25 يوليوز لخوض معركة بوحليمة مع عناصر المقاومة، قامت خلالها قوات كولومبا بتقسيم المقاومين إلى مجموعتين، مخلفة في المجموعتين 150 قتيلًا، دون أن يذكر التقرير عدد خسائر الفرنسيين، فقد تم الحديث فقط عن كونه انتصار كبيرًا، حقق تراجعًا لمجموعة أخرى متواجدة بكاف الغار والكيفان، كانت ستتقدم لشن هجوم²³¹.

المبررات الفرنسية التي قدمت، حول السر في قوة المقاومين والتداخل بين المنطقتين، ودرجة التنسيق التي وصلت إليها المقاومة، حاولت التقارير الفرنسية إبعاد احتمال النضج العسكري والتكتيكي، عن هؤلاء المقاومين القادمين من الريف وباقي المقاومين المحليين المتواجدين تحت تأطيرهم، كمحاولة لضرب أي وعي سياسي أو عسكري، يهدف إلى تحرير المغرب من المستعمر كهدف مشترك لجميع المقاومين، من خلال ربط هذه التحركات بضعف موارد الريف الفلاحية، وطبيعة سكانه المتعودون على السرقة والإغارة على القبائل المجاورة، وأن الدافع الأساسي لتحرك محمد بن عبد الكريم الخطابي وقواته صوب المنطقة، هو الضرورة الاقتصادية الملحة "عبد الكريم لا ينكر شيئًا من الحدود التي وضعتها معاهدة الحماية الفرنسية، لكن للضرورة وضع نظره على البلاد الغنية المتواجدة على الضفة اليمنى لورغة ويعتزم الاحتفاظ بها. وكما رأينا فجميع الريفيين معه، هم سعداء بذلك، مستعدون للغاية لدعم مطالب زعيمهم"²³².

مع تزايد التقدم الفرنسي وتثبيت تواجده، كان يتزايد معه نسق تحركات المقاومين القادمين من الريف ومن قبائل المنطقة، صوب مواقع تواجد الفرنسيين بالمنطقة ومناوشتهم، كي لا يجدوا يسرا في الانتقال للقيام بعمليات بمناطق

²³¹ - A.M, R.M.P, S.P.M, Juillet 1924, p.7

²³² - A.M, R.M.P, Août 1924, p.4

أخرى، حيث شكل المقاومون فرق من 100 مقاوم يقودها قائد من عناصرها يسمى بقائد المائة، يقوم هؤلاء المقاومون بمناوشة القوات المتمركزة بقطاع تاونات، كما تم تجميع 1000 مقاوم قبالة أستر وشكر، وهو ما جعل الفرنسيين يتخوفون من ازدياد عدد المقاومين قبالة حامياتهم، الذين توجهوا لتحرير قبيلة رغيوة من سيطرة الفرنسيين ليلة 20 غشت، لكنهم فشلوا في تحريرها بعد أن تدخلت فرقة كُوم تاونات، حيث تم أسر 16 مقاوما.

أمام هذا الوضع الذي أصبحت تعيشه القوات الفرنسية واشتداد ضغط المقاومة على نقط تركزها وتجمع قواتها، قررت قيادتها العليا عدم الاعتماد على القوة الثابتة، التي تجعلهم عرضة أكثر لهجمات المقاومين وتكبّد خسائر كبيرة، في ظل اعتماد المقاومين على فرق صغيرة متحركة وحرب خاطفة، بمقاومين غير ثابتين في منطقة واحدة، حيث ستجابه هذه القيادة استراتيجية المقاومين باستراتيجية مضادة، لعلها تخفف من عبء الضغط على قواتها، من خلال إنشاء فرقتين متحركتين على الجبهة الشمالية سميتا بفرقتي المراقبة:²³³

-الفرقة الأولى تحت إمرة الكولونيل كولومبا Colombat، خصصت لمنطقة ورغة، وعليها أن تواجه أي تهديد قادم من منطقة وزان المقابلة إلى غاية فج واد الأحد، والقيام في الوقت نفسه بتنظيم جبهة ورتزاغ بأعالي اللبن، ودعمت هذه الفرقة بثلاث كتائب.

- الفرقة الثانية خصصت لمنطقة تازة، تحت إمرة كمباي Cambay لمراقبة جبهتها الشمالية ودعمت بأربع كتائب عسكرية، ستعمل على تحسين وفتح الممرات من تازة إلى الكيفان، باب لمروج، بوهارون، للمضي قدما في تعزيز الحصون المتقدمة²³⁴.

كلما حاولت التقارير الفرنسية التمجيد للانتصارات المحققة وأهميتها، نجدها تستعرض ضمينا تخوفا جديدا من توسع النفوذ الريفي ومعه المقاومة، حيث شرع المقاومون في تثبيت تواجدهم بقواعد ثابتة بين واد الساهلة وأعالي واد

²³³ -ibid, p.3

²³⁴ -ibidem

اللبن من خلال تشييد القناطر وشق المسالك وتدعيم الحاميات، وشنهم هجوماً بمجموعة مشكلة من 400 مقاوم على مركز أستر بمزيات انطلاقاً من قبيلة مشيوة، خلف ثلاثة قتلى و 9 جرحى في صفوف الفرنسيين و 7 قتلى و 15 جرحاً في صفوف المقاومة²³⁵. الأمر الذي يوضح على أن الزعيم الريفي كان له إدراك استراتيجي بسبل تشتيت الجهد العسكري للقوات الفرنسية، وإبقائها في حالة تأهب بمعاقلها، كي لا تركز عملاً عسكرياً منسقاً صوب هدف محدد، في ظل انشغال رجاله ببناء قنطرة على واد السرى، بمحاذاة مشيوة، وأخرى بصنهاجة السراير و بالقرب من مرنيسة، مع العمل المستمر في تجنيد المقاومين من مختلف القبائل، لبناء الجسور وتعزيز مناطق المراقبة، والوقوف في وجه أي محاولات لدخول قبيلة مشيوة في هدنة، بين شقها الموالي للريفيين وبعض فرقها التي أعلنت خضوعها للفرنسيين²³⁶.

التقدم الفرنسي والإجراءات المفعلة بمجال شمال فاس عموماً وورغة العليا خصوصاً، جعل محمد بن عبد الكريم يقول بأن الجزء الحدودي منها قابل للنقاش خارج الاتفاق الفرنسي الإسباني لسنة 1912، وصرح في تصريح لجريدة التايمز "أن شمال ورغة والشمال الشرقي لفاس، والقبائل المحتلة حديثاً من قبل الفرنسيين، كانت قبلاً تحت مراقبته المباشر، وهو الأمر الذي عمل من خلاله على تبرير العمليات التي يقوم بها وجهاً لوجه ضد القوات الفرنسية"²³⁷، وبذلك فالزعيم الريفي كان على وعي تام بأهمية الحفاظ على هذا الخط الاستراتيجي المتقدم أمام القوات الفرنسية، فإن لم يأمن الفرنسيون لتصريحاته فهو لا يضمن عدم عدائهم له، فهو كان على بينة من ضرورة الحفاظ على تلك الجبهة المتقدمة أمام القوات الفرنسية، لأهميتها السياسية والعسكرية في مواجهة أي تنسيق فرنسي إسباني مستقبلاً.

وما يؤكد هذا الطرح هو ما ورد بالمذكرة الشاملة حول الوضعية السياسية والعسكرية للمغرب بتاريخ 20 دجنبر

1924، والتدابير التي أوصى ليوطي بضرورة القيام بها:

²³⁵ -A.M, R.M.P, Septembre 1924, p.2

²³⁶ -A.M, R.M.P, Octobre 1924, pp.1-2

²³⁷ -A.M, R.P.M, Novembre 1924, p.1

"ما يجب فعله:

يجب أولاً قبل كل شيء القيام بعمل سياسي مكثف قدر الامكان. وقد سبق أن بينت جوانبه الاساسية، والحاجة إلى إعطاء تفاصيل أخرى بصدده، كما يجب القيام بمبادرة فعلية تدعم العمل الأول، عبر الاحتلال التدريجي لكل النقط والخطوط النافعة، بحدود المنطقة المعترف لنا بها بواسطة المعاهدات، وسيؤدي هذا الاحتلال الذي لن أوضحه أكثر لأن المعطيات اليومية هي التي ستحدده، إلى النتائج الفعلية التالية:

- حرمان الريفيين من الموارد والقوى التي تجلب من المناطق المحتلة.

- تكريس خضوع السكان المسالمين للسلطان والمخزن.

- إشعار محمد بن عبد الكريم بتفوقنا العسكري الذي لا يمكن مضاهاته.

- اتخاذ تدابير التحرك باتجاه قواته، علماً بأنه هو من يقوم بهذه التدابير²³⁸.

كان هدف ليوطي من هذه الإجراءات هو محاصرة الريفيين، ومنعهم من التزود بالعنصر البشري والمؤن، التي تمكن من استمرار دعم قوة المقاومين الريفيين القادمين من الشمال واستفحال ضغطهم على القبائل، مع تأكيده على ضرورة صمود ما أنجزه الفرنسيون من تنظيمات وتلاحمها، ومقاومة الخطر الريفي بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي، لأنه من المؤكد سيسعى جاهدا لكسر الحصار الفرنسي، وفي حالة حدوث أي انكسار في جبهة من الجبهات سيؤدي إلى انهيار كل شيء بالنسبة للفرنسيين²³⁹.

استمر التركيز الفرنسي على السياسة الدفاعية والحشد، قصد الاستعداد للتقدم الريفي، عبر القيام بإنشاء تحصينات على طول الخطوط الدفاعية للمقاومة، وهو ما يفسر الرغبة المستقبلية للفرنسيين للتقدم صوب المناطق

²³⁸ - ليوطي بيير ، م. س.، ص. 39.

²³⁹ - نفسه، صص. 39-40.

الأمامية وقطع الطريق أمام الريفيين، حيث أورد البوعياشي في كتابه الحرب التحريرية على أنه "وفي أواخر سنة 1924 عزم المارشال على خوض المعارك ضد الثورة، ومن ذلك التاريخ جعل يحشد قواته على الحدود ويحصنها بالمخافر التي وصلت إلى 70 مخفرا أماميا، ومخافر ورائية، وتعبيد الطرق لإيصال أركان حربه وجيوشه بالسرعة المتطلبة، وقد حصنها بالمدافع الثقيلة والخفيفة"²⁴⁰.

3- احتدام الصراع الريفي الفرنسي على المنطقة 1925

بحلول سنة 1925 أصبحت المواجهة الريفية الفرنسية محتمة ولا مفر منها بين القوات الفرنسية والريفيين الذين يؤطرون المقاومة المحلية، ويقودون تفعيلها على أرض الميدان، تبعا لخطط واستراتيجيات نابعة من توجيه الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي قابل التواجد الفرنسي وزحفه بالمنطقة بإجراءات ميدانية تقابل التحركات الفرنسية، من خلال الدخول في سباق لتجهز مناطق المقاومة، والقيام بالمبادرة في الضغط على القوات الفرنسية، من خلال عملية تشديد الحصار وتوظيف العنصر البشري والعتاد اللازم لكل هذه العمليات، وهو أمر سواء من الجانب الريفي والفرنسي الذي لا يريد أن يدخل في أي معركة كبيرة دون التجهيز لها.

3-1. الزحف الريفي لتثبيت تواجده

أ- محطة بني زروال

بحلول سنة 1925 زادت حدة التصعيد للسيطرة على المنطقة، ومسابقة الزمن للوصول إلى ترسيخ النفوذ السياسي بين الطرفين، وتثبيت التواجد على أرض الواقع، ومع دخول المقاومين الريفيين إلى المجال الوريغي الأعلى، أصبحت أعينهم منصبة حول التأثير على قبيلة بني زروال، في ظل غياب أبرز معارض لهم "الشريف الدرقاوي"، الذي استطاع توحيدها لصد المخطط الريفي منذ مدة، ويعتبر الحليف الاستراتيجي للمحتل الفرنسي، هذا الغياب سترك المجال مفتوحا أمام مبعوثي محمد بن عبد الكريم لتثبيت ونشر دعايته في هذه القبيلة، انطلاقا من قبيلتي مثنوة ومزراوة

²⁴⁰ البوعياشي ج. أحمد عبد السلام ، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، جزأين، نشر عبد السلام جسوس وسوشيريس، مطبعة دار الامل، طنجة، 1975، ج.2، ص.355

الورغيتين وصنهاجة السراير، بغية استمالة الفخذات الشرقية، خاصة حيث يوجد سي محمد بن سلام أحد أعيان قلعة بني قاسم لدى بني ملول، والفقير سي محمد زغاري Zghari من قبيلة بني مكة ، BENI M'KA اللذان وضعاً مجاهما القبلي تحت تصرف المقاومين، إضافة إلى سوق الحد و العين الباردة بقبيلة بني براهيم، اللتان تعتبران قنطرة تسلل الدعاية بارتباط مع مركز القيادة الريفية بتورطا (ة) Taourta، وقد اعتمد الريفيون في استمالة فرق من قبيلة بني زروال على توظيف أتباع لقراءة خطابات الزعيم الريفي بالأسواق، لنشر الدعاية الريفية وإظهار أهداف المخطط الريفي في توحيد المقاومة ضد المستعمر، وهو ما قرأه الفرنسيون في محاولة جر القبيلة، نظرا لأهميتها الاقتصادية والعسكرية، في ظل استمرار غياب الشريف الدرقاوي، الذي طالت مدة إقامته بفاس والدار البيضاء²⁴¹.

ب- انشغال الفرنسيين بالسياسة الداخلية والخارجية للريفيين

الدعاية الريفية وما يقع بمنطقة ورغة العليا والمناطق الحدودية، لم تقتصر فقط على التخوف الفرنسي من الرأي العام المغربي، بل تعداه إلى ما هو أبعد من ذلك ليصبح الاهتمام بهذا الصراع عربيا وإسلاميا²⁴². الخروج الإعلامي للزعماء الريفيين، دفع فرنسا إلى رصده ضمن السياسة الريفية، التي تهدف إلى توجيه الرأي العام وكسب التعاطف، لأن الأمر لم يعد يقتصر فقط على تعاطف داخلي بل اعتبره الفرنسيون دعاية ضدهم، تهدف لجلب متعاطفين مع الثورة الريفية وتحقيق الدعم، وهو ما اعتبروه تعبيرا عن النوايا الحقيقية للريفيين، حيث فسر الفرنسيون ذلك بأن نوايا محمد بن عبد الكريم لم تتغير بمعاداته لفرنسا حينما صرح للشريف d'Ouizert " أنه الآن بحاجة إلى كل قوته للانتهاء مع الإسبان، لكن جميع "الرومين" كانوا إسبانيين أو فرنسيين هم أعداء له، وأنه الزعيم الحقيقي للمسلمين

²⁴¹ -A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.1

²⁴² - أنظر صص. I-II-III من التقرير الفرنسي الشهري السابق لشهر يناير، حيث خصص التقرير حيزا مهما للحديث عن الاهتمام الذي أولاه العالم العربي والإسلامي للقضية الريفية من خلال تصريحات بن عبد الكريم وأتباعه، واهتمام الصحافة التونسية والمصرية بموضوع الثورة الريفية، من خلال تخصيصها لصفحات خاصة للحديث عن الزعيم الريفي كما هو الشأن عند جريدة الأهرام المصرية التي نشرت دعوات لمساندة الريفيين وتقديم الدعم لهم، والتي استجاب لندائها الأمير عمر توسون Omar Toussoun الذي قدم عرضا بإرسال بعثة طبية إلى الريف، الذي اعتبرته فرنسا من العملاء السوفياتيين؛ إضافة إلى ما ورد بجريدتي النهضة والزهرة التونسييتين حول اقدام الإسبان على قصف الريفيين بالغاز السام الذي خلف ردود فعل بالمجتمع المدني الاوربي الذي رفض هذا الأمر، كما نشرت الزهرة مقالا بتوقيع من محمد التوزاني الكاتب الخاص للزعيم الريفي موضحا فيه جرائم إسبانيا بالمنطقة وتكذيب مزاعم تواجد ضباط أتراك أو ألمان تحت تصرف الريفيين، وأنه يتجاهل السوفياتيين. وقد ورد بالتقرير التخوف من تأثر المنطقة بالثورة البولشفية وانتشارها بالمناطق المستعمرة. كما اهتمت التقارير الفرنسية برصد ما جاء بالصحافة المشرقية حول انتصار بن عبد الكريم على الرسولي وما ذكرته الصحافة الإسبانية والبريطانية عن ما يقع في الريف.

الحقيقيين، وسيطرد الفرنسيين يوما ما بدورهم، ننتظر لأن الحكمة تقتضي أن نستخدم الصبر والدبلوماسية معهم²⁴³.

الاهتمام الفرنسي بالسياسة الريفية داخليا وخارجيا، من خلال رصد النوايا الريفية وموقفهم من التقدم الفرنسي، ماهو في الحقيقة إلا رهان سياسي لضرب هذا التغلغل الريفي بالمنطقة، ومحاولة إظهار النوايا السيئة للريفيين في السيطرة على المنطقة المخزنية، وأن فرنسا هي من تملك مشروعية الدفاع عن حقوق المخزن وأنها ليست بغازية، وأن القبائل التي والتهم (الريفيون) من ورغة العليا، في الحقيقة كان خوفا من عقاب محمد بن عبد الكريم لها، مما يفسر انضواءها تحت جناح المقاومة الريفية، الأمر نفسه يقودهم لمهاجمة القبائل الخاضعة للفرنسيين متحججين في ذلك بعدم مساعدتها للزعيم الريفي (دائما حسب التفسير الفرنسي)، فقد رصد الجهاز الاستخباراتي الفرنسي تحركات معادية من ميثوة وبني وليد وأرجعها إلى "الرغبة في الإحتجاج على المطالب المستمرة للمحلات الريفية بحصص، من خلال التحجج بحوادث يفتعلونها بأنفسهم على جبهتنا"²⁴⁴ كاستراتيجية من هاتين القبيلتين للتهرب من الالتزامات مع الريفيين.

محاولة إبعاد الفرنسيين صفة الرفض للمستعمر عن قبائل ورغة العليا، وأن الضغط والتأطير الريفي هو سبب وقوفها في وجه الفرنسيين، حيث أصر الجهاز الفرنسي الاستخباراتي في كل مرة على إبراز الدور الضعيف لقبائل ورغة العليا في اتخاذ قرارها المقاوماتي، بل حاول تعليله في تقارير مختلفة بإرجاعه دائما إلى حتمية البقاء والخوف، وهو الأمر الذي قد يصيب في جوانب ولكن يخطئ في جوانب أخرى تؤكدتها التقارير نفسها، نظرا لما لعبته الدعاية الريفية من دور هام في إذكاء حماس المقاومة بالمنطقة والرغبة في التخلص من المستعمر الفرنسي، والدليل على ذلك هو انفلات قبائل المنطقة من التبعية الفرنسية، لمجرد ظهور بوادر إمكانية ذلك، وإلا كيف يفسر هذا التأخر في السيطرة الفرنسية على المنطقة.

²⁴³ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.2

²⁴⁴ - ibid, p.1

ت - المقاومة المحلية والريفية

بحلول شهر أبريل 1925م أصبح المقاومون الريفيون متأهبون لشن أولى الهجمات على الفرنسيين بمنطقة ورغة العليا، بعد أن تمكنوا من الانتصار على الريسولي بالجبهة الإسبانية والسيطرة على قبيلة بني زروال بالجبهة الفرنسية، التي كانت تشكل أكبر عائق أمامهم لإطلاق مقاومة موحدة ضد الفرنسيين - أمام تواجد الشريف الدرقاوي الذي كان يوظف نفوذه على القبيلة لصالح الفرنسيين -، لكن بعد الضغط الريفي لتوحيد الفعل المقاوماتي من مختلف القبائل لدفع بني زروال للعدول عن مساندة الفرنسيين، سيفر الدرقاوي باتجاه فاس ، وهو ما مكن من فتح منفذ أمام زحف المقاومين الريفيين والمحليين المجتمعين بقبيلة مثوية على نقط الدفاع الفرنسية، هذا الأمر أدخل على هذه المراكز والحاميات الفرنسية في حالة من الصدمة، زادها حدة عودة القبائل الموالية للفرنسيين تباعا إلى حضن المقاومة، حيث ظهرت خطورة المقاومين عبر تسللهم في مجموعات "حرب عصابات" بالقرب من المراكز الفرنسية، وإحراق قريتي **عين اللوح** و**دمنات المزراويتين**²⁴⁵، حيث تم إرجاع القبيلة الأم بكاملها إلى كنف المقاومة، الأمر الذي خلق حالة من الرعب في صفوف الفرنسيين وأتباعهم على جميع الخطوط، وكاستمرارية من الفرنسيين في إظهار عدم رغبة قبائل الدائرة في المقاومة إلى جانب الريفيين بداعي أنها فرضت عليهم، حاولوا إظهار الساكنة بالرافضة لخيار المقاومة ضد الفرنسيين، من خلال القول بأن زحف المقاومين خلف حالة من النزوح لدى عديد السكان صوب أسوار مركز تاونات، قادمين من قبيلتي مزراوة ومزيات²⁴⁶.

هاتين القبيلتين السابقتين وخاصة مزيات، التي أشاد التقرير الفرنسي بمقاومتها لهجوم جبال الريف، وأنها لم تخضع لمحمد بن عبد الكريم إلا بعد أن رأت جميع جيرانها عادوا للانشقاق عن الفرنسيين، لكن التقرير لم يسطع إنكار

²⁴⁵ - هي نفس القرية التي قام بحرقها المكي قائد قبيلة بني زروال، بعد أن قامت مزراوة بمساعدة المقاومين الريفيين على المرور من أراضيها لمهاجمة قبيلته، الأمر الذي يوضح الأضرار والخسائر التي عرفت قبائل المنطقة التي تواجدت بقلب الصراع المشتعل والتجاذبات السياسية والعسكرية حول قبائل المنطقة لأهميتها في كل الصراعات القائمة حول المناطق المجاورة.

²⁴⁶ - اعتماد الفرنسيين على مراكز سكر وتاونات والنقط الدفاعية بقبائل ورغة العليا، لم يكن كافيا لضمان استمرار قبائل ما أسماه التقرير الفرنسي بجبهة مزراوة- مزيات- رغبة تحت السيطرة الفرنسية، حيث كان الرهان الفرنسي على نجاح العمل السياسي بالدرجة الأولى بهاته القبائل للدفاع عن مناطقها عوض تواجد قوات فرنسية بها، خارج حدود مراكزها العسكرية التي توقعت بها، تنتظر مآل التقدم الريفي، حيث وجدت هذه القبائل الثلاث في يوم 25 نفسها في الخططين الدفاعيين اللذان وضعتهما القوات الفرنسية : خط أول حيث كانت قبيلة مزراوة التي توجهت صوبها مجموعة من المقاومة مشكلة من 300 بندقية للريفيين و 1000 بندقية مقاومة من المناطق الفرنسية، وفي الخط الثاني مجموعتين كانت تستعد للهجوم واحدة بقلعة بني قاسم صعدت من "تلغزا" مشكلة من 1000 ميثوي وصنهاجي و 100 ريفي، وتواجدت الأخرى بمحيط منزل قيادة **تاورطا** مكونة من ميثوية الجبل (تضم من 400 إلى 500 ميثوي وريفي)، ليصبح بذلك مجموع عدد بنادق المقاومين 2500 بندقية ضمنها من 500 إلى 600 يحملها مقاومون ريفيون.

توجه قبائل المنطقة للمقاومة بخيار ذاتي، فصنهاجة مصباح التي جرّت معها يوم 26 قبيلة رغبة للانضمام إلى صفوف المقاومين، إضافة إلى دخول فرقة هواة ديال الحجر (الحياينة) لحضن المقاومة²⁴⁷، وهو ما يوضح النزيف الذي أصاب الخطوط الأمامية للقوات الفرنسية في القبائل التي كانت تراهن عليها كحائط صد أمامي في الجبهة المتقدمة، فأصبحت المراكز الفرنسية معزولة، وأصبحت القوات الفرنسية بالحياينة مكشوفة أمام عمليات المقاومة، حيث تعرضت لهجوم، ووفقت القوات الفرنسية بمعية المناصرين من القبيلة في التصدي يوم 28 للزحف الريفي (المقاومة) القادم من أراضي جيرانهم بكارّة علاوة، تحت قيادة القايد زورجان zourgane، وقام المقاومون خلالها بالتسلل بين عين عائشة (عين عيشة)- التي تعتبر القاعدة الحساسة والمهمة للفرنسيين في كل عملياتهم التنظيمية الموجهة صوب ورغة- وأربعاء تيسة، ليتوجهوا يوم 29 إلى حدود تيسة، لتنظم إليهم عناصر من قبيلة هواة ديال الحجر، وهو ما اعتبر اختراقا عسكريا واستراتيجيا للمناطق الخلفية للفرنسيين، هذا الأمر دفع القوات الفرنسية إلى تشكيل فرقة مشكلة من ثلاثة أرتال وبطارية، للدفاع عن المركز في انتظار وصول الدعم الجوي الذي يقوده الكولونيل Armengaud، المنشغل في القيام بغارات بقطاع عين معطوف، بوحليمة، وباب مزاب، ففي أقل من خمسة أيام عادت إلى حضن المقاومة القبائل التي اعتقد الفرنسيون بتحقيق سيطرتهم التامة عليها²⁴⁸.

تكبد الفرنسيون في يوم 30 من شهر أبريل 1925، على بعد 10 كلم شمالا من تيسة، أول خسائرتهم الكبيرة مع الريفيين في المنطقة، بعد أن اعترضوا كتيبة عسكرية وبطارية قادمة من قاعدة عين عائشة لدعم مركز تيسة، فحوصرت القوات الفرنسية وتم تكبيدها خسائر وصلت إلى 23 قتل بينهم ضابطين، وإصابة 27 ومفقودين²⁴⁹، وقد أرجع الفرنسيون هذا الاختراق لخطهم الدفاعي إلى سوء الأحوال الجوية مما أوقع تأخرا في التنقل، حيث أدخلت فرقتين متحركتين للمنطقة، واحدة بقيادة كولومبا غربا بمنطقة فاس البالي، وأخرى بقيادة كمباي Cambay بالشرق، كما تم وضع فرقة أخرى تمركزت بسوق الأربعاء تيسة بقيادة فريدنبرغ، مشكلة من 6 Bataillons وأربع بطاريات-بطارية

²⁴⁷ A.M, R.M.P, Avril 1925, p.5

²⁴⁸ -ibidem

²⁴⁹ -ibid, p.3

من نوع 75 وثلاثة أخرى من نوع 65- وسربين لصعد المقاومين²⁵⁰، الأمر الذي اعتبره الفرنسيون سيمكن من الوصول إلى أعالي تاوانات الملتهبة بفعل ضغط المقاومين، وإرسال الإغاثة إلى مخافر باب وندر وعين معطوف وعين مديونة وغيرها من المخافر المحاصرة، حيث سيضطر الجيش الفرنسي مع ازدياد ضغط المقاومين إلى الانسحاب من عديد مراكزه عدا تاوانات وتفرانت²⁵¹، فقد أقر الفرنسيون بنجاح المقاومة المنذجة، بفضل الدفاعات المتقدمة التي وضعها المقاومون المحليون والريفيون أمام القبائل الخاضعة، حيث أصبح التخوف يزداد لدى الفرنسيين باقتراحهم من تيسة، التي لا تبعد سوى 40 كلم عن العاصمة فاس²⁵².

ث - انهيار السيطرة السياسية للفرنسيين

العمل الجاد للزعيم الريفي لدحر القوات الفرنسية بمنطقة ورغة، أرفقه باشتغال سياسي دأوب للسيطرة على هذه القبائل، وضمنان ولائها في عدم الرجوع لصفوف الفرنسيين في حالة استهدافهم بعمليات عسكرية، خاصة مزراوة، مزيات، وصنهاجة مصباح، وذلك من خلال توظيف صنهاجة السراير وأتباعها في التأثير على هاته القبائل، كما اشتغل بشكل مواز على الرأي العام الدولي، وهو ما يوضح الحنكة في رفع المسألة المغربية وجعلها في صلب الاهتمام الدولي، وأن المغاربة كانوا ريفيين أو غيرهم، لا يريدون الامتثال لقوة أجنبية تدعي حماية مصالح المغرب والمغاربة، بل هي في الحقيقة قوة استعمارية كسائر القوى الإمبريالية، فقد شكل التحرك السياسي سواء في شقه الداخلي أو الخارجي لمحمد بن عبد الكريم مادة دسمة اهتمت بها التقارير الفرنسية، التي عملت في عديد الصفحات منها على رصد هذه التحركات والتصريحات التي أدلى بها الزعيم الريفي للصحافة العربية أو الإسبانية والإنجليزية، وتحديد موقف القوى العالمية من ذلك، لتقابلها التقارير العسكرية بتبريرات وذكر النوايا الحقيقية لهذا الزعيم من تقدمه صوب قبائل ورغة والسيطرة عليها، برغبته في إشعال حرب مقدسة، ونواياه في الاستقلال بمنطقته، والتمادي للسيطرة على العاصمة

²⁵⁰ -A.M, R.M.P, Avril 1925, pp.1 et 6

²⁵¹ البوعياشي ج. أحمد عبد السلام ، م.س، ص.356

²⁵² - A.M, R.M.P, Situation Politique et Militaire au Maroc, situation d'ensemble, Avril 1925, p.1

فاس مقر السلطان²⁵³. فالأمر المؤكد أن فرنسا عملت جاهدة على تشويه نوايا المغاربة في المناطق الراضية للخضوع، وجعل الصراع الريفي مع السلطان وفرنسا، هو صراع يتمحور حول السلطة بالأساس، وليس تحرير المغرب من يد المستعمر.

أمام اختيار العمل السياسي والعسكري الفرنسي المنجز بالمنطقة، لمواجهة زحف المقاومة بقيادة الريفيين، أصبح كل ما يهم ليوطي ومؤسسة الحماية، حسب ما صرح به في إحدى رسائله الموجهة لوزير الخارجية والحرب بفرنسا " هو أن نتشبت بقوة بما هو في ملكنا وأن نوفر الأمن للقبائل التي وثقت بنا ونعيد أفرادها إلى مساكنهم ونحمي منطقتنا من كل محاولات تغلغل الريفيين مستقبلا: وهم المشهورون بحنكتهم في النهب وانجذابهم نحو خيرات قبائلنا المجاورة لهم والتي تتميز بفعل رخائها، بطابعها المسالم أو الحربي الضعيف، بحيث لم تستطع أبدا مقاومة الريفيين، اللهم إذا ما حظيت بدعم قوي"²⁵⁴.

من خلال قول ليوطي، يستشف أن فرنسا لم تتوقف أبدا من خلال أعلى شخص لديها كممثل لسلطة الحماية (ليوطي)، عن الإدعاء بحماية القبائل والترويج لدعاية فرنسا الحامية، أمام ما تصفه التقارير العسكرية أو رسائله تارة بالعدوان وتارة بالإرهاب الريفي، بحيث يتعمد هو وأجهزته نفي أي صفة لدى قبائل المنطقة في رغبتها الذاتية في الدخول ضمن خيار المقاومة ما دامت الفرصة سانحة، وأن الأمر بالنسبة له يتعلق بطابع المهادنة والسلم لدى قبائل ورغة، وعدم القدرة على مجابهة الريفيين، وهو ما يجعل السؤال مطروحا حول مصداقية قوله، حول كيف يتم تفسير هذا التأخر في احتلال القبائل، ولماذا لم تمنع القوات الفرنسية التي يدعي ليوطي سيطرتها على قبائل ورغة، من شن هذه القبائل عديد العمليات النوعية على المراكز والقوات الفرنسية، التي كانت تطمح للتقدم مرارا صوب المنطقة، هذا التوضيح يحيل على أمر واحد وهو أن فرنسا كانت سيطرتها على تلك القبائل سياسية أكثر مما هي سيطرة عسكرية، فبأخبار دعائمها السياسية التي ارتكزت على الأعيان بالدرجة الأولى، وبعض رجال الدين، انهارت السيطرة الفرنسية

²⁵³ - A.M, R.M.P, Avril 1925, p.7-8

²⁵⁴ - بيبير ليوطي، م.س، ص. 67

تباعا على تلك المناطق، مقارنة بمراكزها الخلفية التي شكلت قلب عملياتها بالمنطقة، خاصة بكل من عين معطوف وتيسة وعين عائشة، وهو ما سيفسر لماذا أصبح ليوطي يركز على ضرورة الاحتفاظ بما في يد فرنسا عسكريا بالدرجة الأولى وليس سياسيا.

سياسة محمد بن عبد الكريم بمنطقة ورغة، ماهي إلا سياسة مقابلة لسياسة فرنسية، تنهج أسلوبا مروغا يعتمد على التريث والمهادنة والتقدم ميدانيا كلما سنح الأمر بذلك، من خلال إنشاء القواعد والمراكز وتثبيت الدفاعات، فقد عمد الزعيم الريفي إلى التصريح لمبعوث صحفي يدعى M. de Marcille "أن فرنسا 'هي ملكة الإسلام'، وليس له سوى تعاطف معها"، وهو الأمر الذي اعتبرته فرنسا مخالفا لما يوجد على أرض الواقع من تسرب للدعاية الريفية المعادية لها، بكل القبائل الغير الخاضعة بمنطقتها، وهو ما تفسره "الأشغال التنظيمية المنجزة على الأراضي التي تعود لنا بموجب الاتفاقيات، صحيح أن عبد الكريم يدعي في هذه القبائل حق المحتل الأول وباقترابنا يعادينا ويظهر موقفنا العدائي"²⁵⁵، كأن محمد بن عبد الكريم يقول بأن التقدم صوب المنطقة هو مسألة مفروغ منها، وأنه لا يريد عدااء مع الفرنسيين، كسياسة موازية اشتغل عليها لمقابلة وجهة النظر الفرنسية، ومراوغة الأجهزة الفرنسية في تصريحاتها التي لا تكون متطابقة مع ما يوجد على أرض الواقع.

2-3 . تجهيزات المقاومة الريفية والمحلية

أ- أهداف إعداد المقاومة لمناطقها

إقدام محمد بن عبد الكريم على تجهيز المنطقة لتثبيت التواجد الدائم بها، هو أمر نابع من حنكة سياسية وعسكرية طالما اشتغلت بها القوات الفرنسية، التي نهجت أسلوب تثبيت السيطرة على المناطق الخاضعة والاشتغال على المناطق المحادية لدفاعاتها سياسيا، قصد استمالتها أو التخطيط لضربها عسكريا، ليتم تقديم حائط الصد على جبهة متقدمة، وهكذا دواليك إلى غاية تحقيق السيطرة التامة، دون الخوف على المنطقة الخلفية التي تم السيطرة عليها فعليا

²⁵⁵ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.2

بكل الوسائل الممكنة، من خلال أجهزتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، تفاديا لأي انشقاق محتمل قد تأتي منه ضربة خلفية.

فالاشتغال على تجهيز المنطقة، أو ما يسمى بالجبهة الجنوبية الريفية بالنسبة للمقاومة، نابع من دراية بسبل تحقيق الربط الأمثل بين مقرات القيادة ومناطق المقاومة وخطوط التماس مع العدو الفرنسي، الذي يكون انطلاقا من تجهيزها بخطوط الهاتف، لتحقيق التواصل الأمثل والتدخل الأنجع في حالة تحرك القوات الفرنسية، حيث أنشئت عديد الخطوط، كان أبرزها خط الهاتف الرابط بين مقر القيادة بأجدير وقلعة بني وليد وصولا إلى برابر Beraber، خط آخر تم الاشتغال عليه بين البرابر والقلعة. هذا الحضور المثبت لا بد له من مسالك تسهل عملية الاستجابة والتنفيذ السريع للخطط سواء الدفاعية أو الهجومية، من خلال تجهيز المنطقة بعدديد المسالك كان أهمها:

-مسلك للبالغ يربط بين قلعة بني وليد وباب الحد على بعد 5 كلم شمال المركز الفرنسي جرفطة Jorfata، الذي هو بداية للطريق الدائري المتصل بالجبهة الفرنسية، إضافة لمسلك للبالغ يربط سيدي داود بسيدي علي بن داود.

إضافة إلى إنشاء عديد الحاميات العسكرية والخنادق، حيث أنشأ المقاومون الميثويون عدة تحصينات دفاعية على طول الجبهة الموجودة بين واد الساهلة وورغة، كما تم حفر المآوي والخنادق على طول الضفة اليمنى للواد المالح، وعلى منحدرات جبل إفران شمال غرب مركز سكر SKER، وبغرب الساهلة رصدت القوات الفرنسية امتداد نظام دفاعي إلى الشمال صوب أزوغرافت وقدم منحدر "جبل أغيل" بالغرب وشمال أستر ASTAR؛ كما تم إعداد عدة ملاجئ من قبل المقاومين حول الأسواق لحماية الناس من قصف الطيران الفرنسي الذي كان يستهدفهم²⁵⁶، فقد كان القصف يهدف إلى تكبيد الساكنة خسائر بشرية، وزرع الرعب فيهم، لنسف تجمعاتهم وتحييدهم عن خيار المقاومة أمام هول الخسائر.

²⁵⁶ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.2

استمرار التجهيز الريفي لمناطق المقاومة هو تعبير عن حس مقاوماتي عالي الدقة والتخطيط، حيث شكلت منطقة ورغة العليا بؤرة الصراع الفرنسي الريفي، وجاءت مسابقة المقاومين الريفيين إلى جانب المحليين للوقت في تجهيز المنطقة بالدفاعات والخطوط والطرق، بهدف تسهيل مراقبتهم للمناطق الأمامية والدفاع عن ما بحوزة المقاومين، كاستمرارية لمقابلة الفكر الفرنسي بطريقته، على الرغم من التفاوت الحاصل في القدرات والإمكانات العسكرية، ففي شهر أبريل 1925 سيتم تهيئة طريق عسكرية بين ثلاثاء بني وليد وباب الحد، وأخرى بشمال جرفاطا (ة) مروراً بواد تامدة، وقد وظف الريفيون في عديد أشغالهم أسرى إسبانيين حسب ما ورد بالتقرير الفرنسي لشهر أبريل. وفيما يخص خطوط الهاتف، تم وضع خط جديد بزواوية سيدي احمد العروسي على بعد 4 كلم شرق بني مكة لربطها بترجيس، وخط آخر بين البرابر وثلاثاء بني وليد، الذي سيتم التخلي عنه لأسباب خطئية.

من ضمن هذه الخطط التي سار عليها المقاومون في مواجهة الفرنسيين على الأرض، تعليمات صدرت من قائد مركز القيادة الريفية ببني وليد، لإنشاء ثلاث ملاجئ كبيرة ضد قصف الطائرات، ببو حاجة و أمام حجر قلال على بعد 6 كلم شمال القبة²⁵⁷، و يرجع هذا الأمر بالأساس إلى أهمية بني وليد في انطلاق عديد العمليات للمقاومة، فكان لابد من تجهيزها بهكذا ملاجئ، نظرا لتركيز الطائرات الفرنسية على رصد وقصف التجمعات البشرية، التي تظهر لها على الأرض، وفي الغالب تكون عبارة عن مجموعات للمقاومة، فبني وليد كانت مقرا رئيسيا للعمليات النوعية التي تقوم بها المقاومة بين وادي ورغة واللبن، حيث عرفت (بني وليد) في شهر أبريل، تجمعاً لما يزيد عن 600 بندقية من قبائل ورغة العليا، موجهة لخط الدفاع الأمامي الفرنسي بورغة، و 800 بندقية أخرى كان جزء كبير منها يحملها الريفيون، تجمعت بالخلف حول منزل القيادة بقلعة بني وليد²⁵⁸.

²⁵⁷ -A.M, R.M.P, Avril 1925, p.6

²⁵⁸ - ibid, p.6

ب - تجهيز الجبهات الأمامية:

اهتم المقاومون بتجهيز مناطق الجبهة وربطها بالخلف، من خلال إنشاء البنية التحتية اللازمة لتحرك عناصر المقاومة من مسالك وخطوط للهاتف، وكان من أبرز هذه المسالك:

- المسالك التي تربط بين كتامة وغفساي من بني زروال (7 كلم شمال غرب باب شراكة و 2 كلم غرب تازغدر)، موظفين في ذلك 700 زروالي.

- المسلك الرابط بين ترجيست وتاورطة (مثوية لوطا)، وطريق بين تاورطة وخندق سولا بالجاية (2 كلم جنوب تلغزا حيث سيتم بناء منزل للقيادة).

فيما يخص خطوط الهاتف : خط هاتف تاورطة-جبل أغيل (3 كلم حيث عين اللوح)، وعلى بعد 7 كلم عن عين اللوح، تم تمرير خط للهاتف بين تاورطة-غفساي وإلى غاية قرية عطارين Attarine من بني زروال، وتم الدفع بخط آخر يربط قلعة البرابر (مثوية الجبل) - قلعة بني وليد-سيدي داوود (8 كلم شمال جرفاطة)؛ وكلها مناطق تملك أهمية استراتيجية بالغة في مواجهة القوات الفرنسية، والتي تعد أيضا من الأهداف الرئيسية للفرنسيين. فبوضع هذه الشبكة من خطوط الهاتف والمسالك وغيرها من التجهيزات، ستكون معها لدى المقاومة سرعة التوصل بالأوامر وتغيير الخطط، كما سيكون معها سرعة طلب الدعم والمساندة.

منزل للقيادة: تم تهيئته بخندق سولا بالجاية، وتم إنشاء مراكز للقيادة بالعشايش (700 متر شمال المركز القديم واد الساهلة الذي أحلته القوات الفرنسية)، ومركز بسيدي عمر بن لحسن على القناطر شمال جبل أغيل، وبعد تعرض مركز القيادة بتاورطة (مثوية لوطا) للقصف من قبل الطائرات الفرنسية، تم نقل مقره عند ولاد سعيد بمثوية الجبل²⁵⁹، هذه التنظيمات والتجهيزات كانت تمتد على طول جبهة ورغة إلى غاية بني زروال، ممتدة من الغرب إلى الشرق في مقابلة مباشرة مع التنظيمات التي وضعتها القوات الفرنسية²⁶⁰.

²⁵⁹ -A.M, R.M.P, Mai- Juin 1925, p.8

²⁶⁰ - انظر خريطة شهر يونيو التي توضح وضعية الجبهة الوسطى، وتجهيزات المقاومة المقابلة للتجهيز الفرنسي بالقطاع الأوسط

ت - الاستراتيجية الحربية للمقاومة

اعتمد الريفيون وعناصر المقاومة المحلية بشكل كبير على إنشاء الخنادق لمواجهة تقدم القوات الفرنسية وعرقلتها، وهو ما كان يؤخرها مجبرة على التريث لإزالة الحاميات، وتدمير الخنادق والتنظيمات الدفاعية، مخافة حصول أي هجوم مباغت من الخلف أو بشكل منظم من طرف المقاومين، خاصة أن الفرنسيين أكدوا على أن ميزة هذه الخنادق كونها متصلة ومتداخلة فيما بينها، وتتميز بخاصية تلك الخنادق من النوع الموجه من قبل أوريين سبق لهم خوض الحرب ضد المدافع حسب ما توصل إليه الفرنسيون. إضافة إلى ذلك فقد نهج المقاومون أسلوبا جديدا لمواجهة استهداف القوات الفرنسية لمناطق رباطهم في المقاومة والدفاع عن المواقع المحصنة، من خلال القيام بحفر حفر عميقة، لا تكفي إلا لجسد رجل واحد، تكون مغطاة بحجارة بسمك 0.30 إلى 0.40 سنتمتر، ويعتمد المقاوم على لوح يسند إليه ظهره للاستراحة²⁶¹، هذا التوجه كان يهدف المقاومون من خلاله إلى تخفيف الخسائر في حالة ما تم قصفهم، أو الإحتماء بتلك الحفر من القصف المدفعي، أو أثناء اشتداد الاشتباكات في حالة مفاجأة القوات الفرنسية لهم، وهي من بين الاستراتيجيات النوعية التي ظهرت إضافة لحرب العصابات لمواجهة الجيوش الأكثر عدة وعددا، وأيضا لتفادي سلاح الجو الذي يعتبر الحاسم الأساسي في المعارك.

أقر التقرير الفرنسي خلال المواجهات القوية التي دارت مع المقاومين، وأثناء اشتداد الحصار على القوات الفرنسية ومراكزها العسكرية، بسلاسة تحرك عناصر المقاومة بالخطوط الأمامية، وسهولة انسحابها وتموضعها في هذه الخطوط (حرب العصابات)، لتمييزها بالطراوة البدنية، وحسن تنظيمها وانضباطها أثناء رباطها بالخط الأمامي، حيث أقر الفرنسيون بالصبر الذي كانت تتحمله هذه العناصر، التي كانت تظل مرابطة في مواقعها لمدة تصل من 10 إلى

²⁶¹ -A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, pp.4-5

15 يوما، قبل أن يتم استبدالها لتتوجه إلى قبائلها، مع احتفاظها بحس التأهب كقوات احتياطية لنجدة أو دعم مواقع الحراسة²⁶².

كما اعتمد المقاومون في مواجهتهم للقوات الفرنسية على تجنب التنقل بأعداد كبيرة في نقطة واحدة، وذلك لتجنب الخسائر الكبيرة في الأرواح، وسهولة التموين، حيث رصدت الفرق المتحركة هذا الشكل من التنظيم لدى المقاومين الذين لا يتجاوز عددهم 1500 إلى 2500 بندقية كأقصى تقدير في كل تجمع، لتتقسم المجموعة بعد ذلك إلى فرق صغيرة، معتمدين على هذا الأسلوب حسب ما جاء بالتقرير الفرنسي، للتمكن من الإنتشار على طول الجبهة التي تبلغ 300 كلم، بذلك يكون التواجد بجميع النقط معتمدين في ذلك على التسليح الجيد وسرعة التحرك في ساعات قليلة، والاعتماد على التنقل الاستراتيجي لعناصر المقاومة من منطقة لأخرى، والانسحاب بشكل دوري في حالة المواجهة مع القوات المتحركة، ثم العودة إلى المنطقة مجددا بعد انسحاب تلك القوات بفضل تلك الأعداد الصغيرة²⁶³.

اعتماد المقاومة على الأسلوب السابق، يحيل على نهج أسلوب حرب العصابات التي تميز الريفيون بها، بغية استنزاف الخصم وإضعافه، والاعتماد على أسلوب الكر والفر ما دام العدو يعتمد على مواقع وقواعد ثابتة وبعدها يأتي الهجوم الكاسح، الأمر الذي جعل القوات الفرنسية أمام بطاء تحرك طوايبرها، ولتجنب جعلها أهدافا سهلة، اعتمدت على الفرق المتحركة لتشطيط المناطق المجاورة لقواتها أو لفك الحصار عنها، حسب ضرورة استعجال طلب الاستغاثة، أو لطرد العناصر المناوشة لقواتها، مما كان يساهم في إرباك حسابات القوات الفرنسية، التي تتجنب التنقل بأعداد كبيرة خلف المقاومين، تفاديا لأي هجوم مضاد يستهدف ظهر القوات الفرنسية، التي قد تفتح ثغرات أثناء تحركها، نتيجة تناقص أعدادها بالمناطق الخلفية.

²⁶² - A.M, R.M.P, Mai- Juin 1925, pp.7-8

²⁶³ - A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.4

3-3 العنصر البشري و الأسلحة الموظفة

أ- مرحلة حصار المراكز الفرنسية

بلغ عدد المقاومين الريفيين والمحليين الموظفين خلال أشد فترة من المواجهات، التي عرفت قبايل ورغة العليا (منطقة الدراسة) مع القوات الفرنسية، خلال شهري ماي ويونيو 1925 بالجبهات (القطاعات) الثلاث، تبعا لما رصدته أجهزة الحماية خاصة الاستخباراتية منها في هاته القطاعات، ما معدله: ما بين 15000 و 16000 مقاوم، يتحركون أسبوعيا في مجموع الجبهات، وقد وفرت لوحدها القبائل العائدة إلى كنف المقاومة وتلك التي ظلت تقاوم الفرنسيين بالمنطقة، إمكانية توفر الزعيم الريفي على 28000 مقاوم تحت إمرته، كما توفرت للريفيين حوالي 60000 ألف مقاوم، يتحركون بقبايل جباله عند غمارة والريف، كما أرسلت أيضا عناصر من هاتين المنطقتين الأخيرتين لتأطير المقاومة بقبايل ورغة العليا²⁶⁴.

خلال اشتداد حصار المقاومة على تاونات ما بين 2 و 8 يونيو 1925، وظف المقاومون ما مجموعه 10000 مقاوم ريفي وورغي وغماري بجبهة ورغة الوسطى والعليا، ومع ازدياد العناصر المنخرطة في تشكيلات المقاومة الريفية بالمنطقة وانضمام القبائل لها، سيصبح لدى القبائل المحلية عناصر مؤطرة تعتمد عليها في شن الهجمات على المراكز الفرنسية، فقد أصبح مجموع الثوار الريفيين المتواجدين بتلك القبائل من ورغة وإلى حدود 25 يونيو، لا يتجاوز 1500 عنصر، بعد أن أصبحت القبائل المحلية أكثر فعالية ومقدرة على قيادة هجمات منسقة مع باقي المجموعات، ضد قوات الاحتلال الفرنسي²⁶⁵.

أصبحت القبائل المحلية لها حس مقاوماتي عالي، استأنست به من خلال الإحتكاك أكثر مع العناصر الريفية، وهو الأمر الذي لم يستطع الفرنسيون نفيه كما تعودوا في تقارير سابقة، بإمكانية تولي قبائل المنطقة الدفاع عن

²⁶⁴ - A.M, R.M.P, Mai-Juin 1925, p.5

²⁶⁵ - ibidem

مناطقها وفق قواعد تنظيمية وتأطيرية منضبطة، عوض العفوية التي كانت تميز مقاومتها سابقا. كما أن استمرار هذا التأطير الريفي سيمكن القبائل من الثبات لنفسها بنفسها على أراضيها، ما كان يفسح المجال أمام توظيف العناصر الريفية القادمة من الريف، القيام بعمليات نوعية ضد القوات الفرنسية كأنها أصبحت بمثابة "قوات خاصة"²⁶⁶.

ب- القوات التي أصبحت تحت إمرة الزعيم الريفي

مع توالي الضغوطات على المراكز الفرنسية، وعزم المقاومين على إسقاط التحصينات والدفاعات الفرنسية، تواجد الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي كقائد وحيد، توحد تحت إمرته مجموعة من القادة، فأصبح هو الأمر والنهي للفعل المقاوماتي والحرك الرئيسي له، حيث منذ مدة أو وقت طويل لم تعيش القبائل المحلية تكتلا واحدا بهذا الشكل، واندماجا لخدمة هدف واحد وهو طرد المستعمر الفرنسي، وهو الأمر الذي لا يمكن نفيه خاصة أمام مراهنات القوات الفرنسية منذ وصولها لتيسة سنة 1913، على توظيف العمل السياسي، المرتكز على تشتيت توجهات الزعامات المحلية، وخلق التفرقة القبلية، والرهان على استمرار النزاعات المحلية بين القبائل لخدمة مصالحها، كآلة استعمارية قادرة على إيهام تلك القبائل بقدرتها على توفير الأمان -والابتعاد عن عهد السببة والخراب لقراها وانتشار الشار بين القبائل- ومناصرة المستضعفة منهم.

بحلول شهري يونيو وغشت من سنة 1925، أصبحت تحت إمرة الزعيم الريفي -حسب التقديرات الفرنسية- من عناصر المقاومة التابعة لمختلف المناطق، والتي يوظفها على جميع الجبهات التي تعرف مواجهات مع المستعمرين الفرنسي والإسباني، "جيش" مكون في مجموعه من 120000 إلى 130000 مقاوم، موزعين على مناطق مختلفة، وما عدده من 85000 إلى 90000 بندقية بطلقة سريعة موزعة على الشكل الآتي:

● 50000 مقاوم بمنطقة الريف، و 40000 بندقية، موزعة على قبائل الريف معززة بصنهاجة السراير، التي

تشكل حلقة الربط الأساسية مع قبائل ورغة العليا وعلى رأسها قبيلة مثيوة.

• 40000 مقاوم بمنطقة جبال و 25000 بندقية، موزعة على قبائل جبال حيث منطقة العمليات الإسبانية.

• 40000 مقاوم بمنطقة ورغة العليا، حيث عرفت أعداد المقاومين تزايداً، خاصة مع انتكاسات الفرنسيين وفقدانهم لمواقعهم، وعودة عديد القبائل لجناح المقاومة ، وحوالي 25000 بندقية لدى سكان قبائل المقاومة وتلك التي انشقت عن الفرنسيين بالمنطقة الشمالية لفاس حيث قبائل ورغة العليا.²⁶⁷

ت- الأسلحة الموظفة على مختلف الجبهات (حسب التقرير الفرنسي)²⁶⁸:

1- الأسلحة المحمولة من المقاومين:

- جميع الأنواع من الريفيين وجبال الذين شنوا عمليات ضد القوات الفرنسية، كانوا مسلحين ببنادق أو كرايبيلات سريعة الطلقات، ووصل مجموع هذه الأسلحة التي يمتلكها الريفيون والجلبليون والثوار من المنطقة الفرنسية الشمالية ما يربو عن 70000 كحد أدنى.

- السلاح الأكثر انتشاراً هو الموزير Mauser 6^{m/m}؛ كمية كبيرة من هذه البنادق تعود للإسبان غنمها الريفيون منهم منذ سنة 1921.

- بندقية لبال (M.93-M.86)^{1e} Lebel وكرايبيلات 90.

- وأكد الفرنسيون على أن هذه الأسلحة تزود الريفيون بها، بفضل التهريب الألماني، تم جلبها عبر بواخر بجنسيات مختلفة، أو من خلال الغواصات، وبذلك أصبح للرّيفيين أسلحة نوعية. Remington

2- الأسلحة الأوتوماتيكية: يتوفر الرّيفيون على رشاشات وبنادق رشاشة.

²⁶⁷ - A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.4

²⁶⁸ - ibid, p.8

ففي سنة 1924 -بحسب التقرير الفرنسي- قد أسر الريفيون un légionnaire من أصول بولونية واقتيد إلى أجدير، حيث صرح أن المقاومة بالريف تتوفر على حوالي 100 رشاشة صالحة للخدمة، لم يتم تأكيد الأمر من قبل القوات الفرنسية، لكن في بعض المعارك خاصة معركة الببيان في الفترة من 13 إلى 19 ماي، ومعركة الكيفان في 2 ماي، الجيوش الفرنسية استُهدفت في مرات عديدة بنيران أسلحة رشاش أوتوماتيكية.

3-. عتاد المدفعية: المدفعية الريفية تتكون حسب ما صرح به أحد الأسرى من الجنود بأجدير، على أن الريفيين يتوفرون على 200 مدفعا، عشرون منها غير مستعملة، بعض منها وجه صوب مراكز الببيان ومزراوة وسُكر ومديونة، التي وظفت في قصف هاته المراكز، قبل تخطيطها بالقصف الجوي.

4- Grenades - حصل الريفيون عليها من خلال هجوماتهم على الإسبان والمراكز الفرنسية، ويصنعونها بأنفسهم بالقرب من أجدير، وقد عانت حاميات عولاي والببيان من هجمات المقاومين بها، خاصة من قبل الثوار الريفيين، وتسببت تلك التي من نوع V.B في خسائر للفرنسيين بكل من تافراوت وتاونات.

● النقط الفرنسية التي صوبت اتجاهها المدافع الريفية بالجهة

2 أو 3 مدافع بتافراوت وفاس البالي، 2 أو 3 مدافع على تاونات (تم تخطيطها بطلقات من البطارية المضادة)،
3 على الكيفان في بداية يونيو، 1 على مديونة (تم تخطيطها بالبطارية المضادة)؛ مدفعين وصلا لساكا، آخرين إلى
سياح بقطاع حاسي ونزغا-حاسي مظلام، كلها مدافع غنمها الريفيون من الإسبان، هي مدافع للسرايا و الجبال بفوهة
75، 70 أو 80مم، وللد على هذا النوع، طالبت القوات الفرنسية بوضع 6 أو سبع قطع من نوع 75 بمراكزها في
وضعية الطلق.

الفصل الثالث: اندماج المقاومة ومواجهة الاحتلال، وآثار الحرب على المنطقة 1925-1926

شكلت سنة 1925، بداية تسطير ملاحم المقاومة المحلية، بتضييقها الخناق على القوات الفرنسية، هذه الأخيرة لم تجد سبيلا لمواجهة هذا الزحف، غير التراجع إلى المراكز الخلفية بعين عيشة وتيسة وعين معطوف، مع التشبث ببقاء مركز تاوانات تحت سيطرتها، حيث سجلت معارك على مشارف المراكز الفرنسية التي تعرضت للحصار. هذا الوضع سيدفع المؤسسة العسكرية الفرنسية، إلى التعجيل بتغيير خططها وقيادتها، الأمر الذي حققت من ورائه بعد توظيف مجهود كبير، الرجوع إلى معاقلها القديمة بالمنطقة.

خلفت عودة القوات الفرنسية إلى معاقلها القديمة، والتقدم باتجاه الشريط الحدودي مع المنطقة الإسبانية، مجموعة من النتائج السياسية والعسكرية بالنسبة للقوات الفرنسية وسلطاتها، بالمقابل هذه الحرب التي دارت رحاها بأراضي قبائل الدائرة، خلفت على الساكنة مجموعة من الآثار الاجتماعية والاقتصادية، استمرت انعكاساتها إلى ما بعد مرحلة الحرب.

المحور الأول: احتدام المواجهة بين المقاومة والقوات الفرنسية 1925

1- زحف المقاومين على المواقع الفرنسية وأهم المعارك

1-1-1 وضع القوات الفرنسية بالمنطقة

بنهاية شهر أبريل 1925 أصبحت القوات الفرنسية تعتمد على ثلاث فرق متحركة الأولى بقيادة كولومبا Colombat بالغرب، والثانية بقيادة فريدنبرغ Freydenberg في الوسط، وفرقة ثالثة بقيادة كمباي Cambay بالشرق، وتم إعطاء أولوية كبيرة لتعزيز تحصينات مركز تافراوت بتروال الذي يحمي المواصلات باتجاه فاس ووزان وحصن تاونات وبينهما تم وضع حاجز دفاعي، نظرا لما لهما من أهمية في أجراة خطة ليوطي المقترحة التي حاول من خلالها تجاوز مكامن ضعف قواته، حيث أنه مع حلول شهر ماي، أصبحت القبائل التي أخضعتها القوات الفرنسية خلال عمليات 1924 -أولاد قاسم من بني زروال، بني ورياغل، الجاية، وقبائل دائرة ورغة العليا: مزراوة، مزيات، رغيوة، صنهاجة مصباح- في صف المقاومين الريفيين، بل استمر الانشقاق حتى بالقبائل التي خضعت للفرنسيين قبل هذا التاريخ مثل فخذة ورتزاغ من سلاس وبعض الفخذات الصغيرة من أولاد عمران²⁶⁹ أحد فروع قبيلة الحياينة التي أخضعت بداية من سنة 1913، وهو الأمر الذي جعل ليوطي يقر بفشل سياسته الدفاعية الحالية نتيجة الاختراق الحاصل الذي قام به المقاومون (الريفيين والمحليين)، وأن تلك المراكز وفرت الحماية السياسية للقبائل أكثر مما وفرت الحماية العسكرية²⁷⁰.

أ- تعديل ليوطي للمنطقة الدفاعية

تبعاً لما ذكر، سيقترح ليوطي وضعية دفاعية جديدة "بينت الأحداث التي وقعت بالجبهة الشمالية مؤخراً، بأن طريقة التنظيم الحالي للجبهة، تستجيب بشكل خاص للحماية السياسية للقبائل المتواجدة بمنطقتنا، لكنها لا تضمن الحماية العسكرية لهذه الجبهة من الهجومات الخارجية للقوى المنظمة. ويجب ان تعدل طريقة التنظيم

²⁶⁹ -A.M, R.M.P, Mai-Juin 1925, p.1

²⁷⁰ - انظر خريطة شهر ماي التي توضح وضعية الجبهة الشمالية وتوسع مناطق انتشار نقط المقاومة في مقابلة المراكز الدفاعية الفرنسية مباشرة.

الدفاعي للجهة الشمالية بشكل تام حتى تجعل الجهة برمتها في مأمن من أي هجوم خارجي. هكذا فإن تصوري العام يتمثل في تنظيم مستوى العمق للمناطق المحصنة المختارة بشكل جيد والتي ستحمي خطوط المواصلات الحيوية، وستكون مرتبطة بالمواقع الخلفية ومواردها التموينية [خصوصا الماء] وطرق اتصالها بالمواقع الخلفية [راديو، طرق، قناطر الخ] من جهة، وبمناصرتها المتحركة القادرة على التأثير في مجرى الأحداث من جهة أخرى، وعلى ما يبدو فإن تطبيق هذا النظام يكمن في تنظيم الفرقتين معا.

- ففي الغرب ستعمل مجموعة تروال المجعرة وتافراوت، على حماية المواصلات باتجاه فاس ووزان،

أمام بني زروال

- وفي الشرق، ستقوم مجموعة تاونات الموجودة على ضفتي ورغة بحماية المواصلات باتجاه فاس،

أمام الوادي المطل على النهر.

ويوضع بين الفرقتين حاجز عازل بمنطقة جبل مسعود، على ضفتي ورغة لحماية المواصلات باتجاه

فاس، أمام بني زروال أيضا" ²⁷¹.

لأجراً هذه التعديلات، التي اعتبرها ليوطي الحل الأمثل لصد المد الريفي، كان لابد من إعادة التنظيم القائم الذي كان يركز على عديد المواقع والتحصينات، بذلك سيصبح التخلي عن المراكز التي لا تدخل ضمن النظام الجديد أمراً ضرورياً، حيث بدأ العمل في سحب القوات الفرنسية من نقط اعتبرت ثانوية، لتتمركز بنقط ذات أهمية أكبر، كما سيتم تحديد كل الأنظمة الدفاعية والتجهيزات والمنشآت الغير المرغوب فيها، وإطلاق العمليات الواجب القيام بها للانسحاب من المراكز، فقد كان الجنرال دوشميران هو المسؤول عن إصدار الأوامر لقادة هاته الفرق للتحرك صوب منطقة معينة، فكانت تتركز أدوارها في نجدة المراكز المحاصرة وإفراغ التي يجب التخلي عنها، وبذلك فقد لعبت الفرق المتحركة دوراً كبيراً في حماية التواجد العسكري الفرنسي بالمنطقة وتحريك ثقله من منطقة إلى أخرى.

²⁷¹ - ليوطي بيبير، م.س، ص. 70-71

خريطة شهر ماي 1925 للوضعية

بالجبهة الشمالية الوسطى

(*****)

سعيًا لإعطاء الأمان للقبائل التي لا زالت منضوية تحت سيطرة القوات الفرنسية ولنجدة المراكز العسكرية المحاصرة وفي الوقت نفسه لوقف الزحف الريفي، انتقلت فرقة متحركة بقيادة العقيد فريدنبورغ يوم 3 ماي 1925 قادمة من سوق الأربعاء بتيسة عبر ورغة لفك الحصار المفروض على المراكز من طرف المقاومين للحيلولة دون سقوطها التام.

ب- عمليات فرقة فريدنبورغ وأهم معارك شهر ماي 1925

■ معارك تاونات

أصبحت القوات الفرنسية تعيش أحلك فتراتها بمنطقة ورغة بعد نزول المقاومين بثقلهم صوب المراكز الفرنسية، فقد تم تطويق القوات الفرنسية المتمركزة بالتحصينات العسكرية، حيث أدى حصار مركز تاونات إلى إذاعة الفرنسيين المتواجدين به، أصعب أيامهم منذ نزولهم بالمنطقة، إلى أن سارعت الفرقة المتحركة بقيادة فريدنبورغ يوم 4 ماي بالقدوم من عين عائشة لطرد عناصر المقاومة التي تواجدت بأعداد مهمة حول المركز، بعد أن دارت معركة خطيرة كما وصفها التقرير الفرنسي، حيث جاء فيه توصيف نتائج المعركة بالقول " خسائرنا ارتفعت إلى أربعة قتلى و 80 مصابا، بينهم 3 ضباط، المتمردون تركوا أكثر من 100 جثة"²⁷²، المعطى الفرنسي أخفى الرقم الحقيقي للعدد الإجمالي للخسائر النهائية للمعركة منذ بداية الحصار والمعركة، من خلال الإكتفاء بالقول على أنها ارتفعت، وهذا يدل على وجود قتلى آخرين لم يتم التصريح بهم في الحصيلة النهائية للحصار، والإقتصار على أصحاب الرتب الرفيعة "الضباط"، ليتم بذلك فك الحصار عن هذا المركز المهم استراتيجيا للفرنسيين، وتموينه إلى جانب أستر وسكر يوم 5 ماي، لتستقر القوات الفرنسية بأكارة مزيات يوم 7 ماي، تحسبا لهجمات أخرى من طرف المقاومين بعد أن رصدت الطائرات إعادة تشكيل لعناصرها بورغة العليا، ليتم في 9 تزويد أستر بالماء لمدة عشرة أيام²⁷³. وهو ما يوضح على أن القوات الفرنسية المتواجدة بالحصون والمراكز، لم تستطع ضمان بقاء قوات فريدنبورغ بجانبها، في ظل انتشار عمليات المقاومين بمناطق مختلفة، مما جعل المجهود الحربي للفرقتين المتحركتين، موزعا باستمرار من مركز لآخر، أمام تهاوي الدفاعات واشتداد

²⁷² - A.M, Situation Politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925, p.1

²⁷³ - ibidem

الحصار عليها، الأمر الذي يفسر لجوء الفرنسيين لتقديم التموينات اللازمة لجنودهم فقط، والمراهنة على صمودهم لفترة أطول في هذه التحصينات، خاصة أمام تمركز المقاومين على خط التماس مع منطقة تاونات عند قبيلة مثوية، فقد توقع الفرنسيون بعملهم الاستخباراتي، أن يجتمع المقاومون لمعاودة محاصرة المراكز التي خففت عنها فرقة فريدنبورغ الضغط، وبذلك أصبحت فرقته لا تستطيع تقديم أكثر من تخفيف لضغط المقاومة على المراكز العسكرية، أمام وضع لا يسمح لفرقته بالتمركز في مكان واحد لأكثر من يوم، في ظل وجود معلومات من الجهاز الاستخباراتي، تفيد باحتمال تشكل مجموعات جديدة من المقاومين، يبلغ قوام عناصرها 14700 مقاوم من مختلف القبائل²⁷⁴.

أهمية مركز تاونات وحساسيته الاستراتيجية، جعلت الفرقة المتحركة في كل مرة توجه عملياتها باتجاه مراكز محاصرة إلا وتعمل جاهدة على الرجوع إلى **غارة مزيات**، لضمان بقاء مركز تاونات تحت سيطرتها، فبعد أن قامت فرقة **فريدنبورغ** بتخليص عين مديونة من الحصار، سارعت فرقة ثانية قادمة من الضفة اليسرى لنهر ورغة عند الدردار مرورا بمديونة، في القدوم لمساعدتها في الخروج من فك المقاومين، الذين وقفوا بعدد 1200 مقاوم كحائط صد منيع، للحيلولة دون عودتها (الفرقة المتحركة) ل**غارة مزيات**، حيث شرع المقاومون يوم 15 ماي في التمركز بـ 5000 بندقية تحت إمرة **ولاد مفتاح** عند رغيوة وصنهاجة مصباح، ومجموعة أخرى سيقودها **السليطن**، كلها ستتوزع لمحاصرة المراكز الفرنسية مجددا، وعلى رأسها حصار تاونات، حيث شلت عناصر المقاومة حركة فرقة فريدنبورغ، التي كانت ستلقى هلاكها لولا مسارعة الفرقة الثانية لفك الحصار عنها، حسب ما جاء في التقارير الفرنسية، لتعود الفرقة في النهاية إلى **غارة مزيات**، بقوام 11 كتيبة منقسمة على جناحين و3 أسراب من الطائرات، وبطارتان من نوع 75 وأخرتان من نوع 65، لتتحرك الفرقة بعدها يوم 24 صوب تازة للحصول على كتيبتها الرابعة التي وصلت لتدعيمها²⁷⁵.

²⁷⁴ - مرنيسة 2500 مقاوم، بني وليد 1500، فناسة 800، بوسلامة 600، بني ونجل 1000، بني احمد 3000، أهل تغزوت 2500، مثوية الجبل 2000، مثوية لوطا 500، صنهاجة غزو 300. أنظر

- A.M, Situation Politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925, p.2
²⁷⁵ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 19 au 25 Mai, 1925, p.2

في يوم 20 ماي سيهاجم مجددا المقاومون أستر، حيث أدت الهجمات إلى اقتلاع إحدى أبراج الحماية العسكرية، كما شنوا هجوما على مراكز عين اللوح وأميز وتاونات، أثناء ذلك سترصد المقاومون بمفرزة عسكرية تابعة لفرقة فريدنبورغ، كانت تعمل على تموين المركز العسكري بأستر، مخلفين فيها 3 قتلى و 35 جريحا²⁷⁶.

■ مواجهات عين معطوف وعين مديونة

بتواجد قوات فريدنبورغ بكارة مزيات توجهت يوم 9 ماي 1925 على وجه السرعة لتموين مركز عين معطوف والمركز العسكري بعين مديونة وفك الحصار عنهما، بعد ازدياد عدد المقاومين المحاصرين لهذا الأخير توافدوا من مناطق مختلفة بورغة، ليقوم فريدنبورغ بإعادة تشغيل مكتب الاستعلامات لمديونة الذي كان قد سقط بيد المقاومين وتوقف عن العمل²⁷⁷.

استراتيجية المقاومة المبنية على تشتيت تركيز الفرقة المتحركة ستظهر فاعليتها مجددا، حيث ستوجه فرقة فريدنبورغ منطلقة من كارة مزيات إلى مركز الصفصافات بقبيلة مزاوة لفك الحصار عن المنطقة، حيث سيستغل هذا المعطى من طرف المقاومين، الذين كانوا مجتمعين بصنهاجة مصباح ورغوية وبني وليد²⁷⁸، للهجوم يوم 20 ماي على الفرقة المتحركة لكماي، التي كانت تتحرك على الدردار وباب ميزاب، فأثناء اقترابها من عين معطوف سيخلف المقاومون في صفوفها قتيلا واحدا²⁷⁹، وخلال المواجهات التي دارت بين المقاومين والفرقتين المتحركتين بقيادة كل من كماي وفريدنبورغ، ستتشب معارك مباشرة بقبائل ورغة العليا، على ضفتي النهر بكل من قبيلة صنهاجة مصباح ورغوية، وبكل من مراكز عين معطوف ومديونة ومولاي عين الجنان وباب وندر، تكبدت خلالها الفرقتين أيام 21-22-23 ماي، ما مجموعه 6 قتلى في صفوف الضباط، و 58 قتيلا في صفوف الجنود، و 15 قتيلا من المناصرين، وأصيب 232 جندي و 25 مناصر، و 18 رجل من القوات الفرنسية أصبحوا من عداد المفقودين²⁸⁰، فهي من أشد

²⁷⁶ - ibid, p.1

²⁷⁷ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925, p.1

²⁷⁸ - 3100 بندقية من ورغة العليا (مثوية، فناسة، بني وليد، بني ونجل، مرنيسة) عند صنهاجة مصباح ورغوية، و 2000 بندقية من مقاومي الريف عند بني وليد. أنظر: A.M, Situation Politique et Militaire, du 11 au 18 Mai, 1925, p.2

²⁷⁹ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 19 au 25 Mai, 1925, p.1

²⁸⁰ - A.M, Situation politique et Militaire, du 19 au 25 Mai, 1925, p.2

المعارك التي عرفتھا منطقة ورغة العليا، التي تكبدت خلالها القوات الفرنسية خسائر لا يستهان بها، عجزت التقارير الفرنسية عن إخفائها أو التقليل من خطورتھا على القوات الفرنسية.

وفي يوم 25 ماي سيشن المقاومون هجوما على حضيرة الطائرات المتواجدة بالدرادر، التي تستعملھا القوات الفرنسية لقصف المقاومين وتشطيط التهديدات المحتملة، أثناء تحرك الفرقة المتحركة لفريدنبورغ بين مديونة وباب وندر وغيرها من المناطق. ليتوجهوا صوب عين معطوف لمحاصرة المركز مجددا، حيث لم تستطع الفرقة العودة مجددا لعين معطوف، لتخليص المركز العسكري من يد المقاومين إلا بحلول يوم 30 ماي، حيث ظلت الفرقة منشغلة بالعودة لتأمين قاعدة عين عائشة والرجوع لإنقاذ مركز تاوانات من الحصار مجددا، الذي سيدعم هذه المرة بالفرقة الثامنة للكم لإعطاء الفرقة المتحركة نفسا أطول للتوجه صوب عين معطوف، حيث ستتوجه الفرقة في 30 ماي إلى غارة مزيات لتنظيم خططھا وصفھا، فاتجهت صوب باب ميزاب وبوحليمة، لتصل في الأخير إلى عين معطوف، حيث ستلتقي بقوات إضافية قادمة من أعالي اللب لنجدة المركز²⁸¹.

■ باب وندر

وهو مركز تواجد خلف مركزي مولاي عين الجنان وبوعزون (بقبيلة رغيوة)، ويشكل نقطة ربط بين عين مديونة بصنهاجة مصباح وبوعزون برغيوة، هذا الأخير بدوره يربط خط القوات الفرنسية مع مركزي شكر وأستر بقبيلة مزيات، حيث يوجد خلفهما مركز تاوانات العسكري والاستعلاماتي، فقد تعرض المركز العسكري باب وندر لحصار شديد من قبل المقاومين، تحركت معه فرقة فريدنبورغ لنجدته يوم 10 ماي للحيلولة دون سقوطه كليا في يد المقاومين، باعتباره خطا مهما يربط تحركات فرقته إياها وذهابا بمراكز قبيلتي رغيوة ومزيات²⁸²، فكان الوصول إليه بعد أن خسرت مفرزة القوات الفرنسية 3 قتلى بينهم ضابطين وعرفت جرح 26 شخص²⁸³، فتم تموينه بالحاجيات الأساسية وصفھا التقرير الفرنسي بمواد حيوية من طعام وغيرها ليصمد أكثر أمام الهجمات المحتمل وقوعھا، لتعود فرقة فريدنبورغ للعسكرة مجددا

²⁸¹ - A.M, Situation politique et Militaire, du 26 Mai au 1^{er} Juin, 1925, p.2

²⁸² - أنظر خريطة شهر يونيو 1924 للعمليات الفرنسية بورغة العليا، لمعرفة أهمية موقع باب وندر في تحرك القوات الفرنسية بين أهم المراكز العسكرية بقبائل مزيات ورغيوة وصنهاجة مصباح.

²⁸³ - A.M, Situation politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925, p.1

بغارة مزيات، قوامها 6 كتائب وسربين للطائرات و4 بطاريات²⁸⁴، ونظرا لأهمية المنطقة في الوقوف على خط السرعة لنجدة مختلف المراكز المتواجدة بالمنطقة، وأثناء تحرك الفرقة المتحركة استغل المقاومون عامل الليل كي لا يتم رصدتهم، فشنوا هجوما عنيفا ليلة 10 إلى 11 ماي على حصن أستر²⁸⁵.

1-2- محاولة ليوطي تدارك الوضع

أ- تفعيل سياسة ليوطي من قبل فريدنبورغ

بعد أن تم فك الحصار المفروض على تاونات في 4 ماي 1925 سيتم في 13 ماي إخلاء تالغزة Taleghza، وفي 21 من الشهر نفسه ستصبح الفرقتين المتحركتين بقيادة فريدنبورغ وكامباي، مجتمعتين تحت إدارة الجنرال شامبران، للقيام بعمليات على جبهة ورغة العليا، وتم خلالها التخلي عن المراكز التي انخرمت وتحطمت بفعل الهجمات العنيفة، التي شنها المقاومون على كل من مراكز: بوعزون ومولاي عين الجنان وباب وندر وسيدي احمد وصرمة Srime وبوعادل وولاد أزم Ouled Azem، حيث تم الاستغناء عنها تفعيلا للسياسة الدفاعية الجديدة لليوطي، بالمقابل تم يوم 26 ماي الانسحاب من مركزي عين اللوح وواد أمزير²⁸⁶.

تمكن القوات الفرنسية من فك الحصار وتخفيف الضغط على مركزي تاونات والبيان لكونهما يراقبان الطريق المؤدية لفاس، تنفس معه ليوطي الصعداء في إمكانية هزم الثوار الريفيين والمقاومة المحلية، لكن تخوفه ظل قائما وبشدة من إمكانية انفجار قاعدته الخلفية في أي لحظة، "وما أخشاه أكثر هو أن تضعف قاعدتنا الخلفية وتتحالف مع العدو وتأخذ بالتدريج صبغة تحرير الإسلام والبطل الوطني. ومن حسن حظنا، أن أية قبيلة من قبائلنا الموجودة بالمراكز الخلفية لم تصطف منذ شهر إلى جانب عبد الكريم، خصوصا بالمناطق المحيطة بفاس وتازة القرية جدا من الريفيين"²⁸⁷؛ فمن خلال هذا الكلام يمكن أن يستشف أمرين مهمين :

²⁸⁴ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925, p.2

²⁸⁵ - إلى حدود 18 ماي بلغ مجموع قوات فرقة فريدنبورغ بقاعدة عين عائشة : 11 كتيبة وربع، سربين من الطائرات، سرية واحدة صاعدة، 3 بطاريات من نوع 75، 4 بطاريات من نوع 65، 1 شعبة من 120، 1 peloton d'A.M.C. أنظر :

- A.M, Situation Politique et Militaire, du 11 au 18 Mai, 1925, p.2

²⁸⁶ - A.M, R.M.P, Mai-Juin 1925, p.2

²⁸⁷ ليوطي بيبير، م.س.، ص.82

- أولهما، أن القوات الفرنسية لم تكن لتستوعب حجم الضغط الكبير عليها إن تعددت جبهاتها، وعدم وجود قوات في القواعد الخلفية بالشكل الكافي لحماية ظهرها في حالة قيام تلك القبائل بالمهاجمة من الخلف، وهو الأمر الذي وصفه ليوطي بالحظ، لكنه في الحقيقة يرجع بالأساس إلى نجاح العمل السياسي بشكل كبير، وقدرة الجهاز الاستخباراتي على وضع تلك القبائل في موقف المتفرج أو المنتظر، وعدم الدخول في عمل مضاد للفرنسيين، مما يوضح العمل الكبير للجهاز الاستخباراتي في ضبط المنطقة بأعيانها ورجالها الأوفياء لفرنسا.

- ثانيهما، تمثل في التخوف الكبير لدى الفرنسيين من إمكانية حدوث تنسيق بين الريفيين وجبهات أخرى خاصة بتازة والأطلس المتوسط، وفي حال حدوث هذا التنسيق سيتشتت الجهود الحربي للقوات الفرنسية، بالمقابل سيزداد العنصر البشري المدعم للمجموعات المقاومة²⁸⁸، مما سيجعل هذه القوات مضطرة إلى التراجع عن عديد جبهاتها التي قامت بـ"تهدئتها" منذ سنوات بتلك المناطق، فأصبح كل التخوف الفرنسي من إمكانية حصول هذا التنسيق، في ظل توقع عزم محمد بن عبد الكريم على تكثيف الهجمات بجهة وزان غربا واللبن إلى غاية واد مسون شرقا، ورغبته في رفع مستوى التنسيق مع المقاومين ببقعة تازة والأطلس المتوسط، لقطع الإتصال بين فاس والجزائر، وتقسيم التواجد الفرنسي بين مغرب غربي ومغرب شرقي²⁸⁹، رغبة المقاومة في قطع هذا الاتصال بين فاس والجزائر، كان يهدف بالأساس إلى قطع طريق الإمدادات الفرنسية القادمة من الجزائر عبر خط الربط السككي بين فاس ومستعمرة الجزائر.

ب- تعديل القيادة الفرنسية بالجبهة

أمام تسارع الأحداث في ظل تواجد مقاومة شرسة، خلطت أوراق وخطط ليوطي ومعها تحركات القوات الفرنسية، فكلما ظهرت نقاط ضعف وإمكانية تهاوي القوات الفرنسية، سيقوم الفرنسيون بتغيير القادة أو الخطط العسكرية، وإعادة ترتيب المناطق وتوزيعها استراتيجيا، فيظهر تنظيم جديد للقيادة تبعا للظروف العامة بالمغرب وعلى وجه الخصوص بالجبهة الشمالية، حيث سيطر تغيير جديد على قيادة هذه الجبهة تبعا لتصور ليوطي، الذي تحكمت

²⁸⁸ - أنظر الجزء الخاص من البحث حول العنصر البشري للمقاومة الموظف خلال شهري ماي ويونيو، للتعرف على أعداد المقاومين الذين كانوا يتواجدون بجبهة ورغة ومجموع هذه القوات التي أصبحت تحت قيادة الزعيم الريفي. أو أنظر : تقرير شهري ماي ويونيو 1925 صص.5-6.

²⁸⁹ A.M, R.M.P, Mai-Juin 1925, p.7

الأوضاع الميدانية في التغييرات القيادية والخطية التي عرفتتها هذه المنطقة، لتفادي الإنحياز الكلي لقواته بالمنطقة وباقي المناطق المغربية:

بتاريخ 23 ماي 1925 سيتم تعيين Daugan في منصب قائد عام للجبهة الشمالية خلال فترة العمليات، وحددت هذه الجبهة في الغرب بالأطلتي، جنوبا بالطريق بين القنيطرة-مكناس-فاس-تازة-وجدة، في الشرق بالحدود الجزائرية والمتوسط، في الشمال بالحدود الإسبانية والجبهة، وكانت المهمة الأساسية لهذا المنصب المستحدث تتمثل في إعادة الأوضاع بالجبهة الشمالية لصالح الفرنسيين وتنظيم الدفاعات. وقد وضع نائبين له هما: بيلوط Billote وشمبران Chambrun.

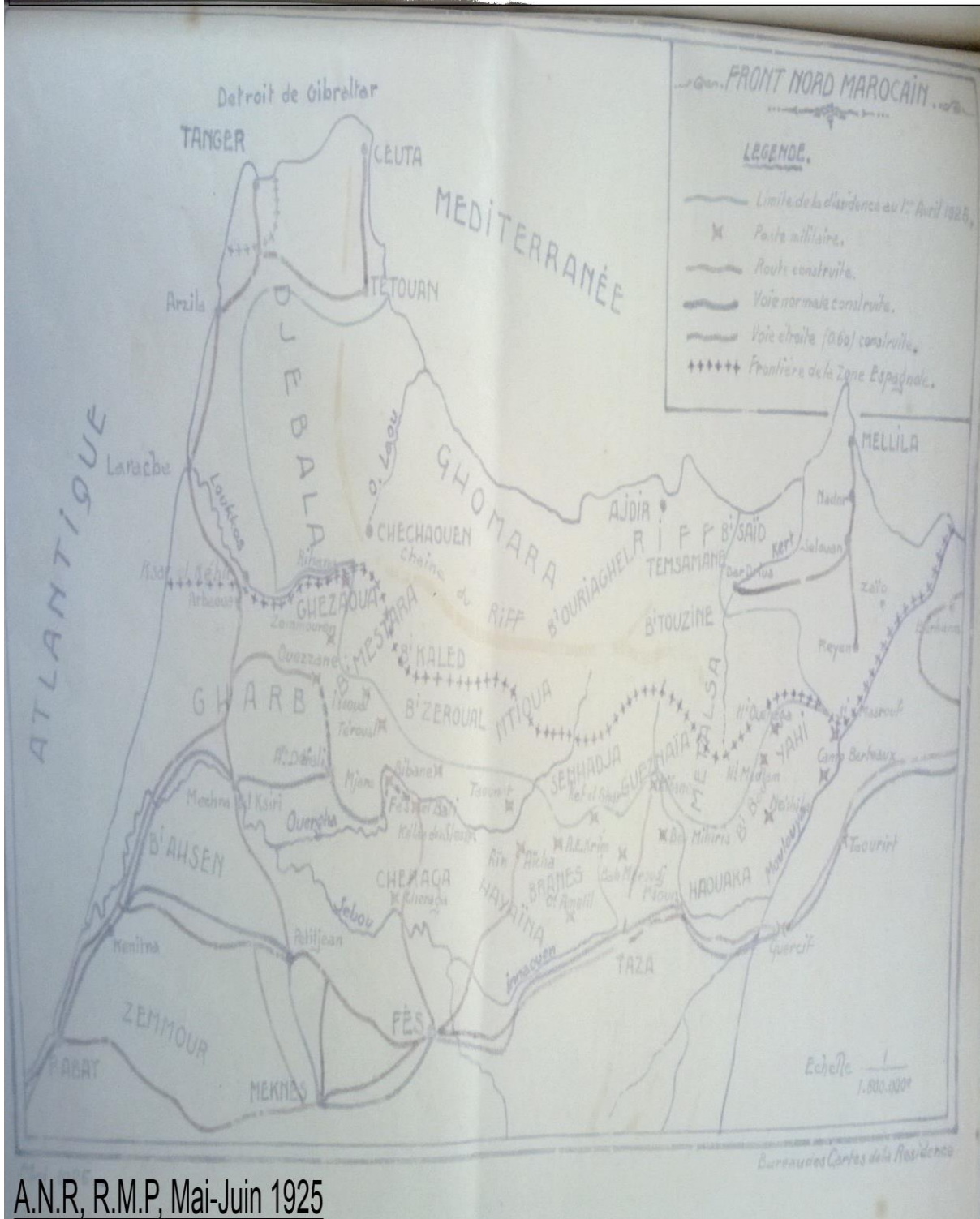
وقسمت الجبهة الشمالية لثلاث قطاعات عسكرية، لكل واحد منها قيادة خاصة:

- 1- القطاع الغربي تحت إمرة الجنرال كولومبا: من المحيط إلى واد أميز (شرقا جبل مسعود وطريق قلعة سلاس - يضم فاس). القاعدة المركزية بمجعة.
- 2- القطاع الأوسط تحت إمرة الكولونيل فريدنبورغ: من خط أميز-سلاس - بعيدا عن فاس، إلى الحدود الشرقية لمنطقة تازة (يضم مركز اللبن الأعلى). القاعدة المركزية بعين عائشة.
- 3- القطاع الشرقي بقيادة الكولونيل كمباي: من الحدود الشرقية مع منطقة تازة باستبعاد مركز اللبن الأعلى إلى الحدود الجزائرية المتوسطة. القاعدة المركزية بتازة.

اشتداد الهجمات بالقطاع الأوسط حيث جبهة ورغة وتهديد المقاومين للقاعدة المركزية عين عائشة، سيؤدي إلى إحداث تعديل في القطاع الأوسط، ليصبح غربا من حدود فاس البالي حيث قنطرة السبت (مستبعدة) إلى طريق السبت إلى فاس (تدخل ضمن القطاع)، وشرقا الحدود الغربية لمنطقة تازة، كما أصبح القطاع تحت قيادة الجنرال Billote والقاعدة المركزية أصبحت بفاس، وقسم القطاع إلى قطاعين صغيرين تابعين، الأول لقلعة سلاس وقاعدته سوق الإثنين، وآخر لعين عائشة وقاعدته عين عائشة²⁹⁰.

²⁹⁰ - A.M, R.M.P, Mai-Juin, 1925, p.3

خريطة شهر ماي 1925: توضح وضع الجبهة الشمالية للمغرب بين المقاومة المغربية والقوات الفرنسية.



2- تراجع القوات الفرنسية أمام ضغط المقاومة

2-1. مآل التعديلات الفرنسية

أمام تعدد نقاط الضعف التي تكشف عنها اختراقات المقاومين في الدفاعات الفرنسية، كانت تعمل القوات الفرنسية بكل تركيباتها في كل مرة على تصحيح أخطائها وتمتين وتقوية المناطق الدفاعية التي أبانت عن ضعف أمام المقاومة، اضطرت معها القوات الفرنسية لتوظيف قوات كبيرة لإحلالها أو نجدها²⁹¹، لتصبح المناطق الدفاعية التي تركز عليها القوات الفرنسية لحماية فاس تتمحور حول ثلاث مناطق دفاعية رئيسية : 1- حصن تاونات، 2- حصن تافراوت، 3- حاجز مسعود، ففي حصن تاونات تم وضع خطة تنظيم المنطقة، مباشرة بعد فك الحصار عن المركز من قبل الفرقة المتحركة بقيادة فريدنبورغ، لتبدأ أشغال التنظيم، وإسناد قيادة المركز إلى عقيد يتوفر على أربع كتائب، وزعت على الشكل التالي:

- كتيبتان في الوسط لتغطية مجمل الأشغال بالموقع الرئيسي لتاونات.

- الكتيبة الثالثة تموقع في الجنوب الغربي بالصفصافات، لتغطية أشغال المنطقة الغربية

- كتيبة الرابعة بالجنوب الشرقي لتاونات بالدرادر، لتغطية الأشغال بالمنطقة.

وقد أسندت مهمة حماية هذه الأشغال والكتائب للعقيد فريدنبورغ، الذي كان يقود الفرقة المتحركة التي أصبحت تتحرك حول قاعدة عين عائشة²⁹²، والتي تواجدت ضمن الفرق الثلاث المهمة التي وضعها ليوطي بالقطاعات الثلاث، المسنودة لها مهمة حماية القطاع الأوسط، الذي أصبحت وضعيته أكثر تأزما مع اشتداد تهديد المقاومين وقيامهم بإنشاء دفاعات مضادة متقدمة، على طول خط الدفاع الفرنسي²⁹³.

²⁹¹ - إلى حدود 10 ماي، وظفت القوات الفرنسية 34 كتيبة مقسمة على مجموعتين، 8 أسراب من الطائرات، 20 بطارية، 4pelotons d'A.M.C، وإلى حدود 1 يونيو سيتم رفع هذه القوات إلى 46 كتيبة مقسمة إلى أربع كتائب ¼، و 31 بطارية اثنتان من نوع 155 قصيرة المدى، 9 أسراب و 5pelotons d'A.M.C؛ وإلى حدود 29 يونيو أصبحت القوات الفرنسية تتكون من 56 كتيبة للقناصين وكتيبة من فرقتين للمدفعية و 35 بطارية، حيث 4 من نوع 155 قصيرة المدى، 14 سربا من سلاح الجو، وسربين من طائرات الرشاشات الاوتوماتيكية، الأمر الذي يوضح حجم الخطورة التي استشعرتها القوات الفرنسية وثقل الهجمات التي دفعت سلطات الحماية إلى مركزة قواتها بالمنطقة. أنظر تقرير شهري ماي-يونيو.

²⁹² - ليوطي بيبير، م.س، ص. 94.

²⁹³ - أنظر خريطة شهر ماي التي توضح وضعية الجبهة الوسطى وتجهيزات المقاومين المقابلة للتجهيز الفرنسي بالقطاع الأوسط ص. 165.

انسحاب القوات الفرنسية من عديد مواقعها، أشعل حماسا كبيرا في صفوف المقاومين، الذين سيهاجون التنظيمات الدفاعية المتقدمة بمنطقة تاونات، عبر شن هجمات عنيفة ما بين أيام 2 و 5 يونيو، دفعت بالقوات الفرنسية إلى إخلاء مراكزها بكل من أستر وواد الساهلة وشكر، حيث ستسقط قبيلة مزراوة المحتلة في يد المقاومين، وبعدها ستتخلى القوات الفرنسية عن عين مديونة في ليلة من 10 إلى 11 من نفس الشهر، لكن المقاومين لم يفلحوا في إسقاط حصن تاونات، الذي استطاع الصمود أمام تكبده خسائر فادحة، قبل أن يتوصل بالدعم من قبل الفرقة المتحركة²⁹⁴.

أ- معارك تاوانات لشهر يونيو 1925

اشتداد ضربات المقاومين وتعدد أمكنتها، أدخل القوات الفرنسية وعلى رأسها الفرقة المتحركة بقيادة فريدنبورغ، في سباق محموم لنجدة القوات الفرنسية المحاصرة، وتدعيم المراكز الأساسية بين تاونات في الأعلى وعين عائشة في الأسفل، فقد أصبحت الفرقة مسؤولة عن القطاع الأوسط من الجبهة الشمالية، وتعتمد على التمرکز في كل مرة بـ **كارة** **مزيات**، الموقع الاستراتيجي والمتميز في الوقوف على مقربة من المراكز الأساسية للفرنسيين بالمنطقة.

في 2 يونيو خيمت قوات فريدنبورغ بأكارة علاوة، الأمر الذي استغله المقاومون أحسن استغلال، حيث شنوا هجوما عنيفا ومباغثا بالقنابل اليدوية والبنادق، على مركز أستر في ليلة 2 إلى 3 يونيو ، قتل خلال الهجوم رئيس المركز وفر الباقون من القوات باتجاه تاونات، فتم تدمير العتاد المتواجد به من طرف الفرنسيين أثناء انسحابهم ومن بينه المدفع الأساسي بالحصن كي لا يغنمه المقاومون. وفي 3 يونيو سيأتي الدور على تشكيلات عسكرية، تواجدت بشكر تابعة للحصن، التي ستتعرض بدورها لهجوم عنيف من قبل المقاومين دون أن يذكر التقرير الخاص بالوضعية السياسية والعسكرية الخسائر الفرنسية المترتبة عن هذا الهجوم العنيف²⁹⁵.

²⁹⁴ - A.M, R.M.P, Mai-Juin, 1925, p.2

²⁹⁵ - A.M, S.P.M, du 2 au 8 Juin, 1925, p.2

يوم 4 يونيو سيتعرض مركز واد الساهلة بدوره لهجوم عنيف بالقنابل اليدوية دفعت القوات الفرنسية المتواجدة به إلى الانسحاب باتجاه تاونات محملة بعتادها بعد أن سقط المركز في يد المقاومين، كما سقطت دفاعات الفرنسيين بمزراوة بعد تعرضها لوابل من رصاص المقاومين منذ عدة أيام عجز معها الفرنسيون عن الصمود لمدة أطول، وبذلك أصبحت تاونات مهددة بشكل مباشر²⁹⁶، نتيجة انهيار الدفاعات الأمامية وكذا الموجودة بالغرب حيث مزراوة. في اليوم نفسه، ستتحرك فرقة فريدنبورغ لاسترجاع أستر من يد المقاومين مدعوما في ذلك ببطارتان من نوع 155 قصيرة المدى، استرجع معها الفرنسيون موقعهم السابق ليمركز المقاومون بمدافع ودواوير أستر بعد أن وجهت القوات الفرنسية المدفعية تجاههم، حيث دارت معركة بين الجانبين خلفت في الفرنسيين 10 قتلى و172 جريح من بينهم 6 ضباط²⁹⁷.

في 5 يونيو تحركت الفرقة المتحركة معززة بتنظيم مدفعي كبير إلى سكر لاسترجاع الحصن من يد المقاومين (الذي لا يدخل ضمن التنظيم الدفاعي الجديد للقوات الفرنسية بعد التعديلات)، ليدخل الطرفان في معركة شرسة دمرت خلالها القوات الفرنسية بمدفعتها الحصن والمدفع الذي كان يستعمله المقاومون، لتتمكن من استرجاع الحامية العسكرية التي سيطر عليها المقاومون سابقا، وقد خلفت المعركة في صفوف الفرنسيين 12 قتلا و 86 مصابا من بينهم ثلاث ضباط²⁹⁸.

في 6 يونيو سيهاجم المقاومون الفرقة المتحركة التي خيمت بتاونات، والتي كانت تنهياً لمهاجمتهم، بعد أن رصدت تجمعاً لهم في جبهة مزيات، لتدخل في مواجهات مباشرة مع عناصر المقاومة حول المخيم، وبين تاونات وعين عائشة، تكبد خلالها الفرنسيون 4 قتلى و10 جرحى من بينهم ضابط، لتتوجه الفرقة المتحركة باتجاه عين عائشة لتخفيف الضغط عليها، وإكمال التنظيم الدفاعي الجديد للمنطقة، تاركة أربع كتائب تحت إمرة العقيد Barbassat بتاونات، التي ستفاجأ إحداها بهجوم مباغت من قبل المقاومين، لم يذكر الفرنسيون ما خلفته المعركة من خسائر. وقد

²⁹⁶ -ibidem

²⁹⁷ -ibidem

²⁹⁸ -ibidem

وظف الجهاز العسكري الفرنسي خلال المعارك التي خاضها ضد المقاومين في معارك تاوانات ما مجموعه 11 كتيبة مقسمة لقسمين، و 3 أسراب من الطائرات و 5 بطاريات من نوع 65، و 3 بطاريات من نوع 75، و بطاريتان من نوع 155، والشعبتان العسكريتان 95 و 105 و 1 peloton d'A.M.C²⁹⁹.

بدت القوات الفرنسية عاجزة أمام نهج هجومي تطويقي، طبقته المقاومة بعناصرها المحلية والقادمة من الريف ومناطق أخرى، فأصبح الفرنسيون في وضع المترقب فقط للخطوة الموالية لتلك العناصر وتتبع تجمعاتها، ووضع الرهان كله على صمود الجنود في مواقعهم وتحصيناتهم الدفاعية، في انتظار الفرقة المتحركة، لتخفيف ضغط الهجمات عليهم وعلى المراكز العسكرية، والدخول في معارك مباشرة عند وقوع التحام ميداني، ليستمر هذا المد البطولي للمقاومة المغربية، بظهور 1200 مقاوم من منطقة الريف، تحت إمرة السليطن والخمليشي وبوطاهر، أمام مركز تاوانات، مع قوات احتياطية مشكلة من 6000 مقاوم، و 9 مدافع بقيادة امحمد أخ محمد بن عبد الكريم الخطابي³⁰⁰.

حلول هذه الشخصيات القيادية الريفية بالمنطقة كان يؤشر على أن مسألة إسقاط تاوانات أصبحت أساسية للمقاومين، من خلال النزول بثقل الدعم الريفي في هذه الشخصيات والعتاد الذي سيوظف، ومعه سيكون تقديم الخطة العسكرية المناسبة لإسقاط مركز تاونات، الذي ظل عصيا أمام حصار المقاومين في فترات سابقة، في الوقت نفسه يتم القضاء على باقي المراكز الخلفية للقوات الفرنسية. هذا العمل سيكون من خلال السهر على قيادة العمليات وتأطيرها مع وضع قوات احتياطية لدعم المقاومين في مناطق قد يفاجئهم الفرنسيون فيها، حيث فسر الفرنسيون وصول هذه الشخصيات بالقول "أرسل عبد الكريم (محمد بن عبد الكريم) أخاه سي امحمد، إلى جبهة مزيات شمال تاوانات، لإذكاء الحماس في المحلات الريفية، وتنشيط القبائل المتمردة من المنطقة الفرنسية، وهو مستمر بلا كلل في دعايته بالقرب من قبائلنا، ويربط علاقات مستمرة مع الزعماء المنشقين من الجبهة الفرنسية بالأطلس المتوسط والجنوب"³⁰¹.

²⁹⁹ -ibidem

³⁰⁰ - A.M, Situation politique et Militaire, du 02 au 08 Juin, 1925, p.2

³⁰¹ -ibidem

استمر المقاومون بتأطير من القادة الريفيين، في توجيه بنادقهم ضد القوات الفرنسية، حيث حل 500 مقاوم ريفي عند صنهاجة مصباح، التي تجمع بها أزيد من 1000 مقاوم، لشن هجوم ضد الفرنسيين، والتمهيد لثبيت مدفعين في مرتفعات الجاية، تزامنا مع تواجد محمد أخ محمد بن عبد الكريم الخطابي بـ 9 مدافع عند مثوية لوطا، ومدفع إسباني من نوع 80 تواجد بباب وندر، و3 مدافع أخرى ورشاشات بمولاي عين الجنان بورغة العليا، ومدفع بباب الفج بجبل "الكيل" الواقع شمال شرق عين مديونة، لسد هذا المنفذ الاستراتيجي أمام تحركات القوات الفرنسية داخل صنهاجة، كما توسع استعمال الأسلحة بين سكان القبائل المقاومة بمنطقة ورغة بفعل الإمداد الريفي، حيث أصبح الخرطوش من نوع 86 يباع بـ دورو (5 بسيطة)³⁰²؛ كل هذه الإعدادات جعلت نسق المقاومة يعرف منحى تصاعديا في الهجمات، التي استهدفت نقاط تواجد قوات المستعمر، وهو الأمر الذي لم يترك مجالا لها لتستريح من ضربات المقاومة المتوالية، الشيء الذي حرهما (القوات الفرنسية) من دور المبادر في شن هجمات استباقية على معازل المقاومة، ليكتفي الفرنسيون خلال هذه المرحلة بالاعتماد على تعزيز نقطهم الدفاعية وتدعيمها، خاصة بمنطقة تونات وعين عيشة (عين عائشة)، المركزان اللذان يشكلان عصب تواجد القوات الفرنسية في المنطقة وباقي القبائل المجاورة.

تحمس المقاومين لطرد المستعمر من المنطقة، مع قوة صمود كبيرة أمام آلة عسكرية متطورة، جعل القوات الفرنسية وقادتها يدخلون في ريبة من النوايا الحقيقية لتقدم المقاومين الريفيين والمحليين بالمنطقة، والتفكير في ضرورة القضاء على نقط تركز المقاومين بالقبائل قبل أن تنهار القوات الفرنسية، أمام توضيح معالم شكل انتشار تنظيم محكم للمقاومة، أصبح على شكل طوق يحيط بالقوات الفرنسية، خاصة بعد أن أكدت المعلومات الاستخباراتية لهم أن المقاومين الريفيين، عازمين على الوصول إلى فاس، في ظل تبقي أربع مراكز فقط للفرنسيين، بين باب وندر (رغوية) وتاونات (مزيات)، وأن المقاومة المندمجة تطمح لإسقاط تاونات نهائيا، حيث أقر الفرنسيون بفاعلية القنابل اليدوية التي استخدمها المقاومون ضد المراكز والقوات الفرنسية، كما أكدت هذه المعلومات عزم المقاومين على التحرك بشكل مخطط ومدروس، وفق تعليمات دقيقة، حيث سيتحرك محمد بن الصديق على سلاس قادما من الجاية، في حين سيرسل

³⁰² -ibid, p.4

السليطن وبوطاهر إلى تيسة، متبوعين بسي محمد بن عبد الكريم برفقة مدافعه ورشاشاته، على أساس أن الهجوم سيكون ليلاً، لتفادي رصد الطائرات لهم، وهو ما دفع الجانب الفرنسي إلى دق ناقوس الخطر، من أجل تضيق الخناق على عناصر المقاومة وتضييق المساحات بين القوات الفرنسية وتوظيف الجهد الحربي اللازم، لالتهاء بسرعة من إنجاز الخط الدفاعي الجديد، الذي سيحول دون وصول المقاومين لتهديد فاس في مقبل الأيام³⁰³.

بدورها المقاومة كانت على دراية تامة بالمخططات الفرنسية على الميدان، فبدأ المقاومون يسابقون الزمن لإسقاط مركز تاونات الاستراتيجي للقوات الفرنسية، الذي ظل صامدا بفضل التموينات الفرنسية له، حيث سيتعرض في ليلة من 10 إلى 11 يونيو لهجوم عنيف، لكن صمود المركز دفع الفرنسيين إلى تنفس الصعداء واستحسان صموده أمام شراسة الهجوم³⁰⁴، نظرا لكونه قد أفشل الرغبة الأكيدة للمقاومة في التخلص من هذا المركز الاستراتيجي بالمنطقة، والذي تدور عليه رحي معارك عديدة، مما يعني ضمان الفرنسيين استمرار تواجدهم في نقطة استراتيجية حساسة في مواجهة التجمعات التي تتم عند قبيلة مثوية، وعدم إعطائها فرصة للنزول مباشرة صوب عين عائشة.

عاشت القوات الفرنسية أياما عصيبة، أمام شراسة المقاومة واندفاعها بشكل هجومي لتخليص المنطقة من يد المستعمر، سواء بالمنطقة الغربية باتجاه وزان أو الوسطى حيث قبائل ورغة العليا أو باتجاه الشرق حيث قبائل تسول ولبرانس ومناطق أعالي اللب، لتتطور مع هذه الهجمات أعداد القوات الفرنسية وأنواع الأسلحة المتطورة، التي استعملت بالمناطق الثلاث لصدهم هجوم المقاومين، الذين أصبح يصعب إيقافهم دون استعمال قوات كافية وعدة نوعية، التي كانت على الشكل الآتي:³⁰⁵

- إلى غاية 10 ماي : 34 كتيبة^{1/2}، 8 أسراب من الطائرات، 20 بطارية، 4 pelotons d'A.M.C.

- إلى غاية 1 يونيو: 46 كتيبة 1/4، 34 بطارية اثنتان منها من نوع 155 قصيرة المدى، 9 أسراب و

5 pelotons d'A.M.C.

³⁰³ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 02 au 08 Juin, 1925, p.5

³⁰⁴ - A.M, R.M.P, Mai-Juin, 1925, p.2

³⁰⁵ - ibid, p.3

- إلى حدود 29 يونيو: 56 كتيبة من المشاة، كتيبة بسريتين من المدفعية، 35 بطارية، منها 4 من نوع

155 قصيرة المدى، وسربين من الطائرات ذات الرشاش الأوتوماتيكي.

2-2. تغير استراتيجية المقاومين وتغيير القيادة الفرنسية.

أ- تحول أهداف وأولويات المقاومة

قدرة الفرنسيين على حماية مركز تاونات، وتعزيز تحصيناته، سيدفع بالمقاومين وعلى رأسهم الشوار الريفيين إلى الدفع بثقلهم صوب أعالي واد اللبن، عند حدود الحيانة والتسول ثم البرانس، التي ضغط الريفيون عليها بشدة لتسقط بيدهم³⁰⁶، وهو ما يعني توجيه المجهود الحربي صوب المنطقة التابعة لمنطقة تازة، حيث مقدمة جبال الريف ومنها تهديد خط الربط الأساسي بين الجزائر والمغرب عبر ممر تازة، الذي إذا ما انقطع يعني ضمناً قطع طريق الإمدادات المستعجلة التي كانت تأتي من الجزائر لتقوية مناطق تواجد القوات الفرنسية بورغة، حيث حالة دون سقوط مركز تاونات وباقي الجبهات، التي أصبحت تعرف اهتزازاً، لشدة المقاومة وسرعة تحركها وتواربها عن الأنظار، وهو الأمر الذي لا تريده فرنسا ولا أجهزتها ولا رجالها، حيث يعتبر الجنرال دوغان " بأن التخلي عن المنطقة الشمالية لتازة سيؤدي إلى التمرد بمنطقتها الجنوبية بسرعة كبيرة، مما يستدعي تركيز تغطية فاس، قرب هذه المدينة على الخط العام لتافراوت، والقرية، وتلال الضفة اليمنى لسبو، مما سيسمح بتهيين قوة كافية لتغطية فاس، مكونة من ثمانية عشر كتيبة، يوجد أغلبها حالياً بمنطقة تاونات، عين معطوف وباب تازة"³⁰⁷.

كل هذه المخاوف والتوقعات، ومركزة القوات الفرنسية بمنطقة تاونات لحماية فاس من زحف المقاومين من جبال الريف والقبائل المحلية عليها، سينقلب إلى مخاوف من انفلات أمني للأوضاع بالمناطق التي لا زالت بها بؤر للمقاومة، خاصة بجنوب تازة التي تتواجد بها قبيلة بني وراين التي لا زالت تقاوم بمنطقتها، وأي انفلات لمنطقة تازة وممرها على وجه الخصوص، سيعصف بالتواجد الفرنسي بالمغرب كلياً، وتصبح فاس مهددة من جهات متعددة، كل هذا التغير

³⁰⁶ A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.1

³⁰⁷ - ليوطي بيبير، م.س، ص.115

الذي ناشده الفرنسيون للحيلولة دون تحقق مرام المقاومة، جاء نتيجة لما وضعه المقاومون من ثقل في توجيه جهدهم صوب مقدمة جبال الريف من الجهة الشرقية، أمام استعصاء اختراق الحزام الفرنسي بين تاونات وعين معطوف، نتيجة تركيز القوات الفرنسية بالمنطقة ووصول الدعم، الأمر الذي دفع الزعيم الريفي إلى القيام بهذه المناورة، التي تعبر عن ذكاء استراتيجي حربي، وعدم الاستمرار في استنزاف الجهد في منطقة واحدة، مع الحفاظ على الثوابت الأساسية المتمثلة في عزل المراكز الأساسية بورغة العليا، من خلال السيطرة على قبيلة فشتالة الورغية، ثم الإنسحاب منها وتهديد مراكز قلعة السلاس وقاعدة عين عائشة ومركز عين معطوف، التي سارعت فرقة نوجيس لنجدتها من السقوط في يد المقاومين³⁰⁸، فأصبحت تعمل عليها القوات الفرنسية بشكل مستمر لتأمينها، مما يعني مركزة المجهود الفرنسي بهذه المنطقة مخافة زحف عناصر المقاومة صوب فاس.

بهذا العمل، تم تشتيت المجهود الحربي لقوات الحماية و ضربها بغثة، في المناطق التي لن تتوقع قواتها -المنشغلة بتأمين تحصيناتها- أن تتحرك إليها المقاومة بعيدا عن فاس، التي كانت الهاجس الأكبر للقوات الفرنسية في تلك المرحلة، وبذلك تهددها فيما هو أعمق واستراتيجي عبر تهديد ممر تازة، هذا الأمر سيحتم على القوات الفرنسية إعادة تدبير وضعيتها الجديدة وفق ما يقع من مستجدات، لمنع حدوث القطع في خط سكتها الحديدي والطريق الذي يشكل عصب الإتصال بين المغرب والجزائر - لم يعد يفصل المقاومين عنه إلا بضعة كيلومترات قليلة، والتي وصلت في نهاية شهر غشت ما بين 25 و 30 كلم-، وكذلك الحرص على عدم حدوث تعاون بين المقاومين الريفيين والمقاومين ببقعة تازة(بني وراين خاصة ومعهم قبيلة غياثة)، الذين تعمل على محاصرتهم بالمناطق الجبلية لعزلهم عن أي تنسيق محتمل، وأي اختراق في تلك البقعة يعني ضربا لمجهودها العسكري المبدول منذ سنة 1914 أي منذ حدوث سيطرتها على هذا الممر الحساس.

انصب المجهود الحربي للقوات الفرنسية خلال شهري يوليوز وغشت، على تأمين القطاع الأوسط بشكل أمثل، أمام بداية تراجع نسق المقاومة المندمجة من مناطق مختلفة، إلا أن القوات الفرنسية واجهت بالقطاع الذي يربط بين عين

³⁰⁸ A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.1

عائشة وباب تازة تحديات قوية، من قبل المقاومة التي قاومت ببسالة ، ففي 4 يوليو ستمكن الفرقة المتحركة بقيادة Billotte من إعادة تشغيل مركز بوحليمة، الذي كان المقاومون قد أوقفوا عمله بتضييق الحصار عليه وذلك بعد مقاومة بأسلة، كما سعى المقاومون إلى قطع خطوط الربط والاتصال مع مركز عين عيشة حيث تتمركز القوات الفرنسية وقاعدتها الجوية الأساسية بالمنطقة، فأصبح هذا المركز معزولا عن الإتصال بخلفه.

تعرض مركز عين معطوف بدوره للهجوم بالمدافع والقنابل اليدوية من طرف المقاومين، استمر هذا التطويق لهذين المركزين إلى غاية يوم 18 يوليو، إلى أن تحركت فرقة نوجيس قادمة من تيسة صوبهما لنجدتهما وفك الحصار عنهما، ليعمل في يومه 24 من نفس الشهر رفقة فرقة مخزنية، على الشروع في تشطيط المنطقة من عناصر المقاومة، المتواجدة بالضفة الشمالية لورغة، بين عين عائشة وولاد علي، وهو ما جعل المقاومين ينسحبون من هاته المنطقة قبل وصول تلك القوات³⁰⁹؛ أما خلال شهر غشت 1925، ستكتفي القوات الفرنسية بتقديم الإمدادات لمركز باب تازة، ومراقبة احتمال إمكانية حدوث أي تنسيق بين الحياينة الخاضعة و قبيلة التسول التي عادت إلى صف المقاومين³¹⁰.

مجهودات المقاومين لتطويق التحرك الفرنسي، يجعل الحديث يصب في كون القوات الفرنسية راهنت على صمود المراكز العسكرية لصد الخطر الريفي الذي يحرك الفعل المقاوماتي المحلي، وما يؤكدده هو حدوث تأخر في نجدة عين عائشة وعين معطوف لمدة وصلت إلى 14 يوما، الأمر الذي يبين تشتت المجهود الحربي للقوات الفرنسية، التي توجهت مجددا للتركيز على التهديد الذي تعرفه منطقة تازة، وانشغال الجيش الفرنسي بالمواجهات الحاصلة بها، خاصة بجهة التسول والبرانس، التي كانت تتهاوى بها السيطرة الفرنسية بسقوط عديد حصونها وحامياتها، وساهمت الفرق المتحركة من جانب آخر، بشكل واضح في تغطية النقص الحاصل في القوات التي يمكن تثبيتها، فقد كانت تعتمد على سرعة تحركها وقيامها بعمليات متعددة ونوعية في كل مرة، لفك الحصار عن المراكز العسكرية، التي لم يكن أمامها من خيار،

³⁰⁹ - أنظر الرسم التوضيحي الخاص بعمليات الفرق المتحركة خلال شهر يوليو، لتتبع مسار انطلاق الفرقة المتحركة بقيادة نوجيس حول قاعدة عين عائشة، والمرقمة تحركاتها بتاريخ اليوم الذي تمت فيه العمليات حول هذا المركز، لتخفيف الضغط عليه وإعطائه متنفسا أمام زحف المقاومين صوبه.

رسم فرنسي توضيحي: أماكن وتواريخ العمليات التي شنتها الفرق المتحركة خلال شهر يوليو 1925

سوى صمود جنودها بكل الوسائل إلى حين وصول الدعم العسكري والمأونة، من إحدى الفرق المتحركة كما وقع مع نوجيس، الذي فك حصار عين عائشة وقام بتشغيل مركز عين معطوف الذي كان معطلا.

ب- تعيين بيتان ، ومهمة نولان:

استفحال الضغط الريفي زاد من متاعب القوات الفرنسية، التي لطالما ركزت على العمل السياسي بشكل كبير في إخضاع القبائل، والسيطرة عليها دون الحاجة إلى توظيف قوات الكبيرة، وهو ما ظهر من خلال هروب عديد العائلات من القبائل التي يعتبرها الفرنسيون خاضعة إلى المناطق التي تقاوم، والالتحاق بصفوف مقاومتها، حيث التحقت 1500 أسرة من قبيلة الحياينة بالمناطق الخارجة عن السيطرة الفرنسية، ما شكل ضربة موجعة للسياسة الفرنسية المتبعة داخل هذه القبيلة التي لطالما راهنت عليها لمواجهة حضور التأطير الريفي بالمنطقة، ومع تزايد نقط الضغط وتعدد جبهات القتال، ستقرر القيادة الفرنسية التفكير في تغيير قيادة ليوطي للعمليات العسكرية بالمغرب، حيث قدم بيتان إلى المغرب في 17 يوليوز 1925، قصد دراسة الأوضاع، والبحث عن السبل الكفيلة للقضاء على الثورة الريفية، التي خلقت متاعب كثيرة بالمناطق التي يفترض تواجد الفرنسيين بها، وعجز ليوطي في الوصول إليها بكل تخطيطاته، أمام الاختلاف الحاصل بينهما في طريقة معالجة التحديات التي خلفتها الثورة الريفية بالمنطقة، حيث يركز توجه وفكر ليوطي على الأسلوب الدفاعي والعمل السياسي، دون خوض الحرب في منطقة الريف، بالمقابل بيتان يرى ضرورة توظيف العمل العسكري الهجومي والقضاء على الثورة الريفية في معقلها بالريف، وقد ناقش مع ليوطي التنظيم الجديد الذي سيكون تحت إمرة نولان، وهو ما يعني وضع ليوطي في وضع شريك لنولان لتنفيذ ما ستصدره القيادة العليا للجيش، ليتم بعد ذلك في 18 غشت، تعيين بيتان بشكل رسمي لقيادة مجموع العمليات العسكرية³¹¹.

وجد ليوطي نفسه ملزما بالإنصياع والتوافق مع ما تريده الإرادة العليا للجهاز الاستعماري، حيث سيجري تعديلات جديدة على قواته بعد التقائه بالجنرال نولان، الذي أطلعته على خطة العمليات بتفاصيلها، والتي لاقت

³¹¹ - الصراع بين بيتان وليوطي يرجع إلى اختلاف المذهب والتوجه العسكري لكل منهما، وهو المستجد الطارئ الذي لم يقبل به ليوطي سوى مجبرا، للتعرف أكثر حول طبيعة هذا الصراع بين الشخصين وموقف ليوطي من تعيين بيتان، انظر: بوزوينة سمير، الاحتلال العسكري...، م.س، صص. 160-168

موافقة كلية منه، حيث رآها تتلاءم مع انتظاراته في ظل العمليتين الجاريتين بجناحي الجبهة بوزان وتازة، تماشياً مع الاستعداد للقيام بهجومين متزامنين مع مطلع شهر شتنبر، ينطلق كل واحد منهما من الحصنين الذين أقيما بشمال ورغة، لبدء الهجوم الأول من تافراوت وتروال، يستهدف بالأساس استرجاع قبيلة بني زروال لحضن سلطات الحماية لما لها من أهمية اقتصادية وبشرية، وبذلك حرمان الريفيين والمقاومين من مورد أساسي، وينطلق الثاني من مركز تاونات لاستعادة المناطق التي توغل فيها المقاومون المحليون بمعية الريفيين منذ أبريل، والزحف من خلاله لاسترجاع قبيلتي مثوية ومزراوة، وغيرهما من قبائل المنطقة وضمان تغطيتها³¹².

قسم الجنرال نولان مناطق المواجهات إلى 5 مناطق، كانت من خلالها منطقة ورغة العليا، تتواجد ضمن المنطقة الثالثة التابعة لفاس، التي بدورها قسمت إلى منطقتين: منطقة أمامية تحت قيادة وتدبير السلطة العسكرية، التي أسندت لها العمليات العسكرية بالمنطقة، حيث تم الدفع بالفرقة الثانية من المشاة المغاربة إلى ورغة العليا، من واد أمزيز إلى باب تازة، وأسندت مهمة قيادة المنطقة إلى الجنرال بيلوط Billote انطلاقاً من مركز تيسة، ومنطقة ثانية خلفية، التي بقيت تحت القيادة السابقة من طرف السلطات المحلية، حسب ما جاء في التقرير الفرنسي³¹³.

³¹² - ليوطي بيبير، م.س.، ص. 130

³¹³ A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.7-8

3- عودة السيطرة الفرنسية وبداية التراجع الريفي

تمكنت القوات الفرنسية بفعل التخطيط الذي توصل إليه ليوطي برفقة الجنرال نولان، من خلال تنفيذ عمليات مشتركة، تنطلق من مراكز متعددة، والارتكاز على مركز تاونات للقيام بعمليات استرجاع قبائل ورغة العليا (مزيات ومزراوة الخ). ومن خلال تنفيذ هذه العمليات الهادفة إلى إرجاع المقاومين الريفيين إلى معقلهم الأصلية، خلف حدود المنطقة التي تطالب بها فرنسا، وتتحجج بضرورة انضمامها إلى سيطرتها، وكذلك استعادة المبادرة في الهجوم من قبل القوات الفرنسية، عوض الاكتفاء بالخطة الدفاعية أمام التقدم الريفي لقيادة المقاومة المشتركة وتجهيز المنطقة الخارجة عن السيطرة الفرنسية بحاميات وخنادق، وبذلك عدم إعطاء الفرصة لتحقيق السيطرة الميدانية المنشودة للمقاومين.

3-1 احتلال القوات الفرنسية لمعقلها القديمة

أمام التعديلات في توجهات القيادة الفرنسية بالجهة الشاملة عامة، وبقطاع تاونات خاصة، قامت فرقة بيلوط باسترجاع المواقع القديمة للقوات الفرنسية بواد الساهلة، أستر وسكر، بعد مقاومة شرسة للمقاومة بهذا الأخير، وتمكنت تلك القوات من التقدم صوب قبيلة مزراوة، بعد أن استولت الفرقة الثانية المتمركزة بشمال ورغة على جبل "أغيل" يوم 15 شتنبر 1925، ودفعت بالمقاومين باتجاه الشمال، ليتمكن بذلك هذا الاحتلال من استرجاع الخط القديم مزراوة- أستر-سكر-مولاي عين الجنان، وهو ما سمح بعودة التأثير السياسي لسلطات الحماية على قبائل الجاية ومزراوة ومزيات ومثوية ورغوية، التي أصبحت قراها تحت رحمة المدافع الفرنسية³¹⁴.

استمرت عمليات فرقة بيلوط بقطاع عين معطوف -باب تازة، من خلال تصديها لهجمات المقاومين وطردهم خارج أراضي مزيات ورغوية، فتم بذلك إعطاء متنفس أرحب لمركز عين معطوف، قبل أن يتوجه المقاومون لمحاصرة مركز باب تازة يومي 17 و18 من الشهر نفسه، ليستمر الحصار إلى حين وصول الفرقة المتحركة يوم 25 قبل نقل عديد القوات إلى هذا المركز قادمة عبر غارة مزيات إلى عين معطوف³¹⁵.

³¹⁴ - ليوطي بيبير، م.س.، صص. 136-137

³¹⁵ - A.M, R.M.P, Septembre 1925, p.2

خريطة القبائل التي بقيت تحت سلطة الزعيم الريفي بعد

عمليات شهر شتنبر 1925

(*****)

هذا التحول في السيطرة الميدانية، يوضح بشكل جلي أن فرنسا كانت تراهن وفق خطتها الجديدة على دفع المجموعات المقاومة إلى التراجع باتجاه الشمال، فهذا العمل هو الكفيل بعودة سيطرتها سياسيا وعسكريا على المنطقة، الأمر الذي لن يكون إلا بعودة مراكزها التي تُخضع القبائل بتهديدها مدفعيا، دون الحاجة إلى إنزال قوات عسكرية بتلك القبائل لتثبيت السيطرة مجددا عليها، فعودة المراكز إلى الاشتغال كفيل بعودة القبيلة تحت طائل التهديد إلى حضيرة المستعمر كما كان سابقا، بذلك استطاعت القوات الفرنسية بعد المواجهة مع مقاومة باسلة، من ضمان الربط الآمن لخطها الخلفي عين عائشة بخطها الأمامي تاوانات، الذي كانت القوات الفرنسية تعاني فيه عديد المرات من اختراقات لصفوفها، وبذلك التمكن من تحرير مركز عين معطوف بشكل نهائي من تهديد المقاومين وربطه بمركز دائرة ورغة العليا بتيسة، حيث عادت معه الأدوار التي بني لأجلها منذ 1917 (عين معطوف) المتمثلة في مراقبة صنهاجة مصباح، إضافة لعودة المراكز المتواجدة بقبائل ورغة العليا، مما يعني ضمان عدم تواجد المقاومين الريفيين بالمنطقة، لتأطير تلك القبائل أو قيادتها ودعمها بالسلاح، لمهاجمة القوات الفرنسية انطلاقا من أراضيها، فعديد قبائل ورغة العليا أظهرت رغبتها في طلب الأمان لمجرد أن خف الحضور الريفي بالمنطقة، حسب التفسير الفرنسي³¹⁶، لكن رغبة هذه القبائل في مهادنة الفرنسيين يرجع بالأساس إلى استنفاد جميع سبل المقاومة بميدانها، بعد عودة السيطرة الفرنسية بجيوشها وانقلاب موازين القوى لصالح القوات الفرنسية المسلحة بكل الإمكانيات.

مع عودة القوات الفرنسية للتمركز بخطوطها القديمة، ستشرع في العمل على توسيع نطاق تشطيب المقاومين حول عين عائشة -القاعدة الأساسية للقوات الجوية ولتمركز الجيوش الفرنسية بالوسط-، وقلعة السلاس، وإنشاء مركزين جديدين بينهما، واحد بـ"جبل مسعود" وآخر بـ"أولاد علي"، لمنع تسلل المقاومين جنوب نهر ورغة، وقد وضعت قبيلة بني زروال تحت تصرف القوات المتواجدة بتاوانات، لصد هجمات المقاومين. فتقدم الجيوش الفرنسية إلى بني زروال

³¹⁶ - أنظر خريطة القبائل التي بقيت تتواجد تحت النفوذ الفعلي للمقاومة الريفية -كانت تشكل العصب الاستراتيجي والعمود الفقري للمقاومة الريفية، والتي يتم الدفع بها لتحرك قبائل المنطقة- بعد سيطرة القوات الفرنسية على قبائل ورغة العليا، حيث شنت هجمات مضادة في القطاعات الثلاث لاستعادة قبائل مثوية ومزراوة ومزيات ورغوية وصنهاجة مصباح، حيث أصبحت غالبيتها تحت النفوذ الفرنسي مبدئيا مع استمرار استعادة الفرنسيين لمراكزهم القديمة ومحاولة الدفع بمناطق المواجهة إلى الجبهة الأمامية خارج المنطقة الفرنسية، وهو نفس الأمر الذي ستعمل عليه بجميع الجبهات كبداية لترسيخ التراجع الريفي وانحصاره في مجاله الريفي، كمؤشر على بداية استراتيجية تطويق الفعل المقاوماتي وتضييق الخناق عليه لينتم محاصرته وبعدها القضاء عليه نهائيا في معاقله، من خلال التحرك بقوات من مختلف الجبهات لتلتقي في نقطة واحدة تكون معها نهاية المقاومة بالريف وفق خطة بيتان.

وشمال تاوانات، جعل المقاومين المتواجدين على خط عين عائشة-قلعة سلاس، مهددين بشكل كبير، لكنهم استمروا رغم ذلك بشكل بطولي في التواجد بالمنطقة، ومناوشة القوات الفرنسية غير آبهين بهذا التهديد، كشكل من أشكال نكران الذات في سبيل الصمود، وعدم خيانة أمانة الدفاع عن مناطقهم، حيث انطلقت قوات فرنسية بقطاع تاوانات من مركز "أولاد داود" (11 كيلومتر جنوب عين عائشة)، صوب رغبة لتأمين السيطرة عليها يوم 22 أكتوبر، أما بقطاع عين معطوف-باب تازة، فقد تم توظيف الخيالة والمدفعية يوم 9 أكتوبر، للسيطرة على مرتفعات المنطقة، والتضييق على المقاومة بقبيلة صنهاجة مصباح، لإرجاعها كلياً لنفوذ مركز عين معطوف، والقيام بتنظيم الخط الرابط بين باب مزاب وبوحميمة، لمنع المقاومين من التسرب مجدداً للمنطقة، كما تم تثبيت مركزين للمناصرين من المغاربة (البرطيزية)، واحد يتكون من 150 رجل بقصبة بوحميمة، وآخر من 100 رجل بصوف أزروال (1 كلم شرق عين معطوف)³¹⁷

هذه العودة للمراكز القديمة لم تضمن للقوات الفرنسية التبعية المطلقة لقبائل المنطقة، في ظل تراجع المقاومين للخلف والعمل على مراقبة تحركاتها، فهذا الأمر لم يعطي مؤشراً واضحاً للقبائل والسكان على أن المقاومة انخرمت نهائياً، والتواجد الريفي انتهى كلياً، بل أدخل الريبة والشك لدى عديد الفخذات من نفس القبائل، مما جعل عودة النفوذ السياسي الفرنسي للمنطقة رهين بتحركات وانتصارات القوات الفرنسية، كما هو الشأن للمقاومين، فالمسألة أصبحت مسألة وقت لحسم النفوذ الفعلي على المنطقة، وتماشياً مع نهج القوات الفرنسية في تخويف القبائل، التي لا زالت تشكل نقطة قوة في المنطقة لمخطط المقاومة المشتركة بين الريف وقبائل المنطقة لتوفرها على عنصر بشري مهم، ستحاول دفع القبائل إلى التفكير ملياً في الأمر، أمام عودة السيطرة الفرنسية في عديد المناطق، حيث ستعرض قبيلة صنهاجة مصباح لقصف كثيف بالطائرات والمدافع، لكن هاته القبيلة أثبتت إلا أن تقف في صف المقاومين، باعتراف الفرنسيين.³¹⁸

³¹⁷ -A.M, R.M.P, Octobre 1925, pp.1--3

³¹⁸ - ibid, p.5

3-2 النتائج السياسية والعسكرية

أ- عودة التأثير السياسي الفرنسي

قيام القوات الفرنسية بعمليات عسكرية من شهر شتنبر إلى غاية شهر أكتوبر سنة 1925، مكنتها من استعادة المبادرة بالمنطقة وعودتها لاحتلال عديد مراكزها القديمة³¹⁹، كما كانت لهاته العمليات عدة نتائج سياسية وعسكرية، فعسكريا: تمثلت في عودة هيبتها ورفع معنويات جيوشها ومناصريها وإظهار أنها الأقوى، أما سياسيا: تمثلت في إدخال الشك لدى المقاومين في تحقق مزيد من الانتصارات، والضغط على العناصر المقاومة القادمة من الريف وطردها من المنطقة، عبر إضعاف حضور نفوذ الزعيم الريفي سياسيا على قبائل ورغة. بعودة المراكز عاد معها عمل الجهاز الاستخباراتي الفرنسي في قلب المنطقة، والاشتغال سياسيا على استمالة الأعيان والقيادات المحلية، وسعيا لضرب أي رغبة للقبائل في العودة إلى حضن المقاومة بعد قيام مجموعات من المقاومة على مناوشة المراكز بقطاع تاونات، ستقوم الدبابات بضرب قرى من الجاية ومزراوة ومثوية، في الوقت نفسه استمرت الطائرات في قنبلة صنهاجة مصباح المتشعبة بخيار المقاومة، كما استعاد مناصرون من قبيلة رغيوة في 25 نونبر قرية بوعزون بالقرب من مولاي عين الجنان من التبعية للمقاومين وعلى رأسهم القيادة الريفية، كما دفعت فرنسا باعمر دحميدو للتسرب بقبيلة مريسة لمواجهة النفوذ الريفي، ودعمه في عقد لقاءات مع أعيان قبائل ورغة العليا المقاومة للتقرب من مراكز الاستعلامات، فسهولة تسربه إلى قبيلة مريسة الأم وإنجاز الأهداف المسطرة من قبل الفرنسيين، أظهر أن الحضور الريفي بالمنطقة على حافة الإنهيار، الأمر الذي عبر عنه الفرنسيون بالقول على أن هيبة الريفيين أصبحت رهينة بما يحققونه، وماستحققه القوات الفرنسية من نجاحات³²⁰.

³¹⁹ - أنظر الخريطة التي توضح العمليات التي أنجزتها القوات الفرنسية خلال شهري شتنبر وأكتوبر 1925 بشمال ورغة، وتتبع وضعها قبل شهر شتنبر وكيف أصبحت بعد شهر أكتوبر، حيث سيظهر بشكل جلي عودتها إلى عديد المراكز القديمة لكن لم يكتمل تقدمها للمناطق الأمامية حيث الحدود مع المنطقة الإسبانية، والتي لم يسبق لها أن سيطرت عليها قبل ذلك، خاصة قبيلة مثوية، التي يتضح أن القوات الفرنسية اكتفت بالعودة إلى مراكزها المحادية لها بسكر وأستر(مزيات) وبوعزون ومولاي عين الجنان (رغيوة) كأولوية في تقدمها خلال هذين الشهرين، ص.184

2-1 - A.M, R.P.M, Novembre 1925, p.1 - ³²⁰

خريطة توضح العمليات العسكرية

التي شنتها القوات الفرنسية خلال

شهري شتبر وأكتوبر 1925

بشمال ورغة.

(.....)

أصبح تقدم القوات الفرنسية عسكريا يسحب التأثير السياسي للريفيين على المنطقة، فأمام عودة مريسة لحضيرة المستعمر، عملت على توظيف زعيمها امر دحميدو مجددا للضغط على قبائل ورغة العليا، والعمل على التأثير فيها، من خلال طمأننتها من عدم إمكانية انتقام الريفيين منهم، كما وقع في فترات سابقة، وتشجيعهم على طرد الثوار الريفيين والقطع معهم في أي شكل من أشكال التعاون، وبنهاية شهر دجنبر تراجعت قبيلة صنهاجة مصباح -أحد أبرز القبائل من دائرة ورغة العليا- عن التنسيق مع المقاومين الريفيين، والتي استماتت في المقاومة إلى جانبهم والتنسيق معهم، لكنها تعرضت لزخم كبير من القصف الجوي والمدفعي الفرنسي³²¹، لم تكن معه إمكانية للمقارنة بين قوات نظامية للمستعمر مجهزة، وقبيلة تدافع عن كيانها، بعد أن عانت الولايات، جراء التحركات الفرنسية الموجهة ضدها وال ضربات العسكرية المتوالية، أمام انحصار الجبهات التي كانت تشتت المجهود الحربي للقوات الفرنسية ويمكن أن تخفف الضغط الفرنسي عليها.

عادت عديد العائلات إلى قبائلها الأصلية، بعد أن فرت لتقاوم بمرتفعات المنطقة، من قبائل الحياينة ومزيات ورغوية، نتيجة لما أصبحت تعرفه صفوف المقاومة بالمنطقة من تراجع، حيث عملت القوات الفرنسية على تشكيل قوات محلية من القبائل المحتلة حديثا، للدفاع ومهاجمة القوات القادمة من الريف، كما هو الحال لدى قبيلتي مثوية لوطا ومزيات أثناء استرجاع القرى التي تتواصل مع المقاومين، كما شكلت عودة قبيلة صنهاجة مصباح للرقابة الفرنسية بمركز عين معطوف، مكسبا قويا للقوات الفرنسية التي ستمكن من الرجوع إلى احتلال مراكزها القديمة، بعين مديونة في 29 دجنبر، بعدما تعذر عليها الأمر في فترات استماتة هذه القبائل وتشبثها بخيار المقاومة³²².

³²¹ - A.M, R.P.M, Décembre 1925, p.1

³²² - ibid, pp.1-2

ب- التمرکز العسكري والوصول إلى المنطقة الحدودية:

عملت عناصر المقاومة جاهدة على استرجاع المبادرة في الهجوم على الفرنسيين مع مطلع سنة 1926، حيث قامت بعمليات مسلحة استهدفت القوات الفرنسية، ومحاولة دفع القبائل التي أعلنت الاستسلام بالرجوع إلى حضن المقاومة، لكن نتيجة لما عاشته تلك القبائل طيلة سنة 1925 من ضغط عسكري بمختلف العمليات البرية والجوية من قبل القوات الفرنسية، التي خربت بطايراتها حياة سكان المنطقة، فإن مسألة خضوع عديد الفرق والقبائل بعد الزحف الفرنسي على المنطقة مجدداً، كان أمراً محتتماً لحفظ ما تبقى لها من سبل العيش ومن أفرادها، بالمقابل البعض منها رفض الاستسلام وعلى رأسها فرق من مثوية الجبل التي ظلت تناوش القوات الفرنسية، وتهاجم ضمن مجموعات مقاومة مشتركة مع قبائل صنهاجة السراير كلما أتيحت لها الفرصة .

استمرارا في توظيف شرط الاستسلام بمقابل انخراط القبائل برجالها في مهاجمة العناصر المقاومة، خاصة القادمة من الريف عبر صنهاجة سراير، ستعتمد القوات الفرنسية على مناصريها من الحيانية في التحرك بمنطقة مزاوة إضافة إلى عناصر من رغبة وصنهاجة مصباح وآيت يوسي، في احتلال بعض فرق مثوية الجبل يومي 9 و 10 يناير 1926، ليتم الدفع بالعناصر القادمة من الريف والمقاومين المحليين (الذين بلغ عدد حاملي السلاح حسب الجرد الفرنسي 1600 بندقية) إلى الصعود باتجاه حدود قبيلة صنهاجة السراير التابعة للمنطقة الإسبانية، لكن دوي طلقات المقاومة لم تغب عن المنطقة إلى حدود 26 من الشهر، بعد تسلل عناصرها، حيث جعلت القوات الفرنسية من سكر مركزا لتأمين المناطق المحتلة ببوردود وإمغدن³²³.

بتوظيف المناصرين إلى جانب القوات الفرنسية، تنفست المؤسسة العسكرية الفرنسية الصعداء، مع تناقص زخم المقاومة والهجمات المسترسلة على القوات المتمركزة بالمنطقة، بالمقابل سيقوم يوم 26 فبراير 1926م حوالي 1200 من عناصر المقاومة القادمين من القلعة ببني بربر (مثوية الجبل) و القلعة من بني قاسم، بشن هجوم بالبندق والأسلحة الرشاشة على مثوية لوطا لاسترجاعها إلى كنف المقاومة، لكن تدخل الفرق المشكلة من الأتباع المحليين والمدعمين

³²³ - A.M, R.M.P, Janvier 1926, pp.2-3

بالقوات الفرنسية، حال دون ذلك بعد أن دارت المعركة على خط بوردود-إمغدن، خسر المقاومون خلالها حسب التقرير الفرنسي 60 رجلا بين قتيل وجريح من بينهم 3 شيوخ³²⁴.

وبمغربة الحرب مجددا بين المغاربة عبر توظيف المناصرين من القبائل المستسلمة، ستزحف هذه العناصر بمعية القوات الفرنسية للوصول إلى الحدود الشمالية لقبيلة مثوية، فتم إعادة احتلال خط المقاومة باب محرز-ميزاب-مشكور-بوهودة-أيشتوم-الناصور، فبدأت القوات الفرنسية في تنظيم المنطقة ووضع مراكز للمراقبة، وتنظيم الجديدة منها وتهيئ المسالك للدبابات (من نوع 75) بين بوردود وشكور، وبين بوردود وجبل "تنزريفت" ومد خطوط الهاتف، وتم إنهاء هذه الأشغال في المنطقة، تمهيدا لصعود القوات الفرنسية إلى الحدود مع المنطقة الإسبانية خلال شهر مارس، بعد تأسيس حامية عسكرية للمناصرين بالصفصافات (مزاروة)، وتسليح القبائل بمنح ميثوة لوطا 450 بندقية للدفاع عن مناطقهم مدعومين بـ 100 مناصر من مزيات ورغوية والفرقة الثامنة للكووم، ودعم فرق ميثوة الجبل بـ 400 بندقية و فرقة مشكلة من 200 مناصر من صنهاجة الشمس³²⁵، كلها بهدف تضيق الخناق على العناصر التي فضلت المقاومة وتراجعت للمناطق الشمالية، لدفعها إلى الاستسلام ووضع السلاح كشرط للرجوع إلى المنطقة الأصلية.

بحلول شهر أبريل، استبدأ القوات الفرنسية في تفعيل السيطرة الميدانية على مرتفعات المنطقة، وتحريك الآلة العسكرية للاستفادة من الضغط الذي أصبح على الشوار بالريف، وتراجع حدة الهجمات التي تتعرض لها، حيث تحركت يوم 24 لاحتلال مناطق بميثوة لوطا لأول مرة (مشكور، كدية الجمعة المنارة و بوهودة)، وتم تثبيت كتيبة عسكرية بها، وقامت بتدعيم مراكز لمناصريها وتحصين مراكزها القديمة، تحسبا لأي تسلل محتمل قادم من ميثوة الجبل³²⁶.

التنسيق العسكري الإسباني الفرنسي القائم على كسر شوكة المقاومة الريفية بمقلها في الريف، حيث حققت الهجمات بمختلف الأسلحة على منطقة الريف، إستسلام الريفيين في شخص زعيمهم محمد بن عبد الكريم الخطابي خلال شهر ماي، بعد المفاوضات التي انطلقت في شهر أبريل مع الجانب الفرنسي، فاستمر زحف القوات الفرنسية

³²⁴ - A.M, R.M.P, Février 1926, p.2

³²⁵ - A.M, R.M.P, Mars 1926, p.2 et p. 4

³²⁶ - A.M, R.M.P, Avril 1926, pp. 1-2

يوم 20 ماي وبدعم من المناصرين باتجاه المناطق الحدودية للدائرة، فوصلت لأول مرة إلى الشريط الحدودي لقبيلة مثيو لوطا، حيث تاوانات القشور (15 كلم شمال سكر)، لتواصل عملية احتلال الفرق من مثيو الجبل بدورها يوم 25، ورجوع عدة عائلات إلى قبائلها الأصلية (مزيات، حيانة، رغيوة)، كانت مستقرة بمثيو الجبل التي ظلت بعض فرقها تقاوم، حيث اعتبرها الفرنسيون من المكاسب السياسية المحققة بمنطقة ورغة العليا، والتي جاءت كامتداد للانتصارات العسكرية المحققة³²⁷.

استمر زحف القوات الفرنسية باتجاه المناطق الاستراتيجية بالمنطقة، ومنها على وجه التحديد المرتفعات الجبلية، التي تكون ذات أهمية بالغة في رصد مجال واسع من المنطقة ومراقبة تحركات الأشخاص، حيث تقدمت مفرزة فرنسية لاحتلال جبل "تاينزا" (7 كلم شرق - الجنوب الشرقي لتاوانات) عند بني بربر (مثيو الجبل)³²⁸، بذلك تحققت سيطرة القوات الفرنسية نهائيا على قبيلة مثيو، وتم الربط مع القوات الإسبانية في عديد النقط الحدودية، على رأسها باب سليب بكتامة الصنهاجية، لتضع بعده القوات الفرنسية اللبنة لمركز يشرف على قبيلة مثيو بجزايتها لوطا والجبل، من خلال تثبيت مركز الشؤون الأهلية تحت مسمى "حدادة"، الذي انطلق عمله يوم 20 أكتوبر 1926³²⁹، فأصبحت قبائل دائرة ورغة العليا بهذا التاريخ بشكل فعلي ورسمي تحت السيطرة الفرنسية، ومعها الشريط الحدودي من جهة قبيلة مثيو، الذي شكل رافدا مهما من روافد المقاومة المشتركة بين المنطقتين، حيث أسست القوات الفرنسية مركزي بني بربر وتاوانات لقشور لمراقبته، بالمقابل أسست القوات الإسبانية مراكز مستعجلة بكل من باب سليب وثلاثاء كتامة، إضافة إلى مراكز خلفية أخرى، لبدأ الجانبين في التنسيق على حدود القبيلتين الحدوديتين من المنطقتين (مثيو وصنهاجة السراير)³³⁰. كاستمرارية للتعاون المشترك بين الفرنسيين والإسبان في القضاء على جميع أشكال المقاومة المتبقية بالمنطقة الإسبانية، والتأسيس لمرحلة التنسيق الحدودي وحل المشاكل الحدودية العالقة بين الجانبين.

³²⁷ - A.M, R.M.P, Mai 1926, p. 1 et p. 3

³²⁸ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926, p.1

³²⁹ - A.M, R.M.P, Octobre 1926 , p.1

³³⁰ A.M, Situation Politique et Militaire, du 12 au 18 Octobre 1926, p.2

المحور الثاني: آثار حرب الريف على المنطقة.

شكلت مرحلة حرب الريف بمجرياتهما من كر وفر بين المقاومين والقوات الفرنسية على أراضي قبائل ورغة العليا (مثبوة، مزيات، مزراوة، رغيوة، بني وليد، صنهاجة مصباح) حدثا أثر على المنطقة في جوانب متعددة، حيث أدت عمليات القصف والتخريب للقرى والأسواق والمسالك والممتلكات إلى تبعات اقتصادية واجتماعية أثرت بشكل واضح على المجال والإنسان بالمنطقة، كما استمرت هذه التبعات لما بعد هذه المرحلة، كما ترسخت مجريات أحداثها في ذاكرة الضباط الفرنسيين الذين لم تغب عنهم ذاكرة المنطقة، خلال فترة حرب الريف، حيث تتحدث التقارير الفرنسية في عديد سطورها عن هذه الفترة كلما كان هنالك ارتباط لشخص أو لمجال ما بتلك الفترة.

مما لا شك فيه أن الحرب التي تدور رحاها على أرض معينة، لا بد وأن تكون لها آثار مادية وبشرية على تلك المنطقة، وتختلف تبعات تستمر إلى فترة ما بعد الحرب، فالصراع حول المنطقة بين محتل فرنسي ومقاومة وطنية تسعى للتححر، في مجال ورغي أعلى تتجاذب فيه المصالح الاستعمارية ومصالح القبائل والأعيان، لا بد وأن يخلف على تلك القبائل أضرارا مادية وبشرية مادامت توجد في قلب هذا التضارب.

1- الوضع الاجتماعي

إبان حرب الريف، لم تجد قبائل ورغة بدا من مسايرة القوى المتصارعة حول المنطقة فتارة تجد نفسها مع عبد المالك في مواجهة المستعمر الفرنسي، ومرة معه لمواجهة الحضور الريفي، وبعدها مع الريفيين لمواجهة الفرنسيين والقبائل المحتلة، وفي فترة أجبرت على التواجد في صف بني زروال والمستعمر لمواجهة الريفيين، كل هذا الشد والجذب، لم تكن فيه هذه القبائل مخيرة، أمام رغبة في الحفاظ على استقلالها من ناحية ومواجهة قوة ضاغطة تتفوق عدة وعددا، نظرا لتموقعها في مجال جغرافي استراتيجي، الأمر الذي كان يجعلها بين سندان مولات الاستعمار للبقاء بمعزل عن الهجوم

العنيف للقوات الفرنسية، وبين مطرقة المقاومة والتحرر لمواجهة المستعمر، كل هذا التقلب سيخلف على هذه القبائل آثارا واضحة.

مساندة قبائل ورغة العليا للزعيم الريفي في مهاجمة القبائل المجاورة المحتلة من قبل الفرنسيين، كان يعود عليها بالضرر من رغبة هذه الأخيرة في الانتقام منها، بحكم الارتباط الجغرافي والجوار، فالقبيلة التي تقوم بالانتقام لنفسها لا تجد أرضا ريفية لمهاجمتها بجوارها، بل أرضا محادية سهلت للريفيين المرور عبرها للمهاجمة، وهذا ما وقع لقبيلة مزاوة التي ساعدت المقاومين الريفيين والمحليين المرور من أراضيها ودعمهم في هجومهم على قبيلة بني زروال، التي قام شريفها الدرقاوي بعد نجاح صد قبيلته للهجوم بالتحريض على القيام بهجوم معاكس على كل القبائل الموالية للريفيين بالجوار ومنها قبيلة مزاوة، التي تعرضت قريتها "عين اللوح" و"دمينات" للحرق خلال شهر ماي 1924³³¹، كما أن تقدم الريفيين صوب بني زروال لمهاجمتها على تعنتها، كان يخلف وراءه عددا من القرى المحترقة كعقاب لها على رفض دعم مقاومتهم³³². هذا الانتقام أكد أنه كان يخلف في كل مرة آثارا نفسية واجتماعية على ساكنة تلك القرية، لتقديمها كدرس مستقبلي للقبيلة لعدم التعاون مع المقامة بقيادة الريفيين، وهو الأمر الذي حدا بها وبقبائل: الجاية ومزيات ورغوة وصنهاجة مصباح وغالبية قرى مثيوة، إلى المسارعة لتقديم الخضوع للقوات الفرنسية بعد تمرکزها بعين عائشة بشكل مكثف، مخافة تعرضها للانتقام قوي من بني زروال وتلك القوات التي رصدت وهي تستعد للتقدم صوب مناطقها³³³. فالفرنسيون جعلوا من دعمهم للشريف الدرقاوي بقبيلة بني زروال ركيزة أساسية لتثبيت الحضور السياسي للفرنسيين.

أمام رفض مثيوة وبني وليد إعلان الاستسلام للقوات الفرنسية والامتناع عن دعم قبيلة بني زروال في مواجهة الحضور الريفي بالمنطقة، ستمركز القوات الفرنسية بعين عائشة، استعدادا لتسخير فرقة للعمليات، مكونة من أسراب

³³¹ A.M, R.M.P, Mai 1924, p.4

³³² - ibid, p.6

³³³ - A.M, R.P.M, Région de Fes, 1^{er} partie, période du 20 Avril au 19 Juin 1924, p.2

للطائرات (1-2-4-7-8)، لمراقبة تحركات الريفيين بالقرب من بني زروال ومراقبة القبيلتين الراضيتين للإستسلام، حيث ستقوم بقصفهما خلال شهر يونيو لدفعهما إلى عدم مهاجمة القبائل التي استسلمت للإرادة الفرنسية³³⁴.

من المؤكد أن هذا القصف كان يخلف دمارا على قرى تلك القبائل، وتخوفا مستمرا من تجدد القصف ضدهم، فالاستعانة بأسراب من الطائرات ماهو إلى عمل يهدف لزرع الرعب في الساكنة، وتشطيب عناصر المقاومة المحتملين بالمنطقة المراد احتلالها من قبل القوات الفرنسية، ومراقبة أي تحركات معادية للفرنسيين عبر إطلاق الجهاز الاستخباراتي بالمعلومات والصور الجوية لأي تجمعات للمقاومين قد تباغتهم بالمنطقة، حيث كان القصف يتم بأسراب مجمعة³³⁵، وهو ما يعني قصفها مهولا يكون معه إلقاء القنابل على أهداف حقيقية أو ربما أهداف محتملة، مما يسبب دمارا كبيرا على جميع الأصعدة بالنسبة للساكنة المتواجدة بالبقعة المستهدفة.

فخلال اشتداد الحرب الريفية سنة 1925 بالمنطقة، واندماج عديد القبائل مع المقاومة الريفية، حيث بدأ المقاومون في تجهيز مناطقهم، تحركت عديد الأسراب لقصف الجبهات الأمامية وضرب التحصينات الدفاعية للمقاومة، إضافة إلى استهداف القرى والأسواق وضرب أي تجمع، ما كان يخلف خسائر وتدايعات كارثية على المنطقة، التي لجأت ساكنتها إلى وسائلها المحدودة لتفادي هذا القصف، من خلال إعداد الملاجئ الأرضية أو الإقتراب من تلك الملاجئ الطبيعية ووضع خنادق للإحتماء بها، والتشويش بالدخان على تلك الطائرات³³⁶.

خلال هذا القصف لقبائل المقدمة في مواجهة الفرنسيين، ستعرف المنطقة موجة نزوح كبيرة، لسكان قبائل رغيوة ومزراوة ومزيات، نظرا لاشتداد وقع الحرب بمنطقتهما، وهو الأمر الذي كان يتسبب في إفراغ القرى من سكانها ونزوح العديد منهم باتجاه القبائل الخلفية للمنطقة الموالية للمقاومة بقبيلة صنهاجة السراير ومثيو³³⁷. ما كانت تتعرض له ساكنة المنطقة من جراء القصف الفرنسي لقراها، لا يختلف في شيء عن تعرض قراها للحرق من قبل القوات

³³⁴ - A.M, R.M.P, Juin 1924, p.13

³³⁵ - ibidem

³³⁶ - A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.2

³³⁷ - A.M, R.M.P, Mai-Juin 1925, p.4

الفرنسية عند وقوفها بصف المقاومة والقيام بالمواجهة الميدانية، وهو ما كان في الغالب يدفع بتلك الساكنة إلى الفرار إلى قبائل الجوار البعيدة عن مناطق الصراع الفرنسي من جهة والمقاومين المحليين والريفيين من جهة ثانية، ففرار الأهالي هو نابع من التخوف الحاصل لديهم من الخسائر في الأرواح من جهة، وعدم إعطاء فرصة للقوات الفرنسية لمساومة المقاومين بعائلاتهم وقراهم للإستسلام من جهة ثانية ؛ بالمقابل القبائل التي كانت تحت سيطرة الفرنسيين وعلى رأسها قبيلة الحياينة، تراجعت عديد فخذاتها إلى الوراء أثناء توغل المحلية والريفية بالمنطقة، حيث تمركزت القوات الفرنسية في الخلف تاركة عديد القبائل في مواجهة مصيرها أمام زحف المقاومين لتدمير مركز عين معطوف، لكن فخذة **اولاد عليان** قررت الانضمام إلى العناصر المقاومة، عوض النزوح باتجاه الفرنسيين لحمايتهم، تعبيرا عن الرجوع إلى خيار المقاومة، حيث توجهت عديد العائلات من **الحياينة** باتجاه **مشوة لوطا** للاستقرار بها فرارا من المواجهات القائمة في المنطقة، بعد أن طلب محمد بن عبد الكريم الخطابي ذلك من أحد أعيانها يدعى **ولد العربية**، الذي كان قائدا على القبيلة في عهد مولاي حفيظ³³⁸.

كما أن ارتفاع أثمان المواد الفلاحية بالريف واستحالة هجرة العديد منهم صوب الجزائر، جعلت الضغط ينصب على المناطق الجنوبية للريف، التي من ضمنها منطقة ورغة العليا، حيث ستزداد الأوضاع تأزما على ساكنة المنطقة في ظل اشتعال فتيل الحرب التي أصبحت تعرفها عديد القبائل الوردية سواء من بالأساليب السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، مع توجه عديد السكان من قبائل صنهاجة السراير للبحث عن العمل بالمنطقة حسب ما أوردته التقارير الفرنسية. ازدياد هذا الضغط الاقتصادي مع ضعف التموين من المواد، وضعف النشاط الفلاحي وضرب الأسواق من قبل القوات الفرنسية، سيساهم في تأزيم الأوضاع الاجتماعية التي ستدفع بالساكنة إلى النزوح صوب المناطق الفرنسية الغنية، حيث سيدفع الفقر 5 أسر من بني وليد إلى الاستجداء بالقرب من المراكز الفرنسية، حيث استغل الفرنسيون هذا المعطى لشيطنة المقاومة، حيث اعتبر تقرير فرنسي أن عدم الرضا الذي خلفه محمد بن عبد

الكرم يدفع هؤلاء الناس إلى توقيع اتفاق تجاري يخول لهم التقرب من المراكز الفرنسية إلى غاية الحصاد المقبل³³⁹، اعتبارا لهكذا معطى يصبح من الثابت أن سلطات الحماية سعت بمجد إلى تفجير المناطق الغير المحتلة على جميع المستويات، وعلى رأسها تكريس الأزمات الاجتماعية من بطالة وتشريد، كآلية من الآليات الموظفة لاستمالة القبائل و"الأهالي"، وباستقطاب الأسر يصبح من الممكن الاشتغال سياسيا على استقطاب باقي الفخذات من نفس القبيلة، لتصبح في النهاية المنطقة تحت قبضة الفرنسيين. وهو الأمر الذي أورده غودار (القبطان) في مقال له بمجلة المشاة سنة 1925 بعنوان " مصلحة الشؤون الأهلية بالمغرب " : "وهكذا يجد أفراد من عائلة واحدة أنفسهم مقسمين يفصل بينهم حاجز. وبالعزف على وتر القرابة بينهم يكون من السهل الجمع بينهم"³⁴⁰.

معاناة القبائل ومعها السكان لم تكن لتقف عند هذا الحد في ظل التجاذبات السياسية والعسكرية بين المقاومين الريفيين وقوات الاحتلال الفرنسي حول المنطقة، ففي كل مرة كانت القبائل تخضع لأحد الطرفين، كانت تعاني من غرامات حرية تاذيية لها، فبعد سيطرة المقاومين بمعية عناصر ريفية على قبائل المنطقة، تم فرض دعية قيمتها 5000 دورو على رغبة، و18000 دورو على صنهاجة مصباح، عقابا لهما على الاستسلام دون قتال للقوات الفرنسية خلال زحفها صوب المنطقة أثناء عملياتها سنة 1924³⁴¹، ليستمر هذا الشكل من العقاب بعد أن استتب الأمر للقوات الفرنسية بالمنطقة لتقابل احتلالها لقبائل المنطقة بعقوبات حرية تحت مسمى "الغرامات الحرية"، نتيجة مقاومتها أثناء زحف القوات الفرنسية، كما هو الشأن لقبيلة صنهاجة الشمس، أو بعد انتهاء الثورة الريفية واحتلال الفرنسيين للمنطقة بشكل كلي سنة 1926، حيث تعرضت قبائل ولاد عمران (الحايينة) ومزيات ورغبة ومزاوة ومثوية، لغرامات حرية فرنسية قاسية، نتيجة وقوفها في صف المقاومة والمشاركة مع المقاومين الريفيين في مهاجمة قواتها³⁴². فقد كانت هذه الغرامات تساهم بشكل كبير في إضعاف القدرة المعيشية للسكان المحلية، التي في الغالب كانت تعيش وضعاً متأزماً منذ البداية.

³³⁹ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.10

³⁴⁰ ابن المليف عبد الله، م.س، ص.213

³⁴¹ A.M, R.M.P, Juillet- Août 1925, p.5

³⁴² - أنظر الجزء الخاص بأساليب توغل القوات الفرنسية بمنطقة ورغة العليا في الشق الخاص بالغرامات الحربية.

2- الوضع الاقتصادي

وظفت الإدارة الاستعمارية كاستراتيجية أثناء تقدمها إلى المناطق المستهدفة، إلى جانب سياسة الزعماء الهادفة إلى استمالة الأشخاص البارزين بالمنطقة، ما يعرف كذلك بـ "السياسة الاقتصادية"، وهي من بين الطرق التي وضعتها السلطة الاستعمارية لإخضاع القبائل، من خلال دفع قبائل ورغة العليا إلى الاستسلام أو إلى الاستمرار في المقاومة، عبر الحرمان من ارتياد أسواق المناطق الخاضعة، وتعريض الساكنة للقصف من قبل الطائرات كما وقع أثناء إنشاء القوات الفرنسية لحزامها الأمني بمنطقة ورغة، سعيا منها لتأمينه وإعطائه متنفسا للصد عبر توسيع المساحة المقابلة له، حيث قامت في 25 يوليوز 1924 بتوظيف خمسة أسراب من الطائرات، لقصف كل التجمعات التي تظهر بالقرب من المناطق المحتلة والقادمة من جانب بني وليد غربا أو مثيو شرقا³⁴³، قد يظهر الأمر عاديا لكن إعطاء الأوامر لأسراب الطائرات لقصف كل التجمعات خارج الحزام الأمني فهو يعني الشيء الكثير اجتماعيا واقتصاديا، فقد تكون هذه التجمعات عبارة عن قرى أو تجمعات بشرية خلال سوق أسبوعي وكذلك أثناء جمع المحاصيل الزراعية، وهذا وارد في عقيدة الجيش الفرنسي بتوظيف هذا الأسلوب في مناطق مختلفة من المغرب في حالة القصف بالطيران، لضرب أركان الإقتصاد المحلي المرتكز على الأسواق للتزود بالسلع، بذلك الخسائر الاقتصادية تصبح لها في الغالب تبعات لخسائر بشرية، في حالة تعرض الأسواق للقصف، قس على ذلك قيام هذه الطائرات بقصف المسالك والقناطر لضرب العزلة على بعض المناطق، والعمل على إحراق المحاصيل.

ولمعرفة الوضعية الاقتصادية بالمنطقة، كان لابد من تتبع ما كان يرد من معلومات في التقارير الاقتصادية الفرنسية لجهة فاس عامة قبل سنة 1925، وبشكل أدق الاعتماد على التقارير الاقتصادية الخاصة بدائرة ورغة العليا، التي تخص المجال المدروس انطلاقا من مركز تيسة، الذي ظل قلب الجهاز الاستخباراتي والعسكري لهذه الدائرة منذ

³⁴³ -A.M, R.M.P, Juillet 1924, p.14

السنوات الأولى لتقدم القوات الفرنسية نحو المنطقة إلى غاية انتقال مهام المنطقة إلى مركز تاونات ليصبح مركزا لتدبير الدائرة، وبذلك سيكون هذا الرصد من خلال استعراض الوضعية الاقتصادية على مستويين هما: الفلاحة والأسواق.

• القطاع الفلاحي

مع تصاعد حدة المواجهات بين قبائل ورغة العليا (المنطقة الشمالية لفاس عامة) والقوات الفرنسية سنة 1921، برزت عديد المشاكل التي توضح مدى الترابط الفعلي بين قبائل المنطقة اقتصاديا، فبحلول موسم الحصاد بقبيلة الحياينة الغنية بإنتاجها الوافر من مادة الحبوب، ستعرف خصاصا كبيرا في اليد العاملة التي كانت تتوافد إليها من المنطقة الشمالية، سواء القادمة من الريف أو التي كانت تأتي من المناطق المحاذية لها من قبائل ورغة العليا، التي كانت مناطقها لا تنتج كميات كبيرة من هذه المادة، لوعورة تضاريسها ذات الطابع الجبلي التي لا تتيح إمكانية القيام بهذا النشاط بشكل واسع، هذا الأمر سيخلف خسائر لقبيلة الحياينة في محصولها من الحبوب نتيجة استمرار غياب اليد العاملة طيلة شهر يوليوز، ما ساهم في ضياع كميات كبيرة من الحبوب "نتيجة تفتق السنابل بفعل الحرارة المرتفعة"³⁴⁴.

الأمر السابق يمكن رده إلى عدة اعتبارات، منها العداء القبلي المجاور لقبيلة الحياينة من الجهة الشمالية، واعتبار الدخول في المنطقة الفرنسية للاشتغال بقبيلة مستسلمة شيئا مرفوضا من طرف قبائل المقاومة، كالتزام للسكان بتعليمات عبد المالك خلال مرحلة قيادته للمنطقة، وتجريمه التعامل مع المناطق الفرنسية أو العمل بها، الذي سيعتبر بمثابة تطبيع مع الفرنسيين، أو يكون القبول بالتفسير الذي جاء في التقرير العسكري لشهر يونيو، الذي أرجع الأمر إلى انشغال الأهالي بأعمال الحصاد بمنطقتهم، وبسبب قيام عبد المالك بتشكيل مجموعات مقاومة خلال شهر يوليوز تضم قبائل صنهاجة ومثوية ورغوية ومزيات لشن هجمات على القبائل المجاورة³⁴⁵، وهو الأمر الذي يجب ضمها على

³⁴⁴ -A.M, R.E.M, l'Annexe des Hayaina « Tissa », 3^{em} partie, Juillet 1921, p.1

³⁴⁵ - A.M, R.M.P, Juin 1921, p.3 et R.M.P, Juillet 1921, p.3

الفرضية الأولى حول المعادة لقبيلة الحياينة، من خلال انشغال اليد العاملة من هاته القبائل في شهر يوليوز بتدعيم مجموعات عبد المالك.

لم تستطع المناطق الخاضعة لسلطات الحماية وعلى رأسها قبيلة الحياينة، تجاوز مشكلة عدم توفر اليد العاملة، وتباطؤ عملية الحصاد إلى غاية شهر غشت، مما تسبب في ضياع قسط كبير من الحبوب نتيجة هذا التأخر ونضج المحصول بشكل نهائي، وقد بلغ المعدل المتوسط للإنتاج من الحبوب ما بين 8 و 10 قنطار في الهكتار بالنسبة للقمح وما بين 10 و 12 بالنسبة للشعير، ووصل ثمن القمح الصلب للقنطار في الأسواق إلى 60 فرنك و 36 للشعير و 45 للفاصولياء³⁴⁶، هذا الأمر ساهم في زيادة أسعار المواد الفلاحية، وزادها تأثير ما يروج من أخبار حول وضع أشجار الزيتون، واحتمال ضعف المحصول بقبائل شمال فاس التي توجد على رأسها قبيلتي مثوية ورغوة، مما ساهم في توقف الزيت القادم إلى الأسواق من طرف الفلاحين، خوفا من وقوع نقص مستقبلي، ما أدى إلى ارتفاع ثمنه³⁴⁷. قد تبدو هاتين الوضعتين منفصلتين، لكن حقيقتهما تتماشي مع ما يقع بمناطق دائرة ورغة العليا، جراء تأثير عبد المالك عليها في منع تزويد المناطق الفرنسية بحاجياتها الأساسية من المواد التي تشتهر بها المنطقة، وعلى رأسها الزيت، كاحتراز للحفاظ على المخزون من هذه المادة الحيوية أولا، وثانيا معاملة المناطق الفرنسية بالمثل في ظل قيام القوات الفرنسية بسياسة تدبيرية معادية للقبائل المقاومة، والتي منها منعها من دخول الأسواق أو حرمانها من شراء الحبوب أثناء فترة الحرث³⁴⁸، كشكل من أشكال الحصار المضاد يفرض من المناطق الجبلية المعروفة بالمغروسات خاصة أشجار الزيتون على المناطق السهلية المستسلمة (المنخفضة) المعروفة بإنتاجها للحبوب أو العكس، وكلاهما يؤثران على الساكن المغربي الذي ترتبط ثقافته الاستهلاكية بمأذنين المنتجين الحيويين، فحياة ساكنة القبيلة في جميع المناطق لا تستقيم في غياب الخبز والزيت، وهو ما يعني استحالة الفصل بين المجال الجبلي والسهلي فهما وجدا ليتكاملا.

³⁴⁶ - A.M, Rapport Mensuel Economique D'ensemble, Août 1921, pp.1-2

³⁴⁷ - ibid, p.11

³⁴⁸ - أنظر المحور الخاص بالآليات التي وظفها المستعمر للتدخل بمنطقة ورغة العليا في الجانب الاقتصادي.

أ- وضعية القطاع خلال سنتي 1925 و 1926

نتيجة لما شهدته منطقة ورغة العليا من معارك ضارية بين المقاومة المحلية والريفية من جهة والقوات الفرنسية ومعاونيها من جهة ثانية، فقد عرفت المنطقة خسائر فادحة في القطاع الفلاحي، سواء على مستوى القطعان أو على مستوى المزروعات، التي تشكل عصب استمرار حياة الإنسان القروي، خاصة فيما يتعلق بالمواد الأساسية التي تتماشى مع عادات القبائل المغربية في الأكل، والتي تجعل من منتوج الحبوب عامة والقمح والشعير خاصة مادة حيوية في حياتها اليومية، حيث سجلت التقارير الاقتصادية الفرنسية بشكل شهري معلومات عن الأوضاع الفلاحية بالمنطقة، لما للمجال الفلاحي من دور في استئجاب الأمن بالمناطق المحتلة والحفاظ على تبعية قبائلها، من خلال الإغراءات التي تحاول فرنسا تقديمها في هذا المجال، من قبيل تزويد الأسواق بالمنتجات الفلاحية الأساسية، بالمقابل بالنسبة لقبائل ورغة العليا، فهي كانت تزود فاس بالزيوت والتين والعنب الجفف والحوامض و"طابا"³⁴⁹، ومن خلال هذه المراقبة الفرنسية يكون تتبع مدى تحقيق تلك القبائل لاحتفائها الذاتي، عبر رصد مدى تأثير الخصائص المناخية على الفلاحة طيلة أشهر السنة، وخاصة بفترات الإنبات والحصاد، ونقص الأمطار في شهر أو خلال سنة معينة على نمو القمح والشعير، ومدى تأثير ذلك على المردود السنوي للمنطقة من هاتين المادتين، اللتان يصبح إنتاجهما ضعيف المردودية في حالة التأثير بالجفاف³⁵⁰.

فقد أدت المعارك الدائرة بورغة العليا، وانخراط قبائلها في الحرب إلى خلق نذرة في اليد العاملة، التي بدورها ساهمت في تأخير الأشغال والحصاد الذي لا يمكن الشروع فيه بالقبائل المشرفة على ورغة حيث تدور المعارك³⁵¹، فأدى انخراط القبائل المحلية في المعارك الدائرة، واتجاه سواعدها لجبهات القتال إلى استمرار الخصائص الحاصل في اليد العاملة، التي أثرت بشكل كبير في تأخر إطلاق عدة قبائل ورغبة لعملية الحصاد بمناطقها في الوقت المعهود³⁵²، هذا

³⁴⁹ - A.M, R.M.P, Avril 1925, p.4

³⁵⁰ - A.M, R.P. M, Cercle du Haut Ouergha, Tissa, le 30 Mai 1925, p.1

³⁵¹ - A.M, R.M.P, Mai-Juin, 1925, p.II

³⁵² -A.M, R.M.P, Région de Fès, 3^e partie, Juillet 1925, p.1

التأخر الحاصل في عملية الحصاد، سيسجل بالتقارير الاقتصادية لدائرة ورغة العليا، طيلة الأشهر التي شهدت شن المقاومة عمليات مسلحة على المراكز والقوات الفرنسية، واستمر هذا التأخر بقبائل الدائرة كما رصده التقرير الفرنسي إلى غاية شهر شتنبر 1925³⁵³، وقد يكون هذا التأخر إضافة إلى كونه نتيجة للحرب الدائرة بالمناطق المحاذية لورغة يمكن أن يكون بفعل التخوف الحاصل لدى ساكنة المنطقة سواء حيث الحيانية من هجمات المقاومين أو في مناطق ورغة نتيجة ربما لعدم اطمئنان الساكنة منذ البداية لجدوى الانشغال بحرث الأرض في ظل ما تعرضت له المنطقة من قصف.

ب- مظاهر الأزمة الفلاحية بعد الحرب (1926م)

نظرا لما عرفته قبائل ورغة العليا وخاصة المحاذية لمركز تاوانات وكذلك قبيلتي مثيو ومزراوة، من مواجهات ومعارك، وتحركات مستمرة للقوات الفرنسية طيلة سنتي 1925 و 1926، فالسكان لم يقوموا بإنجاز أعمالهم الفلاحية في مواعيدها، لكونها مهددة بالزوال والتخريب والحرق، وقد تكون تعرضت للتلف نتيجة تحرك الأرتال العسكرية بالجبهة الشمالية لفاس³⁵⁴، أو لانشغال السكان بالدود عن قراهم وقبائلهم ضد المحتل الفرنسي، وفي غياب المعطى الأمني فهم لا يرون فائدة في فلاح تلك الأراضي مع انعدام مخزوناتهم، والتهديد المتواصل لممتلكاتهم ليصبح بذلك الوضع الفلاحي وبصفة عامة محصول سنة 1926 شبه منعدم بالقبائل الحدودية من الجهة الفرنسية، وكذلك الأمر بمنطقة تاوانات³⁵⁵.

أشّر تقرير شهري غشت وأكتوبر 1926 على ضعف الإنتاج الفلاحي لهذه السنة، تبعا للوضعيتين المناخية والسياسية التي عرفت المنطقة، فمقابل موسم غير منتظم التساقطات بقبيلة زراعية كالحياينة في المنخفض، لم يمكنها من الحصول على مردود فلاح جيد، وبمقابل ذلك ظروف سياسية أنتجت وضعية فلاحية منعقدة أو شبه منعقدة بالقبائل المحاذية لها، والتي من ضمنها مثيو ومزراوة ومزيات ورغوية، وهو ما أرجعه التقرير الاقتصادي لورغة

³⁵³ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} Septembre 1925, p.1 et 3^e partie, p.1

³⁵⁴ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^{em} partie, Mai 1926 p.1

³⁵⁵ - A.M, Bureau Economique de Fès, Rapport Economique de Fès, Août 1926, p.1

العليا إلى الوضعية التي نتجت عن أحداث السنة الحالية، التي لم تسمح للسكان القيام بالحرق في وقته، هذا الأمر سيجعل من سلطات الحماية انطلاقاً من مكاتبها الاقتصادية، تفكر في مساعدة القبائل المتضررة من هاتين الوضعيتين، عبر وضع كميات من القمح تحت تصرفها وتكليف الشركة الأهلية الإحتياطية للدائرة بالسهر على ذلك³⁵⁶.

تعرض أي منطقة للإغارة من طرف قوة معادية، يعني ضمناً إحراق محاصيلها الزراعية والقضاء على قطعانها أو نهبها كغنائم، الأمر الذي كان يخلف انهيار للمجال بمفهومه الاقتصادي، يكون معه التعافي صعباً في غياب دعم فلاحي من منطقة أخرى، وفي أسوأ الحالات قد يخلف مجاعة للسكان المستهدفة خاصة المعوزة منها، وكذا انتشار الأوبئة، نتيجة تناثر جثث البهائم والحيوانات في ظل غياب الوعي الكافي لدى السكان بمخاطر تركها مكشوفة، ومنه لا يمكن استبعاد منطقة ورغة العليا من احتمالية وقوع كل هذه الآفات، نتيجة للخسائر التي تكبدتها القبائل التي شنت عليها القوات الفرنسية ومعاونيتها غارات جوية قصفت قراها، والزحف نحوها بالجنود والمدفعية، أو تلك المناطق التي بدورها عرفت خسائر فادحة نتيجة هجوم المقاومة عليها خلال فترة الحضور الريفي القوي بالمنطقة، خاصة خلال احتدام هجمات المقاومة بين سنتي 1925-1926 بمنطقة ورغة العليا، التي تقرر التقارير الاقتصادية بأنها تعيش أوقاتاً جد صعبة، الأمر الذي جعل مادة كالحبوب تعرف أسعارها ارتفاعاً مهولاً بأسواق ورغة العليا، حيث بلغ ثمن القنطار من القمح 275 فرنكا والشعير 215 فرنكا³⁵⁷.

هذا الارتفاع الحاصل في مادة الحبوب هو ناتج بالأساس عن اختلال في مبدأ العرض والطلب، بسبب بداية استعداد الفلاحين لموسمهم الفلاحي المقبل مع بروز بوادر موسم فلاحي جيد بفعل التساقطات المبكرة التي عرفتتها المنطقة، وكذلك نتيجة الخصائص الحاصل في هذه المادة الحيوية جراء ظروف الحرب، فعدم تواجد هذه المادة أصبح يهدد ببروز موسم فلاحي ثالث شبه منعدم أو منعدم بقبائل ورغة العليا بسبب عدم توفر الحبوب بالأسواق، والارتفاع المهول لأسعارها مع تفاقم الأزمة الاقتصادية بالمنطقة منذ سنوات، ما جعل عديد الأراضي غير مزروعة، حيث أقر

³⁵⁶ -A.M, R.E.M, Cercle du Haut Ouergha, Septembre 1926, p.1 et Octobre 1926, p.1

³⁵⁷ -A.M, Bureau Economique de Fès, Rapport Economique de Fes, Novembre 1926, p.3

رئيس دائرة ورغة العليا بلانك BLANC خلال إنجازهِ التقرير الاقتصادي الشهري للدائرة، بعدم كفاية البذور الممنوحة من الشركة الأهلية الإحتياطية، التي لا تغطي سوى جزءا قليلا جدا من المناطق التي عرف أهاليها خسائر خلال حرب 1925-1926 جراء ما أسماه بالعدوان الريفي، ودعا كضرورة لتدارك هذا الوضع أن يتم تسبيق مستحقات الشركة الأهلية الإحتياطية من الأموال، التي ترصدها لها الإدارة العامة للمالية، قصد تدارك الوضع المتأزم، وتقديم البذور للأهالي في الوقت والمكان المناسبين خلال موسم الحرث وليس بعد نهايته³⁵⁸.

خلال شهر دجنبر انشغلت سلطات الحماية بتتبع مدى انتهاء الأهالي من إتمام نشاطهم الخريفي، مع الإقرار بعدم توفر الحبوب، وهو الأمر الذي أدى إلى انخفاض نشاط الفلاحين بدائرة ورغة العليا بقبائل أولاد عمران ومزراوة ومزيات ورغوة، التي عرفت أراضيها ضرا كبيرا من جراء حرب فرنسا مع المقاومين أو ما أسماه التقرير الفرنسي بـ"العدوان الريفي"، حيث سعت الشركة الأهلية إلى محاولة تغطية هذا النقص الحاصل في الحبوب، من خلال تقديم الحبوب لهذه القبائل المتضررة، كمحاولة لسد ولو جزء صغير من هذا العجز، خاصة في المنطقة التي لا تعيش إلا بزراعة القمح والشعير³⁵⁹.

كل هذه الاجراءات التي يمكن القول على أنها ترقيعية لا أقل ولا أكثر، هي محاولة من سلطات الحماية لإنقاذ المنطقة من موسم فلاحي يكون بدوره منعدم الإنتاج بالنسبة للفلاحين، وكذا للهدف الخفي لها من خلال ضعف مستخلصاتها من ضريبة الترتيب التي ظلت هزيلة. إضافة إلى عدم وجود رغبة حقيقية في وضع حلول جذرية لتوفير مادة الحبوب بشكل كبير، سواء بأسواق المنطقة أو من خلال التعجيل بالدعم الذي تقدمه الشركة الأهلية الإحتياطية لدائرة ورغة.

من الواضح إن لم يكن الأصح هو القول بأن الدعم الذي تقدمه هذه الشركة، لن يكون بريئا من الخضوع لمساومات تجاه القبائل لتقديم تنازلات، إضافة إلى أنه دعم سيخضع لانتقاء نوعي للأشخاص داخل القبيلة الواحدة،

³⁵⁸ - A.M, R.E.M, Cercle du Haut Ouergha, Novembre 1926, p.1

³⁵⁹ - A.M, R.E.M, Cercle du Haut Ouergha, Décembre 1926, p.1

وهو ما لم تفصح عنه التقارير الفرنسية، قس على ذلك تدخل نفود الأعيان والشيوخ والقواد في تحديد المعنيين بالدعم، وهو ما سيخلف نوعا من الجور والحيف في حق السكان الذين لن يسلموا من نفوذ القواد وأعوانهم، والذين لن يدخروا جهدا في ممارسة شططهم على من عاداهم بالأمس من ساكنة القبائل، تبعا لإملاءات الجهاز الإداري بالمنطقة، الذي لن يحد من هذا الشطط في حق القبائل أو الأسر الثائرة كإجراء عقابي، وما يفسر هذا التماطل من سلطات الحماية أو عدم إقرارها بعجزها في حل مشاكل المنطقة من جراء تبعات ما أسمته "العدوان الريفي"، هو انطلاق عملية توفير الدعم للأهالي منذ شهر أكتوبر من مادة الحبوب وصولا لشهر دجنبر، ولم توفق في تغطية جزء قليل من الخصاص الحاصل في المادة، الأمر الذي يحيل على ضالة حجم ذلك الدعم وتباطؤ إجراءاته وعملية سيره، بغض النظر إن كان عن قصد أو عن عجز كمعطى قابل للتحويل، لكن الثابت أنها لن تقدم شيئا من جيبها ما دامت عائدات ضرائبها ضعيفة من المنطقة، هذا الأمر لوحظ في عديد النشرات والتحليلات والكتابات حسب ما ورد بالتقارير سواء العسكرية أو الاقتصادية منها، فالأمر كان بالأساس محاولة من الجهاز الاستخباراتي للتغطية على سياسته التخريبية بمناطق المقاومة، واصفا تلك الأضرار بأنها ناتجة عن "العدوان الريفي" على المنطقة، فتلك التقارير تظهر فرنسا كأنها بالمدافعة عن مصلحة الأهالي وأنها دافعت عن رفاه وازدهار قبائل المنطقة، وأن المعارضة التي واجهتها فرنسا لم تكن من قبل الأهالي والمقاومة المحلية - كأنها تسعى لتحجيم فعل المقاومة بالمنطقة تماشيا مع ما يأتي في تقاريرها الشهرية في وصفها لقبائل دائرة ورغة العليا (مزيات، مثوية، مزاوة، رغيوة، صنهاجة مصباح، بني وليد). بالقبائل الصغيرة- وإنما من قبل عنصر خارجي كان معاديا للمنطقة وفرنسا الحامية.

لكن فرنسا الضعيفة في مساندة الأهالي ودفعهم للاستقرار بمناطقهم وفق عيش كريم، والقوية في التصريح بحرصها على تحقيق رخاء سكان منطقة ورغة العليا، لم تسلم من التسويف في تعاملها مع ساكنة المنطقة، في ظل

عجزها عن وضع حلول ناجعة ومراحتها على عامل المناخ، "من المأمول أن السنة تبدو جد متميزة وواعدة لاستعادة رعايانا أو على الأقل سهولة توفير ضروريات الحياة"³⁶⁰.

³⁶⁰-A.M, Bureau Economique de Fès, Rapport Economique de Fès, Décembre 1926, p.1

3- التجارة و الأسواق 1925-1926

كانت لمخلفات فترة حرب الريف خاصة والمقاومة بصفة عامة العديد التأثيرات السلبية على المنطقة، ومنها على الأسواق ومدى رواجها وظروف إقامتها، إضافة إلى نوع المنتوجات التي قد تروج بها، في ظل فترات تصاعد فتيل الحرب السياسية والعسكرية بالمنطقة، فقد وظفت الإدارة الاستعمارية كاستراتيجية أثناء تقدمها إلى المناطق المستهدفة إلى جانب سياسة الزعماء الهادفة إلى استمالة الأشخاص البارزين بالمنطقة ما يعرف كذلك بـ "السياسة الاقتصادية" وهي من بين الطرق التي وضفتها السلطة الاستعمارية لإخضاع القبائل من خلال دفع قبائل ورغة العليا إلى الاستسلام أو إلى الاستمرار في المقاومة وبذلك الحرمان من ارتياد أسواق المناطق الخاضعة والتعرض للقصف من قبل الطائرات.

3-1 فترة احتدام المواجهة العسكرية بالمنطقة 1925

كان للأسواق دور بارز في نشر الأفكار والدعاية الريفية المضادة للفرنسيين بكل من المنطقتين، حيث اعتمدها الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم ضمن سياسته لشحذ همم المقاومين، وحث القبائل على الانضمام إليه طوعا ومساندته في مجابهة توغل المستعمر بمنطقة ورغة، وعدم الوقوف في صف الخونة والمتواطئين، وذلك قبل أن يقوم بأي عمل ضد تلك القبائل وبذلك تخييرهم بين الوقوف إلى جانب فرنسا أو إلى جانب المقاومين³⁶¹، ومع تزايد حس المقاومة لدى السكان، تصبح الأسواق محط قلق للفرنسيين الذين لن يتركوها تنعقد بالمناطق التي يصفونها بـ "المنشقة"، وهو ما وقع أثناء إنشاء القوات الفرنسية لحزامها الأمني بمنطقة ورغة، وسعيها منها لتوسيع المساحة المقابلة له (منطقة عازلة)، قامت في 25 يوليوز 1925 بتوظيف خمسة أسراب من الطائرات، لقصف كل التجمعات التي تظهر بالقرب من المسالك القادمة من جانب بني وليد أو مثوية³⁶²، وكان من بين المناطق التي ستستهدف، التجمعات البشرية

³⁶¹ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.1

³⁶² A.M, R.M.P, Juillet 1924, p.14

خلال السوق الأسبوعي، لضرب العزلة على بعض المناطق، الأمر الذي يجعل حتى الوصول إلى الأسواق أمرا عسيرا وفي غاية المشقة.

لجأت القبائل خلال اشتداد القصف الفرنسي على أسواقها، وتفاديا للخسائر البشرية التي قد تكون فادحة نتيجة مباغته الطائرات للتجمعات البشرية، إلى سياسة بناء الملاجئ للاحتباء بها من تلك الضربات الجوية، وكذلك بالقرى من خلال حفر الخنادق أو الاختباء بالملاجئ الطبيعية التي تتواجد بالقرب منهم، وهي ملاجئ كما رصدتها القوات الفرنسية من نوع النصف مدفون، وكان يتم التشويش على الطائرات بوضع مقاومين يوجهون الحرائق على الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض، والرد عليها بطلقات الرصاص³⁶³.

أمام اشتداد المعارك على جبهة ورغة العليا، وقيام المقاومين المحليين إلى جانب المقاومين القادمين من الريف بمهاجمة المراكز الفرنسية، وازدياد الضغط العسكري، بلغ ثمن القمح ما بين 275 و340³⁶⁴ فرنك للقطار، في حين بلغ ثمن الشعير ما بين 275 و315 فرنك بمناطق ورغة العليا المتواجدة بالجبهة الأمامية³⁶⁵، تميزت هذه الفترة باحتدام الصراع بين التدخل الفرنسي المحتل والحضور الريفي المقاوم بالمنطقة، ومع استمرار المقاومين في تضيق الخناق على القوات الفرنسية، ومحاصرة مركز **تاونات**، والزحف صوب مهاجمة **عين معطوف** وأستر، وتعطيل المركز العسكري **بعين مديونة** بعد أن شن عليه المقاومون ضربات قوية، الأمر الذي جعل القوات الفرنسية منشغلة بتأمين دفاعاتها والتحرك العسكري المستمر صوب تقوية مناطق ضعفها أو لفك الحصار عن عديد مراكزها³⁶⁶، وبذلك أصبحت المنطقة مشتتة يميناً وشمالاً بنار المواجهات، وهو ما جعل إمكانية عقد الأسواق شبه منعدمة أمام حاجة الساكنة للتزود

³⁶³ A.M, R.M.P, Janvier 1925, p.2

³⁶⁴ - خلال شهر مارس من نفس السنة بلغ ثمن القمح بأسواق قبائل ورغة العليا الخاضعة ما بين 120 و125 فرنك للقطار و بين 80 و100 فرنك للشعير، وفي المناطق الغير الخاضعة للفرنسيين بلغ ثمن القمح من 260 إلى 325 فرنك و بين 210 و 325 للقطار بالنسبة للشعير، الأمر الذي يوضح مدى التوظيف الاستعماري لهذه المادة وتتبع الفرنسيين لأثمانها طيلة الأشهر الأولى من سنة 1925، حيث يعمل الجهاز الاستخباراتي والعسكري جاهدا على استخدام هذه المادة الحيوية في ضرب ارتباط الساكنة بالمقاومة والتركيز على إفقارهم وتجويعهم كي يدفعهم الإغراء الاقتصادي إلى الالتحاق بمناطق الخضوع في نهاية المطاف. أنظر:

- A. M, Situation Politique et Militaire, du 24 au 30 Mai, 1925, p.3

³⁶⁵ - A.M, R.M.P, Avril 1925, p.15

³⁶⁶ -A.M, situation politique et militaire, du 4au 10 Mai 1925, p.1/ du 19 au 25 Mai 1925, p.1

بحاجياتهم الأساسية، في ظل انشغال كثير من الرجال بالمشاركة في تلك المعارك أو انتظار نتائجها، حيث عرفت بعض الأسواق المنعقدة بمنطقة ورغة العليا خلال شهر ماي من سنة 1925، راجا ضعيفا في البدايات الأولى من الشهر، غابت خلالها المنتوجات المحلية للقبائل عدا الحبوب والبضائع المستوردة في الأسواق البعيدة عن المواجهات³⁶⁷، التي في كثير من المرات كانت لا تسمح الظروف الأمنية بانعقادها، فانعدام الأمن يعني ضمنا انعدام اطمئنان الساكنة للمغامرة بمنتجاتهم في الأسواق أو تعرضها للنهب.

استمرت الأوضاع على هذا الحال طيلة شهر ماي بقلّة انعقاد الأسواق، وضعف الإقبال عليها، تبعا لما أصبحت المنطقة تعرفه من تجاذبات ومخططات استعجالية، تحركت معها الآلة الفرنسية للدفع بكل قواها لصعد هجمات المقاومين، ليصبح بذلك السوق من التجمعات التي لا تجذبها تلك القوات بورغة العليا في المناطق التي لا تشرف القوات الفرنسية على مراقبتها، نظرا لما لها من دور بارز في الاختراق الذي قد تحققه المقاومة سياسيا، بنشر دعوات المقاومة ودفع القبائل المستسلمة للانشقاق عن الفرنسيين، خاصة أمام تواجد عناصر من المقاومة ينتمون لقبائلهم الأصلية بكل من مزاوة ومزيات والحياينة³⁶⁸.

فانعقاد الأسواق كان يشكل خطرا على التواجد الفرنسي في حالة تسرب هؤلاء إلى الأسواق المتواجدة بقبائلهم، لتأطير المقاومة أو لدفع الساكنة لمهاجمة الفرنسيين، الأمر الذي لن تغامر به القوات الفرنسية في ظل وعي جهازها الاستخباراتي بهذا مخاطر الدور الذي قد تلعبه الأسواق في تأجيج فعل جماعي معين، وهو ما فسره التقرير الفرنسي لشهر ماي الذي أشار إلى أن ضعف رواج الأسواق بدائرة ورغة العليا وقلتها يعود بالأساس إلى الوضعية السياسية³⁶⁹، هذه الوضعية السياسية التي ستؤثر في جميع أسواق المناطق المحيطة بورغة، أو التي في ترابط مع قبائل المنطقة بصفة عامة، حيث قلت المعاملات التجارية، وعرفت ارتفاعا مهولا في عديد المواد³⁷⁰، وكذلك في أسواق المنطقة التي عرفت

³⁶⁷ - A.M, R.E.M, Haut Ouergha, Tissa, 30 Mai 1925, p.1

³⁶⁸ - A.M, Situation Solitique et Militaire, du 19au 25 Mai 1925, p.3

³⁶⁹ - A.M, R.P.M, Haut Ouergha, Tissa, 30 Mai 1925, p.1

³⁷⁰ - A.M, R.M.P, Mai-Juin, 1925, p.II

توقفا لانعقاد العديد منها خلال شهر يوليوز، الأمر الذي أدى إلى عدم حصول الإنخفاض المنتظر من قبل الأهالي في أئمة بعض المنتوجات المحلية، وعلى رأسها الحبوب، التي ظلت مرتفعة أئمتها، على الرغم من تزامن الفترة مع فترة الوفرة في المحصول، وقد أرجع التقرير الشهري سبب عدم نزول أسعار الحبوب إلى الإقبال الكبير عليها³⁷¹، وهو عكس ما كانت تقوله الأوضاع الأمنية على أرض الواقع فعدم انعقاد عديد الأسواق بالمنطقة المحادية لورغة خاصة بدائرة ورغة العليا ناتج بالأساس عن الأوضاع الأمنية المنغلقة، والتخوف من التهديد الريفي للمناطق الفرنسية القريبة من مناطق التوتر، وقد اتهم الزعيم الريفي السلطات الفرنسية بإقدامها عديد المرات على اعتقال السكان من المنطقة الغير المحتلة، عند توجيههم لأسواق الناطق المحتلة، بحجز بعض موادهم بحجة أنها ممنوعة وهو الأمر الذي حاول ليوطي نفيه وتأكيدهم ضمينا عندما قال: "يكفي التذكير أن الريفيين يتبضعون من أسواق منطقتنا وخصوصا فاس وذلك بكل حرية، شريطة أن يلتزموا بمقتضيات الحق العام والحجز الوحيد الذي قمنا به بتاوريرت"³⁷²، وهو ما يوضح بشكل جلي كيف سعت سلطات الحماية إلى ضبط تنقلات الريفيين ومن والاهم من القبائل، وتقنين تبضعهم من أسواق المناطق الخاضعة من خلال ما سماه ليوطي "بمقتضيات الحق العام"، ولا يخفى على سلطات الحماية هذا التوظيف الاقتصادي للأسواق في التأثير على القبائل المقاومة وأعيانها، ومحاولة استمالة السكان أو تئيسهم من جدوى المقاومة، إن هم أرادوا التبضع بالشكل الذي يريدون كباقي سكان المناطق الخاضعة.

بحلول شهر غشت، ستصبح الأسواق بالمناطق الفرنسية مزودة بشكل كافي من مادة الحبوب الأمر الذي جعل الإقبال عليها كثيفا للتخزين والمأونة، مما ساهم في ارتفاع أئمتها مقارنة بالشهر الفائت، حيث بلغ ثمن القنطار من القمح الصلب ما بين 130 و132 فرنك، و120 بالنسبة للقمح الطري (طندر)، في حين بلغ ثمن القنطار من الشعير ما بين 90 و92 فرنك مقابل 87 خلال الشهر السابق، بالمقابل تم رصد خصاص في مادة الزيت بالأسواق نتيجة عدم جلبها من قبل ساكنة الجبال بورغة العليا، وقد بلغ ثمن "القلة" (حوالي 10 لترات) حسب تسعير المحتسب

³⁷¹ -A.M, R.M.P, Région de Fès, 3^{eme} partie, Juillet 1925, p.1

³⁷² - ليوطي بيبير، م.س.، ص.105

70 فرنك فرنسي³⁷³. وهو الخصاص نفسه الذي وقع سنة 1921 وفي الشهر نفسه أثناء احتدام الصراع الفرنسي مع قبائل ورغة العليا الموالية لعبد المالك، في حين هذه السنة كانت بمثابة سنة الصراع الفرنسي مع المقاومة المحلية والريفية بالمنطقة، وهو ما يجعل سكان القبائل يفضلون عدم التفريط في مخزونهم من هاته المادة، أو ربما توجيهه للمناطق الريفية للبيع.

سعى من سلطات الحماية لتمكين القبائل من سد حاجياتها من الخصاص الممكن في منتوجات معينة، أو مخافة تأثير عامل الحرب والجفاف على المنطقة، بعد القيام بعمل استخباراتي سابق يكون انصب على دراسة الوضعية الاقتصادية للمنطقة، وبعد توفر الشروط والظروف الأمنية لمتابعة تلك الأسواق يكون انعقادها ممكنا، ففي شهر شتنبر 1925، تم رصد استمرارية ومتابعة جيدة للأسواق بدائرة ورغة العليا، وتسجيل تنوع في السلع المعروضة والمعاملات نظرا لتوفر الأجواء المناسبة، حيث لجأت السلطات الفرنسية إلى الترخيص بافتتاح سوق بدار القايد زورغان وأشارت بعودة سوق "الحد" برصيفة وسوق "الثلاثاء" ولاد بوزيان لانعقاد مجددا³⁷⁴، هذه العودة التي قد تكون كتعبير ضمني لعودة الظروف المواتية لانعقاد الأسواق وانحصر التهديد القادم من المناطق المجاورة، وكذا ربما رغبة في تمكين عديد الدواوير والفخذات من قبائل الحياينة من تسويق منتجاتها والتزود بحاجياتها الضرورية.

³⁷³ -A.M, Bureau Economique de Fès, R.E.M, Août 1925, p.3

³⁷⁴ -A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, Août 1925, p.1

جدول رقم 15: أنواع المواد المعروضة بأسواق الدائرة خلال شهر غشت 1925:³⁷⁵

المواد الغذائية	ثمن الوحدة بالفرنك	ملاحظة
قالب سكر	10.00	2 كلف في القالب الواحد
شاي أخضر	10 إلى 12	للرطل
صابون	1.25	للقطعة
الشمع	3.00	للحزمة
القطن	5.00	للمتر
منتجات مغربية أصلية		
جلود البقر	45	للجلد
جلود الغنم	25	
جلود المعز	15	
دقيق (طحين) التغذية:		
القمح الصلب	100	للقنطار
القمح Blé tenar	105	
شعير	70 إلى 75	
منتجات أخرى		
زيت الزيتون	8	للتل
البهائم		
خيول مسرجة	1.100	فرنك
خيول الخزام	400 إلى 800	
الأفراس (انثى الخيل)	600 إلى 1200	
المهور	300 إلى 500	
بغال السرج	1200 إلى 2000	
بغال الخزام	300 إلى 700	
الحمير	100 إلى 300	
عجول	300 إلى 500	
أبقار	200 إلى 400	
الثيران	400 إلى 800	
العجلات	100 إلى 200	
الماعر	25 إلى 60	

³⁷⁵ -A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, 1ere Septembre 1925, p.1

من خلال الجدول أعلاه يمكن أن يستشف طبيعة المنتوجات المحلية المتوفرة بالمنطقة وكذلك المستوردة، فحضور عديد المواد من قبيل السكر والشاي والصابون والشمع والقطن، ما هو إلا تعبير عن ثقافة سكان ومدى ارتباطهم في الحياة بتلك المواد، التي كان يوفرها المخزن سابقا والآن سلطات الحماية، فهو في الحقيقة نوع من سياسة الاقتصاد الموجه للإغراء، ودفع سكان القبائل للإنجذاب نحو مطاوعة السلطة القائمة، للحصول على هكذا مواد، التي تكون بمثابة سياسة اقتصادية في شيء جذاب والتي يتم من خلالها "جلب القبائل باستخدام تقنيات اقتصادية، باقتراح منتوجات جديدة (سياسة الشاي، والسكر، والقطن)"³⁷⁶.

³⁷⁶ - ابن المليح عبد الله، م.س، ص. 214.

2-3 الأسواق بُعيد حرب الريف 1926

مع انحصار حرب الريف، أصبحت المنطقة تعرف عودة عديد أسواق المنطقة إلى الانعقاد مجددا، أو أصبحت أماكنها بالقرب من المراكز الفرنسية، وهو ما يتبين من خلال التتبع الدوري لحركة هذه الأسواق ومدى رواجها الأسبوعي والشهري داخل الدائرة خلال سنة 1926، مع تسجيل زيادة الرواج في أسواق قبيلة الحياينة وتباطئه فيما يخص السلع المحلية، مع حرص الجهاز الاقتصادي الفرنسي على رصد مدى توفر مادة الحبوب الأساسية بالأسواق ووضعية أسعارها، وتتبع حالة الأهالي بمنطقة ورغة العليا الذين دارت بمناطقهم الحرب، حيث استحسن تقرير شتنبر عودة الأسواق إلى الانعقاد بالجبهة الشمالية، التي أصبحت تعرف أعلى رواج للأسواق بالمنطقة بسبب أهالي الجبل الذين يقبلون عليها للتزود بالمؤن³⁷⁷.

استمرت وضعية أسواق ورغة العليا في التحسن بشكل مستمر من حيث رواجها، وكذا حركيتها بالجبهة الشمالية، بفعل التزود المستمر للأهالي من حاجياتهم الضرورية من المؤن لعيشهم خلال الأشهر المقبلة³⁷⁸، هذا الأمر يحيل على حصول شبه فراغ إقتصادي ببعض المناطق، مما يفسر التبعثر بهذا الحجم (التبعثر لأشهر مقبلة)، أو ربما يرجع الأمر إلى تمكن الفلاحين من تصريف منتوجاتهم، التي مكنتهم من اقتناء حاجياتهم الغير المتوفرة، خاصة من مادة الحبوب التي ستعرف بعض الإرتفاع في ثمنها نتيجة ارتفاع الطلب عليها كمادة أساسية في النشاط الفلاحي³⁷⁹.

في ظل استمرار عجز الأسواق عن توفير عرض يفوق الطلب من مادة الحبوب، سيبقى عديد الفلاحين في حالة ترقب للأسواق المقبلة في انتظار انخفاض أسعارها، وهو ما ترك أراضيهم دون حراثة، كما يمكن أن يحدث هذا التأخر كذلك نتيجة للأحوال أو الظروف المناخية السيئة التي قد تعرفها المنطقة التي تمنع انعقاد عديد الأسواق بها، خاصة بمجالها الجبلي، حيث يكون تنقل الأهالي من قراهم صعبا للغاية في ظل وعورة المسالك وهشاشتها، مما يعيق

³⁷⁷ - A.M, R.E.M, Cercle du Haut-Ouergha, Septembre 1926, p.1

³⁷⁸ - A.M, R.E.M, Cercle du Haut-Ouergha, Octobre 1926, p.1

³⁷⁹ - A.M, R.E.M, Bureau Economique de Fès, Novembre 1926, p.3

وصول القدر الكافي من الحبوب إلى أسواق المناطق الحدودية، التي قد تكون قادمة من مناطق غنية بهذه المادة أو تتوفر في أسواقها بكثرة، كالحياينة من نفس الدائرة وبقبيلة بني زروال المجاورة، مما كان يؤدي إلى ارتفاع أثمانها³⁸⁰. فمع تحسن الأحوال الجوية يظهر الإقبال الجيد على الأسواق ورواج الأنشطة التجارية في جزء كبير من المنطقة الجبلية، حيث يأتي السكان لبيع منتجاتهم (فواكه، زيوت، عنب جاف) بالأسواق وشراء الحبوب، التي تفتقر إليها في جزء كبير منها، والتي تبقى أسعارها خاضعة لمبدأ العرض والطلب بالدائرة³⁸¹.

المعطى السابق يوضح بشكل جلي ارتباط ساكنة ورغة العليا بمجالهم وصعوبة التخلي عنه واعتماد الاستقرار كركيزة أساسية للعيش، ما دامت الساكنة تعتمد إلى جانب زراعة الحبوب في مجالها الجبلي على غراسة الأشجار التي تبقى المورد الأساسي لحياة الجبلي في ظل كساد محصوله من الحبوب أو انعدامه كما حصل خلال فترة حرب الريف، الذي يستشف من خلال نوعية منتوجاتهم المعروضة بالأسواق التي ترتبط أساسا بما تنتجه المغروسات وكذا المادة الأساسية التي يتم شراؤها من السوق وعلى رأسها الحبوب، مما يجعل القول ممكنا بأن هذا الارتباط بين الجبل ومنخفضه يحقق تكاملا اقتصاديا بدائرة ورغة العليا، المعتمدة قبائلها على زراعة الحبوب بدرجة رئيسية في المنخفض، وعاليتها المعتمدة بدرجة أولى على غراسة الأشجار المثمرة (مشوية، رغيوة، مزيات ومزراوة).

بحلول موسم الحرث يزداد الإقبال على الأسواق بعد حصول انفراجات في الأجواء، فخلال شهر دجنبر 1926م، كانت الأسواق بدائرة ورغة العليا تعرف إقبالا متزايدا ورواجا كبيرا، فكانت الحبوب أكثر المواد طلبا، نتيجة رغبة ساكنة القبائل في الحصول على بذور الزرع لأراضيهم، التي ظلت على الرغم من تدخل الشركة الأهلية الإحتياطية، بحاجة إلى مزيد من الدعم وتوفير هذه المادة الحيوية، خاصة بقبائل أولاد عمران ومزراوة ومزيات ورغيوة؛ نتيجة الضرر الحاصل إبان فترة مقاومتها للمستعمر الفرنسي، وكان هدف "الأهالي" من هذا الإقبال، حسب التقرير

³⁸⁰ - ibidem

³⁸¹ -A.M, R.E.M, Cercle du Haut-Ouergha, Novembre 1926, p.1

الاقتصادي الفرنسي هو أن يكونوا قادرين على دفع ضريبة الترتيب³⁸². وقد عرفت مادة الحبوب انخفاضاً واضحاً خلال هذا الشهر عكس الارتفاع المهول الذي عرفته في الشهر الفائت، وهو ما استحسنته سلطات الحماية إضافة إلى استمرار ظهور بشائر موسم فلاحي واعد، الأمر الذي سيكون "أنجع من أي وسيلة إدارية في فتح أغطية المطامر" حسب التقرير الفرنسي³⁸³، من هنا تتضح المقاصد الخفية من وراء سهر سلطات الحماية على تتبع رواج مادة الحبوب، ومدى نجاعة تدخلها لتوفيرها "للأهالي" بضمن مناسب، رغبة في أن تحصل بدورها على عائدات جيدة من ضريبة الترتيب، التي ستفرض على الساكنة التي ستحرث أراضيها، قس على ذلك الرواج الدوري للأسواق بمنطقة ورغة العليا، وما ستعرفه هذه الأسواق من استخلاص لضرائب مهمة، نتيجة عرض منتوج معين.

فبالأسواق تعد من بين المعايير المهمة التي وظفتها سلطات الحماية، حتى بعد سيطرتها ونهاية حرب الريف لمعرفة حقيقة الوضع الاقتصادي بورغة العليا، ومدى إمكانية تحسن الوضع الفلاحي للمنطقة خلال الموسم الفلاحي القادم، بعد الفراغ الذي سببته الحرب بالمنطقة من استنزاف لمخزونات الحبوب، وكذا لانعدام انشغال الأهالي بحراثة الأرض في ظل اشتعال حرب محمومة لبسط النفوذ الفرنسي أو مقاومته من طرف القبائل، الشيء الذي يجعل السواعد القادرة على العمل في هذه الفترة، مضطرة للهروب أو للمشاركة في المعارك الدائرة.

فالسوق هو الخيار الأفضل، لرصد مدى رغبة الساكنة الإنخراط في إعادة زراعة أراضيهم بعد نهاية الحرب، حيث ستقوم سلطات الحماية بتزويد أسواق ورغة بالمواد الأساسية التي تفتقر إليها المنطقة، والقيام بإحصاء للأهالي الذين تضرروا من الحرب، بغية تقييم درجة التعافي اقتصادياً لمدخل الساكنة، لتأدية ما عليها من ضرائب كغرامات حرية توجد على عاتق الفرق والقبائل التي قاومتها، وكذلك بغية تحصيل مردود فلاحي جيد يحفز الساكنة على

³⁸² A.M, R.E.M, Cercle du Haut Ouergha, Décembre 1926, p.2

³⁸³ A.M, R.E.M, Bureau Economique de Fès, Décembre 1926, p.3

الاستقرار، لتأتي بعدها عملية القيام بإثقال كاهل الأهالي بعد نضج محاصيلهم لدفع ما عليهم من ضريبة الترتيب³⁸⁴،
خلال القادم من السنوات لتغطية نفقات تدبيرها للمنطقة.

لم تكن الأسواق بدائرة ورغة العليا، منفذا فقط لتصريف سياسة اقتصادية وتديرية وإحصائية في الجانب
الإنتاجي الفلاحي فقط، بل تعدت هذا الدور إلى دور مالي واضح، ففي كل التقارير الاقتصادية الشهرية للدائرة كان
يتم رصد مدى رواج العملة الفرنسية ومقارنة قيمتها خلال كل شهر مع قيمة الدورو الحسني، الذي كان لازال متداولاً
بالمنطقة وبجبال المناطق المجاورة، كأن السوق "بورصة" ليس فقط للمنتوجات والبضائع وتقييم أسعارها تبعاً لمبدأ العرض
والطلب، بل أيضاً لتقييم الفرنك الفرنسي نظير هذه العملة (الدورو الحسني)، التي سجلت انخفاضاً ملموساً في شهر
نونبر حيث بلغت قيمة الدورو ما بين 14 و15 فرنك³⁸⁵.

³⁸⁴ A.M, R.E.M, Bureau Economique de Fès, Novembre 1926, p.3

³⁸⁵ A.M, Statistique Economique, Cercle du Haut-Ouergha, Décembre 1926, p.1

خاتمة الباب الأول

يكشف الباب الأول عن تحديد مجال الدراسة والتعرف عليه وفق ثلاث مستويات، فالمستوى الأول هم التعرف على مقومات المنطقة وأساليب التوغل الفرنسي، أما المستوى الثاني فارتبط بتحديد مسار التخطيط الفرنسي بغية احتلال المنطقة، ورصد التحديات التي واجهته في ذلك بداية من سنة 1913م وتمركزه بتيسة وصولاً ل سنة 1924م وتأسيس مركز تاوانات، في حين المستوى الثالث كان فيه الحديث عن اندماج المقاومة ومراحل مواجهة الاحتلال، وآثار الحرب على المنطقة. هذه المستويات الثلاث تم فيها الخروج بمجموعة من المدارك كانت أساسية للتقدم صوب الباب الثاني، وجاءت موزعة في ثلاث مستويات على الشكل التالي:

المستوى الأول: تم فيه التعديد لموضوع البحث من خلال التعرف على خصوصيات منطقة الدراسة في ثلاث جوانب (طبيعية، بشرية، إدارية)، حيث كان التعرف فيه على مجال الدراسة وأهميته الاستراتيجية، والخصائص الطبيعية للمنطقة، من شبكة مائية ومناخ وتضاريس، التي كان لها دور في تدرج الاحتلال الفرنسي للمنطقة؛ كما كان تتبع خصائص المقومات البشرية للمنطقة (القبائل، الإحصاءات السكانية)، فهي محدد رئيسي لنوعية الثقافة السائدة بالمنطقة الراضة للإحتلال، من منطلق الثقل البشري لكل قبيلة على حدى، ثم شكل التقسيم الإداري الذي عرفته المنطقة وتتبع مراحلها، وهو الأمر الذي مكن من فهم مراحل تطور شكل الدائرة إداريا تبعا لمرحلتين أساسيتين، هما مرحلة التقدم العسكري ومرحلة انتهاء المقاومة وبداية الإشراف الإداري التدبيري. ثم برزت ضمن هذا المستوى الآليات والأساليب التي وظفها المستعمر لاختراق المنطقة، ومحاولة تثبيت تواجدته والتضييق على حياة القبائل، التي لم تكن بتلك السهولة التي تصورها المستعمر، بعد أن عرفت مراحل من التفكك والضعف، ومراحل أخرى من القوة والاندماج في عملها المسلح، أتعبت المستعمر وفرضت عليه توظيف كل الإمكانيات المتاحة لديه.

المستوى الثاني: تم فيه التعرف على المخططات الفرنسية، التي وضعت للتدرج في احتلال المنطقة، هذا الاحتلال لم يكن يسيرا على القوات الفرنسية، فهذه الأخيرة واجهت مخططاتها المسطرة مجموعة من العراقيل بفعل

ظروف عالمية وأخرى محلية، أخرت توغلها صوب قبائل الدائرة المتواجدة بالقرب من قبائل المنطقة الإسبانية، بداية من الحرب العالمية الأولى ونقص القوات الفرنسية، ومحليا من خلال مقاومة القبائل بزعامة عبد المالك، وصولا للدور الذي لعبته حرب الريف في الدفع بالقوات الفرنسية إلى وضع المنطقة ضمن أولياتها سنة 1924، حيث ظهر الريفيون كتحد صعب لهذه القوات، الذين ساهم دخولهم للمنطقة بشكل كبير في تأخير توغل القوات الفرنسية، مما جعل الفرنسيين يركزون كل مجهودهم الحربي للزحف على قبائل المنطقة.

المستوى الثالث: وهي المرحلة التي عرفت فيها قبائل المنطقة ومعها المقاومين من مختلف المناطق، أقوى فترة من تهديد المقاومة المسلحة للقوات الفرنسية خلال سنة 1925، بعد أن كاد هذا الاندماج أن يفضي إلى القضاء نهائيا على التواجد الفرنسي بالمنطقة بشكل كلي، وتهديد شريان إمدادات القوات الفرنسية (خط الربط بين فاس والجزائر)، حيث ضاقت القوات الفرنسية أشد خسائرها ثقلا منذ زحفها على المنطقة سنة 1924م، فقد عصفت تحالف القبائل بمكانة ليوطي، الذي ظهر عاجزا عن صد تقدم المقاومين وتهديد معاقل قواته، وصولا إلا مرحلة استعادة القوات الفرنسية للمبادرة والسيطرة بشكل كلي على قبائل الدائرة، ثم في الأخير تم رصد جوانب من تأثير المعارك التي دارت رحاها بالمنطقة على قبائل الدائرة، التي كانت لها تبعات اجتماعية واقتصادية تم رصد تظاهراتها في عدة مستويات، استمر تأثيرها لما بعد نهاية الحرب، كان أهمها خسائر اقتصادية للقبائل، وبروز أزمة فلاحية خانقة بالمنطقة، إضافة إلى خسائر بشرية وغرامات حربية فرضت على قبائل الدائرة كعقاب لها على مرحلة المقاومة.

فهذا الباب كانت نهايته بمثابة تقعيد للباب القادم، من خلال فهم شكل المنطقة ومراحل احتلالها من القوات الفرنسية، والمجهودات التي بدلت من طرف المقاومة التي في النهاية فاقتها القدرات اللوجيستكية المتواجدة لدى المستعمر، حيث كانت هذه المراحل ضرورية لفهم المرحلة الثانية من التخطيط الفرنسي، فبعد مرحلة التخطيط للإحتلال العسكري جاءت مرحلة توظيف التصور الفرنسي للسياسة الأهلية وتدبير شؤون الساكنة، وفق خصوصيات المنطقة، استعمل فيها الجهاز الاستعماري وسائل وأساليب مختلفة هدفت إلى تثبيت التواجد الفرنسي.

الباب الثاني:

جوانب من الاستراتيجية الفرنسية في تدبير المنطقة:
على المستوى الحدودي والاجتماعي والاقتصادي
والسياسي.

الفصل الأول: مسألة حدود الدائرة مع الجانب الإسباني، والتحديات
المتربة عنها.

الفصل الثاني: البنية التحتية والتدبير الاقتصادي آلية لإحكام
السيطرة الفرنسية.

الفصل الثالث: معالم من السياسة القايديية بدائرة ورغة العليا
وعلاقتها بالجهاز الاستعماري

مقدمة الباب الثاني:

يقتضي النباش في كيفية تدبير المستعمر لدائرة ورغة العليا، البحث في مقومات هذا التدبير وفق خصوصيات المنطقة، هذه الخصوصيات سيكون لها الأثر البالغ في إعطاء الصورة المكتملة عن شكل هذا التسيير الذي نهجته الإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي ستبرز انطلاقاً من مكتب تاوانات كمركز إشرافي للدائرة يقوم بعملية الربط مع باقي المكاتب والإشراف على المنطقة.

الاشتغال على فهم شكل التدبير الفرنسي بعد مرحلة المقاومة المسلحة، سيقضي وضع المنطقة من جانبها الإشرافي الحدودي في وضعية تتبع لمراحل تسطير هذه الحدود، التي ستعرف تطورات مختلفة ومعها ستظهر تحديات ومصاعب، كان لابد للجهاز التدبيري المحلي الوقوف عندها والعمل على حلها، فهذه المشاكل الحدودية ستستمر بأشكال مختلفة (اجتماعية، اقتصادية، سياسية) طيلة مراحل التواجد الفرنسي بالمنطقة.

كي تُفعل سلطات الحماية الأجرة المثالية لمخططاتها الاستعمارية في مختلف المجالات بالمنطقة، كان لابد لها من وضع بنية تحتية تساعد على هذه الأجرة، وإحكام السيطرة على الدائرة، هذه الأجرة ستبرز تجلياتها في مستويات مختلفة من حياة السكان، حيث سيعمل جهاز الحماية على محاولة كسر البنى التقليدية التي كانت سائدة في المرحلة القبلية، ومحاولة فرض الشكل العصري لتدبير المنطقة في هذا المستوى، ثم التدبير القايدي كآلية من آليات التوظيف الاستعماري لأجرة سياسته التدييرية، فهذا التوظيف للقياد ستكون له خصوصيات ومحددات، تختلف من مكتب إلى آخر داخل حدود الدائرة، تبعاً لمميزات كل واحد عن الآخر.

يرمي هذا الباب إلى إعطاء صورة أوضح عن كل ما جاء في الفقرات السابقة، بهدف التمكن من فهم خصوصيات المنطقة على مستويات مختلفة، وذلك سيكون بالإجابة على تساؤلات مختلفة من قبيل: كيف جاء ترسيم الفرنسيين لحدود الدائرة المقابلة مع الجهة الإسبانية ومراحلها؟، وما هي المشاكل التي طرحها توفر الدائرة على هذه الحدود؟، وما شكل البنية التحتية المنجزة التي ارتكز عليها المستعمر في تدبيره؟ وما نوع التدبير الذي وظفه المستعمر لإحكام سيطرته على المنطقة؟ وما هي معالم السياسة القايدي بالدائرة وعلاقتها بسلطات الحماية والسكنة، كأداة إجرائية مهمة يوظفها الجهاز الاستعماري؟

الفصل الأول: مسألة حدود الدائرة مع الجانب الإسباني، والتحديات المترتبة عنها.

عرف تسطير حدود المنطقة في الجانب المقابل للمنطقة الإسبانية، تطورات ومراحل متعددة، منذ سيطرة القوات الفرنسية على قبائل الدائرة، حيث برزت هذه الحدود بتوقيع مجموعة من الاتفاقيات بين الجانب الإسباني والفرنسي، لكن هذه الاتفاقيات التي كانت توقع بين الجانبين، عرفت مجموعة من المتغيرات وتحكمت فيها عديد الدوافع الداعية إلى توقيعها، وقد عرفت مسارا طويلا من التدقيق والأجرأة على أرض الواقع، حيث كان للفرنسيين دراسة مسبقة عن كل اتفاقية، والنقط الأساسية التي يجب استحضارها، وتقديم الحجج المناسبة لتبرير المكاسب الترابية التي يحققونها، بعد تحقق السيطرة العسكرية على عدة قبائل، كانت في اتفاقيات سابقة تدرج ضمن النفوذ الإسباني.

لعب مكتب تاوانات من خلال ضباطه دورا حاسما في ضبط مجال حدود الدائرة، كما سهروا على تفعيل سياسة مواتية لحل هذه المشاكل الحدودية بين قبيلة مثيو وصنهاجة السراير، بغية معالجة المشاكل التي طفت على السطح بين فرق القبيلتين، نتيجة التقسيم الاستعماري، حيث برزت سياسة تديرية خاصة لتسطير حدود المنطقة، وفق منهج دبلوماسي تفاوضي وتوافقي مع الجانب الإسباني.

تواجد المنطقة على الشريط الحدودي مع الإسبان، جعل الضباط الفرنسيين من خلال مكنتي "تاوانات" و"حدادة"، يُفعلون سياسة تديرية تتماشى مع خصوصيات الشريط الحدودي، الذي خلق مجموعة من الإشكالات لضباط الدائرة، ومجموعة من التحديات التي وجدوا أنفسهم معها مجبرين على تطوير أساليبهم والتحرك وفق ضوابط، لتطويق المشاكل والتحديات التي خلفتها هذه الحدود، طيلة مرحلة التواجد الفرنسي بالمنطقة، دون إغفال الحضور الإسباني على الجانب المقابل الذي أصبح يطور سيطرته على مناطقه ويريد معاملة على قدم المساواة.

المحور الأول: تسطير الشريط الحدودي لدائرة ورغة العليا

ظلت مسألة الحدود حاضرة في قلب العلاقات الفرنسية الإسبانية طيلة تواجدهما بالمغرب، وهي علاقة حكمها في الغالب شعور بالغبن من طرف الإسبان في كل مرة تقوم فيها فرنسا بفرض الأمر الواقع، من خلال سيطرة فعلية على الأرض أو عبر إشعار الإسبان بقصورهم، وضعفهم فيما يخص القدرة الفعلية لهم في السيطرة على مجاهم المتفق عليه قبل احتلال المغرب، خاصة مع ما عانته الجيوش الإسبانية جراء هزيمة أنوال أمام الثوار الريفيين.

عرفت إسبانيا أوضاعا صعبة لولا تواجد المساندة الفرنسية للقضاء على الثورة الريفية، أو خلال ما عرفته إسبانيا من شتات سياسي داخلي حول السلطة، وظهور الضعف على النظام الديكتاتوري، حيث ستعيش إسبانيا اضطرابات وصراعات متتالية حول السلطة بين الاشتراكيين والجمهوريين واليمين مع ظهور محاولات لإنقلابات عسكرية على الحكومة الإسبانية طيلة فترة "النظام الجمهوري" 1931-1936³⁸⁶، كان أولها محاولة الانقلاب الفاشل للجنرال خوسي سانخورخو سنة 1932، ووقوع أعمال عنف بالمدن الإسبانية سنة 1934، بعد دخول الاشتراكيين المؤيدين لاستمرار الجمهورية في صراع عنيف مع المناصرين لعودة الملكية، تلاها انهيار الحكومة الإسبانية. أمام هذا الوضع سيتدخل الجيش كطرف للحيلولة دون تفكك إسبانيا، لتبدأ بذلك حرب أهلية، وحدوث انقلاب سنة 1936م، وهو ما أضعف إمكانية وجود مفاوضات قار يواجه الفرنسيين، يجنب الإسبان استغلال فرنسا لهذا التفكك، في ظل المشاكل الداخلية التي أصبحت إسبانيا غارقة فيها. كل هذه الأمور وغيرها جعلت من فرنسا قوة تركز على التواجد الميداني لتسطير الحدود، بغض النظر عن الاتفاقيات والخرائط التي تم وضعها سابقا، حيث وجد الإسبان أنفسهم أمام تصورات مختلفة للشريط الحدودي ستظهر من خلال ما سيتم إدراجه من خرائط.

³⁸⁶ - برادة عبد الرحيم، إسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956، جزأين، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ج.1، ص.270

1- الاتفاقيات الفرنسية الإسبانية

التأصيل لمسألة التنافس الحدودي بين الدولتين حول المغرب قديم وينطلق من أقدمية التواجد الإسباني بالثغور المغربية منذ قرون خلت، فالمغرب أصبحت تعتبره إسبانيا مشروعاً مستقبلياً لتوسعها وتحقيق تنازلات من المخزن، الأمر الذي اتضح مع شنها حرب تطوان 1959-1960 على المغرب. وسعيها لكسب متنفس أرحب لثغري سبتة ومليلية، على حساب دولة مغربية تعيش وهنا بينا.

بدأ احتكاك القوات الفرنسية بمسألة الحدود المغربية منذ احتلالها للجزائر سنة 1830م، حيث شنت معركة خاطفة بعنادها المتطور، على جيش المغرب العتيق في معركة إيسلي سنة 1844م، أعقبها توقيع معاهدة للامغنية مع المغرب سنة 1845م لترسيم حدوده والإقطاع منه تدريجياً، حيث جاءت المعاهدة لتكرس غموضاً أكبر حول هذه الحدود بين مستعمرة الجزائر والمخزن، لتكون منفذاً لتجاوزات الجنود الفرنسيين حسب هواهم وتبريراتهم، فإلى حدود هذه الفترة ظلت هذه العلاقات الحدودية مرتبطة بالضغوط الممارسة على المغرب، لتقديم مزيد من التنازلات، في ظل الابتعاد عن أي احتكاك حدودي بين القوتين الاستعماريتين الضاغطين (فرنسا-إسبانيا).

خلال سنة 1904 ستوقع الدولتان الطامحتان للإنفراد بالمغرب اتفاقية سرية حول المغرب، فقد ظلت فرنسا في إطار التمهيد لسيطرتها على المغرب، تعمل على استبعاد منافسيها، مع بقائها ملزمة باحترام الاتفاقية الوحيدة التي وقعتها مع إسبانيا، لكن فرنسا بقيت المسيطرة على الوضع حتى في ظل هذه الاتفاقية، نظراً لإمكاناتها البشرية والمادية، والخطط المسخرة لاحتلال المغرب بشكل مدروس، عكس إسبانيا التي عانت من مشاكل متفاقمة داخلياً.

المواجهة الغير المباشرة بين فرنسا وإسبانيا حضرت طيلة سير المغرب نحو توقيع معاهدة الحماية، بداية من سنة 1906م بدأت فرنسا في التوسع من جهة الشرق والجنوب، مستغلة فترة التمردات والاضطرابات الداخلية التي أصبح يعرفها المغرب وتزداد استفحالاً، خاصة مع ظهور الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) كمتنمر عنيد دوخ المخزن بكثرة مناوشاته

أنظر الخريطة الإسبانية التي توضح

ترسيم الحدود بين المنطقتين وفق

المعاهدات المبرمة إلى حدود 1912

(*****)

واستفحال تهديده لكيان المخزن، وتفرقة كلمة القبائل، الأمر الذي لم يمكن المخزن من ملزمة مجهوده الحربي لصد التهديد الأجنبي، بذلك ستستغل فرنسا هذا التفكك في الوصول إلى توسيع مناطقها المحتلة إلى غاية واد ملوية، وهو ما أثار حفيظة الإسبان من خلال تخوفهم من تجاوز فرنسا لهذا الوادي، الذي كانوا يعتبرونه الخط الفاصل بينهم وبين فرنسا في حالة احتلالهم للمغرب، لتبدأ إسبانيا في العمل على وضع موطئ قدم في الداخل المغربي لضمان ما تعتبره تابعا لسيطرتها عند اقتسام المغرب، فأقدمت على إنشاء 52 موقعا عسكريا في الجهة الشرقية لواد ملوية³⁸⁷، وقد وقعت الدولتان إلى حدود سنة 1913م ثلاث اتفاقيات حدودية: 1902، 1904، 1912، حيث كانت تعرف هذه الاتفاقيات في كل مرة تعديل فيها، تحقيق مكاسب ترابية لصالح الفرنسيين³⁸⁸.

بعد وساطة انجليزية، التي بدورها تحركها مصالحها، وقعت فرنسا وإسبانيا في 27 نونبر سنة 1912 إتفاقا خاصا بالحدود بين المنطقتين الشمالية والجنوبية الإسبانية، ومن ضمن ما تم الاتفاق عليه في مسألة الحدود بين المنطقة الخليفة والسلطانية، الحدود الشمالية لفاس التي يدخل ضمنها مجال الدراسة، "حيث حدد الاتفاق على حيازة فرنسا للحوض الأوسط لورغة"³⁸⁹.

³⁸⁷ - نفسه، ج.2، ص.137
³⁸⁸ - أنظر الخريطة الإسبانية التي توضح ترسيم الحدود بين المنطقتين وفق المعاهدات الثلاث: 1902، 1904، 1912. حيث تظهر عديد المتغيرات التي طرأت على الحدود والتي كانت كلها تصب في صالح الفرنسيين.
³⁸⁹ - برادة عبد الرحيم، م.س، ص.139

2- تسطير حدود ورغة العليا

نظريا، كان المجال الورغي الأعلى سياترك لإسبانيا حسب التصور الإسباني للاتفاقيات السابقة، لكن فرنسا ستسيطر عليه واقعيًا، إبان خوض إسبانيا لحربها ضد الثورة الريفية بمنطقتها، التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي، بعد أن برز عجزها الواضح في الوصول إلى تلك الحدود، في ظل المقاومة الشرسة التي واجهتها جيوشها من قبائل الريف. استغلت فرنسا هذا الوضع سنة 1924 لتدوس على الاتفاقيات السابقة، خوفا من المكاسب التي أصبح يحققها المقاومون الريفيون أثناء توجيههم صوب المناطق الحدودية التي من المفترض أن تسيطر عليها القوات الفرنسية والإسبانية، وهو الأمر الذي اعتبرته إسبانيا في بداية الأمر إنقاصا لها وحيفا مours بحقتها بعد أن تحركت القوات الفرنسية بشكل أحادي، لكنها سلمت بالأمر الواقع مع مساندة فرنسا لها في الانتصار بحرب الريف، ما جعلها تفكر في أسلوب التفاوض والحوار للخروج بتوافق مع الفرنسيين حول مسألة الحدود³⁹⁰، وهو ما هدا من حدة الاحتقان والتضارب حول هذه المسألة ولو بشكل مؤقت.

مقابل تعاونها مع مدريد على إنهاء حرب الريف، احتفظت فرنسا بمنطقة شمال ورغة، رغم أن اجتماعات مفاوضي الطرفين بمدريد في 2 يوليوز سنة 1925م لم تسفر عن نتائج حاسمة فيما يخص ترسيم الحدود بين الدولتين بشكل واضح، حيث ركزت فرنسا في اقتراح وجهات النظر على المطالبة بوضع حدود دقيقة لاتفاقية 1912م بين المنطقتين، لتسريع وتيرة العمل السياسي والعسكري على القبائل الثائرة بالمنطقة الشمالية لورغة³⁹¹.

أكدت فرنسا أن مطالب الخبراء الفرنسيين تتمركز حول تدقيق الحدود وليس إعادة تحديدها كما يعتقد الإسبان³⁹²، وتشمل ثلاث نقط أساسية من بينها الضفة اليمنى لورغة، الأمر الذي اعتبره الخبراء الإسبان أمرا سابقا لأوانه للتفاهم حول السيطرة على القبائل الثائرة قبل انتهاء حرب الريف، مؤكدين في اجتماعهم مع نظرائهم

³⁹⁰ - سيتم الحديث في مقبل الفقرات عن نوع هذا التوافق من خلال إبرام الدولتين لاتفاقيين حدوديين سنتي 1925 و 1926.

³⁹¹ - A.D.N, Annexe à la Lettre de Madrid n° 4 du 3 juillet 1925, **résumé de l'entretien entre experts militaires qui a eu lieu le 1^{er} juillet 1925 au sujet de la limite des zones française et espagnole**, pp.1-3

³⁹² - انظر خريطة التصور الإسباني للحدود بين المنطقتين خلال سنة 1922.

الفرنسيين، على عدم قدرة إسبانيا تقديم المزيد من التنازلات بخصوص الأراضي وإعادة تسطير الحدود مجدداً، بنفس الشكل الذي طالب به الفرنسيون في سنوات 1902، 1904 و 1912³⁹³.

2-1 الخصوصيات المجالية والسياسية للمنطقة في صلب التفاوض الفرنسي الإسباني

ركز الإسبان سنة 1925 في مفاوضاتهم مع الجانب الفرنسي حول حدود قبائل الضفة اليمنى لنهر ورغة، على إعطاء الأهمية البالغة بالدرجة الأولى لأحقية ضمهم لقبيلة بني زروال، وبدرجة أقل حول مسألة حدود قبيلة مثوية³⁹⁴، وبذلك تعددت المطالب والدفعات المقدمة من كل طرف للدفاع عن طروحاته، والتي أسس الإسبان حججهم فيها على كون قيمة قبيلة بني زروال تكمن في أهميتها الاقتصادية كمزود مهم للريف بالحبوب، وأن المجال الحدودي الإسباني، يجب أن يتواجد في قبائل الضفة اليمنى لنهر ورغة المرتبطة اقتصاديا بالريف، والمقابلة للضفة اليسرى المحتلة من طرف القوات الفرنسية. هذا الأمر سيفنده الفرنسيون، بالقول على أن مجال تغطية فاس لحدوده الشمالية يمتد إلى قبائل الضفة اليمنى لورغة بمحاذاة الريف، وعلى مسافة كافية من القبائل الفلاحية "الغير حربية تماما" بمنسب الحيانية وشراكة، وأن قبيلة مثوية هي تابعة للمجال الذي سطرته فرنسا في احتلالها لقبائل الضفة اليمنى لنهر ورغة³⁹⁵.

هذا، وقد ركزت فرنسا في مفاوضاتها على جانب أطروحة الهاجس الأمني، من خلال إلحاحها على تخصيص مسافة كافية بين الحدود القريبة من الريف ومنطقة فاس، ضمانا لخط دفاعي كاف لتطويق المشاكل الحدودية، والحفاظ على مكسب القبائل الفلاحية بامتياز (بني زروال)، وتلك التي تم السيطرة عليها لموقعها الاستراتيجي (مثوية). بالمقابل، كانت لإسبانيا رغبة قوية في الحصول على جزء من المغرب النافع -حسب الوصف الفرنسي-، الذي تدخل ضمنه قبيلة بني زروال الغنية بمواردها الفلاحية، مقارنة مع القبائل الريفية الفقيرة التي تنعدم فيها شروط الاستغلال

³⁹³-A.D.N, Annexe à la Lettre, op.cit, p.3

³⁹⁴-A.D.N, annexe à la lettre de madrid du 3 juillet 1925, Madrid, le 2 juillet 1925, Piece n° 4, p2.

³⁹⁵-ibid, pp. 3-4

الأمثل للأراضي. وبعد مفاوضات عسيرة دامت لست ساعات، أكد الطرفان على ضرورة تقريب وجهات النظر، في أفق التأسيس لاتفاقية ترتكز على نقاط الالتقاء والتوافق بين الجانبين³⁹⁶.

هذه المخرجات لم تمنع فرنسا من دفع إسبانيا إلى التسليم في كل مرة بالأمر الواقع، وأن أي تحديد في رسم أو نقل الحدود لن يكون دون مباركة وموافقة فرنسية، حيث كلما برز تحديد في منطقة من المفترض أن تكون تحت النفوذ الإسباني، إلا وقامت فرنسا بالسيطرة عليها بحجة حماية مصالحها وخططها الاستراتيجية³⁹⁷. وبذلك شكلت المنطقة الشمالية لورغة ذات أولوية أمنية بالدرجة الأولى للقوات الفرنسية، ومنفذا محتملا لتسرب كل القلاقل والتهديدات التي تهدد تواجدها واستمراريتها بالمغرب ككل.

تواصل المفاوضات بين الجانبين الفرنسي والإسباني حول مسألة الحدود والتأكيد على ضرورة وضع نقاط واضحة للحدود بين الجانبين، يفضي إلى القول على أن رغبة فرنسا في تحقيق مكاسب حدودية على الجانب الإسباني انطلاقا من حاجة هذا الطرف إليها، في القضاء على تهديدات الريفيين والقبائل المتبينة لخيار المقاومة وعلى رأسهم الثوار الريفيين، الذين أصبحوا مع مرور الوقت أكثر اقترابا من نفس التواجد الإسباني بالمغرب، وهو الوتر الذي أجادت فرنسا اللعب عليه، لشيئت سيطرتها العسكرية على المناطق التي مدت نفوذها إليها سياسيا، والتي من المفترض أن تكون حسب الاتفاقيات الأولى مع الإسبان قبل نشوب "حرب الريف" خاضعة لهم، وعلى رأسها قبيلة بني زروال وقبائل الضفة اليمنى لورغة حسب المنظور الإسباني.

³⁹⁶ -ibidem

³⁹⁷ - فرضت فرنسا الأمر الواقع حول قبيلة بني زروال منذ دخولها المبكر في اتصال مع الشريف الدرقاوي الذي كان يتزعم النفوذ السياسي الفرنسي بالقبيلة، ومعه بنت فرنسا تواجدها بالقبيلة على أسبقية ووجود تبعية مبكرة من طرف القبيلة لنفوذها السياسي.

أنظر خريطة التصور

الإسباني للحدود بين

المنطقتين الفرنسية والإسبانية

خلال سنة 1922

(*****)

أ- الاتفاقية الحدودية لـ 25 يوليوز 1925

كنتيجة للمفاوضات الفرنسية الإسبانية للخروج باتفاق جديد حول مسألة الحدود، ستتحصل فرنسا على اتفاق جديد مع إسبانيا بعد مفاوضات مدريد، سيوقعه الطرفان يوم 25 يوليوز 1925، تقرر من خلاله وضع الحدود الفرنسية على الضفة اليمنى لنهر ورغة تباعا على طول الحد الشمالي لقبيلتي ولاد بوسلامة ومثوية مع حدود بني زروال، حيث أصبح الشريط الحدودي يعبر فرق بني زروال من بني ملول و بني براهيم، مروراً بمرتفعات "قلعة بني قاسم" ونقطة وضعت على بعد 1 كلم شمال قرية "العين الباردة" وأخرى وضعت على بعد 2 كلم شمال غفساي، مروراً بجانب "زاوية مدرج" 25 كلم شرق سوق ثلاثاء بني براهيم، الشريط الحدودي وضع بالمنطقة الفرنسية فرقة ولاد قاسم وزاوية أمحوط، وعلى طول الشريط الحدودي من بني زروال إلى اللكوس توجد قبيلة بني مستارة مروراً بقبيلة غزاوة، هذ المسار الأخير يوجد على بعد 25 كلم من طريق فاس-القصر الكبير مروراً بوزان³⁹⁸.

استمرت دفعات الفرنسيين منذ بداية المفاوضات إلى غاية الوصول إلى الاتفاق، في التأكيد على أن التعديلات الحدودية والتقدم الفرنسي صوب مناطق ورغة العليا، والرغبة في السيطرة على قبيلة بني زروال بالكامل، هو نابع من حاجتها لضمان الحماية الكافية لفاس وللمواصلات الضرورية لأمن شمال إفريقيا الفرنسية، نتيجة للأحداث التي شهدتها المغرب³⁹⁹. وهنا يستشف شكل من أشكال العتاب الفرنسي حول عدم قدرة الإسبان في القضاء على الثورة الريفية، و استغلال الضعف الإسباني في مواجهة الأحداث التي عرفتها المنطقة الشمالية من المغرب وخروجها عن السيطرة، ما جعل فرنسا مهددة بتمدد الثورة الريفية، التي ستجر معها القبائل المتحالفة ومعها قبائل المنطقة الفرنسية للسيطرة على فاس. فقد عانت فرنسا من هذا الحضور الريفي، الولايات على طول الحدود الشمالية لمدينة فاس وعلى

³⁹⁸ - A.D.N, Direction des Affaires Politique, **accord entre la France et l'Espagne sur la limite des deux zones d'influence française & Espagnole (signé le 25 juillet 1925)**, pp. 2-3

³⁹⁹ -A.D.N. DIRECTION DES AFFAIRES POLITIQUE, Lettre du Peretti de la Rocca Ambassadeur de la France au Monsieur le président du Directoire Militaire de l'Espagne " Marquis de Estelle", Sujet : **l'occupation des Beni Zeroual**, 25 juillet 1925.

رأسها منطقة ورغة العليا، وكذلك ازدياد تهديد المقاومين الريفيين والمحليين (المقاومة)، للممر الاستراتيجي المتمثل في ممر تازة الحيوي، الرابط بين المغرب وباقي المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا ، فكلها نقط جعلت فرنسا تأخذ بزمام الأمور لصالحها، ولا تسلم بالأمر الواقع على أرض الميدان لما تم الاتفاق عليه سابقا مع الإسبان، أو انتظارهم لغاية تمكنهم من السيطرة على تلك القبائل، وهنا تبرز أهمية الأجرأة والتخطيط الذي فعلته فرنسا منذ تحركاتها الأولى صوب ورغة العليا وباقي المناطق، من خلال ربط العمل السياسي بالعمل العسكري لتوسيع النفوذ، واللعب على الصراعات والتوازنات المحلية.

ب- دواعي اتفاقية 25 يوليوز 1925 وأهدافها

ما ميز المفاوضات الفرنسية الإسبانية في هذه المرحلة، والتي خرجت باتفاقية 25 يوليوز، 1925 وكي يتم وضعها في سياقها التاريخي من الأحداث، تبعا للفترة التي أجريت فيها المفاوضات، وتبعاً لما تفصح عنه الوثائق الخاصة بمجريات المفاوضات قبل الخروج بالاتفاق النهائي⁴⁰⁰، فهذه الاتفاقية أبرمت في عز أوج التهديد الريفي للفرنسيين بمعاقله المتواجدة شمال فاس وضمنها مجال الدراسة، حيث عاشت القوات الفرنسية خناقاً شديداً على مراكزها التي حوصرت من طرف المقاومين الريفيين والمحليين منذ شهر ماي 1925، وهو ما يعني أن الاتفاق أبرم بهدف وضع شراكة عسكرية بين الفرنسيين والإسبان للقضاء على المقاومة الريفية بمعاقلها بمنطقة الريف، الأمر الذي أكدته إحدى مراسلات الجانب الإسباني ممثلاً في شخص Marquis de Estelle، والموجهة للسفير الفرنسي بمدير⁴⁰¹، هذه الشراكة استغلها الجانبين لتحقيق أهداف أحادية في قالب تشاركي، حيث فاوضت فرنسا من موضع قوة لتحقيق مكاسب استراتيجية:

⁴⁰⁰ - A.D.N, Direction des Affaires Politiques, accord entre la France et l'Espagne sur la limite des deux zones d'influence française & Espagnole signe le 25 juillet 1925, p. 3

⁴⁰¹ -A.D.N. Réponse du Marquis de Estella au l'Ambassadeur de la France, Sujet : l'occupation des Beni Zeroual, Madrid, 25 juillet 1925.

أولها: سياسي، يتمثل في إبعاد النفوذ الريفي عن المنطقة، التي تؤطر فيها العناصر الريفية، المقاومة المحلية ضد القوات الفرنسية، وإشغال الريفيين بالدود عن مناطقهم بالريف، وبذلك إبعاد القبائل عن الدعاية وتأثير الثورة الريفية، التي يعتبرها الفرنسيون المحرض الرئيسي للمقاومين المتواجدين بمنطقتهم.

الثاني: عسكري، يتمثل في القضاء على المقاومة الريفية بمعاقبتها في الريف، وبذلك القطع نهائيا مع إمكانية سيطرة الريفيين على مجال حماية الإسبان، وهو ما لا ترغب فيه القوات الفرنسية التي من المؤكد ستكون مهددة باستمرار.

الثالث: ممثلا في وعي فرنسا بحاجة إسبانيا إليها في القضاء على الريفيين في مجال حمايتها، وضرورة استرجاع هيبتها كدولة إمبريالية، واستغلال هذا المعطى كورقة ضغط لتحقيق مكاسب حدودية، وعلى رأسها ضم قبيلة مثنوة بشكل كلي، وكذلك الإقرار بحقوق فرنسا في احتلال قبيلة بني زروال ذات الأهمية الاقتصادية.

بمقابل ذلك راهنت إسبانيا على الشراكة العسكرية في ثلاث مستويات:

- ضمان العودة إلى معاقبتها القديمة بمنطقة الريف، والقضاء على أكثر أعدائها شراسة، لرد الاعتبار لقواتها المنهزمة في معركة أنوال سنة 1921.

- الاستعانة بالقوات الفرنسية، يعني مجهودا عسكريا كبيرا لن تقدر على توفيره لوحدها، والاستفادة من الخطط الفرنسية في المجال العسكري، وموقعها الخلفي للريف بغية تطويق عناصر المقاومة الريفية، وتشديد الحناق عليها، وعلى مصادر تموينها من المناطق الفرنسية، خاصة أمام ظهور بشائر قيادة جديدة للقوات الفرنسية تحت قيادة بيتان، الذي يركز في عقيدته العسكرية على الهجوم وضرورة تصفية الثورة الريفية بمعقلها التابع لإسبانيا.

- الإقرار بضرورة استمرار هذه الشراكة بعد نهاية حرب الريف، والاستفادة من نتائجها، وجعلها شراكة صداقة ثنائية⁴⁰²، وضمان توسيعها على طول الشريط الحدودي مع الفرنسيين، وبذلك الاستفادة من مساعدة الفرنسيين في استكمال سيطرة إسبانيا على مجالها الحدودي الموازي لهم.

ت- إتفاقية 10 يوليوز 1926

مسألة الحدود بين الجانبين الفرنسي والإسباني لم تكن لتنتهي بمجرد توقيع اتفاق واحد، حيث تبرز في كل مرة دعوات لتدقيق حدود بعض المناطق من الشريط الحدودي، خاصة من الجانب الفرنسي الذي لطالما اعتبر منطقة ورغة العليا موقعا ذو أهمية بالغة، في ظل تعدد الهواجس الأمنية المستفحلة بالمناطق الحدودية، على رأسها القادمة من قبيلة "صنهاجة السراير" التي تمتد حدودها الجنوبية عند فرقها كتامة وتغزوت و بني بوشيت بجوار قبيلة ميثوة الورغة، وعلى وجه التحديد عند قبيلة كتامة، التي برز توجهها نحو التسليح مع باقي فرق القبيلة الأم، التي تميزت بمقاومتها الشرسة للإسبان، وانطلاق أغلب هجمات المقاومين الريفيين وتجمعاتهم الموجهة صوب ورغة الوسطى والعليا منها⁴⁰³، حيث كانت تقوم قبيلة كتامة بمعية ثوار من مناطق مختلفة، بشن هجمات عديدة على قبيلة بني زروال المهمة للفرنسيين ومن ناصرها من قبائل ورغة العليا خلال حرب الريف، لتواصل احتضانها للمقاومين من فرق "بني بشير" و "بني احمد" من نفس قبيلتها الأم -التي لم يسيطر عليها الإسبان بعد-، لتشكيل فرق المقاومة التي تستهدف اتحادية بني زروال.

استشعر الجهاز العسكري والإداري للقوات الفرنسية، خطورة ما يقع على الجانب المقابل من حدود الدائرة، فهو يعرف جيدا من خلال تجاربه السابقة على أن أي منطقة خلفية مضطربة بالجانب الحدودي الإسباني، تعد بمثابة جبهة خلفية للثوار من قبائل ورغة العليا وغيرها لإعلان التمرد وتنظيم صفوف المقاومة، من خلال توفر إمكانية الفرار إلى تلك المناطق لاستكمال مقاومتهم للفرنسيين والتعبير عن رفضهم لسيطرة القوات الفرنسية على قبائلهم، على

⁴⁰² -ibidem.

⁴⁰³ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 13 au 19 juillet 1926, p.2

الرغم من قبولهم الاستسلام في فترة من الفترات، كما هو الشأن بالنسبة للنموذج الذي استعرضه التقرير السياسي الفرنسي لشهر غشت 1926 "الراضي ولد بوشتي قايد تموراس(مثبوة) الذي خضع في 16 يونيو 1926 بعد مقاومة باسلة، يعود إلى التمرد والفرار عند قبيلة كتامة في 23 يوليو، خوفا من انتقام سكان بوردود **Bou Redoud** الذين عانوا من الاضطهاد الشديد طوال فترة قيادته"⁴⁰⁴، لكن بمقابل خوف هذا القائد من انتقام القبائل التي كانت تحت سيطرته والتي عانت من اضطهاده الشديد كما تدعي التقارير الفرنسية، هناك ما هو مضمّر في ما حمله التقرير الفرنسي وهو بالأساس مرتبط بالخوف الدائم من إيجاد المقاومين والمعارضين لفرنسا في الحدود الشمالية، ملجأ لرص الصفوف بالمنطقة الإسبانية، التي لا زالت لم تخضع كلياً للنفوذ الإسباني، وهو ما دفع الفرنسيين إلى إثارة تلك المخاوف لدى الإسبان، حاولت إسبانيا من خلال إظهار تقدمها العسكري صوب هذه المناطق، العمل على طمأنة الجانب الفرنسي وإظهار انشغالها بتثبيت سيطرتها على هذه القبائل، عبر توظيفها لمجموعة من الأعيان والقياد، لاستمالة الفرق المسلحة، واستثمار نفوذ الشريف الخليلي سي محمد فلاج وابن الشيخ الشريف سي محمد بن الصديق لقيادة اتحادية صنهاجة السراير⁴⁰⁵، ومعه تهدئة الشريط الحدودي الذي ظل مشتتلا بعد نهاية حرب الريف.

مع تنامي تهديدات فرقة كتامة لبني زروال جعلت القوات الفرنسية من أولوياتها الحدودية تسوية ملف المناطق الشمالية لقبيلة "بني زروال" لتحقيق مكاسب على الميدان، انطلاقاً من الضغط على الإسبان أثناء انشغال الجيوش الإسبانية بتهدة جبهتهم الحدودية، وذلك لن يتحقق إلا من خلال عمل الفرنسيين على تسوية الملف الحدودي لبني زروال من جهتها الشمالية. فحماية قبيلة بني زروال، ستتخذ كدريعة من قبل الفرنسيين للحصول على اتفاقات جديدة مع الإسبان، كما حصل في 10 يوليو 1926، حيث وقع الطرفين بباريس اتفاقاً حول العديد من النقاط الحدودية التي تعود للإسبان تبعاً لاتفاق 1925 ولكن تعرف توترات ولم تخضع بعد للإسبان، فقد ربح الفرنسيون من

⁴⁰⁴ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 27 Juillet au 02 Août 1926, p.2

⁴⁰⁵ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926, p.1

إتفاق سنة 1926 عدة نقاط، كان أبرزها حق التدخل قبيلتي "بني احمد" و"ابني خالد" الموجودتين على خط النفوذ الإسباني والمحاديتين لبني زروال، وبموجبه أصبح للفرنسيين حق توظيف عملهم السياسي على القبيلتين مع حفظ حق تبعية المنطقة للجانب الإسباني⁴⁰⁶.

من خلال مضمون الاتفاق الفرنسي الإسباني لـ 10 يوليوز 1926، سيتضح بشكل جلي أن فرنسا جعلت من الأحداث التي تقع بالمناطق المحاذية لها، دريعة للتدخل بتلك القبائل، ونشر نفوذها السياسي انطلاقا من مصلحة الشؤون الأهلية، والتدخل العسكري في حالات خاصة لم تحدد بدقة، الأمر الذي سيكون له تبعات على أوراق الضغط، التي تستعملها فرنسا لتحقيق مكاسب حدودية، والضغط على الإسبان فيما يخص مسألة التفاوض للمطالبة بحقوقهم الاستعمارية الأصلية، وبذلك ستصبح فرنسا لها كامل الصلاحية في وضع ما يعرف بالمناطق العازلة داخل الحدود الإسبانية، خاصة بالجهة المقابلة لدائرة ورغة العليا، وبالتحديد عند حدود قبيلة مثوية، التي تتشاركها كليا مع قبيلة صنهاجة السراير⁴⁰⁷، هذه الأخيرة لم تخضع بعد للإسبان، وعرفت انفلاتا واضحا من تأثير النفوذ الإسباني على الرغم من انتهاء حرب الريف⁴⁰⁸.

⁴⁰⁶ -A.D.N. Lettre N° 3523DR/3 /, du Commissaire Résident général de la république Française au Maroc aux Messieurs : le Général de Division et Membre du Conseil Supérieur de la Guerre et Commandant Supérieur des Troupes du Maroc et le Général Commandant la Région de Fès et le Colonel Commandant la Région de TAZA, sujet : **la Collaboration Franco-espagnole**, le 11 Décembre 1926.

⁴⁰⁷ - أنظر الجزء الخاص بالمشاكل الحدودية، فقبيلة صنهاجة السراير وفرقتها كنامة على وجه التحديد شكلت تهديدا حقيقيا للإسبان ومعه تدخلت فرنسا لمساعدة الإسبان في إخضاع القبيلة طيلة سنة 1927.

⁴⁰⁸ A.M, R.M.P, Juin 1927.

خريطة إسبانية توضح ترسيم حدود

المعاهدتين لسنة 1925 و 1926

(-----)

2-2 تمسك فرنسا بالسيطرة الميدانية والسياسية على ورغة العليا

تفطن القوات الفرنسية للتهديدات المحتمل قدومها من المناطق الحدودية من جهة ورغة العليا، نظرا لما تم رصده من مخاطر محتملة ضد بني زروال، سيدفعها بعد وضع نقط بحدود هذه الأخيرة ومعها "بني خالد"، إلى التوجه صوب ورغة العليا وتوجيه مفرزة عسكرية إلى احتلال "جبل تايانزا" Tainza (7 كلم شرق الجنوب الشرقي لتاونات لقشور)، حيث تم إرسال فرقة استطلاعية عند "بني بربر" (مثوية الجبل) التي استقبلتها دون مقاومة⁴⁰⁹، هذا الفعل يدل على توجه القوات الفرنسية صوب قبيلة مثوية في أقصى حدودها الشمالية، قصد الإعداد لترسيم حدود القبيلة مع فرق "كتامة" و"تغزوت" و"بني بوشيت" (كلها فرق من صنهاجة السراير)، ليتم وضع نقط حدودية ومراكز عسكرية استباقية، كان أهمها مركز "تاونات لقشور" لمراقبة مجريات الأحداث التي ستشهدتها هذه القبائل في ظل تأخر الإسبان في الوصول إليها عسكريا، ومع هذا البطء الإسباني سيتم استغلال الاتفاق السابق (10 يوليو 1926) القاضي بحق فرنسا التدخل بالحدود المجاورة كلما دعت مصلحتها إلى ذلك، حيث أقدمت سلطات الحماية على مد نشاطها السياسي، من خلال استقطاب الوجهاء والأعيان بالمنطقة دون أن يثير ذلك الأمر غضب الإسبان.

عدم اطمئنان الإسبان للبند الوارد في إتفاق 1926، وتفطنهم للثغرة التي تركت لصالح الفرنسيين، سيدفعهم إلى مسابقة الزمن لسد هذه الثغرة، ليتم إسناد مهمة العمل السياسي بـ"صنهاجة السراير" للشريف الخليلي سي محمد أفلاح، لكن دعايته واجهت تحديات في استكمالها على الوجه الذي أراده الإسبان، فقد وجد صعوبات في بعض فرق القبيلة لتمديد نفوذه بكل من "بني بونصار"، و"بني أحمد" و"كتامة" اللتان عبرتا عن استعدادهما لمقاومة تقدم الجيوش الإسبانية، لكن فرق السفح الجنوبي للقبيلة (تغزوت، بني بوشيت)، التي خضعت لتأثير العمل السياسي الفرنسي، راسلوا سي محمد أفلاح يرجونه أن يتم ضمهم لمنطقة المخزن الفرنسي، وإبعادهم عن المنطقة الإسبانية⁴¹⁰، مما يوضح تبعات هذا الاتفاق الحدودي لـ 10 يونيو 1926، الذي سمح للفرنسيين بتوسيع نفوذهم

⁴⁰⁹ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926, p.1

⁴¹⁰ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 17 au 23 Août 1926, p.3

داخل المجال الحدودي الإسباني، لتفادي التهديدات المحتملة لتلك القبائل الحدودية على المناطق الفرنسية المسيطر عليها، وهو ما أصبح يهدد المعالم الحدودية المتفق عليها مع الفرنسيين إن استمر تأثيرهم في تلك القبائل دون الوصول العسكري الإسباني لها.

رغبة إسبانيا في تمديد نفوذها السياسي على المناطق الحدودية التابعة لها لشغل الفراغ الذي تركته للفرنسيين المتدخلين بالمنطقة، سيتم التعجيل به أكثر مع توظيف القوات العسكرية، في ظل عدم كفاية العمل السياسي لوحده، وتوجيهها صوب الحدود الجنوبية المحاذية للجانب الفرنسي من جهة ورغة العليا وتحديدًا عند قبيلة صنهاجة السراير بأقسامها (بني بونصار، زركات، بني بوشيت، تغزوت وبني أحمد)، حيث تم القيام بحملة لنزع سلاح سكان هذه الفرق إلى حدود "بني بوشيت" و"مثيو" من المنطقة الفرنسية، مرفقة في ذلك بسي محمد أفلاح الخمليشي والقايد الفاسي، اللذان وضعا نفوذهما تحت تصرف الإسبان⁴¹¹.

السباق الإسباني لشغل مناطقه المخترقة من طرف الفرنسيين، يوضح مدى تفوق النفوذ السياسي والاستخباراتي الفرنسي على نظيره الإسباني، وأن أي فراغ عسكري بالمنطقة الإسبانية سيكون تحت رحمة نفوذه السياسي الذي لا ينتهي إلا بتحقيق السيطرة الميدانية للإسبان على مجاهم الحدودي، حينها ستلتزم فرنسا بمخرجات اتفاق 1926، القاضي بعدم التدخل بالمناطق التي تصل إليها الجيوش الإسبانية بأي شكل من الأشكال، وسحب أي تواجد عسكري فرنسي احتياطي بالمنطقة باتجاه الحدود الفرنسية⁴¹².

أ- حدود منطقة شمال فاس (دائرة ورغة العليا)

لحسم مسألة الحدود بين الجانب الفرنسي والإسباني، قام القادة العسكريون بالجهات الفرنسية التي تتواجد دوائرها على تماس مع الحدود الجنوبية للمنطقة الإسبانية، برفع تقارير خاصة عن الأوضاع ووضع الإقتراحات الممكنة

⁴¹¹ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 31 Août au 06 Septembre 1926, p.4

⁴¹² -A.D.N. Lettre N° 3523DR/3, op.cit.

فيما يخص مناطقهم الحدودية، وبناء عليها قام الجنرال PETIN قائد جهة فاس، بإرسال رسالة إلى المقيم العام،
يجيب فيها على طلبه المقدم في رسالة سابقة رقم n°1770 D.A 1/3 بتاريخ 30 يونيو 1927⁴¹³، طالبه فيها
برفع تقرير حول الحدود الشمالية لفاس المقابلة للجهة الإسبانية، حيث كلف PETIN بدوره قائد منطقة شمال
فاس ورئيس مكتب الشؤون الأهلية بالمنطقة PETIT JEAN، بإعداد تقرير مفصل عن المناطق الحدودية
الشمالية لفاس، الذي أنجز تقريراً مفصلاً يحيطه فيه بالمقترحات حول تسطير حدود مناطق شمال فاس المقابلة للجانب
الإسباني، وكذا النقط الأساسية التي يفرضها الفرنسيون في أي تفاوض والغير قابلة للنقاش، من بين هذه النقاط أكد
القائد على عدم القيام بتقسيم أي قبيلة بين المنطقتين وأن بني زروال تشكل قبيلة واحدة وليس اتحادية قبلية، كما ركز
القائد على ضرورة الحفاظ على الحماية والتغطية المثلى من مجال دائرة ورغة العليا للطريقين الرئيسيين بالشمال، وهما
طريق فاس-وزان والطريق الرابطة بين فاس-تاوانات⁴¹⁴.

وتماشياً مع تسطير الحدود الشمالية لفاس بكل من ورغة الوسطى ووزان، جاء اقتراح قائد المنطقة لتسطير
حدود دائرة ورغة العليا وبالضبط عند الحدود بين قبيلة مثوية وصنهاجة السراير، على الشكل التالي:

"من قمة الجنوب الغربي-الشمال الشرقي لجبل منصف **Mansef**، مروراً بنهر الواد جنوب جبل
تبودة إلى غاية التقائه مع واد سري؛

من واد سري ب 500 متر صعوداً إلى غاية التقائه مع واد حدادة **Haddada**؛

من القمة الجنوبية الغربية-الشمالية الشرقية إلى غاية باب سليب. من باب السليب الحدود ستبعد عن
القمة لتميل باتجاه مجرى واد حدادة، ومن مجرى واد حدادة إلى غاية خط قمة جبل تفلواس، على طول

⁴¹³ -A.D.N, Lettre N° 338/R.C./2, du Général PETIN Commandant la Région de Fès au Monsieur le Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc, sujet : **Délimitation de la frontière franco-espagnole** , 18 Août 1927.

⁴¹⁴ - A.D.N. Rapport des Commandants des Territoires de Fès-Nord et d'Ouezzan, au sujet de la **délimitation des zones françaises et espagnoles au Nord du Maroc**, le 15 août 1927, pp. 1-2 (1MA/100/272)

هذا الخط مرورا عبر العلامة (النصب) 1859، لتصل في النهاية عند واد غزار عند المنتصف بين بني عياش والتارية Tharia؛ بداية من هذه النقطة، الحدود تمر بقبيلة فاسة التابعة لجهة (منطقة) تازة⁴¹⁵.

ب- الأهمية الاستراتيجية للمنطقة في الاتفاقات الحدودية

أشار التقرير الذي أنجزه الجنرال بيتان PETIN قائد منطقة فاس، حول موضوع التسطير الحدودي للمنطقتين الفرنسية والإسبانية في منطقة فاس إلى أن الاتفاقات الداخلية التي تقع على الحدود هي مرحلية فقط، وأن الأساس هو اتفاقية 1912، فهي اتفاقات مكملة لاتفاقية 3 أكتوبر 1904 و اتفاقية 25 يوليوز 1925 وتلك التي تمت في 10 يوليوز 1926، وأن الجنرال قائد جهة فاس يعترف بهذه الاتفاقيات الثلاث الأخيرة فقط، على عكس الإسبان الذين يصرون على الالتزام بتسطير الحدود وتثبيتها نهائيا تبعا للاتفاقيتين الأوليتين، وأن ماجاء من اتفاقات من بعدهما ما هي إلى نماذج نظرية⁴¹⁶. وبذلك عمل الجنرال على بناء تقريره حول الشريط الحدودي لمنطقة فاس انطلاقا من اتفاقية 1912، مع الحفاظ على المكتسبات الفرنسية وعلى رأسها قبيلة بني زروال ومثوية، حيث جعل من منطقة حدود ورغة العليا من شرقها إلى غربها التي تشمل في المجموع قبائل ورغة العليا، تبتدئ من ولاد بوسلامة إلى مثوية، حيث أعطت هذه الحدود نقطة استراتيجية سياسية وعسكرية متميزة للسيطرة الفرنسية⁴¹⁷. وتم وضع مراكز "القرية" و"بني بربر" "تاوانات لقشور"، لتوفير الحماية لهذا الموقع الاستراتيجي وإعدادها في ظروف أمنية مواتية لحماية واد ورغة⁴¹⁸. هذا الأمر يحيل على نظرة مركزية للسيطرة على طول نهر ورغة العليا وإبعاد أي جزء منه عن احتمال أي تواجد إسباني به، كما أن الهدف يبقى بالأساس مرتبط بالهاجس الأمني والسياسي لحماية فاس من أي خطر محتمل من هذا الممر الاستراتيجي، وأن محاولة التراجع الإسباني عن الاتفاقات الأخيرة والتخلص منها جاء

⁴¹⁵ - ibid, p.4

⁴¹⁶ -A.D.N, Rapport N° 2997 D.A.I, du Général PETIN Commandant la Région de Fès, **Etude sur la frontière Franco-Espagnole sur le front de la Région de Fès**, sujet : la délimitation de la zone française et de la zone espagnole dans la Région de Fès, 16 Août 1927, pp. 1-2

⁴¹⁷ - ibidem

⁴¹⁸ - ibidem

كمحاولة لتدارك الهفوات والتنازلات، التي قدمها المفاوضون الإسبان للفرنسيين، الذين أحسنوا استغلالها على الوجه الأمثل، حيث تحققت للفرنسيين مكاسب حدودية وقبلية طويلة مراحل تفاوضهم مع الإسبان⁴¹⁹.

اتضح العلاقات بين الجانبين الفرنسي والإسباني أكثر فأكثر مع مرور الوقت، ورغبة الطرفين في حل المشاكل الحدودية، خاصة القبلية منها، التي ظهرت مع التسطير الحدودي، أصبح معها الفرنسيون يركزون أكثر على استغلال هذه العلاقات الجيدة والزيارات المتبادلة بين الطرفين، عبر تعجيل ضباطهم بحل الملفات الحدودية العالقة بين قبائل منطقتهم ونظرائهم بالجانب الإسباني⁴²⁰.

⁴¹⁹ - أنظر الخريطة الإسبانية التي توضح معالم ترسيم حدود المعاهدات بين المنطقتين والقبائل الحدودية 1902-1928
⁴²⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1928, p.3

الخريطة الإسبانية التي

توضح معالم ترسيم حدود

المعاهدات بين المنطقتين

والقبائل الحدودية 1902-

1928

(*****)

3- دور مركز تاونات في العلاقات الحدودية

برزت الأهمية الاستراتيجية لمركز تاونات عسكريا وسياسيا منذ البدايات الأولى لتأسيسه في شهر ماي 1924، كمركز عسكري مهم أثناء تقدم القوات الفرنسية صوب ورغة العليا، وطيلة فترة تهديد المقاومين لخط الدفاع الفرنسي بالمنطقة، هذا الدور سيزداد أهمية لدى سلطات الحماية بعد انتهاء حرب الريف، حيث سيلعب هذا المركز إضافة لدوره العسكري والسياسي الاستخباراتي دورا مهما في تفعيل الإرادة الفرنسية، وأجرأة تصورها بالمناطق الحدودية من جهة ورغة العليا، ليصبح دوره مركزيا وديبلوماسيا أساسيا في ربط جسور التوافق بين الدولتين الحاميتين، مع وجود حتمية التبعية للجهة الفرنسية ومنطلقها في ترسيم الحدود، والحد من المشاكل، ومواجهة التحديات الحدودية، وفق منهج مخطط له ومدرس.

3-1 - خاصية الإشراف الحدودي

مع تحرك القوات الفرنسية باتجاه وضع يدها على الحدود الشمالية لقبيلة مثوية، دخل ضباط الاستعلامات بمكتب تاونات، في مرحلة استكشاف المناطق المقابلة لمنطقتهم عند قبيلة "صنهاجة السراير" في جنوبها الغربي، لضبط حدود قبيلة "مثوية لوطا" عند "تاونات لقشور" من جهة ومن جهة أخرى عند "بني بربر" بالنسبة لمثوية الجبل⁴²¹. هذا الاستكشاف - كان يقوم به الضباط الفرنسيون في مناطق حدودية أخرى أيضا - كان تمهيدا للمفاوضات الجديدة بين فرنسا وإسبانيا لتدقيق الحدود، والتي سينتج عنها الاتفاق الحدودي لـ 10 شهر يوليوز 1926 مع الإسبان، الذي خطط الفرنسيون له بشكل مدروس، بعد تحديدهم للنقط الاستراتيجية، في منطقتهم بعد أن أعطيت للضباط رؤساء الدوائر أوامر برفع تقارير عن مناطقهم الحدودية.

باستغلال اتفاقية 10 يوليوز 1926 مع الإسبان، توفرت للفرنسيين إمكانية تفعيل العمل السياسي وتوجيهه صوب القبائل المقاومة من المنطقة الإسبانية، خاصة "كتامة" و"تاغزوت" و"بني بوشيت"، تحت قيادة ضباط الشؤون

⁴²¹ - A.M, R.M.P, Juin 1926, p.2

الأهلين الفرنسيين، فأصبح معه لمركز تاونات المتميز بخاصية إشرافه الحدودي دورا مهما في وضع اللبنة الأساسية لمفاوضات ترسيم الحدود، والتنسيق مع الضباط الإسبانين المشرفين على المناطق الحدودية المقابلة له، تبعا لما تتيحه سلطات الحماية من اختصاصات وصلاحيات لمثل هذه المراكز، حيث أجازت سلطات الحماية لرؤساء المكاتب وقادة الدوائر بالمنطقة الفرنسية، رخصة ربط علاقات مع رؤساء المناطق بالجهات المقابلة من المنطقة الإسبانية، في كل ما يتعلق بالاستعلامات وتسوية النزاعات، التي هي ذات الصلة بمناطقهم فقط، مع الحرص على احترام التسلسل الهرمي الإداري عبر إمداد رؤسائهم بنسخة من المراسلات المتبادلة⁴²².

أ- مسألة فرق صنهاجة السراير الحدودية

وصول القوات الفرنسية إلى أقصى الحدود الشمالية لقبيلة مثوية، مكنها من تفعيل خططها السياسية، التي تنبع من عمل سياسي يركز بالأساس على جمع المعلومات الاستخباراتية، فيتم توظيفها لاستمالة القبائل من المنطقة الإسبانية التي لا زالت تنهج خيار المقاومة، والدخول معها في علاقات ودية كمحاولة لتخفيف حدة العداء لها، عبر إظهار محاسن عدة لهذا التقدم الفرنسي. سيصبح هذا أمرا واقعا بقبيلة صنهاجة السراير (بالمنطقة الإسبانية)، التي نشط بها العمل السياسي الفرنسي منذ أن أرسلت فرقة كتامة مبعوثين للاستعلام عن شروط الاستسلام للفرنسيين⁴²³، فبعد أن بلغ إلى علم هاته القبيلة الواقعة بالنفوذ الإسباني أن الإسبان قد عينوا الخليلي قائدا عليها، سيسارع مجموعة من أعيان وشيوخ فرقها وفخذاؤها الحدودية إلى القيام بعدة زيارات متتالية لمركز تاونات، قصد الاستعلام عن حقيقة الأمر وتأكيدهم على رفضهم أن يكونوا تابعين للمنطقة الإسبانية⁴²⁴.

هذا المعطى يحيل على قراءتين مهمتين لا تفترق فيهما الأولى عن الثانية:

⁴²² -A.D.N. Accord du 10 juillet 1926 entre la France et l'Espagne : **la Délimitation de la frontière franco-espagnole**, et Lettre N° 3523DR/3 du Commissaire Résident général de la république Française au Maroc aux Messieurs : le Général de Division, Membre du Conseil Supérieur de la Guerre, Commandant Supérieur des Troupes du Maroc, **au sujet de la Collaboration Franco-espagnole**, le 11 Décembre 1926. pp.1-2

⁴²³ - A.M, R.M.P, Juin 1926, p.2

⁴²⁴ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 23 au 27 Août 1926, p.1

- ثقل العمل السياسي الذي قامت به القوات الفرنسية وجهازها الاستخباراتي المتواجد على الحدود الشمالية لورغة العليا، والقدرة على النفاذ إلى عمق قبيلة صنهاجة السراير، والنجاح في كسب هدوئها دون الدخول كطرف في عدائها مع الإسبان، وهو ما مكن من استقطاب فرقها ورغبة أعيانها في القبول بالوصاية الفرنسية على الإسبانية، ووجود عدم ثقة في الإسبان الذين لم يفعلوا سياستهم في القبيلة لطمأنتها، عكس ما قام به الفرنسيون المتواجدون على أطراف حدودها.

- رفض بعض فرق القبيلة للإسبان قد يكون ناتجا عن الحقد الذي يكنه الريفيون للإسبان والولايات التي عانتها الجيوش الإسبانية معهم خلال حرب الريف، والسير على خطى استسلام محمد بن عبد الكريم الذي رفض الاستسلام للإسبان وفضل الفرنسيين على ذلك، وهو ما يجعل القول ممكنا من وجود خوف من انتقام إسباني مستقبلا من هاته القبيلة، نتيجة إسهاماتها الكبيرة في المقاومة ومساندة محمد بن عبد الكريم.

ب- مراقبة التحرك الإسباني على الحدود

شكل مكتب تاونات جهاز المراقبة الأول، الذي يشرف على تتبع تقدم الإسبان بالمناطق الحدودية لورغة العليا بمحاذاة قبيلة مثوية، بحكم أن المركز أصبح منذ سنة 1927 هو قلب السياسة التدبيرية لدائرة ورغة العليا، وجميع التقارير الصادرة عن المكاتب، تجتمع به لتصدر في تقرير شامل حول الأوضاع العامة بالدائرة، وبذلك أصبحت كل المشاكل الحدودية وأشكال التواصل مع الإسبان لا بد وأن تمر عبر المكتب في بدايتها أو عند نهايتها. تقدم الإسبان إلى حدود أي فرقة أو قبيلة بجوار حدود الدائرة، رهين بالتنسيق مع ضباط المكتب، فأنشاء نزول القوات الإسبانية بحدود قبيلة مثوية بـ"باب السليب" Bab Slib، عند الحدود بين "بني بوشيب" (صنهاجة السراير) ومثوية الجبل، خلف هذا الأمر تخوفا لدى قبيلة مثوية الجبل، من رغبة الإسبان للسيطرة عليها، الأمر الذي جعل رئيس مكتب تاونات يطمئن القبيلة، من خلال قيامه بالتنسيق مع الوحدات الإسبانية المتواجدة بالمكان⁴²⁵، كشكل من أشكال الإشراف

⁴²⁵ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 31 Août au 06 Septembre 1926, p.2

وحضور الجهاز الفرنسي في جل مناطق الحدود التي تقدم صوبها الإسبان، لضمان احترامهم للإرادة الفرنسية في تسطير مجال إشرافها، من منطلق الاتفاقيات الأخيرة، وضمان عدم تمادي القوات الإسبانية في الطمع بالوصول إلى المناطق الحدودية، التي كانت مسطرة في اتفاقات سابقة قبل اتفاقي 1925 و 1926⁴²⁶.

هذه المراقبة لتحركات القوات الإسبانية، ستستمر من مركز تاونات بفضل تواجد المركز الحدودي تاونات لقشور على حدود مثوية، الذي مكن من مراقبة تحرك رتل Pozas وتحركات Ostaritz بسوق "الحد إيكاون" بقبيلة كتامة على بعد 5 كلم شمال غرب مركز تاونات لقشور⁴²⁷، ومن خلال هذا العمل يصبح الجهاز الفرنسي على علم تام بتحركات القوات الإسبانية، وجس مدى فاعليتها في السيطرة على قبائل الجوار الحدودي، خاصة مع قبيلة كتامة، وتتبع تبعات ذلك التدخل في حالة وجود مقاومة، لتفادي عنصر المفاجأة الذي قد يأتي من الجانب الحدودي، حيث سيقابل رئيس مكتب تاونات قائد مفرزة الجيش الإسباني من ناحية "ترجيست"، أثناء جولته بحدود قبيلة مثوية، ليتواصل التنسيق بعد ذلك بين ضباط الشؤون الأهلية بمكتب تاونات وضباطين إسبانيين، قدما من مركز "باب السليب" للتنسيق بين ضباط المنطقتين⁴²⁸.

ت- توسيع مجال الشراكة بين مكتب تاونات وضباط ترجيست

تمتين العلاقات التشاركية بين منطقة ورغة العليا ممثلة بضباط مكتب تاونات من جهة والإسبان المجاورين بالمناطق الحدودية من جهة ثانية، سيستمر بشكل دوري من خلال الزيارات المتبادلة بين ضباط المنطقتين لحل الخلافات الحدودية، وتبادل وجهات النظر ليصل إلى مستويات رفيعة من الزيارات، بتوالي زيارات سنتا كروز قائد القوات الإسبانية بصنهاجة السراير، وتعبيره عن رغبته في ربط علاقات جيدة مع المسؤولين الفرنسيين وضباط المنطقة، من خلال إرساله دعوات لضباط وقادة عسكريين من دائرة ورغة العليا، لزيارة المنطقة الإسبانية أثناء الاحتفال

⁴²⁶ - أنظر الخرائط الحدودية المتواجدة في الجزء الخاص بتسطير حدود ورغة العليا، للتعرف على التصور الحدودي الذي كان لدى الإسبان قبل هذين الاتفاقين.

⁴²⁷ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 14 au 20 Septembre 1926, p.2

⁴²⁸ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 28 Septembre au 4 Octobre, p.2 , et du 12 au 18 octobre 1926, p.1

بالأعياد⁴²⁹، وهو الأمر الذي يوضح مدى حرص هذا القائد الإسباني على ربط علاقات جيدة مع المسؤولين الفرنسيين، وعدم الدخول معهم في خطابات التنافس والتضاد، بل نهج سياسة دبلوماسية توددية، خاصة أن إسبانيا لازالت جيوشها في مراحلها الأولى من وضع اليد على عديد القبائل الحدودية مع فرنسا، وعلى رأسها صنهاجة السراير .

هذا التنسيق بين ضباط المنطقتين وتبادل الزيارات بين رئيس مكتب تاونات والقائد سانتاكروز بـ"ترجيس"، سيتواصل إلى جانب تبادل المعلومات الاستخباراتية، ليتطور هذا التنسيق إلى طلب فارين بين المنطقتين الحدوديتين، كامتداد للشراكة الإسبانية الفرنسية الموقعة منذ يوليوز 1925، حيث أجاب هذا القائد بالقبول على طلب تقدم به رئيس مكتب تاونات، يطالبه فيه باسترجاع أحد سكان مثنوة الفارين من السجن⁴³⁰، وهو ما يوضح مدى تطور درجة التنسيق، والمحافظة على العلاقات الودية بين الضباط الفرنسيين والإسبان، وطلب استرجاع السجناء الفارين، الذي هو في الغالب امتداد لطلب باسترجاع شخصيات كانت لها خطورة على التواجد الفرنسي بالمنطقة، وبذلك قطع منافذ التسلل أو الهروب لمقاومين أو أعيان يعتبرهم الفرنسيون مصدر تهديد أو تحريض عليهم.

ث- حل مشاكل التداخل العلائقي القبلي بين المنطقتين

ظلت الحدود في بداياتها الأولى مسألة مفتوحة ومطروحة في كل مرة، بين الجانبين الفرنسي والإسباني، أمام التداخل القبلي على الشريط الحدودي، والترابط التاريخي بين قبائل المنطقة، الذي أراد المستعمر أن يقتسمه سياسيا وعسكريا، لتحقيق طموحهما السياسي والاقتصادي باقتسام الأرض المغربية، تبعا للاتفاقيات المبرمة سابقا، أو التي هي في طور الإنجاز، من هذا المنطلق ستظهر تحديات جديدة أمام ضباط المنطقتين لحل الخلافات القبلية بشكل إداري، وتفادي وقوع نزاعات مسلحة أو أعمال، تؤجج أوضاع المنطقة. فقد ظهر تحدي ليس مرتبط فقط بالأراضي، بل مرتبط أساسا بالماء، الذي يعد مادة حيوية وأساسية في استمرار أنشطة القبائل الاقتصادية، وما زاد الوضع تعقيدا

⁴²⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1927, p.4

⁴³⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^e partie, Octobre 1927, p.3

أثناء التقسيم، هو وجود رهن بين قبيلة وقبيلة أخرى لأراضي، لسبب من الأسباب ولم ينتهي رهنها بعد، أو أخذها التقسيم لصالح قبيلة أخرى، سيرا على مبدأ عدم تجزئ القبائل⁴³¹.

وجد الضباط الفرنسيون بدائرة ورغة العليا ونظرائهم الإسبان المشرفين على "بني احمد" سنة 1930 أنفسهم أمام مسألة ضرورية الحل وجد معقدة هذه المرة، حيث وجدت أراضي من قبيلة "بوابعن"، التي كانت تابعة للمنطقة الفرنسية، تحت الرهن لدى قبيلة بني احمد من الجانب الإسباني، ومرتبطة باتفاقات قبلية سابقة فصلها التسطير الحدودي بين الدولتين، مرتبطة أساسا بالماء والقطعان. ولتجاوز هذا التداخل بين اتفاقات قبلية -دون المس بحقوقها المتفق عليها فيما بينها- والاتفاق الحدودي بين الدولتين، أنجز اتفاق أولي بين الضباط الفرنسيين من مكتب تاوانات والضباط الإسبان كحل وسط، لتفادي النزاعات القبلية حول الماء وعدم الإضرار بالحقوق القبلية، بمقتضاه يتم اكتراء شريط من الأرض بقبيلة البوابعن Bou Baâne لصالح ابني احمد، ويُسمح بموجبه لكل من قطعان تاوانات و Talazemmour و Halima بالوصول إلى نقاط المياه المتداخلة بين المنطقتين⁴³².

جاء أصل هذا المشكل الذي عمل ضباط المنطقتين على حله بشكل يرضي الطرفين، بسبب أنه كان هناك اتفاق في الأصل قائما بين قبيلة البوابعن وابني احمد، حول أراض كانت تابعة للأولى استولى عليها ابني احمد منذ ثلاث سنوات، نتيجة قروض عليها بسبب رهن، حيث قامت "البوابعن" بتسديد هذه القروض حول سهل غولان Ghaoulane، وبهذا العمل لم يعد بإمكان قطعان بني احمد الشرب من واد أودور Aoudour وتسرافت Tassraft⁴³³.

هذه العلاقات ستصبح أكثر مرجعية لبناء علاقات ثابتة وقارة بين المنطقتين الحدوديتين، حيث قام ضباط مكتب تاوانات بإنجاز اتفاقات حدودية مع الجانب الإسباني المشرف على حدود قبيلة السراير، وبالضبط عند فرق

⁴³¹ -A.M, R.P.M, Fès Nord, 1^e partie, Mars 1930, pp.4-5

⁴³² -ibid, p.5

⁴³³ -ibidem

"كتامة" و"تغزوت" و"بني بوشيت" (صنهاجة السراير)، التي كلها تشترك حدودها مع قبيلة مثوية التابعة لدائرة ورغة العليا، بهدف إيجاد حلول مستقبلية للمشاكل العالقة بين القبائل الحدودية.

2-3 . مكتب تاونات ومرجعيتة في التسطير الحدودي 1930-1933م

بفضل مركز تاونات أصبحت الحدود التابعة للدائرة التي تم تثبيتها، تأتي وفق العلاقات المرجعية التي تمت بين الجانبين الحدوديين، نظرا لما تم تحقيقه من تراكمات في التنسيق مع المراكز الحدودية الإسبانية. فأصبحت هذه المرجعية واقعا مترسحا أكثر فأكثر مع مرور السنوات، وكذلك مع بروز تحديات حقيقية على الجانب الحدودي. حيث ستتداخل الأحداث على مشارف الحدود، في ظل غياب ترسيم بَيّن وواضح لدى الجانب الإسباني، الذي لا زال ضباطه بحكم الوصول المتأخر للمناطق الحدودية، يعملون في كل مرة على استوقاف الجانب الفرنسي، حول إمكانية وجود اتفاق دقيق، يحدد بشكل شكل تحركات سكان القبائل.

أ- أحداث تارية (مركز طهر السوق) وبني عياش (مكتب ترجيست)

بحلول شهر فبراير من سنة 1931، استوقفت أحداث وقعت بين فخذة تارية THARIA من قبيلة "أولاد بوسلامة" التابعة لمركز طهر السوق (جهة تازة) وفخذة "بني عياش" من قبيلة "بني بوشيت" (صنهاجة السراير) التابعة لمركز ترجيست، الجانبين الفرنسي والإسباني على مشكل حقيقي في الحدود، قد يؤدي إلى توسع دائرة الصراع بين الفخذتين إلى صراع أوسع بين القبيلتين الأم، فوضعت هذه المشكلة الضباط الفرنسيين والإسبان على محك حقيقي، في إظهار مدى جدية والتزام الأطراف بالاتفاقيات المبرمة بين مكاتب الشؤون الأهلية الفرنسية ومكاتب التدخل الإسبانية. حيث نشبت أحداث عنف بين الفخذتين، نتيجة إقدام شخصين من "بني عياش" ومخزني إسباني بالنزول إلى واد جزار oued guezzar للإستيلاء على قطع للماشية يعود لفخذة "تارية"، بحجة تجاوزه للحدود الموضوعة بالضفة اليمنى للوادي⁴³⁴.

⁴³⁴ -A.D.N, Rapport spécial sur un incident de bordure à la frontière Espagnole, objet : affaire THARIA (Oulad BOU SLAMA) BENI AYACH (BENI BOUCHIBET), Région de Taza, 19 juin 1931, p.1

رسم يوضح منطقة تواجد النزاع

الذي وقع بين تارية وبني عياش

الإعتداء سيخلف أحداث من العنف بين الجانبين، بعد إقدام المخزني على إطلاق النار على الساكنة، استدعى معه التدخل السريع للقوات الفرنسية ورئيس مكتب طهر السوق (النقيب BERTRAND)، للوقوف على الادعاءات الإسبانية، وما زاد الأمر تعقيدا هو أن مأمور ترجيست (النقيب GREGORI) زاد الأمر لبسا، بادعائه أن الضباط الإسبان يؤكدون على أن مكان وقوع الأحداث هو تابع للإسبان باتفاق أبرم سابقا مع مكتب تاونات، هذا الأمر سيخلف مجموعة من المشاورات واللقاءات لحل المشكل، حيث تحجج المسؤول الإسباني بترجيست أثناء لقائه بالنقيب الفرنسي بطهر السوق على أنه يمتلك الدليل في يده، من خلال اتفاق أبرم سابقا مع مكتب تاونات، يؤكد على تبعية الضفة اليمنى من "واد جزار" لفخدة "بني عياش" إلى حدود "جبل الناضور" بمشوية⁴³⁵.

التمسك الإسباني بمشروعية سرقة القطعان وتبعية المنطقة للجانب الإسباني، سيدفع الجانب الفرنسي إلى البحث عن مصداقية هذا الاتفاق، والتدقيق فيه بعمق، وبعد حضور ضباط المنطقتين وقضاة، تم قراءة الاتفاق في اجتماع عقد بمنطقة تسمى "باب الحبس"، ليتبين من خلال قراءة الاتفاق الذي وقّع مع مكتب تاونات، على أنه اتفاق يعود لسنة 1930، وهو واضح في شأن تسطير الحدود، لا يندرج فيه مكان الصراع الذي نشبت فيه الأحداث الحالية، وأن الحدود بين الفرقتين موضوعة عند مسلك طريقي يقع على الضفة اليمنى لواد جزار وليس عند الواد، وأن الحدود واضحة بين الجانبين تبعا لهذا الاتفاق والاتفاقات المبرمة بين الجانبين⁴³⁶.

هذا الأمر يوضح بشكل جلي، مدى التأخر الإسباني في ضبط نقطه الحدودية المبرمة مع الجانب الفرنسي، كما يحيل على أن الضباط الفرنسيين بالمنطقة الحدودية لم يوقعوا أي اتفاق إلا بعد تمكنهم من ضبط المجال، ومعرفة أهم نقطه الاستراتيجية، أو المهمة بالنسبة للحماية الفرنسية بالمنطقة، على عكس الجانب الإسباني الذي ظل متخبطا

⁴³⁵ - ibid, p.2

⁴³⁶ -ibid, p.3

في تدقيق تلك الحدود من جانبه، أثناء توقيع أي اتفاقية مع الجانب الفرنسي، كما لو أن الأمر يظهر جانب يدقق ويفرض (الفرنسي) وآخر يقبل ويوقع (الإسباني).

- جدول رقم 16 : المهام التي أصبح ضباط الدائرة يشرفون عليها ومنها التنسيق الحدودي

437 حالة الدوريات المطبقة من قبل ضباط الشؤون الأهلية خلال شهر غشت		
الإسم والرتبة	التاريخ و المدة	الهدف
قائد الكتبية MANUELLI	تنفيذ عمليات مختلفة من التفتيش	
الملازم RIOB، رئيس مكتب بني وليد	22.7.1931 يوم واحد	زيارة مركز وسوق مديونة
الترجمان الملازم MANTOUT من مكتب الدائرة	25.7.1931 8 ساعات 26.7.31- 8 ساعات	*التوجه في ثلاث مرات عند ولاد عمران للقيام بجرد عقاري * التوجه لسوق عين عائشة للقيام بمراقبة
الملازم RIOB	28.7.1931 يوم	زيارة مركز وسوق مديونة
الترجمان الملازم MANTOUT	30.7.1931 7 ساعات	أرسل لبلاد مثوية للقيام بتعيين (ترسيم) مسلك (طريق) واد سرى- حدادة
	من 3 إلى 9 غشت ستة أيام	مراقبة سير أشغال طريق حدادة- واد سرى- بني بربر- قلعة بني بربر
النقيب NORTBECOURT	5.8.1931 4 ساعات	توجه إلى بوردود لتفتيش أشغال العين
الملازم RIOB	5.8.1931 1 يوم	زيارة مركز وسوق مديونة
الترجمان الملازم MANTOUT	من 11 إلى 15 غشت 4 أيام	مراقبة أشغال الطريق مركز بني بربر بقلعة بني بربر

437 - A. M, R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, 3^e partie, Période du 26 juillet au 25 Août 1931, p.3

و الملازم QUAIX		
الملازم RIOB	12.8.1931	زيارة سوق ومركز مديونة
النقيب NORTBECOURT	14.8.1931	توجه إلى قبيلة مزاروة لأجل معالجة دعوى عقارية
الترجمان الملازم MANTOUT	18 إلى 23 غشت 5 أيام	مراقبة أشغال طريق تاونات لقشور على الحدود الإسبانية
الملازم RIOB	19.8.1931	زيارة سوق ومركز مديونة
النقيب NORTBECOURT و الملازم QUAIX	21.8.1931	القيام بتنسيق مع الضباط الإسبانين بباب جباح
	1 يوم	

هذه المرجعية لمركز تاونات في توقيع اتفاقيات حدودية، ترتبط بمجال إداري لمركز آخر (طهر السوق)، يوضح مدى التزام مكتب تاونات بتوقيع إتفاقيات لا تخرج عن نطاق إرادة جهاز الحماية الفرنسية، وضبطه لخطواته المنجزة في اتفاقيات ثنائية مع الجانب الإسباني، كتكريس لاستمرارية التفوق الفرنسي وعدم ترك المجال لطائلة التأويل، وبذلك أصبحت هذه الاتفاقيات الحدودية لمكتب تاونات، مرجعية يبنى عليها لتفنيذ الادعاءات الإسبانية.

■ إجراءات تحرك القطعان بين المنطقتين.

بخصوص موضوع تحرك القطعان بين المنطقتين، اقترح الجنرال الفرنسي بيتان قائد جهة فاس في ظل غياب تسطير دقيق للمناطق الحدودية، أن يتم الإسراع بتحديد النقط الحدودية بين القبائل والتدقيق فيها، وقطع الطريق أمام الإسبان في وجود أي إمكانية لتأويل أي اتفاق، حيث " أقترح إذن كتعيين للحدود الجنوبية لهذه الأراضي، وضع نقط جد معروفة، التي لن تترك مجالا لأي تأويل خاطئ"⁴³⁸.

⁴³⁸ - A.M, Lettre N°645, du Générale de division PETIN Commandant la Région de Fès au monsieur le directeur Général des affaires indigènes, Sujet: **contrebande des bovins par la frontière nord** , Région de Fès, le 25 Avril 1930, p.2 .

كما أعطيت مقترحات بخصوص مشروع قرار وزيري، ينص في فصله الخامس على أن : "مقتادوا القطعان يجب أن يحملوا بطاقة هوية من نوع غير منتهي، تصدر من قبل سلطات المراقبة وتحمل توقيع المالك، هذه البطائق تحمل أرقام مسجلة بسجل خاص موجود بكل مكتب ومخفر، تم طبعها من قبل إدارة الجمارك، وفي حالة إنهاء خدمة الموصل تسحب منه البطاقة وترسل إلى مستلم الديوانة (مركز للجمارك) أو رئيس المركز، وفي حالة فقدان بطاقة التعريف، يتم تقديم إشعار دون تأخير إلى المصلحة، التي تدون بدفتر السجل الواقعة، لاتخاذ جميع التدابير التي من المحتمل أن تمنع أي إساءة"⁴³⁹.

ب- إتفاق فرقة الناضور (مثوية) و بني عياش (بوشييت)

استمرار النزاع بين قبائل منطقة ورغة العليا وقبائل صنهاجة السراير التابعة للمنطقة الإسبانية، جعل مكتب تاوانات يظهر كطرف يواكب كل نقاشات قبيلة مثوية وفرقها، التي تتنازع على أراض مع الفرق الأخرى من قبيلة صنهاجة السراير، حيث برز هذا الدور مجددا من خلال عمل المكتب على النظر في الدعاوى المقدمة من قبل الفرق الحدودية لقبيلة مثوية، قصد تسوية ملفاتها العالقة مع فرق من الجانب الإسباني، هذا الأمر سيظهر عبر النظر في دعوة لفرقة أهل الناضور (مثوية الجبل) مع فرقة "بني عياش" من قبيلة "بني بوشييت" (صنهاجة السراير)، حيث برز دور مكتب تاوانات في شخص رئيسه **Isner**، الذي عمل على تتبع هذا المشكل بالعمل على التنسيق مع مكتب ترجيست في شخص **GREGORI**، لحل هذا المشكل وفق ما يقتضيه الشرع، من خلال الاجتماع مع شيوخ ووجهاء الفرقتين، وإحضار القضاة المحليين والعدول، الذين قاموا بقراءة عقود الاتفاق بين الفرقتين والاستماع إلى كل الأطراف، مع الأخذ بالقرائن المادية المتمثلة في العقود المكتوبة، والتدقيق في ممتلكات كل قبيلة، للفصل في هذا النزاع

⁴³⁹-A.M, Lettre n° 531 e. dég., du directeur général des finance, (projet) ARRETE VIZIRIEL fixant les conditions dans lesquelles les animaux de l'espèce bovine pourront être admis au pacage sur les confins de la zone espagnole, 9 Août 1930, p.2

الذي طال أمده بين الجانبين وحله عن طريق التراضي، والإعتراف بما يصل إليه شرفاء ووجهاء الفرقتين والقضاة، لخلق تراض مقنع بين الجانبين تبعا للحجج التي يملكها كل طرف⁴⁴⁰.

حرص رئيس مكتب تاوانات على حل النزاع حول أراضي لقبيلة بمنطقته، يحيل على مدى وعي الجهاز الاستخباراتي والتدبري الفرنسي بما لتحسيس الأهالي باحترام اتفاقاتهم ومشروعية مطالبهم، من دور في جعل الجهاز التدبري الفرنسي بمنطقة ورغة العليا يظهر بمظهر الساهر على ترسيخ العدالة، والدفاع عن مصالح القبائل التي تنضوي تحت سيطرته، وأنه لن يدخر جهدا في الدفاع عن مصالحها، من هذا المنطلق ستترسخ أكثر لدى الساكنة المحلية فكرة المرجعية للنظام التدبري والإداري بالمنطقة، في حل أي خلاف أو نزاع قائم مهما طال أمده، دون اللجوء إلى تصفية الحسابات أو شن هجمات على الطرف الآخر كما كان في السابق، هذا الأمر لن ينعكس فقط على القبائل الحدودية بل سيتجاوزها إلى المناطق الداخلية، وتثبيت فكرة الالتزام بالإجراءات الإدارية، وضرورة اتباع المساطر الإدارية التي يضعها الجهاز الفرنسي، والإقرار بمخرجات ما يتم التوصل إليه من نتائج.

ت - إتفاق بني بربر (مثوية) و بني بوشيت (صنهاجة السراير)

توطيد الإسبان لتواجدهم بالمناطق الحدودية، زاد من رغبتهم في تسوية الملفات العالقة مع الجانب الفرنسي حول نزاعات القبائل الحدودية، والفصل بين سكانها بشكل إداري ورسمي؛ حيث بعد التوافق الذي حققه قائد دائرة تاوانات INSER مع نظيره الإسباني القائد GREGORI بترجيست والمشرف العام على قبيلة صنهاجة السراير، هذا الأخير سيتوصل إلى عقد اتفاق حدودي جديد مع رئيس مكتب الشؤون الأهلية بتاوانات Capitane BALMIGER، انطلاقا من الجهة التي يشرف عليها بمركز حدادة، حيث طالب الملازم الإسباني PUERTAS بمقابلة رئيس مكتب "حدادة" لنقل الاتفاق الذي تم التوصل إليه حول الأراضي بين قبيلة بني بوشيت الإسبانية وبني بربر الفرنسية، إلى رئيس دائرة ورغة العليا كتأكيد على رسمية الاتفاق المتوصل إليه

⁴⁴⁰ - A.D.N, service des affaires indigènes, dossier n° 344 R.T./1, copie de la traduction d'un accord entre les Mtioua et les Beni Bou Chibet : **en raison de la durée des litiges entre les fractions**, Région de TAZA , le 19 Juin 1931.

بين قائد مكتب الشؤون الأهلية بتاونات ونظيره من المنطقة الإسبانية⁴⁴¹. هذه المسألة تم معالجتها بشكل شرعي وعدلي، حيث تكفل قاضي تيرانت بالموافقة على حيثيات هذا الاتفاق بين القبيلتين، بحضور ممثلين عن الجهازين الإداريين للمنطقتين، كنهج واضح للسياسة المتبعة من قبل الفرنسيين وأيضاً الإسبان في تحسيس سكان القبائل بعدالة وساطتهما " وبهذه المناسبة، الجماعة الحدودية بكل من تيرانت وبني بربر اجتمعتا (اتفقتا)، وعبر الأهالي عن رضاهم على الحكم الصادر"⁴⁴².

-جدول رقم 17 :مجريات حل مشكل النزاع حول أرض بين بني بربر وبني بوشيببت .⁴⁴³

التاريخ	التوقيت (الساعات)	سير الأحداث
أبريل 1933	الساعة 10	-الالتقاء بضباط إسبانيين بالقرب من باب سليب -متابعة الطريق باتجاه تيرانت
	10.45	-الوصول إلى تيرانت - استعراض شرقي إسباني (1شاوش، و16 رجلا) وحزمة peloton من فرقة الكوم 43 التي رافقت الضابطين الفرنسيين.
	س 11	-الملازم PUERTAS أبلغ بالهاتف Capitaine GREGORI بترجيست، بوصولنا.
	س 12	وطلبت بعده إمكانية مكاملة النقيب لتقديم احتراماتي له. النقيب GREGORI طلب مني الحضور مساء في اجتماع الجماعتين.*
أبريل 1933	س 14	-غذاء.
		-الإنطلاق من تيرانت على الأحصنة

⁴⁴¹ - A.D.N, Rapport N° 376-RC, du Lieutenant RAYNAUD Commandant le 43° Goum Mixte à HADADA, **au sujet d'une entrevue avec des Officiers espagnols**, Territoire de Fès-Nord, Fès le 19 Avril 1933, p.1.

⁴⁴² - ibid, pp. 1-2

⁴⁴³ - A.D.N, Rapport N° 376-RC, du lieutenant RAYNAUD Commandant le 43° Goum Mixte à HADADA, **op.cit**, p.2.
* - جماعة بني بربر وبني بوشيببت.

س 15	- اجتماع جماعة بني بربر و تيرانت بالقرب من الأرض موضوع النزاع (عند منتصف طريق مسلك البغال بين باب سليب - ولاد داود) - قراءة العقد من طرف القاضي. إرضاء للأطراف المعنية تم إعطاء نموذجين من الوثيقة للملازم RAYNAUD، وأخريتين احتفظ بهما الملازم Puertas.
س 15.30	- الوصول للمنطقة الفرنسية
س 17.45	-الوصول إلى واد سري. الضباط الفرنسيين تم اقتيادهم بالسيارة إلى حدادة تم تقديم استعراض شرقي من طرف شعبة، زيارة منزل الضابط.
س 17.45	-الإنطلاق من حدادة باتجاه تاونات ، الملازم LE PORT بقي بحدادة.
س 19	- الوصول إلى تاونات حيث تم استقبال الضباط الفرنسيين من طرف الملازم DE BATTISTI، بإسم النقيب VIGNOLI.

على الرغم من هذه الزيارة المتبادلة من الجانبين، فالجانب الفرنسي لم يكن يضع ثقته في النوايا الحقيقية للجانب الإسباني، حيث شكك أحد التقارير في حقيقة المقابلة التي طالب بها الإسبان، وأن غرضهم الحقيقي بالأساس من هذه الزيارات هو الحصول على معلومات دقيقة عن سرقة أسلحة كانت سترتكب في تاونات: "أعتقد أننا كنا ببساطة أمام حضور ثلاثة شبان *، كانت رغبتهم الحقيقية في تلقي دعوة لزيارة تاونات أو فاس، لكنهم لم يتجرأوا على تقديم هذا الطلب بأنفسهم. فمكالمة هاتفية من النقيب كريكوري يسألني إذا كان قائد دائرة ورغة العليا سيرى أي إزعاج في هذه الزيارة، قد أكد هذا الانطباع لدي"⁴⁴⁴.

* - الضباط الإسبان الذين قدموا لزيارة مكتب تاونات.

واستعرض التقرير كل الأسئلة والمعلومات التي طلبها الإسبان أثناء زيارتهم لتاونات، حول المراكز الفرنسية التابعة لدائرة ورغة العليا، وكذلك عن معلومات حول قيام طباط النقيب VIGNOLI بعد حصوله على مفاتيح مخزن الأسلحة بسرقة ستين بندقية، وأن هذه المعلومات حصل عليها الإسبان من خلال مخبر من سكان تيرانت، من طرف فلاح ميثوي قضيا ليلة معا في فندق ادريسي بتاونات، وهو الأمر الذي أكد النوايا الحقيقية لزيارتهم للضباط الفرنسيين، مؤكدا التقرير على أن كل المعلومات التي جاء بها الإسبان والأسئلة التي كان يتم طرحها، لا أساس لها من الصحة، والدليل على ذلك غياب أي إشارة للموضوع بنشرتي 24 مارس و 27 مارس⁴⁴⁵.

انطلاقا من هذا النموذج المستعرض للعلاقات بين المراكز الحدودية للمنطقتين يمكن الوصول إلى أمرين مهمين: أولهما: أن بعض المشاكل الحدودية ما هي إلا فرصة للجانبين الإسباني والفرنسي للتغطية على مآرب أخرى، واستغلالها كغطاء لرصد الأوضاع بالمنطقة الأخرى وتقصي الأوضاع بها، من خلال الأخبار الأمنية والاستخباراتية، التي قد يجلبها السكان الذين يتحركون بين المنطقتين، باعتبارهم الحلقة الأولى والغير الرسمية للتجسس على المنطقة.

ثانيهما: هو أن الجانب الإسباني أصبح يبادر للاشتغال سياسيا على المنطقة الفرنسية، ورصد التهديدات المحتملة لمناطقه الحدودية التي قد تأتي من الجانب الفرنسي، وهو الأمر الذي كان الجانب الفرنسي سابقا يقوم به لوحده في المناطق الإسبانية، لضمان أمن منطقته كما كان واضحا في الاتفاقات السابقة، قبل أن يتمكن الإسبان من مد نفوذهم السياسي والعسكري على منطقتهم، وهو ما يبين عدم الثقة المضمرة، في المجهودات التي يبذلها كل طرف من أجل القضاء على المخاطر التي قد تهدد الطرف الثاني، حيث كانت التقارير الفرنسية تحاول دائما التغطية على عدم الثقة، من خلال الإطراء والتقييم الجيد لعلاقة الضباط الفرنسيين مع الضباط الإسبان خلال تبادل الزيارات، لكنها في الحقيقة كانت زيارات تحمل سمات حرب استخباراتية مضمرة يشنها كل طرف على الآخر.

المحور الثاني: المشاكل الحدودية والإجراءات الفرنسية للحد منها

بوصول القوات الفرنسية إلى السيطرة على مرتفعات قبيلة مثيوة في شهر غشت 1926، ستصبح لأول مرة هذه القوات متمكنة بشكل كلي من السيطرة على دائرة ورغة العليا ومراقبتها فعليا، حيث أسست مركز "تاوانات لقشور" الحدودي بقبيلة بني بربر (مثيوة الجبل)، ووضعت العديد من النقاط الحدودية للعمل على ضبط المجال الحدودي الورغي الشمالي⁴⁴⁶.

كل الإجراءات الفرنسية المستهدفة للمجال الحدودي الورغي الأعلى، كانت تهدف بالأساس إلى جانب تحقيق السيطرة الفرنسية على مجالها تضيق الخناق على القبائل المتمردة (المقاومة) بالجانب الإسباني، ودفعها للاستسلام أثناء تحركات القوات الإسبانية، لما في ذلك من فاعلية في الحد من فرار المقاومين من المجال الفرنسي لمساندة القبائل المقاومة، وإرجاع الفارين منهم إلى قبائلهم الأصلية، بعد أن بلغ عدد الذين لا زالوا فارين من دائرة ورغة العليا بالمنطقة الإسبانية إلى غاية بداية شهر شتنبر 1926 ما مجموعه 192 عائلة⁴⁴⁷.

هذا التضيق من قبل الفرنسيين مكن بشكل كبير الإسبان من حسم تثبيت تواجدهم العسكري بمجالهم الحدودي عوض الإكتفاء بالعمل السياسي فقط، فمع مرابطة القوات الإسبانية بكتامة ستؤسس مراكز على وجه السرعة بباب السليب وسوق ثلاثاء كتامة، ومراكز للمراقبة بترانت وعند حدود فرقي بني بشير وبني أحمد وأخرى وضعت بالخلف لتفعيل العمل الاستخباراتي⁴⁴⁸. التواجد العسكري بالشريط الحدودي سيجعل العلاقات الحدودية بين المنطقتين تحت إشراف ومراقبة كلية للقوتين الاستعماريتين، يتم من خلالها ضبط جميع تحركات الأشخاص والبضائع بين المجالين الورغي الأعلى وقبيلة صنهاجة السراير، وهو ما بدأت تظهر نتائجه مع دخول أسر وأعيان من

⁴⁴⁶ - A.M, Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926, p.1

⁴⁴⁷ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 07 au 12 Septembre 1926, p.2

⁴⁴⁸ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 28 Septembre au 4 Octobre, p.3 et du 19 au 26 Octobre 1926, p.3

قبيلة الحياينة إلى قبائلهم، كان أبرزهم الباشا القديم الذي عينه الريفيون على قبيلة ولاد عيسى الفقيه الجيلالي بن علي⁴⁴⁹.

تعزيزا لضبط هذا المجال الحدودي الورغي الأعلى، وتكريس التحكم في تحرك البضائع والأشخاص، وتكثيف التوفر على المعلومات الاستخباراتية بالمناطق الحدودية، ستقوم القوات الفرنسية بوضع مركز للشؤون الأهلية بـ "حدادة" (مثوية) ليشرع في تشغيله يوم 20 أكتوبر 1926⁴⁵⁰، ليصبح بذلك نقطة تتمركز وسط قبيلة مثوية للربط مع مركزي تاونات لقشور وبني بربر الحدوديين على الحدود الشمالية للقبيلة، حيث عملت بعد ذلك الإدارة الفرنسية على الربط بين النقط الحدودية لتدعيم المراقبة بها بالعربات، وضمان سرعة التحرك عليها، من خلال إنشاء ثلاث مسالك للعربات، واحد ربط بين مركز بني بربر وقلعة بني بربر، وآخر من تاونات لقشور إلى باب الجبح (الحدود الإسبانية باتجاه مركز حد إيكاون)، ثم ثالث من "حدادة" إلى "بني بربر" (عبر رافد واد السرى)⁴⁵¹.

تشارك الفرنسيين حدود مع طرف لطالما اعتبر لديهم مقصرا في ضبط مناطقه ومشاكله بالمنطقة الخليفية، مع تيقن سلطات الحماية بخطورة الشريط الحدودي من جهة الإسبان، باعتباره وكر البلاء بالنسبة للفرنسيين بعد سيطرتهم على منطقتهم، هذا الأمر سيدفعهم في كل مرة إلى عدم التسليم بسيطرة الإسبان، وأنه على المستعمر الفرنسي، بدل جهد أكثر لتغطية إخفاقات الإسبان وتهاونهم في ضبط مجاهمهم، الذي يفتح تحديات حقيقية يواجهها الفرنسيون على المستوى الأمني والاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

⁴⁴⁹ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 19au 26 Octobre 1926, p.2

⁴⁵⁰ -ibid, p.1

⁴⁵¹ -A.M, R.P.M, territoire de fes Nord, 3^e partie, Août 1931, p.2

1-التحدي الأمني و السياسي

يعتبر التحديين الأمني والسياسي، من أهم الجوانب التي تؤثر مشاكلها في استقرار الدول الإمبريالية بمستعمراتها، فقد واجهت ضباط الدائرة مجموعة من التحديات السياسية والأمنية، جعلتهم يقفون في كل مرة لتقييم الوضع، والعمل على ضبط جميع الجوانب الاستخباراتية، لتفادي أي انفلات أمني أو سياسي يعبر المنطقة الحدودية باتجاه المغرب ككل.

1-1. التحدي الأمني بعد حرب الريف 1927-1930م

بوصول القوات الفرنسية للمجال الحدودي، قامت بمجموعة من التحركات العسكرية بالشريط الحدودي لورغة العليا لاستثبات الأمن وتأكيد سيطرتها على قبيلة مثوية، وواكبت هذه التحركات خلال سنتي 1926 و 1927، عمليات نزع السلاح من السكان، حيث بلغ عدد البنادق المنتزعة بالدائرة، ما مجموعه 5331 بندقية⁴⁵²، بغية تطويق القلاقل والمشاكل المحتمل حدوثها، خاصة القادمة من قبيلة "كتامة" و"بني خالد"، حيث ضبطت القوات الفرنسية 200 بندقية من نوع M74 تم تحويلها لمدفعية فاس⁴⁵³.

بالجهة المقابلة، تقدم القوات الإسبانية للسيطرة على قبائل صنهاجة السراير وخاصة بقبيلة كتامة، التي عاندت الاحتلال الإسباني لها بشكل سهل، ستعود الأوضاع مجددا للانفجار بهذه القبيلة، وهو الأمر الذي جعل القوات الإسبانية في وضع صعب، بعد أن حاولت التقدم عسكريا صوبها بأقل التكاليف، بعد أن رفضت التواجد الإسباني بأراضيها، حيث أصبحت محالا لاستقطاب العناصر التي تفضل المقاومة من المجال الريفي وكذا الورغي، بغرض إشغال

⁴⁵² - A.M, R.M.P, Juin 1926, p.3

⁴⁵³ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 05 au 11 Octobre 1926, p.1

بؤرة جديدة للمقاومة، بذلك ستتفاجأ القوات الإسبانية القادمة من الجهة الجنوبية للقبيلة، بمقاومة قوية كادت أن تعيد ملحمة ما وقع لجنود سلفستر في معركة أنوال⁴⁵⁴.

التحرك الإسباني من الجهة الجنوبية لم يكن بمحض الصدفة، بل جاء بدراسة مدققة، تهدف إلى عدم إعطاء المقاومين أي مجال لتطويقها من الجهات الأربع، وهو ما يفسر إسناد القوات الإسبانية ظهرها لمناطق التواجد الفرنسي، حيث سيفر الجنود الإسبان باتجاه المنطقة الفرنسية، مخافة أن يتم سحقهم نهائيا في انتظار وصول الدعم، هذه الأحداث ستدفع القوات الفرنسية إلى تعزيز مواقعها بالمراكز المتاخمة لكتامة، والدفع بالقوات الاحتياطية إلى وضعية التأهب المستمر على الشريط الحدودي لدائرة ورغة العليا⁴⁵⁵.

أ- تأثير العمليات الإسبانية على المنطقة:

أثناء قيام القوات الإسبانية بعمليات عسكرية أخيرة بقبيلة صنهاجة السراير، بغية القضاء على آخر بؤر المقاومة بفرقة كتامة بقيادة العقيدين Pozaz وMolta لتثبيت الحضور الإسباني، من خلال زيارة القبائل الصغيرة بكل من "نعيسى" و"فرسيوة" و"سوق الحد إيكاون" وقرية "تاغزوت" خلال الأيام الأولى من شهر ماي 1927، حيث عرفت القوات الإسبانية فترات جد صعبة خلال سنة 1926، لكن الحضور الفرنسي إلى جوارها بدعمها ضد القبائل المقاومة، أثمر في تعزيز سيطرتها، فخلال سنة 1927 كانت القوات الإسبانية تتزود بالمؤن من مركز "تاونات لقشور" المركز الفرنسي الحدودي، لاستكمال عملياتها العسكرية بالمنطقة وتثبيت التواجد الإسباني بالجهة المقابلة للجانب الفرنسي⁴⁵⁶.

أمام تنامي الحملات التمشيطية من قبل القوات الإسبانية على طول حدودها المجاورة لقبيلة مثوية، نشبت عدة معارك عند "بني توزين" و"بني سعيد"، الذين عرفوا خسائر وصفت بالجسيمة من قبل الفرنسيين، نتيجة هاته

⁴⁵⁴ -A.M, R.P.M, Territoire de Fes Nord, Fevrier 1927, p.1

⁴⁵⁵ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, Fevrier 1927, p.4

⁴⁵⁶ -A.M, R.P.M, Mai 1927, p.8

الحملا، إضافة إلى تهجير الساكنة المحلية، الأمر الذي ساهم في ظهور موجات نزوح جديدة باتجاه المناطق الفرنسية، ما جعل القوات الفرنسية أكثر حذرا في ترك هذه الموجات تتسرب دون مراقبة، حيث أوقفت العديد من المتسللين خلال شهري مارس وأبريل سنة 1927، تم إطلاق صراح 95 منهم في فاتح يونيو و37 آخرين يوم 17، بعد زيارات إدارية للجنرال كاسترو غيروننا والقائد سنتاكروز⁴⁵⁷، وهو ما يعبر عن توجس كبير لدى الفرنسيين من نتائج هذا النزوح لأشخاص مهندسين بين السكان، قد يمرون لمنطقتها لإشعال فتيل المقاومة أو صراعات بداخل مناطقها أو لنشر دعاية معينة، والتي تبقى كلها تخوفات استدعت من سلطات الحماية القيام بإجراءات احترازية، واستباقية لما يمكن أن تخلفه موجة النزوح من المنطقة الإسبانية صوب أراضي دائرة ورغة العليا.

هذا العمل الاستباقي كان من أولوياته نزع السلاح من قبائل ورغة العليا بجميع فرقها، وتشديد عمليات التفتيش والمراقبة، تفاديا لأي فعل ممكن وقوعه فيما بعد داخل الدائرة، قد يؤدي إلى انفجار الوضع بشقيه الداخلي والحدودي.

- جدول رقم 18: أنواع الأسلحة المسترجعة من قبل القوات الفرنسية إلى حدود شهري شتنبر وأكتوبر 1927.⁴⁵⁸

الخرطوش Cartouches	أنواع Divers مختلفة	بنادق 74	موزير Mauser	بنادق 15-07	بنادق 85	كرايلا Carabine
إلى غاية 30 من شهر شتنبر						
95560	2965	4239	149	21	243	206
أسلحة حولت إلى مختلف ملحقات تواجد المدفعية						
0	31	150	24	66	255	22
من 1 إلى 30 شتنبر						
0	2927	2149	115	4	94	36
أسلحة مسترجعة داخليا						

⁴⁵⁷ - A.M, R.P.M, Territoire de Taza Nord, 1^{er} partie, Juin 1927, p.3

⁴⁵⁸ - A.M, R.P.M, Situation du désarmement des tribus du Territoire de Fès Nord, septembre, pp.2-3/octobre 1927, pp. 2-3

إلى غاية شهر أكتوبر							
95560	771	5689	927	98	433	232	
0	2927	2141	115	04	94	36	من 1 إلى 30 أكتوبر

ب- التنسيق الفرنسي الإسباني في المجال الأمني والصراعات القبلية:

ازدياد التنسيق الأمني بين الجانبين، سيتطور مع مرور الأيام ومع تقدم القوات الإسبانية لتثبيت تواجدتها العسكري والتدبيري، من خلال إنشاء عديد مراكز التدخل التي تشرف على تدبير الشأن الإداري والسياسي بالمنطقة، حيث ستصبح مسألة مراقبة تحرك الأهالي بين المنطقتين ضرورة ملحة لتفادي أي مفاجآت تأتي من إحدى المنطقتين، قد تعيد الأوضاع إلى سابق عهد انفلاتها من القوتين الاستعماريتين، حيث ركز ضباط المنطقتين على تعزيز سبل التعاون، خاصة على المستويين الأمني والاستخباراتي، بتبادل المعلومات حول أشخاص مشتبه فيهم، أو فارين يتنقلون من منطقة إلى أخرى، مثل إعلان مركز تابرانت الإسباني للمركز العسكري الحدودي الفرنسي بدائرة ورغة العليا "بني بربور" عن فرار جندي للمطالبة بإرجاعه⁴⁵⁹. كما عرفت المنطقتين وقوع بعض الأحداث بين 13 و 21 فبراير 1928، عند حدود "البوبان" و"بني مكا" Beni M'ka، تتعلق بنشوب مشاكل بين السكان العابرين للشريط الحدودي والسكان الأصليين بالقبائل الحدودية، هذا الأمر خلف خوفا بين الجانبين من أن تسوء العلاقات بين ضباط المنطقتين نتيجة هذه التجاوزات، الأمر الذي جعل الضباط الفرنسيين والإسبان ينجزون تقارير خاصة عن هذه الأحداث بين الجانبين، حيث سيتدخل ضباط المنطقتين الحدوديتين خلال شهر مارس لتهدئة الأوضاع وحل تلك المشاكل ولو بشكل مؤقت، دون تناسي تلك التي هي قائمة وفي أي لحظة ستطفو إلى السطح، خاصة المتعلقة بمطالب قبيلة بني احمد (صنهاجة السرير) بأراضي توجد بحدود دائرة ورغة العليا (سهل Gaoulan)⁴⁶⁰.

⁴⁵⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Février 1928, p.7

⁴⁶⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Mars 1928, p.10

بجول شهر ماي، وفي يومه التاسع سيتعرض جندي إسباني للإغتيال بالقرب من مركز "باب السليب" الحدودي، حيث قام الإسبان باعتقال راعيين من أولاد داود (قبيلة مثوية)، فخلف هذا الأمر استياء لدى الفرنسيين، كاد يعصف بالعلاقات بين الجانبين، حيث تقدم ضباط الدائرة من مركز "بني بربر" الحدودي برسالة احتجاج -تبعاً للسلم الإداري انطلاقاً من مركز الدائرة بتاونات مروراً بالمركز العسكري الحدودي للدائرة- لدى المركز الإسباني (باب السليب) الحدودي من الجهة المقابلة، الذي رد ملازمه بتقديم اعتذار رسمي عن اقتياده لسكان من دائرة ورغة العليا مباشرة إلى المنطقة الإسبانية، وهو الأمر الذي خفف من حدة التوتر بين الجانبين، حيث سيقوم العقيد الإسباني سنتاكروز بالقدوم إلى مركز "باب السليب" الإسباني، للتحقيق في الواقعة من يوم 13 إلى 20 ماي⁴⁶¹.

الاحتجاج من ضباط الدائرة على التصرف الأحادي للضباط الإسبان، يوضح الرفض القطعي من الجانب الفرنسي لأي عمل أمني أو استخباراتي بالمناطق الفرنسية يكون أحادياً، ولو كان الأمر يتعلق بظروف استثنائية دون حصول تنسيق مع المراكز الفرنسية المقابلة لنظيرتها الإسبانية على الحدود، حيث سيصبح هذا الأمر مع مرور الوقت مرجعية أساسية يجب على الإسبان الالتزام بها مستقبلاً في أي عمل قد يمس بالسكان، أو اختراق المنطقة الفرنسية للبحث عن مشتبهِ فيهم أو القيام بتتبع الفارين.

ت - الدعاية الإسبانية

مع تنامي السيطرة الإسبانية على مجالها القبلي الحدودي وتفعيل دور مراكزها العسكرية والاستخباراتية بالمنطقة، وتفعيل علاقات جديدة مع المراكز الفرنسية الحدودية لتسوية عديد الملفات الحدودية العالقة بشكل ودي، أصبحت القوات الإسبانية تمارس نوعاً من الضبابية السياسية على المجال الحدودي لقبايل ورغة العليا، حيث أطلق الإسبان انطلاقاً من مصلحة التدخل الإسباني -وهي المقابلة للمصالح الاستخباراتية لدى الفرنسيين- دعاية مفادها أن هنالك

⁴⁶¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Mai 1928, p.5

تقسيم جديد للحدود سيظهر في الأفق، وأن الاتفاق الحدودي سيكون لصالح الإسبان فيما يخص قبيلتي مثوية وبني زروال⁴⁶²، وهو الأمر الذي دفع الأجهزة الفرنسية إلى نفي الأمر جملة وتفصيلا، وإطلاق حملة مضادة لطمأننة قبيلة مثوية، والتفطن لمواجهة مثل هذه الدعايات التي قد تؤثر على علاقة القبائل الحدودية الفرنسية بالمنطقة المجاورة، ما سيخلف توترا لدى هذه القبائل، قد يؤجج الأوضاع خاصة أمام رفضهم لهذه التبعية للجانب الإسباني، منذ وصول القوات الفرنسية إليهم عند الشريط الحدودي المقابل للإسبان سنة 1926⁴⁶³.

إن توظيف الإسبان للدعاية السياسية بالجمال الفرنسي من منطلق خلق ضبابية في الاتفاق الحدودي، يحيل على فعل مقصود لرد الاعتبار، من فترات الاختراق الفرنسي لمجالهم، قبل تحقق السيطرة العسكرية، وعدم الرضا على الاتفاق الحدودي لسنة 1926، بهدف إظهار أنهم لا يقلون شأنًا عن مستوى ما مارسه الفرنسيون أثناء تقدمهم صوب قبيلة مثوية الحدودية سنة 1926 وقيامهم بتفعيل عملهم الاستخباراتي على قبائل صنهاجة السراير، الذين رفضوا الخضوع في البداية للقوات الإسبانية ولنفوذها، نتيجة للنشاط السياسي الذي قام بها الفرنسيون تجاه هذه القبائل، أثناء تقدمهم باتجاه حدودها الجنوبية. فبعدما بلغ إلى علم هاته القبيلة الواقعة بالنفوذ الإسباني أن الإسبان قد عينوا الخميلشي قائدا على "صنهاجة السراير" سارعت فرقاها إلى طلب ود الفرنسيين، والتعبير عن الرغبة في الإنضواء تحت الإدارة الفرنسية⁴⁶⁴.

الدعاية الإسبانية بقبيلة مثوية، كان يهدف الجهاز الاستخباراتي الإسباني من خلالها إلى جانب إظهار أهليته في اختراق قبائل المنطقة الفرنسية، إبراز موقفه من الاتفاقات الحدودية المبرمة مع الجانب الفرنسي، والتي حقق فيها هذا الأخير مكاسب ميدانية على حساب الجانب الإسباني، خلال فترات تميزت بالإضطرابات وعدم استكمال السيطرة العسكرية الإسبانية على مجال نفوذها.

⁴⁶² -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Juin 1928, pp. 5.7

⁴⁶³ - ibid, p.7

⁴⁶⁴ -A.M, Situation Politique et Militaire, du 17 au 23 Août 1926, p.1

ث - السلاح وتحرك الأشخاص بين المنطقتين

أسندت مهمة القيام بالحملة التمشيطية لمحاربة التهريب، وكذا تحرك الأشخاص من المنطقة الإسبانية باتجاه قبائل الدائرة، للفرقة 8 من الكوم وقوات مساعدة مختلفة، بهدف ضبط أمن المنطقة وتفاذي حدوث أي هفوة أمنية يمكن أن تهدد المنطقة مجددا، حيث هذه المراقبة لا تكتمل إلا بانخراط كلي وفعلي لكل عناصر المراقبة التابعة للجهاز الإداري الفرنسي، فقد تم استدعاء الأعيان المحليين وغيرهم من المعنيين بالمراقبة المحلية لقبائلهم من شيوخ وقياد، "لإظهار اليقظة المستمرة وتقديم مساعداتهم، حتى يتم ضمان أمن الأهالي (السكان الأصليين) والأوربيين، في جميع أنحاء الإقليم، وفي أفضل الظروف الممكنة"⁴⁶⁵.

استمرار تواجد فارين من دائرة ورغة العليا بالمنطقة الإسبانية، أصبح معه يتأكد أن هذا الاهتمام الفرنسي بشكل جدي بهذا الموضوع، يزداد ظهورا مع توالي التقارير حول المغزى الخفي منه، حيث أصبح الضباط الفرنسيون بالمنطقة يبحثون مع نظرائهم بالجانب الآخر عن إمكانية توسيع هذه العلاقات، سواء حول الأراضي أو حول البحث عن الأشخاص الفارين من دائرة ورغة العليا باتجاه المنطقة الإسبانية، الأمر الذي تم إظهاره في عديد المرات من خلال المراقبة لهؤلاء الفارين وتتبع تحركاتهم بالمنطقة الإسبانية⁴⁶⁶.

تطورت هذه العلاقات ودرجة التنسيق الأمني بين الجانبين، إلى تبادل الفارين من الجنود من الفيلق العسكرية التابعة للقوتين الاستعماريتين، الذين أصبحوا كمطلوبين لدواعي أمنية، فقد برز العمل السياسي الاستخباراتي على أنه الهاجس الأساسي للفرنسيين، لتفاذي أي احتمال لوجود خارجين عن القانون ممن تعتبرهم من حملة السلاح، ويجيدون استعماله، مخافة قيامهم بتدريب أشخاص آخرين على يدهم، مما قد يساهم في رجوع التجربة السابقة، والدور الذي لعبه الألمان والأجانب في تدريب المقاومين الريفيين على استعمال أسلحة وخطط عسكرية مختلفة، وهو

⁴⁶⁵ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1928, p.1

⁴⁶⁶ -ibid, p.7

ما يمكن أن يفسر بإقدام القوات الفرنسية على وضع مذكرة بحث لدى الإسبان حول أشخاص مطلوبين، قد فروا من الفيلق الثالث ° 3 الأجنبي باتجاه المنطقة الإسبانية، حيث تم توقيفهم وإرجاعهم إلى المنطقة الفرنسية⁴⁶⁷.

كما يستشف من أحد التقارير، مدى حرص الجانب الفرنسي على استعادة المغاربة من حملة السلاح الفارين من دائرة ورغة العليا بالمنطقة الإسبانية، ومدى تنفس الفرنسيين الصعداء أثناء استعادتهم، نظرا للدور الذي قد يلعبونه في ظهور خلايا للمقاومة أو إعداد مقاتلين، حيث ورد بالتقرير: "أخيرا قدمت السلطات الإسبانية جميلا عظيما بالبحث عن ثلاثة مغاربة فارين من الفرقة الثامنة للرماة، الفارين من مركز تاونات لقشور، الذين أعيدوا إلينا من ترجيست في وقت وجيز جدا"⁴⁶⁸.

هذا الشكل من التعبير داخل التقرير الفرنسي عن أهمية هذا العمل الذي قام به الإسبان لصالح الفرنسيين، دليل على مدى حرص القوات الفرنسية بجهازها العسكري والسياسي على تتبع كل الأشخاص الفارين من مجالها، وضرورة استرجاع المبحوث عنهم وعدم ترك مجال للصدفة أو التقصير الأمني والاستخباراتي، مخافة أن يكون سببا في حدوث انفلات أمني غير متوقع مستقبلا، والذي لن يكون في صالحها، ومعه سيكون التهديد الأمني للجانبين، فضعف المنطقة الإسبانية وانفلاتها الأمني، يعني ضمنا اضطرابات بالمنطقة الفرنسية، لتصبح مسألة التعاون الأمني بين دائرة ورغة العليا وباقي المراكز الإسبانية الحدودية، ضرورة ملحة تقتضي من الجانبين توقيف المطلوبين بالمنطقتين، دون وضع قيود تعوق هذه العملية، بغض النظر عن اللقاءات والنقاشات حول عديد النقاط الحدودية بين الجانبين التي لم تحل نهائيا، حيث تلقى قائد دائرة ورغة العليا في عدة مرات رسائل شكر وامتنان من الجانب الإسباني، عند تسليم الفارين من المنطقة الإسبانية⁴⁶⁹.

⁴⁶⁷ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Janvier 1929, p.8

⁴⁶⁸ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Octobre 1929, p.4

⁴⁶⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Août 1930, p.4

1-2. مخاوف تأثير الوضع الإسباني الداخلي على المنطقة 1931-1932

مع بداية ظهور الصراع حول السلطة منذ سنة 1930، وتأزم الوضع الداخلي الإسباني على مختلف الأصعدة، وتنافس الإشتراكيين والجمهوريين مع اليمين على السلطة، حيث ستنبثق مرحلة النظام الجمهوري (1931-1936)، ستشن القوات الفرنسية حملة واسعة بمنطقة ورغة العليا لتجريد القبائل من السلاح، مخافة انفلات الوضع بالمنطقة الإسبانية نتيجة هذا الصراع الداخلي، الذي يعني ضعفا أمنيا على الجانب الإسباني، خاصة مع ظهور إمكانية انخراط الجيش في هذا الصراع واحتمال رفضه للنظام الجديد، الأمر الذي سيؤثر مباشرة على الجانب المقابل من الحدود الخاضعة للفرنسيين، وخوفا من انتقال شرارة النزاع إلى المناطق الشمالية للحدود الفرنسية، أنجزت القوات الفرنسية والمصالح التابعة لها، عمليات نزع السلاح من قبائل الدائرة، بهدف تجريد السكان من السلاح، ليتم تخزينها بعد ذلك بمكاتب الشؤون الأهلية عدا بعض الأسلحة التي تركت بين أيدي القياد⁴⁷⁰.

أ- المراقبة الحدودية

تخوف الفرنسيين من ما يقع بالجارة الإسبانية، دفع جهازها العسكري إلى تحريك الكتيبة الثامنة للقيام بدوريات وجولات في دائرة ورغة العليا، على طول الطريق المؤدية لتاونات لقشور-حدادة-بني بربر- سوق سبت مشوية، سيرا على مبدأ قديم للقوات الفرنسية المرتكز على إظهار القوة لترهيب القبائل، وإشعارها بأن التواجد الفرنسي بالمغرب لا يزال قويا، وأن ما تعرفه المنطقة الإسبانية لا يمسه في قواها. وارتكز هذا التحرك بالأساس على الخط الحدودي، لكون ساكنة المنطقة لم يشاهدوا قوات فرنسية بهذا الحجم منذ 1926، كما عرفت دائرة ورغة العليا في مناطقها الحدودية دوريات لفرقة الصباحي المغربية، وتحليق السرب الرابع من الطائرات طيلة الفترة الممتدة من 25 يونيو إلى 5 يوليوز 1931⁴⁷¹، وهو ما يؤكد طرح استعراض القوة من قبل الفرنسيين وممارسة نوع من الترهيب والتخويف تجاه الساكنة

⁴⁷⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Avril 1931, p.3

⁴⁷¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Juillet 1931, p.5

المحلية، والتحذير من مغبة انجذابها لما يقع من أحداث تهم الشأن الداخلي الإسباني، كما أن هذا العمل العسكري الاستعراضي سيكون قد رافقه عمل سياسي بالدرجة الأولى.

كتفت القوات الفرنسية دورياتها على طول الشريط الحدودي، عبر تحرك أرتال على طول الشريط الحدودي لورغة العليا -تاونات لقشور- حدادة -بني بربر- سوق سبت مثوية- بغية إحكام إغلاقها للحدود⁴⁷²، خاصة مع بروز النظام الجديد بإسبانيا مخافة نشوب صراع، قد يؤدي إلى جر المنطقة التابعة لها نحو الدخول فيما قد يقع بالمنطقة الإسبانية.

جدول رقم 19: الدوريات المخزنية التي كانت تتم بتاونات ومساراتها الحدودية 1931:⁴⁷³

دوريات مخزنية لشهري يوليوز وغشت 1931				
يوليوز 1931	25,31	دورية مخزنية من بني بربر	31, 26	دورية لمخزن تاونات على بني
غشت 1931	4, 11, 15, 19, 23	على تاونات لوطا والجليل، تاونات لقشور/ حدادة، سوق السبت، سوق ثلاثاء مرزاين والعودة عبر بني بربر.	3,7,12,17,21	وليد الناضور، بني بربر، مزراوة، رغوية، ومزيات ⁴⁷⁴
دوريات مخزن لبني وليد لشهري نونبر ودجنبر				
نونبر 1931	24	-التقاء مخزن بني وليد مع	27	التقاء وربط مع مخزن "كهف
دجنبر	01	مخزن طهر السوق للتنسيق	4.8.11.15.18	الغار"
دوريات مخزن تاونات خلال شهري نونبر ودجنبر				
نونبر	24.27	دورية مخزن بني بربر	27.30	دورية لمخزن تاونات على
دجنبر	2.7.9.14.17.22.25	على تاونات لوطا والجليل، تاونات لقشور، حدادة، سوق السبت، سوق الثلاثاء مرزاين ثم الرجوع عبر بني بربر	5.8.12.16.21.24	بني وليد الناضور، بني بربر، مزراوة، رغوية، ومزيات

⁴⁷² -A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, du 26 Juin au 25 juillet 1931, p.1

⁴⁷³ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, Période du 26 Novembre au 25 décembre 1931, p.2

⁴⁷⁴ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, Période du 26 juillet au 25 Août 1931, p.2

ب- تتبع الوضع الإسباني على الحدود

خلف النزاع الإسباني الداخلي توجسا لدى السلطات الفرنسية بدائرة ورغة العليا، حيث كان يتم تتبع الأحداث الجارية من قبل الساكنة المحلية، وقد اعتمد الفرنسيون على مجموعة من المخبرين لتتبع مجريات الأحداث بالمنطقة الخلفية خلال هذه المرحلة الحرجة للنظام الإسباني، على الرغم مما كان يواجهه هذا الهاجس الفرنسي من صعوبات، خاصة خلال فصل الشتاء التي تتساقط فيه كميات كبيرة من الثلوج بالمرتفعات التي تتجاوز 800 متر، مما يجعل وصول المعلومة الاستخباراتية من قبل المخبرين مسألة صعبة⁴⁷⁵.

ظهور شرح بالنظام الإسباني، زعزع ثقة الفرنسيين في إمكانية حفاظ الإسبان على مكاسبهم ميدانيا، واستمرار سيطرتهم على منطقة الريف والحدود، التي استنزفت مجهودا كبيرا من الجانبين خلال الحرب الريفية وما بعدها، خاصة أن المنطقة الشمالية أصبحت جزءا من هذا الصراع الأهلي الإسباني، وأصبحت جبهة خلفية للثوار الإسبان من الجيش على النظام الحاكم، حيث أصبح يتم إنزال السلاح بالمنطقة، وبات الجهد منصبا على الصراع الداخلي على حساب المنطقة الخلفية، خاصة أمام إعلان النقيب الإسباني GREGORI خلال زيارته لتاونات، عن صعوبات في توظيف أشخاص من أجل مكاتب التدخل المدني، وهو ما دفعه إلى الاستنجد بمصلحة التدخل العسكري، لتوفير الأشخاص اللازمين للقيام بمجموعة من المهام، مع تأكيده على أن 50% من الضباط الإسبان أحيوا على التقاعد، وهو ما يجعل تنفيذ طلبه جد صعبة في ظل هذه الظروف⁴⁷⁶.

هذا المعطى يحيل على النقص الواضح في الموارد البشرية التي أصبح الجهاز الإسباني بالمنطقة يعاني منها، أمام أزمته الاقتصادية المستفحلة، خاصة الضباط الذين يسهرون على التنظيم والإشراف على مناطق تواجههم، في ظل وضع جد متأزم يعرفه النظام الإسباني، مما يجعله مهددا في الاستمرار بشكله المعتاد بالمنطقة الخلفية في جميع جوانبه،

⁴⁷⁵ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, Période du 26 Février au 25 Mars 1932, p.1

⁴⁷⁶ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, Période du 26 Mars au 25 Avril 1932, p.2

خاصة الإدارية منها، "وأصبح الأهالي يستنتجون من ذلك أن الإسبان ينقصون قواتهم النظامية، والبعض منهم أصبح أكثر تحيزا لاحتمالية رؤية مغادرة نهائية للقوات الإسبانية"⁴⁷⁷.

أصبحت القوات الفرنسية بالمنطقة تواجه تسرب دعاية الانسحاب الإسباني بمناطقها، على إثر عدم اتضاح الرؤية بالنظام الإسباني، وهو ما أرجعها إلى التفكير في احتمال عودة فترات سابقة من الصراع مجددا إلى المنطقة وظهور أشكال للتشويش، التي تعطي مجالا للسكان لتصور إمكانية نشوب حرب جديدة بالمنطقة "الوضع لا زال مشوشا بالمنطقة المجاورة، الأصوات المغرضة التي يبدوا أنها نشأت في المكاتب والتي أعلن عليها المخبرون عند بني بشير، حول إمكانية نشوب حرب بين الفرنسيين والألمان {...}، بدلت مجهودات من قبل السلطات لحبس ومنع الأهالي من التوجه إلى الجزائر أو إلى منطقتنا"⁴⁷⁸.

⁴⁷⁷ -ibidem

⁴⁷⁸ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, Période du 26 Avril au 25 Mai 1932, pp.1-2

3-1 - فترة زعزعة الاستقرار السياسي الفرنسي بالمغرب 1954-1956

مع توالي السنوات ووصول المغرب لمرحلة القطيعة بين السلطان والحركة الوطنية من جهة ومؤسسة الحماية بمختلف مكوناتها من جهة ثانية، أصبحت مسألة الحدود حاسمة في الصراع السياسي القائم، خاصة بعد نفي السلطان وقرار التضييق على الوطنيين، فأصبح الوطنيون المغاربة يبحثون عن مناطق خلف الحدود الفرنسية للقيام بنشاطهم المعتاد لتوعية المغاربة بضرورة طرد المستعمر، وهو الأمر الذي لن توجد له منطقة أفضل من تلك المنطقة الخاضعة للجانب الإسباني، خاصة المناطق التي عرفت بتاريخ مقاومتها ضد الفرنسيين كصنهاجة السراير وغيرها من القبائل، هذا الأمر لن يكون هينا في ظل تشديد الفرنسيين مراقبة الطرقات المؤدية باتجاه المناطق الحدودية لدائرة ورغة العليا، حيث سيظهر التهريب هنا بطابع سياسي أكثر مما هو اقتصادي، فأصبح التهريب لدى المستعمر الفرنسي أخطر وسيلة لتسهيل عملية نقل الأخبار والقتال المختلفة القادمة من المنطقة الإسبانية باتجاه فاس⁴⁷⁹.

أ- توظيف الحدود من قبل الوطنيين المغاربة

سلك مجموعة من الوطنيين الممرات التي كانت تستعملها شبكات التهريب لمادة الكيف، القادمة من كتامة والمارة عبر ورغة العليا، للفرار صوب المنطقة الإسبانية، مستعينين في ذلك بالمهربين المحليين "يبدو أنه من المؤكد، على أنه بفضل شبكات تهريب الكيف، تمكن أربعة من الوطنيين الفارين من الدار البيضاء من الفوز بثلاثاء كتامة"⁴⁸⁰، وصف التقرير فرار الوطنيين الأربعة إلى كتامة بأنه فوز، دليل على شعور رئيس مركز "حدادة" بالتقصير الحاصل في مسألة المراقبة الحدودية بالشكل المطلوب، أمام وجود مسالك وقنوات خفية لطرق التهريب، الأمر الذي دفع إلى فتح تحقيق من قبل القوات الفرنسية للوقوف على الإجراءات اللازمة للحد من فرار الوطنيين عبر حدود الدائرة، من خلال محاولة معرفة الممرات والقنوات التي يتم من خلالها التهريب، لوضع مراقبة دورية على تلك المناطق،

⁴⁷⁹ - A.D.N, B.R.P, poste d'el HADDADA, 1^{ère} partie-zone intérieure, période du 5 au 20 Octobre 1954, p.2

⁴⁸⁰ - A.D.N, B.R.P, poste d'el HADDADA, période du 20 Octobre au 5 Novembre 1954, p.2

"لكن الكيفيون يستفيدون بفضل المبالغ التي يفرقونها أو الخوف الذي يزرعونه، بتواطؤ الجزء الأكبر من الساكنة"⁴⁸¹، لكن الأمر حسب التفسير الفرنسي كان صعبا، في ظل رفض الساكنة التعاون، ما كان يعيق عملية التبليغ عن الطرق التي كان يوظفها المهربون، فكان من الإجراءات التي أصبحت الجهات الفرنسية ملزمة بها في ظل هذه الوضعية، أن يكون "من المستعجل تدعيم عدد المخازنية بهذا المخفر (poste)، لزيادة رقم وفعالية دوريات المراقبة الحدودية"⁴⁸².

بتنامي فرار الوطنيين عبر حدود الدائرة، يوضح كيف أصبح وضع التهريب يقض مضجع السلطات الفرنسية بالمنطقة وبالمغرب عامة، بانتقاله من طابع الممنوع اقتصاديا إلى اندماجه بالممنوع سياسيا، وازدياد خطورته في تهديده التواجد الاستعماري بالمغرب ككل، من خلال إفلات المغاربة الوطنيين من قبضة القوات الفرنسية، للبحث عن ملاجئ خارج الحدود المعترف بها لفرنسا والعمل على الحشد وتكوين مناطق للتموين، ونشر فكرة المطالبة بالاسقلال، وتجهيز البنى التخطيطية لضرب الاستقرار السياسي، الذي لطالما حرصت عليه الأجهزة الفرنسية بالمنطقة منذ سنوات.

ب- التخوف من عودة العمل المسلح

عودة الإنفلات الحدودي لعناصر معارضة للتواجد الفرنسي بالمغرب باعتراف التقارير الفرنسية، يفتح باب عودة ذاكرة الأمس إلى حاضر الأجهزة الفرنسية بالمنطقة لأيام انفلات الجبهة من قبضتها، أيام عبد المالك ومحمد بن عبد الكريم، اللذان كانا قائدين بارزين للمقاومة المسلحة، بتواجد مناطق خلفية يرتكزون عليها يدعمان بها قواتهم واستعادة أنفسهم أيام الحرب، فبرز هذا الانفلات مع رصد التقارير الفرنسية استمرار عمليات نقل السلاح من المنطقة الخلفية إلى المنطقة السلطانية وذلك تحت الطلب المحلي⁴⁸³.

⁴⁸¹ -ibidem

⁴⁸² -ibidem

⁴⁸³ - A.D.N, B.R.P., poste d'el HADDADA, période du 20 Novembre au 5 décembre, zone intérieur 1954, p.2

تجاوز هذا الانفلات، سيدفع الجانب الفرنسي إلى مضاعفة عدد دوريات المراقبة الحدودية، بغية ضبط حركة تنقل السلاح المهرب في أكياس الكيف، من خلال الاستعانة بعناصر من المخزن (فرق مخازنية) والرؤساء المحليين من قياد وأعوان ومخبرين، حيث تم في إحدى العمليات الليلية في يوم 18 و 19 يناير، حجز ما مجموعه 11 كيسا من الكيف، دون العثور على أسلحة، حيث فر المهربون بأعداد مهمة صعب معه اعتقالهم لاستنطاقهم حول إمكانية وجود تهريب للسلاح⁴⁸⁴.

العمليات التمشيطية للحدود انبنت على معلومات استخبارية تؤكد وجود علاقة بين مهربي الكيف وبيع السلاح تحت الطلب، الذي أصبح يشكل خطرا محدقا بالجهاز الاستعماري الفرنسي، فقد أكد القاييد الداودي المشرف على قبيلة مثيوّة الحدودية، تنامي مخاوفه من "الخطر الذي أصبح يشكله تهريب الكيف الذي يمكن أن يتحول يوما بعد يوم إلى تهريب مكثف للسلاح"⁴⁸⁵.

المخاوف التي سعى الجهاز الاستعماري لتجاوزها، هي ما ستصبح واقعا تعيشه القوات الفرنسية المتواجدة على الحدود والأجهزة الإدارية بمكتب حدادة بقبيلة مثيوّة، فبداية من شهر مارس سنة 1955 سيؤكد التقرير الفرنسي استفحال ظاهرة التهريب، بعد أن تم تسجيل العديد من عمليات تهريب الكيف لم يستطع معها القاييد الداودي ولا أعوانه ضبطها نظرا لكثرتها، ما جعل رئيس مركز حدادة يشرف شخصا على عديد عمليات المراقبة للشريط الحدودي، مع الإشراف على التحقيق حول الأمر، خاصة بفرقة مرزين، حيث خلص تحقيقه إلى أن هذه الفرقة تشهد عمليات لتهريب الكيف والوطنيين والأسلحة، الأمر الذي عزز مخاوفه من احتمال زعزعة استقرار القوات الفرنسية بتعزز مصادر تموين الوطنيين بالسلاح⁴⁸⁶.

⁴⁸⁴ - A.D.N, B.R.P, poste d'el HADDADA, période du 05 au 20 Janvier, zone intérieur 1955, p.1

⁴⁸⁵ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, période du 20 Janvier au 05 février, zone intérieur 1955, p.1

⁴⁸⁶ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{ère} partie, période du 08 Avril au 05 Mai, zone intérieur 1955, p. 1

بغية تجاوز هذا الانفلات الحاصل، ستشن سلطات الحماية حملة من الاعتقالات الواسعة في صفوف المشتبه فيهم بتوجهاتهم السياسية المرتبطة بالتهريب، إضافة إلى الأشخاص المحتمل ارتباطهم بالوطنيين، فقد صرح المخبرون المعتمدين من قبل الفرنسيين، بأن مجموعة من هؤلاء الأشخاص يملكون أسلحة وهي قادمة من المنطقة الإسبانية، ما يهدد المنطقة بالانفلات الأمني، ما سيؤدي إلى ضرورة العودة إلى الاشتغال مجدداً على تجريد الساكنة من السلاح⁴⁸⁷.

استمررا في توجه رئيس مكتب حدادة لتضييق الخناق على الوطنيين ومهربي السلاح، سيصدر أوامره بضرورة جمع واسترجاع الأسلحة، أو على الأقل بعضها، مخافة الاصطدام بالساكنة المحلية في هذه الظرفية الحساسة، وفي ظل صعوبة الكشف عن السلاح لكونه يعتبر سرا من الأسرار الشخصية، حيث أفضى تحقيقه بهذا الأمر إلى اكتشاف 74 بندقية من صنع محلي لا يحمل أصحابها أي ترخيص، متواجدة لدى ساكنة فرقي "بني خالد" و"تموراس"، فتم معاقبة أصحابها بغرامات مالية، كما ناشد سلطات الحماية بضرورة إرسال شرطة النقل لمراقبة الطرقات، بغية تشديد الخناق على الوطنيين الفارين عبر حدود الدائرة، والقادمين من الدار البيضاء على وجه التحديد، الذين تم رصد العديد منهم محملين بالمال أو السلاح وهم يعبرون الحدود باتجاه ثلاثاء كتامة⁴⁸⁸.

المطلب الأخير لمكتب حدادة في شخص رئيسها، سيتم تلبيته بإرسال ثلاث مفتشين للنقل من فاس مصحوبين بالعقيد MOREL، الذين خلصوا في نتيجة تحقيقهم إلى تواجد خلية للوطنيين، تأسست بدوار "مرزين" منذ سنوات، لكنها غير نشيطة لحدود الآن، وأن جميع الأسلحة المهربة لم يتم اكتشافها بعد، وبناء على خلاصات التقرير تم فرض حصار شديد على فرقة مرزين وباقي الفرق الحدودية، لمحاربة نشاط مهربي الكيف والعابرين اليوميين للحدود، كما تم إلزام الساكنة بالبقاء في مجال فرقها، حيث أفضت هذه الإجراءات يوم 19 ماي

⁴⁸⁷ - ibidem

⁴⁸⁸ - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 08 Avril au 05 Mai, zone intérieur 1955, p. 1

1955 إلى اعتقال سبعة وسبعون شخصا، وضعوا كمشتبهين محتملين، قبل أن يتم إطلاق سراحهم لتمضية عيد الفطر مع عائلاتهم ليستمر التحقيق معهم فيما بعد⁴⁸⁹.

⁴⁸⁹ - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Mai, zone intérieur 1955, p. 1.

2- التحديات الاجتماعية والاقتصادية 1927-1932

1-2 . على المستوى الاجتماعي

عرفت ورغة العليا أحداث وتطورات، لم تأخذ فرنسا فيها زمام الأمور إلا بعد نهاية أشكال المقاومة المسلحة، لكن التداخل العلائقي للمنطقة مع ما يقع بالمنطقة الخليفة من مقاومة، لم يمنح الفرنسيين يقينا تاما بتلك السيطرة، مما ساهم في استمرار الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتأزم بقبائل الدائرة، حيث "سيترك العديد من الأهالي أسرهم بالقبيلة للتوجه صوب المدن وخاصة فاس لمحاولة البحث عن عمل"⁴⁹⁰.

أ- أحداث كتامة (صنهاجة السراير) 1927

أدت أحداث كتامة وما عرفته من صراع على مشارف قبيلة مثوية إلى دفع الفرنسيين بتعزيزاتهم لمراقبة حدود القبيلة، تفاديا للدخول كطرف ثالث في الصراع، هذا الأمر جعل سكان قبيلة مثوية الذين لديهم ارتباط وثيق بمناطق الجوار الإسباني - أمام طول مدة الصراع والحراسة المشددة من قبل الفرنسيين - يُمنعون إلى جانب سكان قبائل الدائرة من الدخول لمنطقة الصراع، بسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية الغير مواتية بالمنطقة المجاورة⁴⁹¹.

هذا الإجراء الحدودي القاضي بمنع تحرك ساكنة المنطقة باتجاه المجال المقابل من الحدود، زاد من عبء الأهالي اقتصاديا، الذين لا يملكون أي مخزون، ويعيشون من نتاج عملهم وتجارهم مع مناطق الجوار، ما خلف حالة من الفاقة والبؤس في وسط أهالي ورغة العليا القرييين من مناطق الصراع، وهو ما سيدفع الجهاز التدبيري بالمنطقة ممثلا في شخص رئيس الدائرة، للتفكير مليا في الحلول الممكنة لتخفيف معاناة السكان، عبر إعطاء مجموعة من المقترحات بهذا الشأن، كان أهمها توزيع المساعدات الغذائية مجانا على المحتاجين والمعوزين من المواد المخزنة بكل من قاعدة

⁴⁹⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, février 1927, p.4

⁴⁹¹ - ibidem

سُكر SKER وعين عائشة الغير المخصصة لاستهلاك القوات⁴⁹²، ما يبين مدى جدية الجهاز الإداري بدائرة ورغة العليا في البحث عن حلول مؤقتة للمشاكل التي تفاقم أوضاع الأهالي سوءاً، نتيجة ما شهدته المنطقة خلال فترة حرب الريف التي لم تتعافى الساكنة المحلية من تبعاتها، أو المشاكل التي لا زالت تعرفها نتيجة للصراع القائم على الحدود بين الجنود الإسبان والمقاومين من صنهاجة السراير.

ب- النزوح بين المنطقتين الحدوديتين

الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتأزم بالمناطق الحدودية لورغة العليا، سيزداد استفحالا مع اشتداد الزحف العسكري الإسباني على صنهاجة السراير، للقضاء على المقاومة التي يقودها السليطن وأنصاره، الذين قادوا جبهة الممانعة ضد التقدم الإسباني، فإضافة إلى الخسائر المادية التي عرفتتها القبيلة نتيجة الغارات الإسبانية الكثيفة على القرى بفرق "بني بشير" و"بني أحمد" و"تغزوت" و"بني بوشيت"، سيتسبب هذا الوضع الكارثي في تهجير العديد من سكان المنطقة، ما خلف موجة من النزوح صوب حدود الدائرة، هذا النزوح سيكون بمثابة موجة لجوء باتجاه "مثوية الجبل" و"صنهاجة مصباح" وبقبائل ورغة العليا بشكل عام⁴⁹³، وهو ما زاد عبئا آخر على فرق مثوية الحدودية، انضاف إلى ما تعيشه اقتصاديا، جراء منعها من التحرك باتجاه المنطقة الإسبانية.

الفرار واللجوء، لم يكن فقط من المنطقة الإسبانية صوب الفرنسية فقط، بل تواجد عديد سكان القبائل من دائرة ورغة العليا ومناطق أخرى منذ مدة، كلاجئين بعدة قبائل متواجدة بالجهة الحدودية المقابلة للمنطقة، حيث كانت تعمل التقارير الفرنسية بشكل شهري على رصد أعدادهم وعدد الملتحقين منهم بقبائلهم الأصلية، بالمقابل فضل البعض الآخر منهم البقاء بقبائل المنطقة الإسبانية، وصفهم التقرير الفرنسي بأنهم أصبحوا أشخاصا غير

⁴⁹² - ibid, p.5

⁴⁹³ - A.M, R.P.M, Région de Taza, 1^{er} partie, Avril 1927, p.10

مرغوب فيهم من لدن عديد قبائل المنطقة الإسبانية، بحجة كونهم لا يملكون عائلات ولا منفعة فيهم وكذا فارين من السلطات الإسبانية⁴⁹⁴.

بلغ عدد السكان من دائرة ورغة العليا، الذين لا زالوا بالمنطقة الإسبانية خلال سنة 1928 ما معدله 153 شخص، كانوا يشاركون في تشكيلات المقاومة خلال مراحل التقدم الإسباني، و66 منهم أصبحوا كمقيمين بالمنطقة الإسبانية حسب التقرير الفرنسي لشهر شتنبر، وهو ما جعل الجهاز الفرنسي يأخذ على عاتقه ضرورة إرجاع هؤلاء الأشخاص إلى مناطقهم، خاصة أن غالبيتهم يتواجد بالمنطقة الإسبانية اعتقاداً منهم أنهم سيجدون أجراً جيداً، يحسن حياتهم مما دفعهم إلى البقاء هنالك (حسب الرواية الفرنسية)⁴⁹⁵.

سعى من سلطات الحماية بالدائرة لاسترجاع هؤلاء من المنطقة الإسبانية، سيفعل الجهاز الاستخباراتي الفرنسي سياسة استقطاب تجمع بين الترغيب والترهيب تجاههم، لإعادتهم إلى مناطقهم، عبر إظهار المزايا الاقتصادية بمناطقهم الأصلية، أو في حالة رفضهم سيتم العمل بشتى الوسائل على ذلك، "عندما تكون الحقيبة والجبال التي تشكل غالبية هؤلاء المتهاجرين، لا يمكن تصور عودتهم إلا بفضل سياسة نشطة (مصادرة جزئية للممتلكات) واتفاق مع السلطات الإسبانية"⁴⁹⁶.

انطلاقاً من ما وصف التقرير الفرنسي به هؤلاء الأشخاص، الذين وصفهم بالباحثين عن فرص الشغل بالمنطقة الإسبانية، وإن تم تفسير ما ورد بالتقرير، فهؤلاء الأشخاص لا يملكون شيئاً بمناطقهم الأصلية يدفعهم للعودة إليها، غير حقيبتهم وحبالهم للعمل، وهو ما جعل الجهاز الفرنسي يبارك ويزكي التضييق الإسباني على تلك الفئات بالمنطقة، بغية دفعهم للتفكير بالرجوع إلى مناطقهم بدائرة ورغة العليا، من خلال متابعتهم ومصادرة ممتلكاتهم.

⁴⁹⁴ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Avril 1928, p.3

⁴⁹⁵ -A.M, R.P.M, Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1928, p.7

⁴⁹⁶ -ibidem

يبقى هذا التفسير هو الممكن لما ظهر من كلام التقرير، لكن وراء هذا الكلام قد يكون هدف خفي، يدفع للتساؤل بشكل جدي عن ماذا ستستفيد فرنسا من عودتهم إلى مناطقهم الأصلية، وما الغاية من التركيز الفرنسي على هذه الفئات بالذات، وإعطاء اقتراح إمكانية تجريدهم من ممتلكاتهم بالمنطقة من قبل الإسبان، وعدم ترك تلك الفئة لحال سبيلها لعود متى شاءت، فيكفي أنهم سيعودون أثناء تحسن الأوضاع الاقتصادية بمنطقتهم، هذا إن كان سبب مغادرتهم لمناطقهم اقتصادي محض حسب الرواية الفرنسية، فهذا الاهتمام الفرنسي بتلك الفئة من اللاجئين أو الفارين قد يكون نابعا من احتمال كونهم أشخاصا فروا من منطقتهم، ليس بدافع البحث عن العمل بالأساس، بل ربما لديهم ارتباط قوي بفترة معينة من الاضطرابات التي شهدتها المنطقة خلال فترة الحرب الفرنسية مع المقاومة، أو أنهم أشخاص يندرج بعضهم كمطلوبين للعدالة ما داموا يندرجون ضمن اهتمامات الجهاز الاستخباراتي الفرنسي، نظرا للتهديد المحتمل الذي يمكن أن يشكله البعض منهم في ظل غيابهم عن أعين المراقبة الفرنسية، فعودتهم يصبح فيها ضمان لتطويق تحركاتهم بقبائلهم الأصلية، فيصبحون تحت وصاية الضباط والشيوخ والقياد أو يتم اقتيادهم مباشرة للأسر. وتبقى كلها فرضيات ستكون محاولة الإجابة عنها من خلال توظيف الاستنتاجات والمعلومات التي ستعطيها التقارير الفرنسية بنفسها في مقبل الشهور.

ت- الرغبة الفرنسية في استرجاع ساكنة الدائرة من المنطقة الإسبانية

إضافة إلى ما قيل سابقا حول التخوف الفرنسي من تلك العناصر المتواجدة بالمنطقة الإسبانية، لا يمكن أن يسلم به على أنه بهدف اجتماعي فقط، بحسب ما تصرح به عديد التقارير، بل يرجع بالأساس لكون تلك العناصر الوردية عدد كبير منها لم يذهب للبحث عن العمل فقط، بل دخلت في تشكيلات عسكرية للمقاومة بالمنطقة الحدودية، والخوف من أن تصبح متدربة أكثر على حمل السلاح وعند عودتها ستصبح مصدر تهديد وقلق للقوات الفرنسية، فمن المحتمل أن يكون هؤلاء الأشخاص هم مشروع خلايا مسلحة يمكن أن تتشكل في الظل عند عودتها، لتضرب المصالح والقوات الفرنسية في معقلها بدائرة ورغة العليا، وهو ما جعلها متفطنة لتلك العناصر وتتبع خطواتها

عن كذب، حيث ظهر هذا الأمر مع قيام القوات الفرنسية بحجز بندقتين في وضعية سيئة و19 من الدخيرة كانت بحوزة ساكن من قبيلة صنهاجة الشمس، كان من بين هؤلاء المقيمين بالمنطقة الإسبانية والذين تحدث عنهم التقرير السابق، فقد كان منضويا في تشكيلات المقاومة المسلحة بالمنطقة الإسبانية⁴⁹⁷، وهو الأمر الذي يؤكد فرضية المتابعة الأمنية والاستخباراتية لتلك العناصر، والرغبة في التضيق على تحركاتها وتعريضها للأسر عند أول ثبوت لزيغها أو امتلاكها لأسلحة.

استمرار أشخاص من دائرة ورغة العليا فارين بالمنطقة الإسبانية، أصبح يتأكد معه أن هذا الاهتمام الفرنسي يظهر بشكل جدي مع توالي التقارير والمغزى الخفي منه، حيث أصبح الضباط الفرنسيون بالمنطقة يبحثون مع نظرائهم الإسبان إمكانية توسيع هذه العلاقات سواء حول الأراضي أو حول مسألة البحث عن الأشخاص الفارين من دائرة ورغة العليا باتجاه المنطقة الإسبانية، وهو ما اتضح في عديد المرات، حيث كانت القوات الفرنسية وجهازها الاستخباراتي على وجه التحديد يعمل على المراقبة المستمرة لهؤلاء الفارين بالمنطقة الإسبانية⁴⁹⁸.

ث- تداخل الاجتماعي بالسياسي والعسكري لدى ضباط الدائرة

تطورت العلاقة ودرجة التنسيق الأمني بين الجانبين إلى تبادل الفارين من الجنود من الفيلق العسكرية التابعة للقوتين الاستعماريتين، الذين أصبحوا في وضعية المبحوث عنهم لدواعي أمنية، حيث العمل السياسي ظل الهاجس الأساس للفرنسيين، لتفادي أي احتمال لوجود خارجين عن القانون ممن تعتبرهم من حملة السلاح ويجيدون استعماله، مخافة تدريب أشخاص آخرين على يدهم أو رجوع التجربة السابقة والدور الذي لعبه الألمان والأجانب في تدريب الريفيين على استعمال الأسلحة والخطط العسكرية المختلفة، وهو الأمر الذي يمكن أن يفسر بتقديم القوات الفرنسية طلب لدى الإسبان، حول أشخاص مبحوثين عنهم وضرورة إرجاعهم للمنطقة الفرنسية⁴⁹⁹.

⁴⁹⁷ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1928, p.4

⁴⁹⁸ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1928, p.7

⁴⁹⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Janvier 1929, p.8

يستشف من خلال حرص الجانب الفرنسي على استعادة المغاربة من حملة السلاح الفارين من دائرة ورغة العليا بالمنطقة الإسبانية ومدى الإرتياح الذي يخلفه هذا الأمر لديه، نظرا للدور الذي قد يلعبونه في ظهور خلايا مقاومة أو إعداد مقاتلين ، كدليل على مدى حرص القوات الفرنسية بجهازها العسكري والسياسي على تتبع كل الأشخاص الفارين من مجالها سواء كانوا أشخاصا مشتبه فيهم أو فارين من تشكيلاتها العسكرية⁵⁰⁰؛ فضرورة استرجاع المبحوث عنهم نابع من عدم ترك مجال للصدفة أو للتقصير الأمني والاستخباراتي، أن يكون سببا في حدوث انفلات مستقبلا لا يكون في صالحها خاصة التهديد الأمني للجانبين، فضعف المنطقة الإسبانية وانفلاتها الأمني يعني ضمينا احتمال وقوع اضطرابات بالمنطقة الفرنسية.

كما أن نتائج ومخلفات الحرب استمر تأثيرها على الساكنة المحلية، التي كانت أرضها مسرحا للصراع الفرنسي المحتل مع المقاومة الريفية والمحلية المدافعة، خاصة بالقبائل الشمالية لدائرة ورغة العليا وبباقي الدوائر، نتيجة الأضرار التي خلفتها الألغام والقذائف على الساكنة، حيث ظهرت عديد الحوادث المميتة للساكنة، ناتجة عن انفجارات لقذائف، التي ظلت متناثرة في الأرض منذ أحداث الريف، لتقوم المدفعية الفرنسية بإجراء بحث دقيق وشامل بالمنطقة عن هذه القذائف القديمة التي وصل عددها 44 قذيفة تم تجميعها وتدميرها⁵⁰¹.

وقد خلفت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تربط بين سكان المنطقة الإسبانية ونظرائهم بدائرة ورغة العليا، عديد المآسي المؤلمة للساكنة الحدودية، حيث في عدة مرات وجد العديد من سكان المنطقة الإسبانية قد لاقوا مصرعهم في الطرقات أثناء محاولتهم العبور للمنطقة الفرنسية، الأمر الذي يوضح حجم المعاناة التي يتكبدها سكان المنطقة الإسبانية للوصول إلى أسواق المنطقة الفرنسية خلال فصل الشتاء، سالكين الطرق الوعرة بالمرتفعات هروبا من التضيق الحاصل بمناطق المراقبة الفرنسية، مروراً بمرتفعات تاغزوت على حدود قبيلة مشوة الجبل، التي قد

⁵⁰⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Octobre 1929, p.4

⁵⁰¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1929, p.4

تضع حدا لحياة بعضهم أمام اختيار المغامرة في فصل الشتاء الصعب، بسبب الأحوال الجوية السيئة نتيجة البرد والتساقطات الثلجية التي تفاجئهم⁵⁰².

هذا الإغلاق للحدود بين الدائرة والمنطقة الإسبانية وما يخلفه من تبعات اقتصادية واجتماعية، سيعمل الجانبين على التفكير في وضع مدد زمنية لعبور السكان بين المنطقتين، ففي يوم 25 مارس 1932 سيقوم النقيب NORTBECOURT، رئيس مكتب الدائرة و الترجمان الملازم MANTOUT بالذهاب إلى "بني بربر" للقاء النقيب الإسباني GREGORI المسؤول عن صنهاجة السراير، للخروج باتفاق متوافق عليه حول مسألة عبور السكان بين المنطقتين، فتم الاتفاق خلال اللقاء على وضع مدة لعبور ساكنة المنطقتين الحدوديتين (بني بربر و بني بوشيت)⁵⁰³.

2-2 على المستوى الاقتصادي

ارتباط عديد القبائل من دائرة ورغة العليا التابعة لمكتب تاونات اقتصاديا بالمناطق الريفية الواقعة تحت النفوذ الإسباني، لتصريف منتوجاتهم الأساسية صوب أسواق المنطقة الخليفية، أو بتوافد عدد كبير من سكان قبائل هذه المنطقة على أسواق مثوية والأخرى التابعة لمكتب تاونات، مقابل الإجراءات المشددة التي اتخذها الفرنسيون على الشريط الحدودي، ستزداد معها مشاكل السكان بين المنطقتين وعلى رأسها مشاكل قبائل دائرة ورغة العليا المرتبطة اقتصاديا بالمنطقة الحدودية⁵⁰⁴، فجراء التشديد التي تم بالحدود من قبل المراكز الفرنسية بسبب الصراعات الدائرة بقبائل الجانب الإسباني مع القوات الإسبانية، ستعمل الإدارة الفرنسية في شخص رؤساء مكاتبها بدائرة ورغة العليا بجهد، للبحث عن صيغ مقبولة لاحتمة الترابط الحاصل بين المنطقتين واستحالة خلق قطيعة اقتصادية نهائية بين الجانبين.

⁵⁰² - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, période du 26 février au 25 Mars 1931, p.1

⁵⁰³ - A.M, R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, 1^{er} partie, Période du 26 Mars au 25 Avril 1932, p.1

⁵⁰⁴ - A.M, R.M.P, Juillet 1926, p.2

أ- تدبير تنقل الأشخاص والبضائع بين المنطقتين

سعي الجهاز التدييري المحلي بدائرة ورغة العليا عبر مكتب تاونات لتجاوز إشكال ضرورة تنقل الأشخاص بين المنطقتين، سيقوم بالعمل على منح تراخيص لسكان المناطق التابعة لمكتب تاونات، التي تريد التحرك باتجاه المناطق الحدودية الإسبانية لبيع منتجاتهم، هذا الأمر لم يجنب الساكنة الانفلات من التضيق الإسباني "حيث تعرض العديد من سكان المنطقة التابعة لمكتب تاونات للإعتقال أثناء توجههم لبيع الزيت بترجيست على الرغم من حملهم لتصاريح تحت درائع واهية"⁵⁰⁵.

اعتقال الإسبان لسكان المنطقة أثناء توجههم لأسواق القبائل التي تخضع لتدبيرهم، يمكن إرجاعه بالأساس إلى رغبة الإسبان في إظهار مدى مراقبة تحركات السكان القادمين من المنطقة الفرنسية، ومعاملة فرنسا بمثل ما تقوم به على حدودها أثناء تحرك السكان من قبائل صنهاجة السراير، الذين تعرض العديد منهم للإعتقال من طرف القوات الفرنسية سنة 1927م، بحيث لم يتم الإفراج عن عدد كبير منهم إلا بعد زيارات إدارية للجنرال كاسترو غيرونو والقائد سنناكروز⁵⁰⁶.

اعتقال الإسبان لسكان الدائرة، نابع من رغبة الضباط والمسؤولين الإسبان في إرسال رسالة للفرنسيين مفادها ضرورة المعاملة على قدر متساو، فيما يخص مسألة الأسرى وضرورة القيام بزيارات من قبل المسؤولين بدائرة ورغة العليا للمراكز المجاورة لهم، قصد التشاور و الاتفاق حول هذه التراخيص بين الجانبين وليس من جانب واحد، فهو إعلان غير مباشر عن عدم الاعتراف بهذا تراخيص كإجراء أحادي من الجانب الفرنسي.

هذا الأمر وباقي المشاكل ستجعل سلطات الحماية بالدائرة، تستجيب لرغبة الإسبان في التنسيق معهم حول ما يهم المنطقة الحدودية، عبر إرسال ضابطين من مكتب تاونات لزيارة المنطقة الإسبانية، بعد دعوتهم من قبل

⁵⁰⁵ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Juin 1927, p.5

⁵⁰⁶ - A.M, R.M.P, Territoire de Taza Nord, 1^{er} partie, Juin 1927, p.3

المفوض(المندوب) السامي بالمنطقة، فبعد استقبالهما قام القائد Santa Cruz رئيس جهاز التدخل عند قبيلة صنهاجة السراير بترجيست، بإبداء رغبته في زيارة تاونات وفاس لتلطيف الأجواء مع الفرنسيين عقب ما وقع بين الجانبين حول مسألة إعتقال سكان المنطقة⁵⁰⁷. فمن خلال إبداء سانتا كروز رغبة في زيارة المنطقة، يتضح مدى رغبة الإسبان في الدفع بأنفسهم كشركاء أساسيين في تدبير المجال الحدودي مع الفرنسيين.

اشتداد الخناق الاقتصادي بورغة العليا على الساكنة المتواجدة على الحدود، ليس أمرا وليد سنة واحدة بهذه المناطق، بل يرجع لسنوات مقاومة التقدم الفرنسي وما خلفه من آثار اقتصادية مهلكة، تمثلت في ضعف المحاصيل أو انعدامها، واستفحال التضيق من قبل الفرنسيين على تجارهم باتجاه المنطقة الإسبانية، لكونهم تعودوا على ربط هذه العلاقات مع شمالهم وليس جنوبهم في ظل وجود قبائل غنية بالقرب من فاس وتمتلك أراضي فلاحية بامتياز، فنقل البضاعة من مثوية على سبيل المثال إلى فاس هو مكلف أكثر من نقلها إلى المناطق الريفية القريبة، خاصة بصنهاجة السراير، مع وجود إقبال كبير على منتجاتها، في ظل غياب قبائل لها قدرات فلاحية مهمة عدا قبيلة بني زروال، وباستقرار الأوضاع تدريجيا بالمنطقة الإسبانية وفتح أورش لتشييد الطرق وغيرها من البنى التحتية الأساسية، التي ينجزها الإسبان بالمنطقة لتثبيت تواجدهم، سيقرر "أهالي المنطقة الفرنسية -دائرة ورغة العليا- التوجه بأعداد مهمة إلى العمل بالأورش الإسبانية حيث يحصلون على عائدات متميزة من عملهم"⁵⁰⁸، وهو التنقل الذي جاء بعد الاتفاق بين الجانبين على نوع التصاريح المخول إعطاؤها للسكان قصد التنقل بين المنطقتين.

ب- التقنين الفرنسي الإسباني لحركة السكان والبضائع

بتحسن الأوضاع الأمنية شيئا فشيئا بالمناطق الحدودية الخاضعة للإسبان(صنهاجة السراير)، ستصبح تحركات سكان المنطقة التابعة لمكتب تاونات أكثر وضوحا، نظرا للارتباط التجاري بين المنطقتين، وعدم إيجاد الجهاز الفرنسي لبدائل يغني بها سكان المنطقة عن التعامل مع سكان الجوار، فقد "عرفت التجارة بين المنطقة الفرنسية والمنطقة

⁵⁰⁷ -A.M, R.M.P, Août 1927, p.1

⁵⁰⁸ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1927, p.3

الإسبانية ارتفاعا ملحوظا منذ عودة الأجواء الجيدة، سوقي ثلاثاء بني وليد و أربعاء تاوانات أصبحا جد رائحين بفضل أهالي المنطقة المجاورة، يطلب الكثير من سكان قبائلنا المجاورة الذهاب إلى الأسواق في المنطقة الإسبانية لبيع منتجاتهم والحصول على المبالغ اللازمة لدفع الترتيب الذي هو بصدد التحصيل⁵⁰⁹.

المعطى السابق، يوضح على أن تحسن العلاقات التجارية بين قبائل الشريط الحدودي، من جانب ورغة العليا والقبائل الواقعة بالمنطقة الخليفية، كان رهينا بتحسين الوضع الأمني، بعد فترة من قيام القوات الفرنسية بوضع تعزيزات على حدود المنطقة لإحكام السيطرة عليها، بسبب ما عرفه الجوار الإسباني من صراعات واضطرابات، أدت إلى التسبب في أضرار كبيرة على تلك القبائل، الأمر الذي جعل الفرنسيين يتخوفون من موجة النزوح، خاصة بعد أن قامت القوات الإسبانية باستخدام سلاح الطيران ضد المقاومة التي قادها السليطن⁵¹⁰.

لقد ربط الفرنسيون مصير العلاقة بين سكان دائرة ورغة العليا المتواجدين على الحدود مع قبائل الحدود المجاورة بالمحاسن الأمنية بالدرجة الأولى، ثم الاقتصادي بدرجة متأخرة، فعودة العلاقات لشكلها الطبيعي رهين بظهور تنسيق عسكري واضح بين القوتين المحتلتين، الذي بدأ يتضح أكثر فأكثر مع مراسلات ضباط المنطقتين الحدوديتين، حيث برز هذا التنسيق في عديد التقارير العسكرية الفرنسية، التي استعرضت عديد نماذج التواصل العسكري والتدبري بين ضباط وجيشي المنطقتين، لكن هذا الأمر لم يكن يطمئن الفرنسيين ويعطي الثقة الكافية، لتوجه سكان قبائل ورغة العليا بكل أريحية إلى المناطق الإسبانية، بل فقط كان يسمح بذلك للأشخاص الحاملين لتصاريح العبور بين المنطقتين، بالمقابل تم السماح لقبائل الجانب الإسباني بالتوجه نحو الأسواق المتواجدة بدائرة ورغة العليا، بعد التوافق الإسباني الفرنسي حول صيغة التصاريح التي ستقدم للأشخاص العابرين للحدود والقادمين من الجهة الإسبانية⁵¹¹، وهو ما يكرس الرب المستمر لدى الفرنسيين من تحرك سكان منطقتهم بالشكل الذي يريدونه صوب مناطق الاضطرابات بالجانب الآخر لبيع منتوجاتهم.

⁵⁰⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Janvier 1928, p.3

⁵¹⁰ -ibid, p.5

⁵¹¹ - ibidem

حتمية العلاقات التجارية بين سكان قبائل المناطق الحدودية، الواقعة بين دائرة ورغة العليا وقبائل صنهاجة السراير، واستحالة الضبط الكلي للمجال الحدودي، جعل المنطقتين المختلفتين يسمح فيهما بما يمكن وصفه بالحد المقبول من المعاملات، خاصة من قبل الفرنسيين، حيث تم مراقبة العلاقات التجارية بين سكان المنطقتين، عدا بني احمد، الذين باتفاق سابق منعوا من كثرة ارتيادهم على الأسواق المتواجدة بالجانب الفرنسي، كما قامت مكاتب التدخل الإسبانية بمراقبة عن كثب للحركة التجارية بمنطقتها، حيث تم إلقاء القبض خلال شهر يناير 1928 على العديد من سكان دائرة ورغة العليا بالأسواق المتواجدة بالمنطقة الإسبانية، فتم إرجاعهم إلى تاونات فـ"خلال الشهر السابق عديد الأهالي من منطقتنا تم إرجاعهم إلى تاونات من قبل مكتب سوق الحد إيكاون"⁵¹² الذي يتواجد بقبيلة كتامة (صنهاجة السراير).

هذا التطويق التجاري وتقنين حركية تنقل الأشخاص والبضائع بين المنطقتين إلا بوجود تراخيص، سيستمر في التضيق على حياة الأهالي بين المنطقتين، والخضوع للتشديد الإداري المطبق بين ضباط المكاتب الحدودية في سياق الفعل ورد الفعل، حيث ستقدم القوات الفرنسية المتواجدة بحدود قبيلة مثوية خلال شهر ماي 1928 على اعتقال 38 شخص من المنطقة الإسبانية، عبروا بأراضي قبيلة مثوية بدون رخص التنقل، وبعضهم كانوا يحملون رخصا منتهية الصلاحية، فتم إرجاعهم للمنطقة الإسبانية بعد أن قدّم الضباط الإسبان وعدا بإعطاء أوامر لتسوية وضعيتهم وبعدم تجدد مثل هذه الأحداث فيما هو قادم⁵¹³.

⁵¹² -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Février 1928, p.6

⁵¹³ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Mai 1928, p.4

3- مشكل التهريب وحساسيته السياسية والاقتصادية 1927-1955

أمام الارتباط التاريخي والاقتصادي لقبائل ورغة العليا بالمنطقة الخليفية، صُعب على القوات الفرنسية جهازها الإداري بعد وضع مراكز لمراقبة تحرك سكان قبائل دائرة ورغة العليا صوب المنطقة الإسبانية - خاصة بعد بناء مركز تاونات لقشور الحدودي وبني بربر ومكتب حدادة-، قطع هذا الارتباط، حيث كان الهدف ضبط حركة السكان على الحدود، ومنعهم من تصريف منتجاتهم بشكل غير قانوني صوب المناطق الحدودية، إلا في حالة التوفر على ترخيص قانوني من لدن المكاتب المحلية، حيث سجل التقرير الفرنسي لشهر شتنبر سنة 1927 حركة كبيرة لأهالي الدائرة، الذين عبروا بشكل سري باتجاه المنطقة الإسبانية "على الرغم من المراقبة المطبقة على طول الحدود، حيث لم تحد من تصدير عدد من المنتجات والحيوانات، هذه الوضعية لن تتغير إلا بإنشاء مصلحة للجمارك"⁵¹⁴، الانفلات المصرح به من قبل الفرنسيين سيدفعهم إلى البحث عن السبل الكفيلة للحد من هذا الانفلات التجاري، باتخاذ مجموعة من الإجراءات للحد من عمليات التهريب، خاصة بعد أن أصبح هذا التهريب مصدرا للتهديد الأمني في سنوات لاحقة.

3-1 الإجراءات الفرنسية للتخفيف من ظاهرة التهريب

وجود ثغرات في مراقبة الحدود من قبل الفرنسيين أمام عجز أو تراخي إسباني بالمقابل حسب النظرة من الزاوية الفرنسية، خلف توجسا من قبل رئيس دائرة ورغة العليا، الذي دعا إلى ضرورة اتخاذ التدابير الضرورية لتقليص وتفنين عملية تهريب المواد الفلاحية والحيوانية من الدائرة باتجاه المنطقة الإسبانية، وضبط حركة سكان المنطقة الأخيرة، الذين أصبحوا يدخلون للدائرة قصد شراء أسلحة قديمة لدفعها إلى السلطات التي تطالبهم بها، كما عملت السلطات

⁵¹⁴ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1927, p.3

الفرنسية على ملاحقة القائمين بعمليات التهريب، حيث أوقفت مجموعة من المهربين يعملون بقبيلة صنهاجة مصباح⁵¹⁵.

هذه المطالب من رئيس الدائرة سيتم الاستجابة إليها من قبل الجنرال قائد الجهة، حيث بدأ يظهر تقلص وتقنين للنشاط التجاري بين المنطقتين الحدوديتين، كما قام ضباط من المنطقتين بتفعيل دوريات على الحدود، بشكل مستمر للمراقبة، في أفق انتظار أن يتم في أقرب الآجال إنشاء مراكز للجمارك على طول الشريط الحدودي⁵¹⁶، حيث سيلتقي ضباط المنطقة الإسبانية المتواجدين بين الرتبة Ratba و"ثلاثاء بني احمد" و"سبت تموروث" Sebt Tmorrouit من جهة، وضباط المنطقة الفرنسية لكل من مركز تاوانات و"أدمان" Adman من جهة ثانية، لتبادل وجهات النظر، للتأسيس لاتفاق حول موضوع الحركة التجارية بين المنطقتين، وتم في النهاية التوصل إلى نموذج متوافق عليه، بدأ حيز التطبيق منذ نهاية شهر دجنبر 1927⁵¹⁷.

تجند الجهاز الإداري والعسكري الفرنسي بالمنطقة، بشكل جدي لمحاربة أو على الأقل التخفيف من ظاهرة التهريب وحركة تنقل السلع والأشخاص بدون ترخيص، حيث كانت تُقدم فرق من الكُوم والمخازنية على القيام بحملات تمشيطية بالشريط الحدودي، وإنجاز دوريات مفاجئة على طول الشريط الحدودي، لتوقيف المهربين والأشخاص القادمين من المنطقة الإسبانية بدون تراخيص إلى المنطقة الفرنسية⁵¹⁸.

الإجراءات الفرنسية هدفت بالأساس إلى تقنين عمليات التهريب وليس القضاء عليها نهائياً، في ظل تواجد ارتباط إقتصادي متين، يصعب معه خلق القطيعة الكلية بين المجالين، في ظل محدودية القوات العسكرية التي توظف في ذلك، وفي غياب قدرة فعلية للجهاز التدبيري المحلي على خلق أنشطة بديلة، تبعد الساكنة عن التوجه صوب التهريب، حيث استمرت الفرقة الثامنة 8 من الكُوم لتاوانات وعدد من القوات المساعدة في القيام بعمليات تمشيطية

⁵¹⁵ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Octobre 1927, p.4

⁵¹⁶ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1927, p.4

⁵¹⁷ -A.M, R.M.P, Novembre-Décembre 1927, p.9

⁵¹⁸ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Octobre 1928, p.3

واسعة، وبشكل متكرر على طول الشريط الحدودي لمراقبة التهريب، بهدف وضع المهربين تحت الضغط وجعل الساكنة المحلية محط متابعة في هذه العمليات إذا ثبت تورط أحدهم في مساعدة المهربين⁵¹⁹.

هذه العمليات التمشيطية التي تقوم بها فرق الكوم ودوريات الشرطة وفرق المخازنية، لتتبع وملاحقة تجار التهريب ومروجي البضائع الممنوعة أو المحضور المتاجرة بها، ستكون حاضرة ليس فقط على الشريط الحدودي بل داخل المجال الترابي للدائرة، نظرا لكون المهربين كانوا ينفلتون من المراقبة الموجودة على الشريط الحدودي، وبذلك كان لزاما تتبع عمليات التهريب ورصدها كذلك من داخل الدائرة، فقد أسفرت إحدى العمليات عن اعتقال اثنين من مروجي التبغ والكيف القادم من المنطقة الإسبانية، ضبطا متلبسين بكميات من التبغ والكيف بقبيلة مزيات⁵²⁰.

استمرت الدوريات الأمنية في مراقبة حركية المواد الممنوعة القادمة من المنطقة الإسبانية خاصة الكيف، للحد من نشاط مهربي هذه المادة من جهة، ومن جهة ثانية لتقنين تهريب المواد الفلاحية من دائرة ورغة العليا وباقي المناطق، التي تستغل الشريط الحدودي للدائرة في تهريب منتجاتها صوب أسواق قبائل المنطقة الخليفية، حيث سجل التقرير الفرنسي لشهر شتنبر 1929م، عملية تصدير كمية كبيرة من الزيت صوب المنطقة الإسبانية دون ترخيص انطلاقا من حدود الدائرة، الأمر الذي خلف تخوفا من أن يكون لهذا وقع على رفع أثمان هذه المادة الحيوية محليا⁵²¹، فانخرطت القوات الفرنسية والزعماء المحليين من قياد و شيوخ بالخصوص، في الإشراف على عملية مراقبة العربات والأشخاص المشبوهين، إلى جانب القيام بالتدقيق في هوية الأشخاص القادمين من المنطقة الحدودية المجاورة، حيث أسفرت هذه الإجراءات في عديد المرات عن توقيف مهربين للتبغ (من نوع طابة) والكيف⁵²².

إنجاز هذه الدوريات المفعلة على الشريط الحدودي، من قبل مختلف المعنيين بالجانب الأمني من شيوخ وقياد وغيرهم، كانت تقابلها دوريات تنجز من قبل شرطة النقل، تحت إشراف ضباط المكاتب بقبائل الدائرة، وعلى وجه

⁵¹⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Novembre 1928, p.1

⁵²⁰ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Mars 1929, p.3

⁵²¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Septembre 1929, p.2

⁵²² ibid, p.5

التحديد أثناء انعقاد الأسواق، للتضييق على السكان أو المهريين القادمين من الجهة الإسبانية، وضبط الغير الحاملين لرخص التنقل ومنعهم من اقتناء حاجياتهم، وتجنب بيع مواد مهربة بالأسواق المحلية، وارتكزت في الغالب هذه الدوريات بالأسواق على محاربة ترويج الكيف و تهريب السكر⁵²³.

مراقبة الضباط للأسواق، بحسب ما جاء في التقرير الفرنسي لتهريب الكيف والسكر، يشمل المنع لنوعان من التهريب العابر للحدود، وهما منع دخول الكيف من المنطقة الإسبانية لداخل المنطقة الفرنسية من جهة، ومن جهة ثانية محاربة تهريب السكر من المنطقة الفرنسية صوب المنطقة الإسبانية أثناء انعقاد الأسواق، بهدف عدم حصول نقص في هذه المادة الحيوية بالنسبة للمناطق الخاضعة للتدبير الفرنسي عامة وبالدائرة خاصة، فتحويلها من مادة للاستهلاك المحلي بالقبائل الورغية إلى مادة تصبح نادرة بفعل التهريب صوب المنطقة الإسبانية، سيحدث خللا بين مبدأي العرض والطلب، مما سيؤدي ضمينا إلى رفع ثمن هذا السكر، بذلك تصبح مراقبته ضرورية للمحافظة على مستوى مقبول له في الأسواق، كتدبير فرنسي يهدف إلى الحفاظ على مستوى القدرة الشرائية، حيث يصبح الجهاز التدبيري الفرنسي بالمنطقة أكثر ضبطا للوضعية الاقتصادية التي تساهم ضمينا في تحقيق الاستقرار الاجتماعي الذي ينشده.

كما كانت عملية التهريب باتجاه المنطقة الفرنسية من مناطق الدائرة وشمال فاس بصفة عامة، تتم بعمليات مختلفة، حيث أبلغ المدير العام للمالية مدير الشؤون الأهلية بالرباط في مراسلة سنة 1935م ، يؤكد على ضرورة إخبار جميع ضباط المكاتب الحدودية المجاورة للمنطقة الإسبانية، عن وجود معلومات استخباراتية حول إعداد لمحاولات التهريب السري لقطعان من حيوانات مختلفة عبر الحدود الشمالية لفاس وتازة⁵²⁴، حيث سيتلقى الجنرال قائد المنطقة مراسلة بدوره من طرف مدير الشؤون الأهلية بالرباط، يؤكد على وجود قطع مهم من البغال والمهور سيجلبها أشخاص إلى فاس، سيتم تصديرها عن طريق الإحتيال إلى الحدود الشمالية لفاس باتجاه الريف، والتي ستمر

⁵²³ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Décembre 1930, p.4

⁵²⁴ - A.M, Lettre N° 210, du Inspecteur des Finances Directeur Générales Finances au Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes à Rabat, sujet : **Avis de fraude- Prohibition de sortie des animaux** , 1 Mai 1935.

525 جدول رقم 20: دورية للضباط بالأسواق لمراقبة و جمع ضريبة الترتيب وتفقد مسالك التهريب:

الدوريات المطبقة من قبل ضباط الشؤون الأهلية خلال شهري نونبر ودجنبر		
الإسم والرتبة	التاريخ و المدة	الهدف
الملازم QUAIX	* 23.11.1931 يوم	* ذهب لقبيلة مزاوة لحضور استخلاص الترتيب
	* 28.11.1931 يوم واحد	* ذهب إلى ورشة أولاد علي لإعطاء تعليمات للتحقيق في موضوع سرقة
الملازم RIOB رئيس مكتب بني وليد	1931./11/24.25.26 يوم واحد	توجه إلى مديونة لاستخلاص ترتيب صنهاجة الشمس
الملازم COUPAT قائد الفرقة 43 للكوم	* 1931/11/25.26 1931/11/28* 1 يوم * 3.12.1931 يوم * 16.12.1931 1 يوم * 19.12.1931	* ذهب إلى بورود لحضور استخلاص ترتيب مثوية * ذهب لسوق السبت لاستخلاص ترتيب مثوية * ذهب لبني بربر لزيارة المركز و فرق المخزن * يتفقد دوار مثوية * ذهب لسوق سبت مثوية
الملازم RIOB	* 27.11.1931 * 2.12.1931 - يوم * 9.12.1931 يوم * 16.12.1931 يوم	* ذهب عند صنهاجة الظل لاستخلاص الترتيب * ذهب لمديونة لزيارة المركز والسوق * زيارة مركز مديونة والسوق * تفقد مركز وسوق مديونة
النقيب NORTBECOURT، رئيس مكتب الدائرة	* 16.12.1931 3 ساعات * 17.12.1931 3 ساعات * 20.12.1931	* ذهب في دورية إلى ولاد بوسلطان * ذهب في دورية لدى رغبة * ذهب في دورية عند مزاوة

عبر التراب الوريغي⁵²⁶، وهو ما يوضح التتبع الاستخباراتي لعمليات التهريب التي قد تعرفها المنطقة من مستويات عليا في الشأن التدبري الفرنسي بالمغرب عامة، حيث كانت كل المجهودات تحذف إلى محاربة التهريب عبر الحدود.

سعيًا من جهاز الحماية في التشديد على مراقبة التجارة البينية بين المنطقة الإسبانية والفرنسية، عبر مراقبة تدفق السلع الإسبانية، بهدف الحد من إضرارها باقتصاد المنطقة الفرنسية وبيعها، تم إصدار قرار وزيري جديد يهتم تنظيم حركة تدفق السلع على المنطقة الحدودية ونوع المواد المحدد دخولها، حيث تم منع ترويج مجموعة من السلع الإسبانية بالمنطقة الفرنسية إلا بواسطة رخصة تمكن من نقلها، كما تم وضع خط للمراقبة يمتد من الغرب إلى الشرق لمحاصرة تدفق هذه السلع⁵²⁷.

ارتباطًا بدائرة ورغة العليا لكونها معنية بهذا القرار، تبعًا لما ورد في الجريدة الرسمية، بحكم الارتباط الحدودي مع الإسبان وتواجد مبادلات بينية بالمنطقة، فقد تم وضع خطين متأخرين للمراقبة بجنوب الدائرة، كحاجز ثاني للمراقبة بعد الأول المتواجد على الشريط الحدودي لقبيلة مثنوة، للحد من تدفق السلع المهربة باتجاه فاس وباقي المناطق، فكانا هذين الخطين على الشكل التالي:

1- الطريق الصغيرة المؤدية من سيدي رضوان إلى المجعة وفاس البالي وورتراغ وعين عائشة

2- الطريق الصغيرة المؤدية من "عين عائشة" إلى "كاف الغار" بمرورها بعين معطوف حتى تبلغ مشرع وادي نوال⁵²⁸.

تتبع التقارير الفرنسية لمكاتب ورغة العليا طيلة فترة الاحتلال الفرنسي، سيتبين من خلالها أن جهاز الاحتلال بمختلف الأجهزة التابعة له، لم يستطع القضاء نهائيًا على ظاهرة التهريب سواء للمواد الممنوع المتاجرة بها دون أداء

⁵²⁶ - A.M, Transmission N° 848, du Directeur des Affaires Indigènes à Rabat au Monsieur le Général de Division Commandant la Région Fès, objet : **contrebande commerciale sortie d'animaux en fraude**, 8 Mai 1935.

⁵²⁷ - "قرار وزيري في تغيير القرار الوزيري المؤرخ في 22 جمادى الثانية عام 1342 هـ الموافق لـ 2 فبراير 1924م، المتعلق بإدخال بعض سلع صادرة من المنطقة الإسبانية بالمغرب إلى المنطقة الفرنسية وترويجها واستبدالها في الناحية المجاورة للمنطقتين"، الجريدة الرسمية، عدد

1220، 1936، ص. 347.

⁵²⁸ - نفسه

رسوم، كقطعان الماشية ومواد غذائية، أو تلك الممنوعة بشكل نهائي، التي كان الوحيد الذي يملك حقوقها هو المستعمر الفرنسي كالبارود وطابة والحشيش، فقد زاد نشاط تهريب الكيف بالشريط الحدودي لقبيلة مثوية، التي يتسرب إليها قادمة من المناطق الإسبانية باتجاه عمق الدائرة ثم إلى باقي المناطق، فعلى الرغم من وضع الفرنسيين للجمارك والدرك بمنطقة حدادة، ووضع مكافآت مالية للقبض على من تسميهم التقارير الفرنسية بالكيفيين "kiffeurs"، فقد عجزوا عن محاربة هذا النشاط⁵²⁹.

وظف الجهاز الاستعماري بالمنطقة كل السبل لضبط عمليات التهريب، سواء من خلال العمل العسكري أو من خلال التكثيف من العمل الاستخباراتي، ووضع المكافآت على رؤوس المهربين "لمحاولة معرفة أين تمر القنوات، لكن الكيفيون يستفيدون بفضل المبالغ التي يفرقونها أو الخوف الذي يزرعونه، بتواطؤ الجزء الأكبر من الساكنة معهم"⁵³⁰، فقد وجد الجهاز التدريبي للمنطقة صعوبة في تطويق نشاط التهريب أمام اندماجه محليا مع ساكنة المنطقة الحدودية.

كما أنه على العكس مما هو متوقع، ففي عز الأزمة السياسية، التي من المفترض أن يكون معها تطويق كلي للمجال الحدودي أو على الأقل تشديد الخناق عليه⁵³¹، فقد ازدهر نشاط تهريب الكيف بشكل أكثر وضوحا، حيث عاد بعض المهربين القدامى إلى ممارسة هذا النشاط نظرا للإغراءات التي يقدمها، ففي سنة 1955 سيقر أحد التقارير الفرنسية بذلك من خلال رصد عودة أحد المهربين من قبيلة بني وليد يدعى سي محمد ولد سي بن لعربي من فرقة بوعادل، الذي اعتزل هذا العمل لسنوات واستقر بفاس قبل أن يقوم بزيارة خفيفة لمنطقته، فشجعه الوضع على العودة إلى الاستقرار بقبيلته لمعاودة ممارسة نشاطه القديم الذي أصبح مزدهرا بعد اتصاله بمجموعة من

⁵²⁹ - A.D.N, B.R.P, poste d'el HADDADA, 1^{er} partie-zone intérieure, du 5 au 20 Octobre 1954, p.1

⁵³⁰ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, du 20 Octobre au 5 Novembre 1954, p.2

⁵³¹ - بمعنى اشتداد الشد والجذب بين السلطات الفرنسية من جهة والوطنيين والقصر من جهة ثانية وظهور خلايا جيش التحرير من جهة ثالثة، هذه الأخيرة التي كانت تستفيد من طرق التهريب للحصول على حاجياتها من السلاح وكذا تهريب عناصرها من المتابعة بالمناطق الفرنسية.

الأشخاص، فأصبحت أرباحه كبيرة "المعني بالأمر هو بصدد اقتناء شاحنة بفضل الأرباح المحققة خلال الأشهر الأخيرة"⁵³².

أصبح ضبط التهريب يتطلب قدرات مالية وبشرية كبيرة من سلطات الحماية، بغية ضبط نسقيته، من خلال الجهد العسكري والاستخباراتي، الذي أصبح يتطلبه للتعرف على منافذه استخباراتيا والحد منه عسكريا باعتقال المهربين وقطع مسالكهم في ذلك، حيث كان سيكلف هذا الأمر جهدا ماليا وعسكريا، وهو ما جعل الجهاز الفرنسي يكتفي بالعمليات النوعية ضد مهربي السلاح، وغض الطرف عن التهريب بشكله الاقتصادي الذي يصعب القضاء عليه في كل الظروف، ما دامت عملياته لم تصل لمستوى تهريب شحنات بداخلها أسلحة، التي تشكل الهاجس الأكبر لسلطات الحماية بالمنطقة في ظل بروز تهديد خلايا جيش التحرير وانتشار العمل الفدائي.

2-3 التهريب وتربط الاقتصادي بما هو ساسي

عجز سلطات الحماية في القضاء على ظاهرة التهريب للمواد الممنوعة، على الرغم من المكافآت الموضوعة على رؤوس المهربين، رغبة في الكشف على الطرق السرية التي يوظفونها، قد يرجع بالأساس حسب ما ورد بالتقارير الفرنسية إلى استفادة الساكنة المحلية من ظاهرة التهريب ماديا من خلال المبالغ المالية التي يرصدها لهم المهربون أو بسبب الخوف، لكن التدقيق في عملية التهريب يجعل القول ممكنا، بأن من يمارس التهريب هم أبناء المنطقة من قبيلة مثوية، فهم أكثر معرفة بمجالهم.

تواطؤ الساكنة حسب التفسير الفرنسي ما هو إلا إحالة على اتهام الساكنة المحلية بممارسة هذا النشاط، أو استفادتهم منه اقتصاديا واجتماعيا في كل الأحوال، بحكم أن هذا التهريب قد يكون وسيلة للإرتقاء الاجتماعي والمالي، بعيدا عن أي احتكار لسلطات الحماية، أو مراقبة من قبل الشيوخ والقياد، الذين بدورهم قد يكونون مستفيدين من هذه العمليات التهريبية، لما تدره عليهم من مداخيل، دون الحاجة إلى انتظار عملية الترتيب.

⁵³² - A.D.N, B.R.P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Janvier, zone intérieur 1955, p.1

بذلك، فالتهريب كان مخففا للثقل الاقتصادي على الساكنة من الناحية الضريبية والمراقبة الإحصائية، كما أصبح أكثر إفادة للقضية الوطنية سياسيا، في ظل تنامي الشعور بالرغبة في الاستقلال، بحيث أصبح متنفسا للوطنيين الذين تم تضيق الحناق عليهم في عز الانشقاق بين القصر والمستعمر. فقد كان مفيدا من الجانب العسكري بعد ظهور خلايا جيش التحرير لتهريب السلاح، وكذلك للوطنيين المتمركزين بالمدن والقرى، من خلال كونه أصبح أكثر إسهاما في خلق متنفس لهروب الوطنيين للجهة الشمالية، وكذلك تهريب السلاح عبر القنوات التي ظلت خفية عن أعين المستعمر⁵³³.

فرض هذا الوضع على الجهاز الاستخباراتي والعسكري الفرنسي، ضرورة تعزيز عنصره البشري على طول الشريط الحدودي الذي يبلغ 30 كلم بقبيلة مثوية، بغية مراقبة عملية تهريب الكيف المستمرة والتي تعتبر القناة الرئيسية لتهريب السلاح صوب المنطقة الفرنسية قادمة من المنطقة الإسبانية، أو من خلال مراقبة مرور الأفراد الراغبين في الهروب من المنطقة الفرنسية صوب المنطقة الإسبانية، ففي إحدى عمليات المراقبة تم رصد 7 شبان من **بورودود** والرتبة غادروا الدواوين سرا قصد الصعود إلى قبيلة كتامة، افترضت النشرة السياسية الفرنسية على أن هذا الصعود قد يكون للبحث عن أكياس الكيف الجاهزة للتهريب، كما تم توقيف شخص يدعى **سي لحسن الحناشي** بتهمة التهريب، تمت إحالته على تاونات للتحقيق، بعدها أطلق سراحه، مع عدم إبعاد أعين المراقبة عنه فقد "تمت مشاهدته بسوق الخميس يوم 17.02.1955 خلف المقود يقود سيارة شيفروليه آخر طراز. سنقول بمثوية يدفع لهذا المحتال جيدا"⁵³⁴، هذا الأمر يوضح مدى حرص القوات الفرنسية في تقاريرها على مراقبة تحركات الأشخاص المشبوهين في التورط بعمليات التهريب، من خلال رصد المزاي والمكاسب التي يحصلون عليها من نشاط التهريب.

⁵³³ - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, période du 20 Novembre au 5 décembre, zone intérieur 1954, p.2

⁵³⁴ - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, période du 05 au 20 février, zone intérieur 1955, p.2

حرص مصلحة الاستعلامات بدائرة ورغة العليا عامة ومن خلال مركز حدادة خاصة، على محاربة التهريب ومحاولة ضبط إيقاعه ونسقيته، في ظل العجز التام في القضاء على الظاهرة في مرحلة جد حرجة، جعلتها لا تأمن جانباً حتى لأعوانها المحليين في مراقبة قبيلة مثوية الحدودية، حيث أظهرت النشرات الخاصة بحدادة تورط ابن القايد الداودي الذي هو خليفة أبيه - في ظل عجز الأخير عن تأدية مهامه -، كمشتببه به في التغطية إلى جانب أعوانه من الشيوخ والمقدمين على عمليات لتهريب الكيف بفرقة مرزين الحدودية⁵³⁵.

حيث أظهر الجهاز الاستخباراتي الفرنسي عدم وضعه الثقة المطلقة، في أعوانه من السلطة المحلية لمعرفة ما يجري في مجال مركز حدادة، بحيث تم الإقرار بنفاذ مهربين إلى المنطقة، وأفضى تحقيق منجز عن إمكانية تورط القايد وشيوخه والمقدمين في عمليات وقعت بمجال نفوذهم، كما تم ضبط سلاح ناري من طراز عتيق لكنه جيد بعد الاستعلام عنه، بحديقة المقدم سي عبد الرحمان من فرقة "مرزين"، " هذا المقدم كان محط شك عديد المرات بهذا الشأن، وليس مستبعداً أن هذا السلاح قد يكون وضعه أحد أعدائه الحريصين على الانتقام منه. ومع ذلك فقد ادعى العديد من تابعيه منذ فترة طويلة أنه مسلح، وليس هناك شك في أنه كان جد فعال في حماية مهربي الكيف، الذين يمرون في دواره (12 كيساً من الكيف تم جردها يوم 18.02.1955 على مسافة قريبة من سكناه)"⁵³⁶، مما يفسر كيف أصبح تنامي شبكات التهريب بتواطؤ محتمل مع الأعوان المحليين من دور في جعل الفرنسيين على أهبة الشك حتى في جميع معاونيهم من المغاربة، وهو الأمر الذي جعل الجهاز المحلي يولي أهمية للموضوع، خاصة أمام الظرفية الحساسة التي أصبح يعيشها المغرب وتربط التهريب بالعمل السياسي، وتهريب السلاح على وجه التحديد الذي صار الهم الأكبر للفرنسيين من تتبع منافذ التهريب⁵³⁷.

⁵³⁵ - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, 1^{ere} partie, période du 20 Mars au 05 Avril, zone intérieur 1955, p. 2

⁵³⁶ - ibidem

⁵³⁷ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Avril, zone intérieur 1955, p. 1

تعددت منافذ تحرك تهريب الكيف ومعها احتمالية تواجد شحنات من السلاح المهرب، فقد استمرت القوات الفرنسية وجهازها الاستخباراتي في التنسيق المكثف من أجل الإيقاع بالعناصر التي تشتهر بعملياتها النوعية لتهريب الكيف، سواء الوافدة من المنطقة الإسبانية أو تلك التي تنتمي للمنطقة، حيث تم إعتقال ثلاث أفراد من فرقة كتامة، من قبل دورية للمخزن، أثناء عودتهم لمنطقتهم بعد تسليم شحناتهم من الكيف، بعد أن بلغ عنهم مستضيفوهم، من بينهم شخص يدعى عبد القادر بوزيد أخ أحمد بوزيد المدان سابقا بعشر سنوات من الأعمال الشاقة وعشر سنوات يمنع فيها من الإقامة بمنطقته، بتهمة التجسس. وهو نفسه المعني في عدة مناسبات بقيامه بالتشهير بالرئيس السابق لمركز عين مديونة Dalloneau ومحاولة رشوة الموظفين وعدد لا يحصى من المطالب، التي لا صحة لها حسب التفسير الفرنسي⁵³⁸.

هذا التواطؤ من أشخاص محليين يتاجرون في تهريب الكيف، يوضح كيف مر الجهاز الاستخباراتي من التغاضي عن المهربين المحليين للكيف، إلى التنسيق معهم في ضبط المهربين القادمين من المنطقة الإسبانية لبيع هذه المادة، حيث يشكلون خطرا أكبر على المنطقة في ظل تنامي تهريب السلاح، لكونهم أشخاص يكونون من خارج المنطقة ولا يخضعون لمراقبة الأعوان المحليين، ووجود احتمالية انضوائهم تحت جناح إحدى خلايا جيش التحرير لتهريب السلاح عبر مسالك الكيف، وكذا نقل مدى جدية ضبط السلطات الفرنسية لمجالها الحدودي وأماكن تواجد ثغرات لتهريب السلاح مستقبلا.

⁵³⁸ - A.D.N, B.R.P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 20 Mars, zone intérieur 1955, p.1

الفصل الثاني: البنية التحتية والتدبير الاقتصادي آلية لإحكام السيطرة الفرنسية.

ارتبط التقدم الاستعماري بجهازه العسكري والإداري بتوسيع شبكة الربط بمناطق سيطرته، فعمل على تطوير وتجويد هذه البنية التحتية لتحقيق المكاسب والغايات المرجوة، سواء على الصعيد العسكري أو التنظيمي أو الإداري، من هذا المنطلق شكلت دائرة ورغة العليا منذ بدايات التوغل الفرنسي مجالا مستهدفا للإعداد والتهيئ، حيث زودت المنطقة في مراحل متقدمة بالطرق خلال مرحلة التوغل العسكري، وتعززت من خلال توسعتها أو مد الشبكة الطرقية بالمنطقة مع تحقق السيطرة العسكرية، خدمة للأهداف المسطرة من سلطات الحماية، حيث توسعت هذه الشبكة الطرقية على مختلف قبائل الدائرة وصولا للمنطقة الحدودية، فتوسيع الشبكة الطرقية وإعداد البنية التحتية كان معه توسيع المكاتب الأهلية مع تنامي صلاحياتها، حيث سيتم تأهيل مكاتب بني وليد وتاونات وتوسيعهما، تماشيا مع التقسيم الإداري الجديد.

شكل تدبير حياة الساكنة القبلية بالدائرة مرتكزا أساسيا لسلطات الحماية، نظرا لأهمية الجانب الاقتصادي في حياة الناس وضرورة تحقيق الإرادة الفرنسية في التوجهات المراد تحقيقها في سياستها الأهلية، حيث شكل القطاع الفلاحي وما عرفه من تحولات ومتغيرات في الدائرة، عنصرا مهما في رصد السياسة التدبيرية التي فعلتها مصلحة الشؤون الأهلية بالدائرة، وتحديد شكل التحول الذي طرأ على تدبير هذا القطاع منذ دخول المستعمر إلى المنطقة، دون إغفال أهمية التحكم في التجارة والأسواق ودورها في توسيع ربط الساكنة المحلية بالمعاملات المالية، وتوظيف السوق كأداة لتصريف شكل من أشكال السيطرة الاقتصادية بالمنطقة.

رصد هذه المتغيرات خلال هذا الفصل سبب عديد الأشكال التدبيرية لمصلحة الشؤون الأهلية، والوقوف على الوسائل الموظفة لتصريف السياسة التدبيرية والاقتصادية بالمنطقة، دون الإخلال بالتوازنات القائمة، مع توظيف القوة الناعمة للسيطرة انطلاقا من هذه الوسائل، كإلزامية حتمية لخلق تحول يتمشى مع ذهنية وعقلية المستعمر أكثر مما هو يتمشى مع إرادة الساكن المحلي.

المحور الأول: البنية التحتية كأداة لإحكام السيطرة الإدارية والإقتصادية 1913-1936م.

لقد ارتبط الاستغلال الفرنسي للمغرب، ارتباطا وثيقا بثنائية التحرك العسكري وتثبيت التواجد بالجمال المتحرك نحوه، هذه الثنائية ثابتة في سياقها العام لكن تحكمها سيرورة الزمان والجمال، بحيث أن هذه السيطرة الفعلية على الميدان والقيام بعملية التجهيز له، تختلف من منطقة لأخرى تبعا للخصائص الطبيعية والبشرية والسياسية والعسكرية كذلك، التي تتحكم بدرجة كبيرة في سرعة تحقق السيطرة الفعلية على الميدان والقيام بتهيئته، إضافة إلى أن هذه السيطرة وكثافة التجهيز تختلف تبعا لأهمية المنطقة اقتصاديا ولخصوصياتها الطبيعية.

أرادت إدارة الحماية من إنجاز شبكة الطرق، تحقيق غاية ضمان الاستغلال الجيد للشروات بعد تحقق السيطرة العسكرية، فقد عرفت وتيرة إنجاز هذه الطرق منحى تصاعديا منذ البدايات الأولى للتواجد الفرنسي بالمغرب، نظرا لما تشكله حسب الرؤية الفرنسية من أهمية "في تسهيل الإتصال، وبسط الأمن، وخلق علاقات وطيدة مع العالم الخارجي فيما يتعلق بالتجارة والتهدئة والدفاع الوطني"⁵³⁹.

فالمنطقة الجبلية تجهيزها يرتبط في الغالب بدرجة أولى بتحقيق السيطرة على المجال الوعر، الذي يكون ملاذا للمقاومين، وبؤرة لمناوشة التقدم الفرنسي وتهديده بالسهل، مما يجعل هذه المناطق الوعرة التضاريس، لا تحصل على أهمية كبيرة من التجهيز الاقتصادي والبنوي للمجال، على عكس المناطق السهلية التي يرتبط التجهيز فيها بالدرجة الأولى بالربط الاقتصادي والسيطرة على الخيرات، لإدخالها في البنية الاقتصادية والانتاجية التي يريدها المستعمر. وهو الأمر الذي يفسر مدى اهتمام الجهاز الإداري الفرنسي بتهيئة مثل هذه المناطق نظرا لسهولة تضاريسها وإمكاناتها المهمة، فتصبح المنطقة السهلية (المنخفضة) عامل استقطاب، لتوفر الطرق والسكك الحديدية، وكلها تبقى توجهات تخدم المستعمر، وآلياته الموظفة لاستغلال المجال من مستوطنين وشركات وغيرهم من الأدوات الموظفة.

⁵³⁹ - لكريط عبد الرزاق، مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب: مخاض الأفول (1935-1945)، مطبعة أنفو-جرانت، ط.1، فاس، 2014، ص.301

الكشف عن سمات التجهيز الفرنسي المعتمد في المغرب عامة، ومنطقة دائرة ورغة العليا خاصة، يتطلب حلحلة خاصة للمنطقة، وتفكيكا موضوعيا لخصائص المجال المدروس، ففهم المجال خاصة بخصائصه الثلاث المكونة من: العامل الطبيعي والبشري والحدودي، سيمكن من بلورة تصور واضح عن طبيعة السيطرة الفرنسية، وكيفية ترسيخ وجودها لاستغلال المجال وضبطه، خاصة أن هذا المجال يتفرد بخاصية الارتباط الحدودي مع المجال الإسباني، الذي سيجعل الجهاز الفرنسي المحلي انطلاقا من مكتب الشؤون الأهلية بتاونات حاملا لهذا الهاجس خاصة في جانبه الأمني.

1-السياسة الطرقية بالدائرة وأهدافها

1-1 التجهيز الطرقي

رافق الزحف الفرنسي أثناء تقدمه صوب دائرة ورغة العليا إحداث مجموعة من المتغيرات البنيوية، فمع تقدم القوات العسكرية، كان لابد من خلق بنية تحتية تواكب طموحاته، لفرض السيطرة العسكرية على المنطقة أولا ثم لتحقيق الاستغلال الاقتصادي ثانيا، فمنطقة ورغة العليا قبل المرحلة الاستعمارية لم تكن لها بنية طرقية شأنها في ذلك شأن معظم البلاد المغربية، فتنقل السكان كان يتم على الدواب أو مشيا على الأقدام، عبر المسالك الضيقة والمتعرجة.

قابل التدخل الفرنسي بالمناطق الوعرة التضاريس وجود صعوبة في التقدم السريع، مما كان يضطر القوات الفرنسية إلى إنشاء البنيات الأولية للشبكة الطرقية، لمواجهة أي خطر متوقع من الساكنة، وكذا تسهيل عملية تحرك الجيوش، ما دام أن الآليات العسكرية بحاجة إلى مررات أوسع كي تتقدم⁵⁴⁰.

⁵⁴⁰ -A.M, R.M.P, Juin 1924, p.3

أ- مرحلة تثبيت التواجد بالمنطقة

• التوغل العسكري 1913-1926

انشغلت الإدارة الاستعمارية منذ سيطرتها على الأراضي المنخفضة بتيسة وعين مديونة وعين عائشة، بالعمل جاهدة على تمرير الطرق، واستصلاح المتضررة منها، تزامنا مع بناء مراكز عسكرية للإشراف على المجال القبلي، مع تزويدها بطرق للعربات والمدفعية، تمكن من الوصول إليها بسرعة أثناء وقوعها تحت أي تهديد.

بمجرد وصول القوات الفرنسية إلى السيطرة على منطقة تيسة سنة 1913، سيشرع الجنرال غورو أثناء زيارته لسوق أربعاء تيسة الواقع على بعد 50 كيلومتر شمالي فاس، في تحديد حاجيات المنطقة من الطرق حيث "أن الصعوبات العديدة الكائنة بالطريق بين العاصمة والقبائل يجب إزالتها فقرر أن تبنى طريق تجتازها العربات بين فاس وسوق الأربعاء الذي فيه اليوم مكتب الاستعلامات ومحل إدارة مركز الحيانة كان يتصل غابرا بفاس بواسطة طريق ضيقة تربتها رملية تزداد غيثا في الشتاء من غبار الصيف فحول الليتنان كرت من عساكر الهندسة تلك الطريق الضيقة بخلال ثلاثة أشهر إلى طريق عربات رغما عن الصعوبات العديدة التي صادفها في إبان الأشغال، كقلة وجود العملة وأخطار الناحية ونحث الحجارة إلى غير ذلك، وقد أثرت سرعة إنجاز تلك الطريق على قبيلة الحيانة التي صارت تصل فاس في ساعات من الوقت"⁵⁴¹، كما تم استصلاح عديد الطرق بالمنطقة الرابطة بين "للا ايطو" بدار بن العامري بعدما كانت مطمورة، وكذا إصلاح الطريق المؤدية من أربعاء تيسة إلى فاس والمارة بمشرع وادي اللبن ووادي العنصر وعين الكسارة⁵⁴².

بتقدم القوات الفرنسية صوب المناطق المرتفعة، وتتابع بناء المراكز العسكرية بعين معطوف وعين عائشة، أصبحت الشبكة الطرقية للمنطقة تتمدد، فتشييد الطرق والبنية التحتية بالمنطقة، في مراحلها الأولى لا يمكن فصلها

⁵⁴¹ - الجريدة الرسمية، العدد 23، 1913، ص.181

⁵⁴² - الجريدة الرسمية، العدد 33، 1913، ص.253

عن استراتيجية تخدم التقدم العسكري بالأساس، فهي تتسارع وتتباطأ تبعاً لسرعة تحرك القوات، حيث ستمتد حلقة الربط بالطرق انطلاقاً من تيسة صوب عين عائشة ومن تيسة باتجاه عين معطوف⁵⁴³.

كلها، طرق تم تعديلها وتجهيئتها تبعاً للأهداف العسكرية المتوخاة للتقدم باتجاه المناطق الجبلية المرتفعة، قصد تحقيق الامداد الجيد للمراكز العسكرية وتسهيل عملية تحرك الفرق المتحركة صوب قبائل مزيات ورغوة ومشيوة، واستمرت عمليات التعبيد للطرق بشكل متواصل صوب المناطق الاستراتيجية، حيث أصبحت طريق فاس-عين عائشة من الأهمية الملحة لمصلحة الهندسة، وصنفت ذات أولوية قصوى لتعييدها⁵⁴⁴، نظراً لتواجد قاعدة عسكرية بها، خاصة بأسراب الطائرات الحربية، التي كانت تقوم بعمليات الاستطلاع والقصف لمعاقل المقاومة، خلال تقدم القوات الفرنسية صوب ورغة العليا، وكذلك خلال حرب الريف.

أصبح التوغل الفرنسي لبناء الطرق، وتحقيق التقدم صوب مناطق ورغة العليا، يتسارع بتسارع الأحداث مع ظهور رغبة المقاومين الريفيين في قيادة المقاومة بالمنطقة، خاصة باتجاه مشيوة، فأصبحت القوات العسكرية تركز على تأسيس نقط عسكرية مرتبطة بشبكة من الطرق والممرات، مما دفعها إلى الدفع بأقصى مجهوداتها لتحقيق الدعم الأمثل لقواتها بالمناطق الشمالية، لمجابهة "المد الريفي" وإيقافه عند مناطقه المعزولة، وعدم السماح له بالوصول إلى الممرات والطرق الرئيسية، "لأن طرقها هي التي تسمح بإغلاق المنافذ إلى فاس، وهو ما تبين من خلال ما قامت به المجموعات الريفية مؤخراً"⁵⁴⁵.

⁵⁴³ -A.M, R.P.M, Région de Fès, 3^e partie, décembre 1923, p.10

⁵⁴⁴ - A.M, R.P.M, Région de Fès, 2^e partie, 20 Avril au 19 Juin 1924, p.1

⁵⁴⁵ - ليوطي بيبير، م.س.، ص.103

تهيئ الممرات أثناء التقدم العسكري يوضح مدى أهمية السيطرة على الطرق والعمل على تطويرها، لخدمة المصالح الفرنسية خاصة العسكرية منها، التي تعتبر رئيسية لتحرك القوات والعتاد صوب مركز **تاوانات**، الذي سيصبح قلب السياسة التدبيرية لدائرة ورغة العليا، ومن هنا جاءت أهمية تهيئ طريق **سكر-تاوانات**⁵⁴⁶.

● ما بعد السيطرة العسكرية 1927-1933

مع تحقق السيطرة العسكرية الفعلية للقوات الفرنسية على مجال دائرة ورغة العليا من خلال الوصول إلى قبيلة **مشيوة** الجبلية سنة 1926، التي لها ترابط حدودي مع قبيلة **صنهاجة** السراير الخاضعة للجانب الإسباني، ستشرع في العمل على تهيئة الطرق وتوسعتها ب**عين مديونة**، وذلك ببناء القناطر وتموين مشاريع بنائها بقروض، لتسريع استغلالها وتحقيق سرعة الربط والتحرك عليها⁵⁴⁷.

استمرت عملية توسعة الطرق وإصلاحها، لكي تصبح متاحة الاستعمال للعربات بمختلف أنواعها خاصة السيارات، التي كانت تجد صعوبة للتحرك بهذه الطرق، بحكم أنها كانت في الغالب للاستعمال العسكري، حيث تم إعداد الطريق الرابطة **سكر-بورودود-عين عائشة-سلاس**، والطريق بين **بني وليد** و**عين عائشة** لنفس الغرض، كما أصبح ممكنا استعمال هذه الطرق وتمديدتها إلى غاية النقط الحدودية، بعد أن تم تشييد طريق على **واد السرى** تؤدي لمركز **"حدادة"** الذي يشرف على قبيلة **مشيوة** الحدودية⁵⁴⁸.

وُظف أثناء هذه الأشغال منسقين ومراقبين من الضباط، لتتبع سير أشغال هذه الطرقات، ومدى انسيابية حركيتها خلال فصل الشتاء، كما وُظف عديد العمال في الطريق الأساسية الرابطة بين **سُكر** و**بورود** بين **واد السرى** و**واد القصبة**، بسبب تعذر التحرك عليها، لكن هذا العدد من العمال الموظفين على طرق المنطقة لضمان استمرارية

⁵⁴⁶ - A.M, Rapport Economique Mensuel, Cercle du Moyen-Ouergha, Bureau du Kalaa des Sless, Octobre 1926, p.1

⁵⁴⁷ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Juillet 1928, p.1

⁵⁴⁸ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Septembre 1928, p.2

عملها، ظل غير كافي للقيام بفتح جميع الطرق أثناء وقوع انقطاع فيها خاصة الرئيسية منها، التي كانت مهمة لعبور الحافلات⁵⁴⁹.

أصبح الاشتغال على طرق الدائرة وتوسيعها أكثر أولوية للجهاز التدييري المحلي، لتمكين الحافلات من التحرك بها، حيث تم إرسال أول حافلة لنقل السكان بالمنطقة إلى "ولاد أزم" في يونيو 1929⁵⁵⁰، كتوجه يهدف لربط المنطقة بمدينة فاس التي تشكل مركز الربط، ليصبح بذلك الأمر بداية لتوسعة الطريق، وضمان تحرك العربات الكبيرة عليها كالشاحنات وحافلات، ليزداد عددها بمرور السنوات، باستصلاح هذه الطريق (فاس-ولاد أزم)، واشتغال مصلحة الهندسة على تقويتها وتأهيلها، فأصبحت الشاحنات والحافلات المنطلقة من فاس إلى عين مديونة، تصل إلى حدود ولاد أزم (Azem) بكل أريحية⁵⁵¹.

رغبة المستعمر في تحسين نوعية الشبكة الطرقية، ضمينا سيحيل على توسيع شبكة الربط للنقل والتنقل، مما يوضح الرغبة من إدارة الحماية الفرنسية في تقوية الربط بين المنطقة وباقي المناطق. كما سيساهم هذا العمل في تقوية الاستيطان الأوروبي، الذي أصبح يضرب جذور توغله بالمنطقة، وتقويته، من خلال توفير البنية التحتية المشجعة على الجذب، إضافة إلى تنشيط المبادلات التجارية بين مختلف الأسواق، الأمر الذي سيساهم في انتعاش الأوضاع الاقتصادية للمنطقة، بغض النظر عن الأهداف الحقيقية، من رغبة الفرنسيين في دمج المنطقة فيما يعرف باقتصاد السوق وتسهيل تحرك البضائع والأشخاص.

اهتمام المستعمر بالطرق الرئيسية للدائرة كمرحلة أولية، لم يتم معه إغفال -بعد الشروع في تعزيزها وتقويتها وضمان إنسيابية الحركة بها- التوجه صوب تشييد طرق ثانوية، لتفادي التوقف النهائي للعربات على الطرق الرئيسية بوجود الأشغال عليها، حيث عرفت الطريق 304 الرابطة بين ورتراغ وعين عائشة مجموعة من الصعوبات، نتيجة

⁵⁴⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Février 1929, p.5

⁵⁵⁰ -A.M, R.P.M, Région de Fès, 3^e partie, Juin 1929, p.16

⁵⁵¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Décembre 1929, p.4

تأخر الأشغال بها، مما جعل الجهات المختصة تعمل على تحويلها إلى ساحل بوطاهر، عبر مسلك رملي يخول للسيارات الخفيفة التحرك على هذا القسم الفرعي، حيث انطلقت الأشغال بشراكة مع مكتب تيسة⁵⁵².

في سنة 1933 سيتم البدء في تهيئة المساك الطرقية المخترقة للتجمعات السكنية، والأحياء الإدارية المتواجدة حيث المكاتب الإدارية، كضرورة بنيوية للتجمعات السكنية الإدارية (الوظيفية)، بتحقيق مواصفات المركز المقبول من حيث الإعداد والشكل، فبنهاية السنة ستشرع الجهات المختصة في العمل على تهيئة قرية "تاونات" ومدها بالطرق، حيث شيدت أربع ممرات مفتوحة من الإسمنت تم ربطها بالمنشآت الإدارية المتواجدة بتاونات⁵⁵³.

ب- صيانة الطرق

تنوع تشكيلة الطرق المتواجدة بالمنطقة بنوعيتها الثانوية والرئيسية، ولضمان استمرارية عملها وتقويتها، تبعاً لما تعرفه هذه الطرق بالمنطقة من تدهور خاصة خلال فصل الشتاء، إضافة إلى طبيعة التربة والتكوين الجيولوجي للمنطقة، سيتم استحداث فرق من العمال للسهر على عملها وتسريع وثيرة عودتها للخدمة أثناء تضررها، للمحافظة على استمرار تحرك العربات والسكان عليها.

جاء السهر على هذا العمل، المتمثل في مراقبة الطرق العمومية تماشياً مع ظهير 11 دجنبر 1922، الذي جاء ليكرس توجه الإدارة الفرنسية الهادف إلى المحافظة على الطرق العمومية، ومراقبة الجولان وسير العربات، قبل أن يتم تعديله في 10 فبراير 1933، بمنح المدير العام لإدارة الأشغال العمومية صلاحيات اتخاذ التدابير المحلية اللازمة لتأمين السلامة في الجولان، ليأتي قرار آخر على بعد شهر من القرار الأخير ليمنح للمدير العام مزيداً من الصلاحيات

⁵⁵² -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Décembre 1930, p.1

⁵⁵³ - A.M, R.E.M., Cercle du Haut-Ouergha, Bureau .A.I. de Taounat, Décembre 1933, p.1

التفويضية للمحافظة على الطرق العمومية، ومراقبة الجولان وسير العربات من خلال تعديل الفصل 65⁵⁵⁴، وقد كانت تتطلب تنفيذ تلك التدابير مداخل مالية.

بهذا الشأن، أقرت إدارة الحماية في 8 مارس 1933 ضريبة سنوية على العربات العمومية والخاصة بنقل الأشخاص والسلع، واختلفت قيمة تلك الضريبة تبعا لاختلاف عدد أحصنة المحركات وكذا حمولة الشاحنات، كما فرضت ضريبة حقوق التوقف على العربات السيارة والمحورة المخصصة للنقل العمومي للمسافرين (المحطات)، وحدد مقدارها في القرار الوزيري الصادر في 26 مارس 1937 في مقدار 100 فرنك، بالنسبة للعربات المتوفرة على أكثر من أربع مقاعد، وفي 150 فرنكا بالنسبة للعربات المتوفرة على أكثر من 15 مقعدا، ثم تعديله بعد صدور القرار الوزيري المؤرخ ب 19 مارس 1949، الذي رفع قيمة الضريبة إلى 1200 فرنك بالنسبة للصنف الأول و1800 فرنك بالنسبة للصنف الثاني⁵⁵⁵.

وقد جاء القرار الوزيري المتعلق بـ"الفريضة"، أي الأداء المخصص بصيانة الطرقات الثانوية، والذي أصبح يستخلص سنة 1936 نقدا أو يعوض عنه بالخدمة، وهو تتميم لظهير 10 يوليوز سنة 1924 المتعلق بفرض ضريبة لصيانة الطرقات الثانوية⁵⁵⁶، ليظهر شكلا جديدا من أشكال السخرة المفروضة على السكان، لصيانة الطرق الثانوية، حيث أكد هذا القرار في فصلين منه، على ضرورة تأدية "فريضة" الصيانة نقدا أو تعوض بالخدمة، وحدد عدد الأيام المفروضة على المعنيين بالأداء خلال سنة 1936، في أربعة أيام بجميع نواحي الدوائر، وكل يوم خدمة يساوي بنواحي فاس ما قدره خمسة فرنكات⁵⁵⁷، أي أن الذي لا يريد الخدمة عليه تأدية 20 فرنكا فرنسيا لتفادي العمل على هذه الطرقات، التي كانت عبارة عن أعباء تنضاف إلى باقي الأعباء، التي كان يعيشها الفلاح والسكان القروي

⁵⁵⁴ - "قرار وزيري في تغيير القرار الوزيري الصادر في مراقبة الجولان وسير العربات"، الجريدة الرسمية، عدد 1063، 10 مارس 1933، ص. 417.

⁵⁵⁵ - Société d'Etudes Economique et Etatiques, « véhicules restant en circulation au 1^{er} Janvier », B.E.M, n° 20, volume v, Imprimerie Officielle, Rabat, Avril 1938, p.141

⁵⁵⁶ - "قرار وزيري يتعلق بـ"الفريضة" أي الأداء المخصص بصيانة الطرقات الثانوية والذي سيستخلص خلال سنة 1936 نقدا أو يعوض عنه بالخدمة"، الجريدة الرسمية، عدد 1220، 13 مارس 1936، ص. 347.

⁵⁵⁷ - نفسه، ص. 348.

بالدرجة الأولى، والتي وصفها ألبير عياش قائلا: " فقد انضافت تكاليف جديدة على التكاليف القديمة، فزيادة على الترتيب والعشور الملحقة به ورسوم الاستهلاك، أحدثت إعانات لإصلاح وإنشاء الطرق والبنيات الرسمية كالمراقبة المدنية والدرك ودار القائد، ثم التوزيع التي كانت تفرض الخدمة على نساء ورجال القبيلة في المناجم أو في أراضي المعمرين الكبار والباشوات والقواد، وكذا الفريضة أو الهدايا الإلزامية عينا أو نقدا بمناسبة مرور الشخصيات المرموقة"⁵⁵⁸.

ت- الطرق والمسالك الحدودية

نظرا لخصوصيات منطقة ورغة العليا، وتوفرها على شريط حدودي من جهة قبيلة مشيوة، وتماشيا مع نهج القوات الفرنسية لسياسة بناء المراكز الحدودية بـ بني بربر وتاونات لقشور التابعة لمركز حدادة، التي أصبحت وظائفها جد حساسة بحكم الطابع الحدودي وبرز التخوف الأمني من أي خطر يكون قادما من الجهة المقابلة، فقد سعت هذه القوات إلى إحكام سيطرتها على هذا المجال الحدودي على الرغم من وجود تحديات جغرافية مرتبطة بالطابع الجبلي، فأصبحت هذه المراكز تلعب دورا محوريا في الحد من ظاهرة تهريب الكيف، السلاح، مراقبة تنقل البضائع والأشخاص، مما كان يحتم ضرورة الاهتمام بتشبيد المسالك والطرق، لتمكين دوريات الأمن والمخازنية و فرق الكُوم من التنقل بشكل سلس على طول هذا الشريط الحدودي، حيث تم تشييد ثلاث مسالك للعبارات:

- من مركز بني بربر إلى قلعة بني بربر

- من تاونات لقشور إلى باب الجبج (الحدود الإسبانية باتجاه مركز حد إيكاون)

- من حدادة إلى بني بربر (عبر رافد واد السرى)⁵⁵⁹.

⁵⁵⁸ - عياش ألبير، المغرب والاستعمار، حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين السعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، ط.1، الدار البيضاء، 1985، ص.350.

⁵⁵⁹ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie, Avril 1931, p.2

تبقى هذه الطرق الحدودية جد مهمة في الربط والاتصال مع الجانب الإسباني، حيث كانت في الغالب مرتبطة بطرق توجد على الجانب الآخر⁵⁶⁰، فعبورها كانت تتم الزيارات بين الجانبين، أو تتحرك عليها ساكنة المنطقتين للأسواق المحلية، قصد التزود بالمواد الأساسية أو لبيع منتوجاتهم، كما كانت هذه الطرق موضوع تجدد وتقوية على طول الشريط الحدودي، سواء التي من سكر باتجاه حدادة، أو المتواجدة على الخط الحدودي بيني بربر وتاونات لقشور وربطها بمركز حدادة، نظرا لما تلعبه من دور في تحرك دوريات الأمن لمراقبة عمليات التهريب وتنقل البضائع والأشخاص، كما ازدادت أهميتها سياسيا واستراتيجيا، خاصة خلال مرحلة بداية ظهور بؤر تشكل خلايا جيش التحرير بالمنطقة الإسبانية، وما أصبحت تشكله منطقة حدادة (مثوية) من أهمية استراتيجية في مراقبة الوطنيين الفارين صوب المنطقة الإسبانية عبر تراب قبيلة مثوية، وكذلك مع انتشار ظاهرة تهريب الأسلحة، التي أصبحت تهدد التواجد الفرنسي بالمغرب ككل⁵⁶¹.

ث- تطوير الطريق الرئيسية رقم 302 الرابطة بين فاس-سكر 1929-1933

ظلت طريق فاس سكر من أهم الطرق التي وضعتها القوات الفرنسية منذ وصولها إلى احتلال تاونات، بحيث كانت من الطرق الرئيسية والمهمة للقوات الفرنسية، طيلة حربها على المقاومة، وأهم الطرق لتموين مراكزها وتحرك فرقها، فقد ربطت بين أهم المراكز الفرنسية منذ وصول القوات الفرنسية إلى تيسة سنة 1913، مروراً عبر "عين عائشة"، التي تواجدت بها أهم القواعد الجوية والعسكرية للقوات الفرنسية بالمنطقة، مارة من مركز "تاونات" الاستراتيجي، وصولاً إلى حامية سكر، هذه الأخيرة بدورها شكلت أهم النقاط الاستراتيجية التي اعتمدت عليها القوات الفرنسية في معاركها وتقدمها صوب المناطق الشمالية⁵⁶².

⁵⁶⁰ - أنظر الجزء الخاص باتفاق بني بربر (مثوية) و بني بوشيب (صنهاجة السراير).

⁵⁶¹ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{ere} partie, période du 05 au 20 Mars 1955, pp.1.3

⁵⁶² - أنظر الخريطة العسكرية بالتقرير الفرنسي لشهر يونيو، ثم خريطة الجبهة الشمالية للمنطقة الوسطى لشهر ماي 1925، حيث سببرز هذه الطريق قبل أن تمتد من تاونات إلى سكر حيث كان يتواجد مركز عسكري.

بعد انتهاء فترة المقاومة المسلحة ومركزه سلطات الحماية لأجهزتها الإدارية والعسكرية بمختلف مناطق الدائرة، أصبح لزاما عليها تطوير هذه المنطقة وربطها بالشبكة الرئيسية للطرق، لتحقيق الأهداف الاقتصادية وتحقيق ربط المنطقة بالتوجيه الفرنسي، وحاجياته وخدمة مؤسساته بالمنطقة، حيث شرعت سلطات الحماية بأجهزتها المختصة منذ 1929 في الاشتغال على تطوير هذه الطريق، والعمل على التمهيد لتوسعتها كطريق رئيسية رابطة بين فاس وسكر، وذلك بإصدار قرار وزيري لشراء الأراضي اللازمة لعملية توسيع الطريق، وإدراجها ضمن الأملاك العمومية⁵⁶³.

تمهيدا للاشتغال على هذه الطريق خلال الثلاث سنوات المقبلة، هذه الطريق التي أصبحت مهمة مع بناء المركز الإداري الجديد لتاونات وبناء حي خاص بالموظفين، حيث أصبحت تمتد طرقها الثانوية في مختلف الاتجاهات خاصة إلى مركز تاونات والمراكز الإدارية التابعة له، ومنها إلى المراكز الحدودية، بعدها سيصدر قرار وزاري آخر لشراء أراضي على جنبات هذه الطريق تمهيدا لأشغال تعديل الإيجاج الحاصل فيها⁵⁶⁴. القرار سيتم إصداره بتاريخ 28 مارس 1932، بمقتضاه ستشتري الأراضي اللازمة للتعديل والتوسعة، فتم شراء قطعة أرض تبلغ مساحتها 14760 مترا مربعا، بمبلغ 3060 فرنكا قصد استكمال ما تبقى من الطريق⁵⁶⁵.

استمرارا في تأهيل الطريق، سيتم سنة 1933 إصدار قرار وزيري آخر لتوسعتها، وإضافة مساحة تكميلية لها، تبدأ من النصب الكيلومتری عدد 3542 إلى النصب الكيلومتری عدد 3679، ودمج الأراضي التي تم شراؤها وإضافتها للطريق منذ سنة 1929 بشكل رسمي في الأملاك العمومية⁵⁶⁶، وبذلك تثبت طول وعرض هذه الطريق

⁵⁶³ - "قرار وزيري في الإذن بأن تشتري الدولة قطعة أرض كائنة بالنصب الكيلومتری 79.790 عن يمين الطريق عدد 302 المؤدية من فاس إلى سكر بالمرور على تاونات وفي تقييد القطعة المذكورة في الملك العمومي للدولة"، الجريدة الرسمية، عدد 897، 3 يناير 1930، ص.6.

⁵⁶⁴ - "قرار وزيري في الإذن بشراء قطعة أرض لازمة لمساحة يعدل بها ما اعوج من الطريق عدد 302 الموصلة من فاس إلى سكر والمارة سوق أربعاء تيسة وعين عائشة بين النصب الكيلومتری عدد 44 كيلومترا و 507 أمتار وبين النصب الكيلومتری عدد 47 كيلومترا"، الجريدة الرسمية، عدد 1016، 1932، ص.

⁵⁶⁵ - A.M, dossier Etude Législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1016, du 28 MARS 1932, autorisant l'acquisition d'une parcelle de terrain nécessaire à l'emprise d'un tronçon de la rectification de la route n° 302, de Fès à Sker par Souk el Arba de Tissa et Aîn Aïcha, entre les P.K. 44,507 et 47.

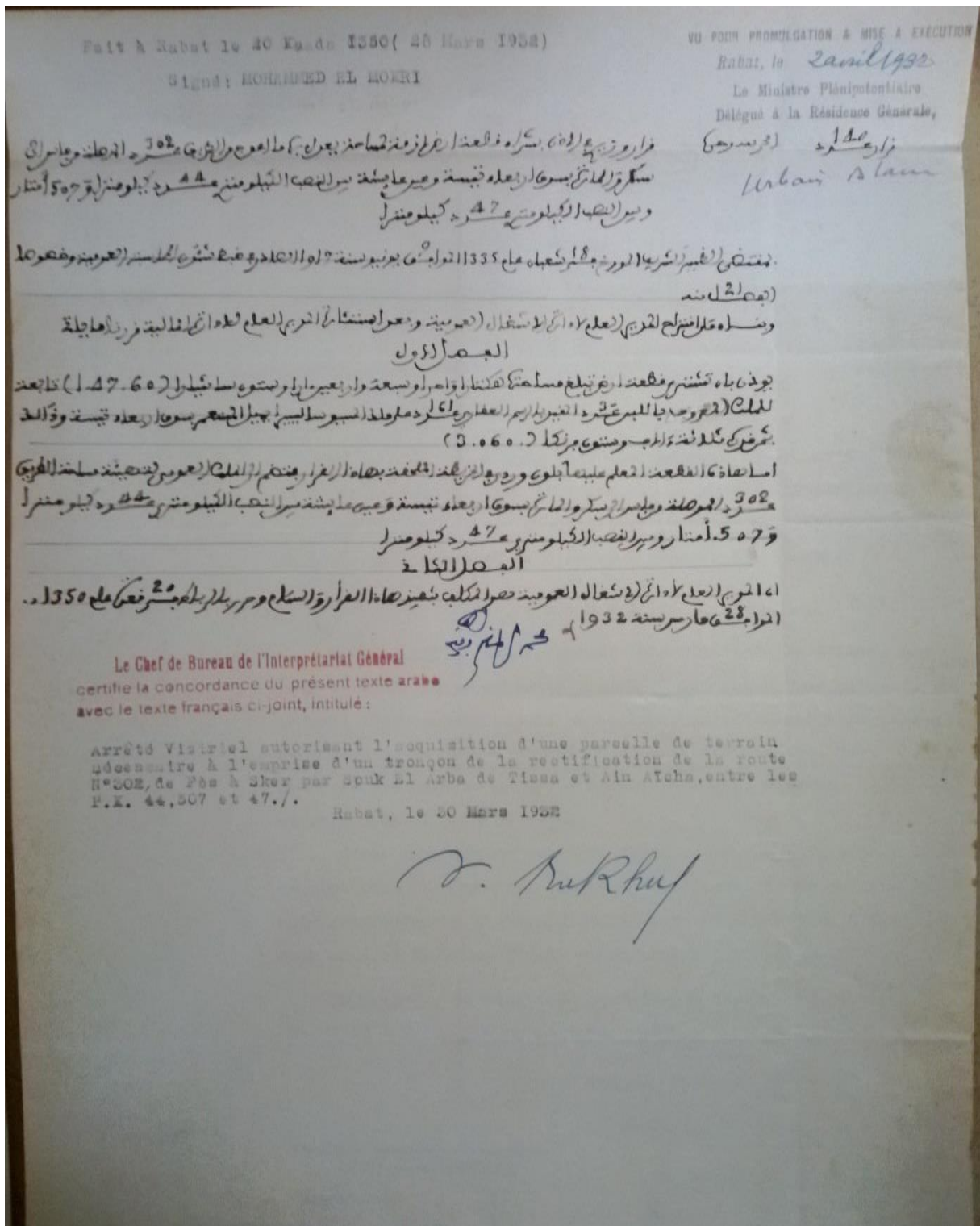
⁵⁶⁶ - A.M, dossier Etude Législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1187, DU 28 JUIN 1933, portant reconnaissance d'une emprise supplémentaire de la route n° 302(de Fès à Sker par Souk el Arba de Tissa a Aîn Aïcha.

وتتوفر في نفس الملف نسخة أصلية للقرار باللغة العربية تحت عنوان: " قرار وزيري في الاعتراف بأن المساحة التكميلية للطريق عدد 302 المؤدية من فاس إلى سكر والمارة على سوق الأربعاء بتيسة وعبر عين عائشة من الأملاك العمومية، 23 يونيو 1933".

بشكل رسمي بعد التعديلات والإضافات التي تمت عليها، كشكل من أشكال حماية هذه الطريق من الطعون أو التعدي عليها، ما يؤكد مواصلة سلطات الحماية لنهجها في تتبع المسطرة القانونية التي وضعتها على المقاس في ضم الأراضي إلى أملاك الدولة، حرصا منها على تثبيت ذلك وفق السند القانوني المشروع، بداية من الدراسة مرورا بالشراء وصولا إلى الإقرار النهائي بصدور القرار الوزيري.

هذا الشكل من التوسعة للطرق تم اقتطاعه من الأملاك المحلية للقبائل، التي لن تكون ساكنتها سوى ملزمة في أحسن الأحوال بقبول التعويض الذي وضعته الأجهزة الفرنسية، أو ربما يتم إدراج هذا الملك ضمن أملاك الدولة وبذلك تنتهي مسألة الشراء، التي تبقى مبهمة في الأساس بين الشراء من أملاك الدولة على شاكلة أراضي الاستيطان، أو شراء من أفراد لهم ملكية خاصة.

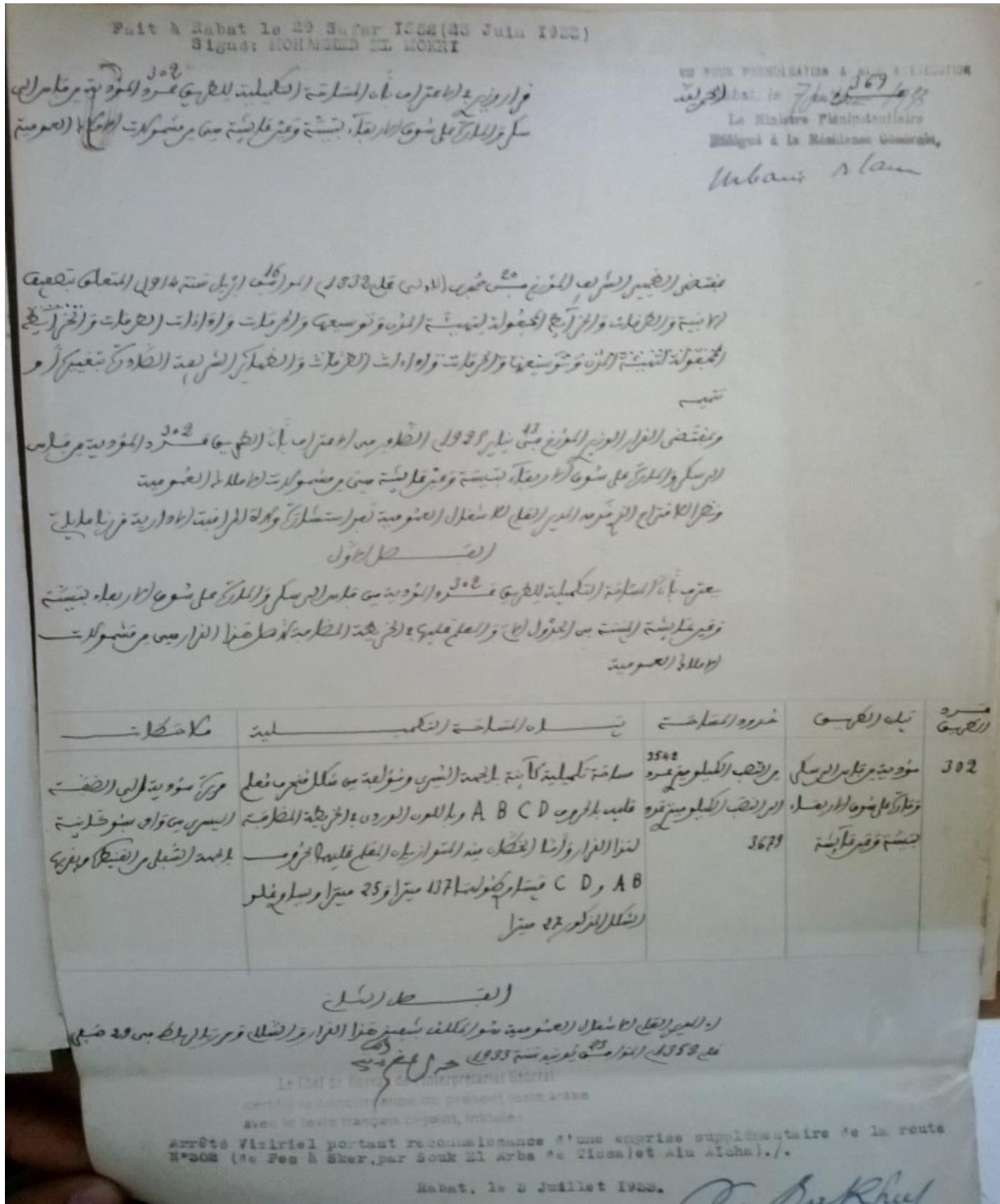
٥٦٧
١٩٣٢
٢٨ مارس



567- "قرار وزيري في الإذن بشراء قطعة أرض لازمة لمساحة يعدل بها ما اعوج من الطريق عدد 302 الموصلة من فاس إلى سكر والمارة سوق أربعاء تبسة وعين عائشة بين النصب الكيلومتری عدد 44 كيلومتر و 507 أمتار وبين النصب الكيلومتری عدد 44 كيلومترا"،

-A.M, dossier Etude Législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1016, 28 MARS 1932.

- القرار الوزيري لـ 28 يونيو 1933⁵⁶⁸.



⁵⁶⁸ - "قرار وزير في الإعراف بأن المساحة التكميلية للطريق عدد 302 المؤدية من فاس إلى سكر والمارة على سوق الأربعاء بتيسة وعبر

عين عائشة من بين مشتريات الأملاك العمومية"، أنظر:

-A.M, dossier Etudes Législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1187, 28 Juin 1933.

ج- الطرق في خدمة الاستيطان الزراعي

بعد استكانة الأوضاع بالجمال الورغي نظرا لما عرفته المنطقة من أحداث، بدأ الاهتمام بتشجيع المعمارين على الاستقرار بالمناطق الملائمة لإنشاء مستوطنات زراعية، وكشكل من أشكال الدعم الذي تقدمه إدارة الحماية للكونلون الزراعي الذي تواجد على وجه التحديد بالقرب من تيسة و بعين عائشة، أنشئت مجموعة من الطرق الثانوية لفك العزلة عن هذه المستوطنات الزراعية، وكذا معمرها الأجانب، حيث انطلقت أشغال تحديد الطريق الاستيطانية من تيسة إلى سوق الإثنين مريسة بورغة العليا، من قبل مصلحة الأشغال العمومية بتاريخ 11 أبريل 1929م⁵⁶⁹.

بحلول شهر دجنبر من سنة 1930، انطلقت أشغال الطريق الاستيطانية "صواطي"⁵⁷⁰، التي تهدف إلى تخفيف العزلة عن المستوطنات الزراعية وتقوية الطرق المؤدية أو المارة بها، ففي 11 دجنبر، سيقوم الجنرال قائد الجهة، مرفوقا بالعقيد القائد للمنطقة والملازم قائد دائرة ورغة العليا، بزيارة تفقدية للمستوطنات الزراعية بواد "اللبن" و"صواطي" و"ساحل بوطاهر"، كما قاموا بزيارات لمستوطنات تيسة رقم 4-5-6-7-8⁵⁷¹، هذه الزيارات ارتبطت أساسا بتفقد أحوال المعمارين، وتحديد حاجياتهم المستعجلة، لتمكينهم من الاستغلال الأمثل للمجال الاستيطاني، وتشجيعهم على الاستثمار في استغلال الفرص المتاحة بالمنطقة، خاصة كون هذه المنطقة لم يدخلها هذا الشكل من الاستيطان إلا بشكل متأخر، ما جعلها فرصة مواتية للطامحين الجدد في الحصول على نصيبهم من استغلال أراضي المغرب، في ظل نجاح هذه المستوطنات بمناطق أخرى عرفت استغلالا مبكرا.

وضع هذه المستوطنات على شبكة من الطرق الثانوية، التي كانت بالأساس تخدم مصالحهم أكثر مما كانت تخدم مصالح الساكنة الأصلية، ظهر من خلال تقديم سلطات الحماية مساعدات للمعمارين للقيام بعمليات تطهير وتنقية القطع الأرضية، وتطوير الجديدة منها، فتم توسيع هذه الشبكة من الطرق مع توسع المستوطنات، فبدأ شق

⁵⁶⁹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Avril 1929, p.2

⁵⁷⁰ -تواجدت بورغة منطقتين أساسيتين للمعمارين بكل من ساحل بوطاهر وصواطي إلى جانب تلك التابعة لتيسة بايناون واللبن وكلها كانت متصلة بطرق.

⁵⁷¹ -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Décembre 1930, p.1

وتهيئ طريق استيطاني جديد بين عين عائشة وساحل بوطاهر، يمر تقريبا على جميع المسارات، ويربط بين مركزين إستيطانيين ويربط بين سوقين، حيث كان الهدف منه أيضا تكثيف النشاط الاقتصادي لسوقي الأحد بـ "عين عائشة" والجمعة بـ "مزيات"⁵⁷²، بذلك يصبح تحقيق الربط الاقتصادي بين الكولون الزراعي وكذا ساكنة المنطقة لتصريف المنتوجات المحلية واقتناء الحاجيات الأساسية مكتمل الأركان.

أثناء تشييد الطريق رقم 314 بين ساحل بوطاهر وعين عائشة تم إنجاز مسارات جانبية عليها، هذه المسارات الجانبية هي في الأساس مرتبطة بمناطق تواجد المستوطنات الزراعية، أو بالأسواق والإدارات المحلية، لتسهيل تحرك الساكنة وربطها بالتدبير الفرنسي للمنطقة، سعيا لتحقيق الاستغلال الأمثل⁵⁷³، وهو ما سيزيد عنه إدخال المنطقة ضمن حركية السوق المفتوحة.

فالقيام بتوسيع هذه الشبكة من الطرق لخدمة الكولون الزراعي، يستهدف توسيع استقطاب المنتوجات الفلاحية، المنتجة من قبل الفلاحين الوريغيين وجيرانهم وجلبها للأسواق، فإن كانت الأهداف المسطرة من هذه المنجزات بالدرجة الأولى خدمة المستعمر وجشعه الاقتصادي، إلا أن هذه المشاريع قد ساهمت بشكل كبير في فك العزلة عن العديد من المناطق النائية، كما أنها عملت على إحكام الصلة بين المغاربة وتمتين الإتصال والتواصل بينهم.

⁵⁷² -A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 2^e partie, Avril 1931, p.1

⁵⁷³ - A.M, R.E.M., Cercle du Haut- Ouergha, Bureau A.I. de Taounat, Décembre 1933, p.1

2- الأسواق والربط بالنظام المالي 1930-1933م

اعتمد المخطط الاستعماري في المنطقة على تطوير البنية التحتية بورغة العليا، بغية دمجها في الإطار العام للحركة الاقتصادية وتوسيع الاستهلاك الداخلي للأسر، عبر الزيادة في عدد المواد التي تعيش عليها ساكنة القبائل بالدائرة، فأمام تواجد المنطقة في نطاق يغلب عليه الطابع الجبلي وتواجد مجموعة من الأسواق القديمة، التي كانت تعمل على توفير حاجيات السكان فيما مضى، ووعيا من المستعمر بضرورة أن يستعمل أنجع الوسائل لتكسير البنيات التقليدية العتيقة "الارأسمالية"، سيسعى إلى توظيف هذه الأسواق لصالح أهدافه الاقتصادية، من خلال العمل على مراقبتها أو تتبع حركية رواجها، والأشخاص الوافدين إليها والظروف المتحركة في سيرورتها زمن الحرب وفترة السلم والمهادنة.

فقد أعطت القوات الفرنسية لانعقاد الأسواق خلال حرب الريف، وداخل القبائل المقاومة، أهمية كبيرة في ضربها بسلاح الطيران والحرص على عدم رواجها، نظرا لما للسوق من أدوار مختلفة لا تقتصر فقط على بيع وشراء المنتوجات، بل هو مجال للتشاور والاستعلام والتخطيط ومناقشة القضايا الراهنة، بالمقابل يصبح السوق في المجال الفرنسي فرصة للتبادل ورصد الأخبار من مناطق مختلفة وتتبع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وتحديد الأسعار ومعرفة المواد الأكثر رواجاً من غيرها.

تتحكم في رواج الأسواق وكثرتها عدة عوامل، منها الخصائص الطبيعية للمجال الذي ينعقد فيه السوق، هل هو جبلي أم هضبي، كما هو الشأن بالنسبة لسوق أربعاء تيسة، الذي ساعد موقعه تواجده بالقرب من فاس وخصوصية الإنسباط وسيادة الطابع الهضبي والأنشطة الفلاحية، في أن يكون السوق الأول بالمنطقة، هذا الأمر لم

يعني من ضرورة تواجد أسواق بالمناطق الجبلية، لتمكين القبائل البعيدة من الحصول على حاجياتها وتصريف منتجاتها، حيث تمت عديد أشغال تهيئة الأسواق للحفاظ على استمراريتها⁵⁷⁴.

كما تعزز النشاط الاقتصادي لسوق الأربعاء بـ"عين مديونة"، وسوق السبت بـ"تاوانات لوطا" وسوق الخميس والسبت بـ"مثيو"، و لسوقي الأحد بـ"عين عائشة" والجمعة بـ"مزيات"، عن طريق ربطهما بالطرق وبالمجال الاستيطاني، حيث تتقاطع هذه الطرق مع مختلف المسالك التي يتحرك عليها السكان، وهو ما مكن من الزيادة في الرواج التجاري لسوق الأحد (عين عيشة)، بفعل تواجد الربط الطرقي المتواجد على طول الخط الطرقي بالدائرة من "عين عائشة" وصولا لقبيلة "مثيو"، التي مكنت الطرق الموضوعة في مجالها من استقطاب ساكنة المنطقة الإسبانية، وبذلك المساعدة على تصريف منتوجات المستوطنات بالمنطقة⁵⁷⁵.

لعب السوق بدائرة ورغة العليا، وكباقي مناطق المغرب دورا مركزيا في السياسة التدييرية الفرنسية، إضافة إلى غاياته المتعددة، فقد كان الهدف منه كذلك خلق حلقة ربط بين كل المناطق وإدخال العامل النقدي، الذي سيحتم على السكان الانفتاح على العالم الخارجي، والانتقال من اقتصاد الكفاف، الذي كان يتمشى مع المعطيات الطبيعية والحاجة فقط إلى المواد الأساسية، إلى اقتصاد السوق الرأسمالي، المعتمد على إنتاج الفائض وتسويقه، ومعه تصبح العملة مركبا أساسيا في المعاملات التجارية، بحيث كان يتم الاعتماد بشكل كلي على تحديد أسعار المنتوجات بالفرنك الفرنسي، مع تواجد البسيطة الإسبانية بالأسواق القريبة من الحدود، خاصة بسوق السبت (مثيو)، نظرا لارتباط المنطقتين اقتصاديا، وهو ما جعل الجانب الفرنسي بدائرة ورغة العليا، دائما يراقب صرف وتحديد سعر العملات⁵⁷⁶.

⁵⁷⁴ --A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^e partie, Novembre 1930, p.1

⁵⁷⁵ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, du 26 Mars au 25 Avril 1931, p.2

⁵⁷⁶ - A.M, Statistiques Economiques Mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, Décembre 1932, p.1

الهدف من مراقبة سعر العملة الأجنبية بالمنطقة "البسيطة" كان لابد منه، كي تتناسب قيمة العملة المتعامل بها مع ما تم وضعه كسعر بالفرنك الفرنسي للمنتوج، هذا التعامل بالمنظور العيني النقدي كان يسهل مأمورية الإدارة الفرنسية في نستخلاص الضرائب من سكان المنطقة "الترتيب"، فأصبح لزاما على الفلاحين تأدية هذه الضريبة ورسوم أخرى نقدا، فالسوق كان فرصة لاستخلاص ضريبة الترتيب بعد بيع الفلاحين لمنتجاتهم وحصولهم على العملة النقدية، حيث كانت هذه الأسواق تخضع بشكل دوري للمراقبة من طرف ضباط فرنسيين⁵⁷⁷.

بعدها يتم إرسال مراقبين إلى مختلف المكاتب المتواجدة بالدائرة، كانوا يقومون بالإشراف على تتبع عملية عد رؤوس الماشية والأشجار المثمرة، الأمر الذي كان يثقل كاهل الفلاح الورغي، مما يضطره إلى بيع جزء من ممتلكاته بالأسواق لتوفير العملة، لسدادها للجهات المعنية بتحصيل الترتيب في حالة تعذر توفر هذه العملة في الوقت المناسب، حيث في عدة مرات تم استخلاص هذه الضريبة من القبائل داخل الأسواق مباشرة، كما هو الشأن بالنسبة لقبيلة مثوية التي أُستخلص ترتيبها في سنة 1931 بسوق السبت⁵⁷⁸.

هذه الأسواق عرفت رواجاً مالياً، بفضل ما أصبح يروج فيها من منتجات، وتبقى أهم المنتوجات المحلية التي كانت تزود بها أسواق المنطقة: الخضروات الطرية، اللفت، الملفوف، الجزر، الفواكه الجافة، الزيت، الحيوانات، الماشية، وغيرها من المنتوجات المحلية للفلاحين، أو التي يجلبها التجار معهم للأسواق.

⁵⁷⁷ - أنظر الجداول الخاصة بالتقارير الشهرية السياسية لدائرة ورغة العليا، حيث توجد جداول عند نهاية كل تقرير توضح التحركات التي قام بها ضباط دائرة ورغة العليا بمختلف رتبهم، لمراقبة الأسواق وتتبع عمليات استخلاص الترتيب، وكذلك الإشراف على مراقبة مد الطرق، وغيرها من المهام.

⁵⁷⁸ - A.M, R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, 3^e partie, Période du 26 Novembre au 25 Décembre 1931, p3

جدول رقم 21: أسعار بعض المنتوجات بالأسواق المحلية 1931-1932

السنة والشهر	القمح	الزيت	الأبقار	الشعير	الماعر	البيض
نونبر 1932 بثلاثاء بني وليد ⁵⁷⁹	من 11 فرك إلى 12.5 للكاليتير المزدوج	من 37.5 إلى 40 فرك للكاليتير المزدوج	من 325 إلى 500 فرك	من 5.50 إلى 6.25 للكاليتير مزدوج	30 إلى 40 فرك	20 فرك للمئة
يناير وفبراير 1933 بني وليد ⁵⁸⁰	12.50 د.م	35 د.م	400 إلى 600 فرك	6 د.م.	40 إلى 60 فرك	----- -
دجنبر 1932 بأسواق تاونات ⁵⁸¹	55 إلى 60 فرك للقنطار	30 فرك ل10 لترات	220 إلى 370 فرك	40 إلى 44 للقنطار	30 إلى 50 فرك	فرك 17.50 للمئة
فبراير 1933 بتاونات ⁵⁸²	62 إلى 65 فرك	37 إلى 50 فرك لعشر لترات	200 إلى 400	40 إلى 45 فرك للقنطار	30 إلى 60	25 فرك للمئة

فالسوق كان بما هو عليه، موقع للتبادل، ووسيلة للتوغل السياسي والاقتصادي، فالاستعمار بجميع مركباته لا ينجز إلا عن وعي بأهمية ما تقدمه تلك الإنجازات من منافع، تعود عليه بالنفع أولا ثم على الوضع المحلي ثانيا، فهو يسعى دائما إلى إثبات شرعيته، عن طريق إلزام الآخرين الارتباط به اقتصاديا، فمع هذا الارتباط يصعب الخروج من دوامته، فليوطي كان يؤكد على فائدة تواجد المراكز الاقتصادية بكثرة في مشروع التوغل، ف"بمجرد ما يصبح ذلك

⁵⁷⁹ - A.M, Statistiques Economiques Mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, Bureau des Affaires Indigènes de Tleta des Beni-oulid, du 21 Novembre au 20 décembre 1932, p.1

⁵⁸⁰ - A.M, Statistiques Economiques Mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, Bureau des Affaires Indigènes de Tleta des Beni-oulid, du 21 Janvier au 20 Février 1933, p.1

⁵⁸¹ - A.M, Statistiques économiques mensuelles, Cercle du Haut Ouergha, Bureau des Affaires Indigènes de Taounat, décembre 1932, p.1

⁵⁸² - A.M, Rapport économiques mensuelles, Cercle du Haut Ouergha Bureau des Affaires Indigènes de Taounat, Février 1933, p.1

ممكنا سيكون علينا أن نعطي لاستقرارنا توجهها اقتصاديا بجعلنا من أول مركز للمراقبة مركزا تجاريا، وذلك بجلب القوافل إليه والسعي لخلق حركة تجارية (...). أي بإعطائنا الانطباع بأننا لا نعطي وعودا بالأمن فقط بل نجلب الرفاهية المادية كذلك⁵⁸³.

هذا النهج الاستعماري ذو الصبغة الاقتصادية، أدخل الساكن المحلي في دوامة الارتباط بالمنتوج المستورد أو المصنع بالأحرى، كالبنزين والبتروال الخ. من المواد التي أصبحت دخيلة على الثقافة الاستهلاكية، بفعل التوجيه الاقتصادي من قبل المستعمر، وهي في الأساس كلها مواد تستخلص منها الإدارة الاستعمارية ضرائب مهمة، بالإضافة إلى هذه المنتوجات المصنعة أصبح السوق للساكن المحلي، فرصة لتصريف مهن النسيج المحلية من ألبسة وقماش وصناعة الجلابة الخ. بشكل أسهل⁵⁸⁴.

تتبع التقارير الاقتصادية الخاصة بمكاتب الدائرة أو التقارير العامة لدائرة ورغة العليا التي تهم الإحصاءات، كان يظهر أن رصد حجم المعاملات والحركة التجارية، كان يحظى بأهمية بالغة لدى المستعمر، من خلال تتبع أوقات انتعاش نشاط الأسواق مع اقتراب المناسبات الدينية خاصة خلال عيد الأضحى، الذي تعرف باقترابه رواج كبير لمادتي الحبوب والمواشي، نظرا لما لهما من عائدات على الخزانة الاستعمارية، كما يتم رصد حالات كساد الأسواق من خلال تردي الأوضاع الفلاحية بسبب سوء الأحوال الجوية أو لسوء المردودية.

تحكم المستعمر في إنشاء الأسواق والسهر على مراقبتها ومد حركيتها، أدى إلى خلق مجموعة من الترابطات الداخلية، ساهمت في تطوير ثقافة النشاط التجاري كفكر لدى ساكنة المنطقة، وربطهم بضرورة التبعية للسوق، كمحدد رئيسي لتصريف منتوجاتهم، مع جعل العامل النقدي سبيل التحرك على المسالك الطرقية بالمنطقة أو في

⁵⁸³ - أنظر: ابن المليح عبد الله، مرجع سابق، ص. 219

⁵⁸⁴ - A.M, Rapport Economique Mensuelle, Cercle du Haut-Ouergha, bureau des A.I. de Tleta des Beni oulid, du 21 Janvier au 20 Février 1933, p.1

التعامل البيني بين القبائل، الأمر الذي ساهم بشكل كبير انطلاقا من السوق في توسيع حركية استعمال النقد في جميع التبادلات البينية المحلية أو الخارجية مع سكان المنطقة الإسبانية، أو أثناء التوجه صوب مدينة فاس.

فالسوق أداة إغراء وجذب لخلق رابط التفاعل والتواصل بين الجهاز الفرنسي وباقي السكان، عبر إحداث تجاوب بين الأجهزة التديرية المحلية وانخراط السكان في تكثيف الحياة الاقتصادية للمنطقة، تحت وصاية وإشراف فرنسي، يسن القوانين ويدفع بالمنطقة إلى التجاوب الإيجابي مع مخططاته الاقتصادية الاستعمارية بالدرجة الأولى، وقد وصف ألبير عياش هذه العملية المفروضة لإدماج الفلاح المغربي بالمخططات الاقتصادية للمستعمر، وعلى رأسها دور الأسواق و"النقدنة" للتعاملات، بقوله "لقد أدمج الفلاحون المغاربة، فوق ذلك، بصورة عنيفة في إقتصاد نقدي لم يكونوا مهئين للاندماج فيه، وكان عليهم أن يؤدوا الضرائب والرسوم التي تطالب بها الدولة، وكذا شراء السكر والشاي اللذين يأتي بهما التجار إلى الأسواق ولم يكن بمقدورهم الاستغناء عنهما، والحصول على الأثواب القطنية وباقي الأقمشة الأخرى التي كانت الصناعة العائلية والحرفية قد زاحمتها الصناعة الكبيرة - تقدمها بكميات أقل وبالجمل".⁵⁸⁵

3- تهيئة وتشبيد المقرات الإدارية

تسلحت الإدارة الاستعمارية بترسانة قانونية من ظهائر وقرارات وزيرية، تتماشى مع إرادتها في نزع الملكية والاستيلاء على الأراضي بمختلف الطرق، لإضفاء طابع المشروعية عليها، من خلال استصدار هذه الظهائر والقرارات الوزيرية، مشعرة السكان والمكون القبلي على وجه التحديد، بأن الجهاز الفرنسي لا يسلب بالقوة وإنما هو يطبق القانون، بإرادة أعلى أجهزة المغرب وأصحاب الأرض الممثلين في السلطان والجهاز المخزني، وأن فرنسا لا تقوم مقام المخزن، بل هي تشاوره وتعود إلى القوانين التي أجاز السلطان التوقيع عليها، لتسري كنوع من إظهار الوفاق والإحترام للسلطة الرئيسية لدى المغاربة.

بانتهاء الصراع الفرنسي مع القبائل المقاومة له، بفضل القضاء على حرب الريف، والإجهاد نهائياً على أشكال المقاومة أو التهديد الذي يمكن أن يأتي من الحدود المجاورة، سيتفرغ الجهاز الفرنسي بالمنطقة (الدائرة) إلى توظيف تلك الترسنة القانونية لسلب الأراضي من السكان بشتى الوسائل وإضفاء صبغة المهادنة عليها، من خلال إظهار بعض الأملاك على أنها قد تخلى عنها أصحابها بشكل طوعي لصالح المستعمر، الذي يريد تطوير بنياته الإدارية، فهو يأخذها على شكل هبات أو بأثمنة رمزية، كأراضي تعتبر من المصلحة العامة حصول المستعمر عليها.

3-1 مكتب تاونات (مركز الدائرة)

مع انتقال مهام الدائرة رسمياً من مكتب تيسة إلى مكتب تاونات بتاريخ 25 نونبر 1927، وما واكب ذلك من عمليات نقل للمهام والصلاحيات، والذي كان في البداية مركزاً عسكرياً واستخباراتياً بالدرجة الأولى⁵⁸⁶، مع هذا التحول أصبح لازماً وضع مصدر تشريعي قانوني، لحيازة الأملاك التي يتواجد عليها هذا المركز رسمياً، وكذا الأراضي المراد أن يتوسع عليها وباقي مرافقة (توابعه)، بشكل مشروع وقانوني.

سعيًا لتحقيق هذه الحيازة لصالح مكتب تاونات بشكل قانوني، وشرعنة تواجده عليها منذ سنة 1924، تم إصدار قرار وزيري بتاريخ 29 دجنبر 16/1928 رجب 1347، لتوسعة المركز تماشياً مع مهامه الجديدة، يسمح من خلاله بشراء ثلاث قطع أرضية حبسية لصالح الملك الخاص للدولة، توجد على أراضي مكتب الشؤون الأهلية بتاونات وتوابعه⁵⁸⁷.

هذه الحيازة تمت بالاستناد إلى ظهيري 1917 و 1928:⁵⁸⁸

⁵⁸⁶ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{er} partie Novembre 1927, p.3

⁵⁸⁷ - "قرار وزيري في الإذن بأن يشتري لإدارة الأملاك الخاصة بالدولة ثلاث قطع حبسية من أراضي مكتب الأمور الأهلية بتاونات (بناحية فاس) وتوابعه"، الجريدة الرسمية، عدد 850، 1928، ص.354

⁵⁸⁸ -A.M, dossier du Secrétariat Général du Protectorat Etudes Législatives, ARRETE VIZIRIEL N° 850/ 1929, autorisant l'acquisition pour le compte du domaine privé de l'Etat, de trois parcelles habous sur le terrain du bureau du Affaires Indigènes de Taounat (Région de Fès) et de ses dépendances.

- بناء على الفصل 21 من ظهير 9 يونيو 1917 (18 شعبان 1335) المتعلق بالمحاسبة العامة (العمومية)، وذلك بالتحجج بالحاجة للدولة الشريفة للحصول على القطع، حيث توجد مباني مشغولة من قبل مصلحة الشؤون الأهلية بتاونات؛

- ظهير 27 نونبر 1928 (13 جمادى الثانية 1347) يرخص بيع هذه العقارات بمتوسط سعر يبلغ 1400 فرنك.

وبناء على اقتراح المدير العام للشؤون المالية تقرر مايلي:

"القرار

وفي فصل وحيد- السماح بالحياسة لحساب الأملاك الخاصة للدولة، بمتوسط ثمن ألف وأربعمئة فرنك، ثلاث قطع أرضية من أراضي الحبوس تشغلها مباني وتوابع مكتب الشؤون الأهلية بتاونات، والمعينة أدناه:

1- قطعة سيدي بوزيد بمساحة تبلغ 700 متر مربعة.

2- قطعة عين دردار بمساحة تقدر بـ 3000 متر مربع.

3- أرض حائط الجمعة التي تبلغ مساحتها 15800 متر⁵⁸⁹.

بذلك يكون المشرع الفرنسي أضفى صبغة المشروعية، لحياسة أراضي تعتبر في ملكية يصعب المس بها، خاصة

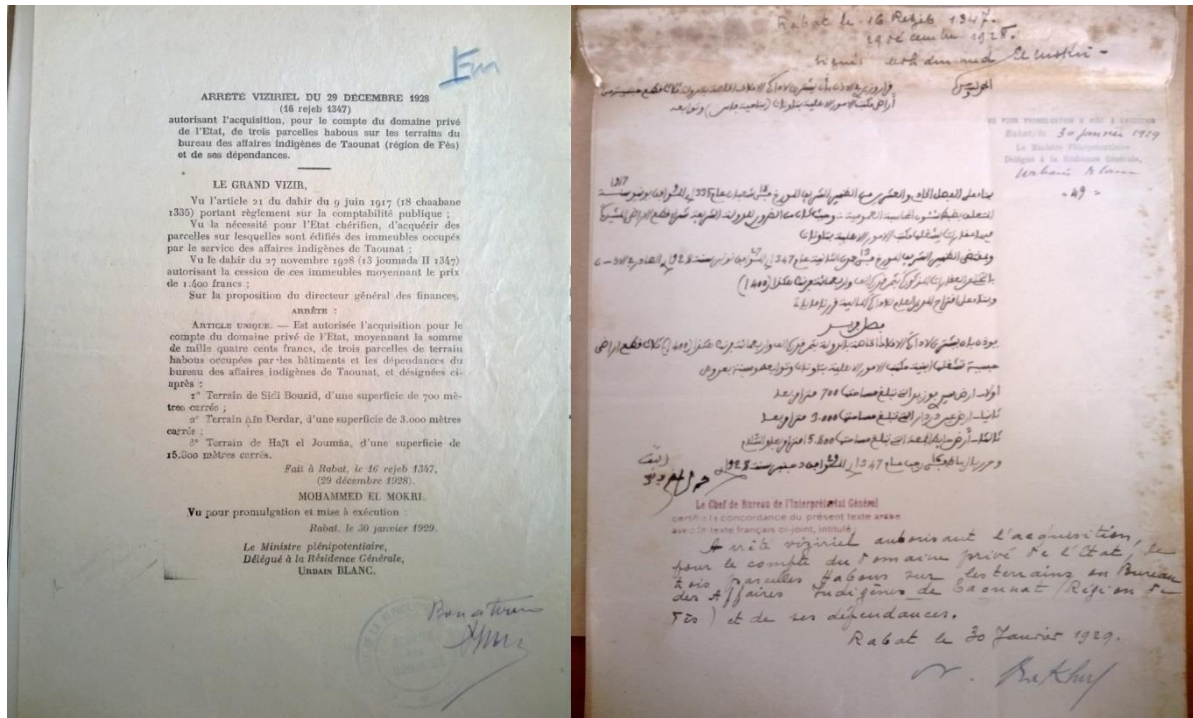
أنها أراضي حبوس⁵⁹⁰، تتمتع برمزياتها الدينية والقانونية حسب الشرع، تم وقفها من قبل أشخاص ذاتيين، لا يجوز

⁵⁸⁹ - ibidem

⁵⁹⁰ - نفس العملية ستهم الحصول على أراضي أحباس بقبيلة مئوية سنة 1936، حيث تم الترخيص بشراء أرض بلغت مساحتها هكتارا وثمانية أرات بسبت مئوية بمبلغ قدر بـ 500 فرنك. أنظر: "قرار وزيري في الإذن بشراء أرض بسوق السبت مئوية (دائرة ورغة العليا)"، الجريدة الرسمية، عدد 1219، 06 مارس 1936، ص. 315

التصرف فيها من قبل الخواص فبالأحرى من قوة أجنبية غازية، ليكون اللجوء إلى استصدار ظهير من هذا النوع ودفع ثمن تقديري، في الغالب سيكون رمزيا للظفر بهذا أراضى بحجة المصلحة العامة، وضخ قيمة مالية للحبوس لتحتسب أرض بطابع البيع، وليس بالسلب أو الهبة من قبل أشخاص خواص توجد ضمن أملاكهم.

591 - القرار الوزيري الخاص بالقطع الحبسية التي تم تخصيصها لمكتب تاونات.



هذا التنوع في المساطر والإجراءات الإدارية لتمليك الأراضي أو لتحصيل البعض منها، سينقسم إلى طريقتين، يتم بهما الحصول على الأملاك الجماعية أو الفردية من الساكنة القبلية المتوفرة على ممتلكات قانونية، بطرق تحيل على المشروعية وخدمة المصلحة العامة. فقد تم التعرف على الطريقة الأولى من خلال استعراض شكل تفويت أراضي من الحبوس لخدمة المصالح الفرنسية، لشرعنة تملك عقارات وأراضى حيث يتواجد مركز تاونات، مع تقديم مقابل مادي (النموذج السابق)، أما الطريقة الثانية، سيتم إبرازها من خلال النموذج آخر يبين شكل الزحف على الأملاك الفردية، من خلال الحجز عليها بصيغة الهبة والمنح.

تم إصدار قرار وزيري بتاريخ 28 دي الحجة الموافق ل 7 يونيو 1929، يسمح في الإذن للدولة بأن تقبل هبات الأراضي الكائنة بضواحي مركز تاونات، وذلك بالاستناد إلى الظهير الشريف المؤرخ في 9 يونيو 1917 المتعلق بضبط شؤون المحاسبة العمومية، حيث جاء القرار ليحيل على وجود مجموعة من الواهبين، أرادوا منح الدولة مجموعة من القطع الأرضية المحيطة بالمركز، وهو ما دفع سلطات الحماية إلى أن تصادق بقبول هذه الأراضي المسماة بـ **حيط الجمعة، باب الجمعة، عين شاشة، بلاد الجمعة، عين سخونة، الجمعة القديمة، عين دردار، كدية الجمعة، عرصة عين عروس**⁵⁹².

بتصفح عدد الماخين الذي وصل إلى 114 مانح، ومجموع الأراضي التي تم منحها وصلت إلى 41495 متر مربع، يحيل على القيام بحملة نزع أراضي دفعة واحدة بصيغة الهبة، نظرا لرغبة المستعمر في نزع عديد الملكيات الخاصة من أصحابها وتمليكها لـ "الدولة" في كل الأحوال، هذا التملك الذي من المؤكد ستكون له غايات ومرام تحدده، نظرا لتملك ما يقارب 40 هكتارا، في منطقة في الأصل وعرة التضاريس، ويصعب إيجاد نوعية مثل هذه الأراضي من "عراصي" وغيرها⁵⁹³.

الأمر الذي يبين ظهور البدايات الأولى لوضع مكتب تاونات بشكله المتكامل بعد أن أصبح مركزا للدائرة، عبر تطويره تدريجيا للقيام بالتعديل الإداري للدائرة سنة 1931، حيث سينفصل مركز تيسة عن الدائرة⁵⁹⁴، وبذلك وضع مكتب تاونات على مشارف التوسعة والإعداد لبناء مرافق إدارية وسكنية، وغيرها من المقرات التي تحتاجها الأجهزة الفرنسية لتدبير أمور موظفيها وساكنة المنطقة، وكذا المشاريع الاستعمارية المقبلة، بذلك أصبحت الملكية تنتقل تدريجيا من ملك تاريخي، ينتمي إلى أشخاص من داخل قبيلة، إلى ملك جديد يتشارك مع السكان أملاك

⁵⁹² -A.M, dossier du Secrétariat Général du Protectorat(Etudes Législatives), ARRETE VIZIRIEL N° 870/ 1929, autorisant l'acquisition pour le compte du domaine privé de l'Etat, des donations des terrains situés aux abords du poste de Taounat (Cercle du Haut-Ouergha- territoire du Fes-Nord-Région de Fès) et de ses dépendances .

⁵⁹³ - ibidem

⁵⁹⁴ - انتقال المهام والاختصاصات من مكتب تيسة إلى تاونات، عرف تأخرا منذ الإعلان عنه سنة 1927 بشكل رسمي، الأمر الذي قد يفسر بقاء هذا النقل للمهام معلقا، نتيجة للمسطرة القانونية المتبعة وكذلك للرغبة في تهيئة مكتب تاونات لمهمة قيادة الدائرة، ليكون مكتب مكتمل الأركان لقيادة مكاتب الدائرة ككل.

القبيلة، والذي لم يكن معروفا من ذي قبل وهو ملك الدولة، الذي يعبر عن نجاعة مخطط الإدارة الاستعمارية في نزع الملكية بشكل قانوني.

عبر هذه الأملاك المنتزعة بمختلف الوسائل، تم من خلالها سنة 1933 تهيئ المنطقة الإدارية بتاونات وتوسعة مرافقها، حيث تم " تطوير وتوسيع المباني الإدارية المختلفة وسكنى الضباط المساعدين، وأشغال تزويد المستوصف الأهلي لتاونات بالماء، التي تم القيام بها بعد توسعة المبنى والقيام بتسييجه، أشغال تسييج مقبرة تاونات جارية، وبناء المخازن المعدة للمعدات تم إنشاؤها إلى جانب الإسطبلات"⁵⁹⁵.

⁵⁹⁵ - A.M, Statistique Economique Mensuelle, Cercle du Haut-Ouergha, B.A.I. de Taounat, Février 1933, p.1 (c201).

-القرار الوزيري الخاص بالأراضي التي تم إعطاؤها لمكتب تاونات عن طريق الهبة⁵⁹⁶.

Fait à Rabat le 28 Hija 1347 (7 Juin 1929)
 Signé: Mohammed El Mokri
 256 المجلد
 قرار وزير الأراضي
 (بإذن ورغة العليا) فاس
 ذكر الكبير الشريف المورخ في نيفس سنة 1347 الموافق لشعبان عام 1335 المتعلق بضمه لشؤون المحاسبة العمومية
 POUR PROMULGATION
 ECRIS/EXECUTIF
 RABAT, le 17 Juin 1929
 Commissaire Résident Général

اسم الراعي	المساحة المتر	اسم الأرض	عدد الميراث	مجموع الميراث
أحمد بن مولاي أحمد بن عبد المولى العبد المولى	10.700	حيك المجمع	1347	993
محمد بن أحمد بن مولاي محمد بن عبد المولى العبد المولى	0.72	باب المجمع	-	207
أحمد بن مولاي عبد المولى العبد المولى	2380	-	-	209
محمد بن حسن بن جيلان التناون	0900	-	-	211
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	0264	عبد السلام	-	213
محمد بن جيلان بن عبد المولى العبد المولى	0710	-	-	215
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	0250	-	-	217
أحمد بن الحاج المربية التناون	0300	-	-	219
جاءكة بنت أحمد المربية التناون	250	-	-	221
حسن بن عبد المولى العبد المولى	050	-	-	223
جاءكة بنت أحمد المربية التناون	300	-	-	225
محمد بن عبد السلام المربية التناون	110	باب المجمع	-	227
بوزيد بن عبد المولى العبد المولى	320	-	-	229
محمد بن مسعود المربية التناون	350	عبد السلام	-	231
محمد بن عبد السلام المربية التناون	180	عبد السلام	-	233
أحمد بن عبد السلام المربية التناون	360	عبد السلام	-	235
الستيف بن عبد المولى العبد المولى	1500	-	-	237
محمد بن مسعود المربية التناون	0300	-	-	239
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	360	عبد السلام	-	241
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	452	-	-	243
محمد بن مسعود	250	-	-	245
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	225	-	-	247
أحمد بن عبد المولى العبد المولى	200	-	-	249
أحمد بن عبد المولى العبد المولى	160	-	-	251
عبد السلام بن مصطفى المربية التناون	540	-	-	253
الستيف بن عبد المولى العبد المولى	360	-	-	255
بوزيد بن عبد المولى العبد المولى	130	-	-	257
جاءكة بنت أحمد المربية التناون	2000	-	-	259
محمد بن عبد المولى العبد المولى	0500	-	-	261

اسم الواعظ	المساحة المقترحة للبرج	اسم الارض	تاريخ الرسم	عدد الرسوم
علاء بن حميد المزياني الرشيد	515	ثلاثية اعراض الامير اليعقوبية	14 جمادى الاولى سنة 1347	165
عبد الرحمن الزيات الرشيد	1790	عرصة غير عروس	—	166
عبد بن عبد العزيز بن عبد الله الرشيد	730	—	—	166
عبد بن عبد الله الرشيد	440	—	—	171
عبد بن عبد السلام الرشيد	290	—	—	173
عبد بن عبد الله الرشيد	185	—	—	175
عبد بن عبد الله الرشيد	380	—	—	177
عبد بن عبد الله الرشيد	258	—	—	179
عبد بن عبد الله الرشيد	230	—	—	181
عبد بن عبد الله الرشيد	108	—	—	183
عبد بن عبد الله الرشيد	370	—	—	185
عبد بن عبد الله الرشيد	35	—	—	187
عبد بن عبد الله الرشيد	65	—	—	189
عبد بن عبد الله الرشيد	40	—	—	191
عبد بن عبد الله الرشيد	100	—	—	193
عبد بن عبد الله الرشيد	80	—	—	195
عبد بن عبد الله الرشيد	770	—	—	197
عبد بن عبد الله الرشيد	369	—	—	199
عبد بن عبد الله الرشيد	490	—	—	201
عبد بن عبد الله الرشيد	12	—	—	203

وحيث كلاً، ومعلمته الروقة قبول السموات النقية، وعبء المذكر وروء اعلاء، فرنا حليمة

البعض هو الاول

مؤدى جاء قبل من كرم الدولة قبله الا انه اسماء ان حيث الجمعية جاء الجمعية
عيسى سعادته بلاء الجمعية غير متوقعة الجمعية الفرعية غير روار
كثيرة الجمعية عركه غير رور الكمانتة غربا مركز فوات براتة ورفه
العلما بقتراب قاسم السماة ما عايفة قاسم

البعض على الغلاف

تفسير معاني الآثار في كفاية معاني الآثار الملوك المحررين من خارجها من الملوك

وهر راجه ما بهی جمع عام 1347 هـ السواحي یفید سنة 1929
عمر الممونی

Le Chef de Bureau de l'Interprétariat Général
certifie la concordance du présent texte arabe
avec le texte français ci-joint, intitulé :

Arrêté viziriel autorisant le domaine privé de l'Etat Chérifien à accepter les donations de terrains situés aux abords du poste de Tacounat/cercle du Haut Ouergu, territoire de Fès-Nord, Région de Fès./.

Rabat le 12 Juin 1929

W. R. R. R.

2-3 مكتب بني وليد

الانتقال من مرحلة الاشتغال عسكريا بالدرجة الأولى على منطقة ورغة العليا طيلة سنوات -إعتمادا على المركز العسكري- ، إلى مرحلة تحقق السيطرة الميدانية، تطلب معه ضرورة وضع سبل التدبير والأجرأة للسياسة الأهلية الفرنسية في مختلف المجالات، سواءا اقتصاديا أو اجتماعيا، فأصبحت للمكاتب دورا كبيرا في هذه العملية الإجرائية للسياسة الأهلية، ومعه أصبحت الضرورة لتوسيع المكاتب تزامنا مع هذا التوسع في صلاحياتها، وذلك بإضفاء الصبغة القانونية على امتلاك الأراضي التي تقع عليها، والتي كانت قد انتزعت خلال سنوات الحرب بالقوة من القبيلة أو أصحابها، وبذلك إبعاد جانب المظلومية للملاك السابقين.

من هذا الباب، سيكون الحديث عن تهيئة مكتب بني وليد، ففي مراسلة موجهة من المدير العام للمالية إلى الكاتب العام للحماية (مصلحة الدراسات التشريعية) بتاريخ 02 يوليوز 1929⁵⁹⁷، بخصوص مشروع قرار وزيري يأذن لمصلحة الأملاك المخزنية للدولة بقبول هبة أرض، من السيد محمد بن علي بن عياد عن نفسه ونيابة عن موكله: الحاج أحمد بن المفضل السباعي الطرقي وحمدان بن محمد براحم الطرقي والسيد المدني بن الحاج اليزيد العشري وأحمد بن عمار وأحمد بن عليلو بن محمد بن الحاج المنتمون لفخدة الزيامة، يقدمون أرضا كهبة، تعرف بالفوار كائنة بثلاثاء بني وليد، مع تأكيد مدير العام للمالية على ضرورة التعجيل بتوقيع الصادر الأعظم على هذا الملتمس وتحديد موعد النشر، خاصة أن الأمر لا يتعلق بمنفعة شخصية بل بإنشاء مكتب للشؤون الأهلية ببني وليد، هذه

⁵⁹⁷ - A.M, dossier du Secrétariat Général du Protectorat (Etudes Législatives), Lettre N° 3234, du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat (Service des Etudes législatives), sujet: **domaines-Fez, Cercle Du Haut-Ouergha, Beni oulid, installation du Bureau des Affaires Indigènes**, 2 Juillet 1929.

المطالبة بالتعجيل تماشيا مع التوسعة الإدارية لمكتب تاونات، سيتم الاستجابة لها بإصدار قرار وزيري يجيز قبول الهبات من الأفراد المعنيين بتلك الأرض في شخص موكلهم⁵⁹⁸.

من خلال وثيقة أخرى لهذا المشروع، تبين بأن بداية التفكير في إصدار هذا القرار حول الأراضي المعنية وضرورة قبولها كهبة يعود إلى تاريخ 11 دجنبر 1927، حيث في هذه المرحلة تم الحديث عن قبيلة "الزيامة" وليس عن الأشخاص المذكورين بالدرجة الأولى، وهو ما يحيل على تريت في أخذ هذه الأراضي من الأشخاص المذكورين إلا في حالة إقرار القبيلة بذلك، وثبتت ملكية الأرض فعلا للأشخاص الفرديين⁵⁹⁹، أو أن الأمر ارتبط بمرحلة تشجيع تفكيك الملك القبلي لصالح الملك الفردي.

هذان الأمران السابقان، سيتأكدان من خلال وثيقة ثانية تعود لسجل تحويلات العقار تحت رقم 812، تؤكد على إقرار قبيلة الزيامة بثبوت ملكية الأرض للمانحين، التي هي عبارة عن بستان مع تحديد موقعه من الجهات الأربع، وأن تنازلهم عن هذه الأرض للمستعمر جاء بحضور الشهود وبتوقيع عدلين وبموافقة قاضي الحيانة بتاريخ 16 جمادى 1346هـ⁶⁰⁰. وهو ما يوضح مدى حرص الجهاز الاستعماري على تجاوز الثغرات القانونية وتتبع المسطرة الإدارية، وأن التأخير في قبول هذه الأرض منذ سنة 1927 قد يعود بالأساس للتحوف من الدخول في صراع مع القبيلة، وإعطاء الوقت للمانحين لإثبات ملكيتهم للأراضي، والتي من المؤكد أن المانحين لم يقوموا بهذا العمل فقط لأنهم

⁵⁹⁸ -A.M, dossier du Secrétariat Général du Protectorat Etudes Législatives, ARRETE VIZIRIEL N° 446/ 3 Août 1929, ARRETE VIZIRIEL autorisant l'Etat à accepte la donation d'une parcelle de terrain situé à Tleta du Beni-Oulid.

⁵⁹⁹ - A.M, dossier S.G.P. Etudes Législatives n° 877, Lettre N°3234F.SD, du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat (Service des Etudes Législatives), sujet : **installation du bureau des Affaires Indigènes, Donation d'un terrain à l'Etat Chérifien**, 2 Juillet 1929.

⁶⁰⁰ - A.M, dossier du Secrétariat Général du Protectorat Etudes Législatives n° 877/ 1929, registre des transactions immobilières, Lettre N° 1718 S.E.L., du Secrétaire Général du Protectorat au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Sujet : **Projet d' ARRETE VIZIRIEL N° 446 autorisant l'Etat à accepte la donation d'une parcelle de terrain situé à Tleta du Beni-Oulid (Cercle du Haute-Ouergha, Région de Fès)**, 23 Juillet 1929.

يريدون منح تلك الأراضي كهبة كما هو وارد بعدد الوثائق، بل بالدرجة الأولى لأن الجهاز الفرنسي رأى في هذه الأرض مصلحة، تقوم على أهليتها لتأسيس مكتب "بني وليد" الجديد⁶⁰¹.

هذا الإصدار للقرار الوزيري بعد مدة قاربت الستين، يؤكد على مدى حرص الجهاز الإداري الفرنسي على تتبع المسطرة القانونية وعدم الاستعجال في إصدار القرارات الوزارية إلا فقط عند الإقتضاء، أو عندما تكون في ذلك خدمة لمصلحة معينة، خاصة فيما يتعلق بالمقرات الإدارية والطرق والأراضي، التي دائما ما تضاف عليها صبغة أملاك الدولة أو التفويت من هذه الأملاك لصالح الإرادة الاستعمارية⁶⁰².

هذا الإنتقال بأشكال مختلفة من انتزاع الأراضي، لصالح المكاتب الأهلية بداية من شراء الأراضي الحسبية أو من خلال هبة من أشخاص كما كان الحال مع النموذج الأخير، وما رافق ذلك من إجراءات، يجعل القول بأن كل هذه الطرق ما هي إلا شكل من أشكال الإلتواء المغلف بالمرجعية القانونية، لنزع الملكيات الضرورية للمستعمر.

يظهر النموذج الثالث، من خلال انتزاع الملكية المشتركة بالقبيلة، عبر إصدار قرار وزيري آخر ينتزع الأرض بشكل مباشر، دون إرادة أصحابها أو بمقابل مادي، حيث سيتم انتزاع أراض من فخذة "زيامة" لصالح توسعة مكتب بني وليد⁶⁰³، هذا الشكل يوضح الطريقة المباشرة لانتزاع الأراضي من القبيلة، بداعي المصلحة العامة، الأمر الذي يمكن القول على أنه استمرارية لتجريد القبائل من مشروعية امتلاك الأراضي، في ظل وجود دولة يجب الخضوع لها كشكل من أشكال الإنتقال من أراضي القبيلة إلى أراضي تحت مسمى الدولة (لتغليف وجود محتل)، كما هو الحال بالنسبة لتحديد الأملاك الغابوية وغيرها.

⁶⁰¹ - "قرار وزيري في الإذن للدولة بأن تقبل هبة قطعة أرض كائنة بسوق الثلاثاء لبني وليد (بدائرة ورغة العليا من ناحية فاس)"، الجريدة الرسمية، عدد 877، 13 غشت 1929، ص. 1871

⁶⁰² - يتم إصدار القرار الوزيري بعد نقله من مرحلة الاقتراح كمشروع قرار إلى قرار معلن، بعد إدخال التعديلات المقترحة عليه من مختلف الجهات التي تقوم بوضع أختامها على مشروع القرار بعد الموافقة عليه (مصلحة الدراسات التشريعية، المقيم العام، الكاتب العام للحماية، المدير العام للغرفة العسكرية والشؤون الأهلية ورئيس مصلحة الأملاك المخزنية) ثم الصادر الأعظم كممثل شرعي للسلطان ليتم تحديد موعد لنشره بالجريدة الرسمية.

⁶⁰³ - "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية الاستعجالية تهيئة وتجهيز مكتب الأمر الأهلية بثلاثاء بني وليد وفي نزع ملكية أرض مشتركة بين الجماعات كائنة بفخذة زيامة بقبيلة بني وليد بناحية فاس" الجريدة الرسمية، عدد 907، 1930، ص. 633

كما تم تفعيل مسطرة انتزاع الأراضي عند الإقتضاء، عند توسعة القواعد العسكرية، أو الرغبة في إعطائها متنفس أرحب لخصوصيات القواعد العسكرية وتوابعها، من خلال إصدار قرار وزيري سنة 1930، يهدف إلى توفير أرض إضافية للقاعدة العسكرية بعين عائشة، حيث تتمركز القاعدة الجوية والعسكرية للقوات الفرنسية بالدائرة منذ 1920⁶⁰⁵.

هذا المعطى يوضح كيف أصبحت مسألة انتزاع الأراضي، وتحديد ما يسمى بالعقار المخزني، كآلية أساسية للاستعداد لما قد يأتي من مشاريع تهيئة الطرق أو توسعتها، إلى جانب تمليك أراضي لأهداف استعمارية من قبيل الاستيطان وتطوير القبائل بمشروعية الملك المخزني والمصلحة العامة، فمنذ انتهاء حرب الريف وتلاشي الخطر المحتمل الذي قد يأتي من الجبهة الحدودية الشمالية مخافة خلق اصطدام مع القبائل، ستشرع مصلحة الأملاك الخاصة للدولة في نصح سياسة تحديد الملك المخزني بمختلف أشكاله انطلاقاً من المناطق التابعة لمكتب تيسة، صعوداً بمرور السنوات باتجاه المناطق المتواجدة بمجال مكتب الأمور الأهلية بتاونات.

⁶⁰⁵ - "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية ومن الأمور المستعجلة توسيع الملك العسكري بعين عائشة (بناحية فاس) بقصد تهيئة أرض معدة لنزول الطائرات ولبناء المحلات المخصصة بالطائرات وفي الاذن بنزع الأراضي اللازمة للغرض المذكور"، الجريدة الرسمية، عدد 910، 1930، ص. 829

المحور الثاني: الفلاحة وملكية الأرض بين التحول والتدبير الفرنسي

لعبت الفلاحة دورا بارزا في حياة الإنسان الورغي لجمعها بين ما هو اقتصادي وما هو اجتماعي، وقد ظلت تقوم على ثنائية متماسكة ألا وهي: الإنتاج المحلي وسد الخصاص الذاتي، فكانت القبيلة تعمل جاهدة على تلبية حاجياتها كما ونوعا (الإكتفاء)، رغم أن هذا الإنتاج كان دائما تحت رحمة الظروف والتقلبات المناخية، وأمام التدخل العسكري الفرنسي ورفض عديد قبائل ورغة العليا الخضوع في ظل تواجد زعماء قادوا المقاومة من أراضيهم كشنگيطي وعبد المالك، وبذلك رفض الخضوع والإنصياع للمخطط الاستعماري، فاضطر سكان المنطقة تحمل تبعات خيار المقاومة.

بتجدد الاشتباكات كانت القوات الفرنسية تعتمد إلى تحطيم اقتصاد القبائل، وتهجير السكان من مناطق تواجد قواتها ومراكزه ما داموا قد فضلوا خيار المقاومة على خيار الاستسلام، تاركين وراءهم الأراضي الزراعية دون زراعة، التي أصبحت تحت رحمة المدفعية الفرنسية في ظل تثبيت مراكز عسكرية على الأرض، جعلت من هذه الأخيرة نقطة ضغط لتحقيق الاستسلام المشروط أو على الأقل إدخال القبيلة في إطار التفاوض، الذي سيمكن من الاشتغال عليها سياسيا كما وقع مع قبيلة صنهاجة مصباح سنة 1919⁶⁰⁶.

على الرغم من أن المستعمر منذ وصوله إلى المنطقة وإنشائه لمجموعة من المراكز العسكرية بداية بمركز تيسة وصولا إلى مركز تاونات سنة 1924 فهو لم يتمكن من وضع يده على المجال الورغي الأعلى بشكل نهائي إلا بعد انتهاء حرب الريف والوصول إلى آخر نقطة من مجال ورغة العليا سنة 1926.

سعى من المستعمر لتثبيت قدميه في الأراضي الفلاحية بالمغرب عامة، عمل على خلق نظام عقاري يخدم نواياه المبيتة المبنية على السلب، حيث سنّ ظهير غشت 1913، المتعلق بتسجيل العقارات، وإنشاء مصلحة المحافظة

⁶⁰⁶ - A.M, R.M.P, Octobre, 1919, p. 4

العقارية سنة 1915⁶⁰⁷، وتصرفت إدارة الحماية في أملاك الدولة المغربية وفي أراضي الجيش التي اعتبرتها أملاكاً للدولة، وأعطى ظهير 1919 الحق للدولة في الاستيلاء على الأراضي الجماعية بدعوى المصلحة العامة⁶⁰⁸.

الاستعانة بالترسانة التشريعية لم يكن مجدياً مع المنطقة أمام غياب السيطرة العسكرية الفرنسية ميدانياً، فالمقاومة عرقلت سير الاستيطان الزراعي بشكل كبير، أمام استمرار القبائل في خيار المقاومة المسلحة إلى غاية سنة 1926، حيث كانت الهجمات من قبل المقاومين المحليين والريفيين تتوالى على المراكز العسكرية، وهو الأمر الذي لم يكن محفزاً للمستوطنين للدخول إلى المنطقة، للبحث عن موطئ قدم لإنشاء المستعمرات الزراعية ما لم تتم سيطرة جيوشهم على بؤر المقاومة، حيث شكل المستوطنون المزارعون عصابات مسلحة تسير خلف القوات الاستعمارية التي كانت تبذل وتطارد السكان، لتفصح المجال أمام المستوطنين للاستيلاء على أملاك فلاحية سعوا إلى جعلها تشعروهم بأنهم مندمجون في هذا المجتمع الجديد عليهم⁶⁰⁹.

1- زحف الاستيطان الزراعي

أ- توسيع مجال الاستيطان بين سنة 1927 و1931

بانتهاى خيار المقاومة المسلحة، سارعت إدارة الأملاك المخزنية منذ 1927، جاهدة لتوفير الكولون الزراعي للمستوطنين عبر تمكينهم من الحصول على المزيد من الأراضي، حيث تم وضع مطلب في تحديد العقار المخزني المعروف ببلاد ساحل بوطاهر (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)، أرادت إدارة الأملاك المخزنية من هذا المطلب حياة 2000 هكتار من الأراضي التي "يحدّها شمالاً واد أمزاز وطريق صغيرة موصلة إلى دوار ولاد الطاهر وشرقاً

⁶⁰⁷ - عياش ألبير، م. س.، ص. 173

⁶⁰⁸ - بنعدادة أسية، الفكر الإصلاحي في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجاً)، المركز الثقافي العربي، ط.1، الدار البيضاء، 2003،

ص. 52

⁶⁰⁹ - تافسكا أحمد، الفلاحة الكولونيالية في المغرب 1912-1956، مطابع أمبريال، ط.1، الرباط، 1998، ص. 13

حدود الحرث إلى ورغة وجنوبا وادي ورغة إلى ملتقاه بواد أمزاز"⁶¹⁰، إضافة إلى مجموعة من القرارات الوزارية التي استهدفت بالأساس أراضي قبيلة الحياينة والتي كانت تهدف بالأساس إلى خلق مجال للإستيطان الزراعي⁶¹¹.

الملاحظ أن عملية الإفصاح عن تخصيص هذه الأراضي للإستيطان الزراعي لم يكن إلا بحلول سنة 1928، وبذلك يمكن القول أن الجهاز الاستعماري سعى إلى تتبع مسطرة التدرج لأخذ هذه الأراضي بطرق تحيل على مشروعيتها من منطلق ملكية المخزن لها، ليأتي بعده قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية تجزئة الأراضي المعدة للاستعمار بتراب قبيلة ولاد رباب (الحياينة) بدائرة ورغة العليا بتراب فاس الشمالي بناحية فاس،⁶¹² فتم انتزاع ما مجموعه 15000 هكتارا من الأراضي بالقبيلة لتحويل إلى الاستيطان الزراعي.

استمرت موجة الزحف على الأراضي المخصصة لهذا الغرض بشكل متسارع، ليأتي قرار وزيري آخر يخص فرقي أولاد عمران وأولاد عليان من قبيلة الحياينة، يهم انتزاع ما يقارب 2330 هكتار من الأراضي الموجهة للإستيطان الزراعي⁶¹³، ليستمر هذا النسق من السطو على الأراضي عن طريق نزع الملكية بجيزة 2426 هكتارا من الأراضي المخصصة للإستيطان الزراعي من قبيلة أولاد عمران التابعة للدائرة⁶¹⁴.

تعددت هذه القرارات الوزارية، تبعا لحاجة المجال الاستيطاني للأرض لتلبية حاجيات المستوطنين وتشجيعهم على الدخول إليها، خاصة بالمناطق التي كانت تابعة لدائرة ورغة العليا ومركز تاونات قبل إحداث التغيير في التقسيم الترابي لسنة 1931، حيث كان يتم وضع مطلب لتحديد العقار المخزني ليعقبه قرار وزيري في الإذن بتحديدته ثم إعلان من إدارة الأملاك المخزنية، وهنا بعض هذه القرارات التي تؤرخ لمراحل تطور الاستيطان الزراعي بدائرة ورغة

⁶¹⁰ - "مطلب في تحديد العقار المخزني المعروف ببلاد ساحل بوطاهر الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)"، الجريدة الرسمية، عدد 744، 1927، ص. 205

⁶¹¹ - أنظر القرارات الوزارية المتواجدة بالجريدة الرسمية، العدد 745، 1927، صص. 254-258

⁶¹² - "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية تجزئة الأراضي المعدة للاستعمار بتراب قبيلة ولاد رباب (بالحياينة) بدائرة ورغة العليا بتراب فاس الشمالي بناحية فاس"، الجريدة الرسمية، العدد 795، 1928، ص. 158

⁶¹³ - "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية تجزئة الأراضي المعدة للاستعمار بتراب قبيلة اولاد عليان وقبيلة ولاد عمران بدائرة ورغة العليا بتراب فاس الشمالي (بناحية فاس)"، الجريدة الرسمية، عدد 795، 1928، ص. 166

⁶¹⁴ - "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية تجزئة الأرض المعدة للاستعمار بتراب قبيلة ولاد عيسى وفرقة ولاد بلغينة بقبيلة ولاد عمران من دائرة ورغة العليا بتراب فاس الشمالي بناحية فاس"، الجريدة الرسمية ، عدد 796، 1928، ص. 236

العليا قبل التقسيم الإداري لسنة 1931، الذي فصل فرقتي أولاد رباب وأولاد عليان بقبيلة الحياينة عن الدائرة وترك فرقة أولاد عمران تحت نفوذ الدائرة:

- "مطلب يتعلق بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد عين الشجرة الكائن بتراب قبيلة الحياينة (دائرة ورغة العليا بناحية فاس)"⁶¹⁵.

- "قرار وزيري في الإذن بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد عين الشجرة الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)"⁶¹⁶

- "مطلب في تحديد العقار المخزني المعروف ببلاد ولاد موسى الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)"⁶¹⁷.

- "قرار وزيري في الإذن بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد اولاد موسى الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا)"⁶¹⁸

- "قرار وزيري في الإذن بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد الطواول الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)"⁶¹⁹

- "قرار وزيري في الإذن بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد المانع الكائن بتراب قبيلة الحياينة (بدائرة ورغة العليا بناحية فاس)"⁶²⁰

- "إعلان إدارة الأملاك المخزنية: يعلن للعموم بأن التقرير المتعلق بتحديد العقار المخزني المعروف ببلاد طواويل التي قد عينت حدودها بتاريخ 28 مارس 1927، قد وضع بتاريخ خامس ماي 1927 في

⁶¹⁵ -الجريدة الرسمية، عدد 745، 1927، ص. 254

⁶¹⁶ - الجريدة الرسمية، عدد 745، 1927، ص. 255

⁶¹⁷ - نفسه، ص. 256

⁶¹⁸ - نفسه، ص. 257

⁶¹⁹ - نفسه، ص. 258

⁶²⁰ - الجريدة الرسمية، عدد، 745، 1927، ص. 402

مكتب الأمور الأهلية بتيسة وفي 15 يونيو 1927 بمحافظة الأملاك العقارية بمكناس حيث يمكن لمن له غرض الإطلاع عليه. أما الأجل المضروب للإعتراض على التحديد المذكور فقدره ثلاثة أشهر مبدوها من 8 نونبر 1927 وهو تاريخ نشر اعلام هذا بالجريدة الرسمية وتلقى الاعتراضات في مكتب الأمور الأهلية بتيسة⁶²¹.

- "قرار وزيري في المصادقة على أعمال تحديد العقار المخزني المدعو (بلد عين الشجرة) بقبيلة الحياينة (ناحية فاس) وقرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية إحداث منطقة للاستعمار بإيناون⁶²²."

- "قرار وزيري في التصريح بأنه من المصلحة العمومية شراء أرض مسمات بلاد واد جماعة داخلية في الأرض المجزأة المعدة للاستعمار بوادي اللبن (بدائرة ورغة العليا) وذلك بطرق نزع الملكية"⁶²³.

- قرار وزيري مصادق على أعمال تحديد العقار المخزني المدعو ببلاد "زغوانة" الكائن بتراب قبيلة الحياينة (دائرة ورغة العليا بناحية فاس)⁶²⁴.

- "قرار وزيري في الاذن بأن تحاز بطريق نزع الملكية قطعة أرض مشتركة بين جماعات القبائل المسمات بساحل العريش كائنة بتراب فاس الشمالي بقبيلة الحياينة وداخلية في المنطقة المعدة للاستعمار بإيناون (بناحية فاس) والتصريح بأن ذلك من المصلحة العمومية"⁶²⁵.

ب- الاستيطان الزراعي عقب التعديل الإداري لسنة 1931

استمر مسلسل توسيع الأراضي الاستيطانية بدائرة ورغة العليا بعد التقسيم الترابي الذي حدث سنة 1931م، الذي أصبحت فيه قبيلة الحياينة بفرقتيها أولاد عليان وأولاد رباب التابعة لمركز تيسة منطقة مدنية، مع الاحتفاظ بفرقة

⁶²¹ - الجريدة الرسمية، عدد 794، 1928، ص. 144.

⁶²² - الجريدة الرسمية، عدد 824، 1928، ص. 2265.

⁶²³ - الجريدة الرسمية ، عدد 833، 1928، ص. 2215.

⁶²⁴ - الجريدة الرسمية ، عدد 835، 1928، ص. 2946.

⁶²⁵ - الجريدة الرسمية، عدد 836، 1928، ص. 3021.

أولاد عمران (الحياينة) ضمن نفوذ دائرة ورغة العليا التابعة للمنطقة العسكرية، حيث ستعمل مصلحة الاستيطان على القيام بدراسة مشروع جديد لإصدار ظهير رقم 410 يميز اقتطاع 226 هكتار من الملك المخزني بـ "كارة علاوة" لخلق 5 مستوطنات زراعية جديدة بالمجال الاستيطاني المتمركز بساحل بوطاهر⁶²⁶، وهو الظهير الذي صدر بتاريخ 07 دجنبر 1931 مجيزا تفويت هذه الأراضي بما قيمته 1138 فرنك للهكتار الواحد⁶²⁷.

وقد وزعت هذه الأراضي المضافة للإستيطان بساحل بوطاهر بعد الاتفاق مع المعنيين بالاستفادة منها على الشكل التالي⁶²⁸:

- M.MALAVL : المستعمرة 1 تضم 41 هكتارا
- M.CREPUT : المستعمرة رقم 2 تضم 41 هكتارا
- M. FAIVRE-DUBOZ : المستعمرة رقم 3 وتضم 62 هكتارا
- M.CANNAC : المستعمرة رقم 4 وتضم 41 هكتارا
- M. TORRES : المستعمرة رقم 5 تضم 41 هكتارا

هذا التفويت والتحديد لملك الدولة عن طريق التحايل الفرنسي واتباع مسطرة قانونية لا عهد للسكان المحلية بها، أدى إلى تدمير القاعدة الاقتصادية لعدد سكان القبائل المغربية، نظرا لكون هذا التحديد والتفويت يشمل الأراضي التي هي في الأساس صالحة للزراعة وتكون في الغالب ذات خصائص فلاحية (الانبساط، سهولة الاستغلال،

⁶²⁶ -A.M, dossier Domaine Colonisation Fès N° 15761 F.S.D/2, Lettre N° 1001, du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat, sujet : **rajustement des lots Sahal Bou Tahar n° 1-2-3-4-5**, le 17 Novembre 1931.

⁶²⁷ -A.M, dossier Domaine Colonisation Fès, Secrétariat Général du Protectorat, **Dahir n° 1001 autorisant la vente d'une parcelle de terrain dominal (Fès)**, 1931.

⁶²⁸ -A.M, dossier Domaine Colonisation Fès, Secrétariat Général du Protectorat, n° 1001, **NOTE : relative au rajustement des lots Sahal Bou Tahar n° 1-2-3-4-5**, fcs 1931, p.3

وهناك من حتمت عليه هاته الوضعية أمام رفضه العمل عند الأوربيين أو كخماس، الرجوع أو اللجوء للإنتاج أو الاستمرار فيه، الذي بدوره كانت عليه إنعكاسات نتيجة توسع المستوطنات الزراعية، بإنشاء مزارع كبرى يمنع فيها منعاً كلياً تحرك القطيع أو اقتياده إلى تلك الأماكن نظراً للحماية المشددة من قبل المراكز العسكرية.

كل هذه الأعمال من سلب ونهب وتغيير لشكل الملكية السابقة للأراضي كان على حساب الملكية القبلية، فقد أصبح الوضع مغايراً، لم تكن العادات والأعراف التي كانت تسود بالقبيلة في مجال الملكية العقارية - التي كانت تراعى فيها خصوصية الفرد والجماعة - كافية لحماية وحدة الأملاك الجماعية والعائلية أمام الإقطاعيين، زد على ذلك دخول المستعمر بتشكيلة إدارية وقانونية على المقاس من المستحيل الحفاظ على ملكية الأرض، في ظل اتساع أشكال التضييق على الساكن القبلي بتحديد المجال الخاص بالرعي والغابات، وتقسيم الأراضي الجماعية، مما حول خصوصاً ملكية السهول إلى ملكيات وهمية بالنسبة للقبيلة⁶³⁰.

احتفاظ بعض المغاربة بأراضي خاصة بهم، وفي أفضل الأحوال على أراضي فلاحية خصبة نتيجة استسلامهم للمستعمر وقبول شروطه، أو لاندماج البعض في الجهاز التدييري الفرنسي، فهم واجهوا منافسة من المعمرين قضاوا على كل أمل لدى الفلاح الورغي الأعلى في منافستهم، لأن الفلاحة عند الساكنة المحلية ظلت تقليدية بأشكالها وأساليبها البسيطة، مما يعطي إنتاجاً محدوداً خصوصاً كيمياً، أمام زراعات عصرية متطورة تستفيد من آخر التقنيات والبذور المنتقاة والأسمدة الكيماوية.

لقد ظل الفلاح بالمنطقة خاصة والمغربي بصفة عامة خارج منظومة الإرشاد الكولونيالي، الذي ساهم في توعية المستعمرة الزراعية الأوربية، التي حرص المعمرون على عدم نقلها إلى الفلاحين المغاربة، الذين كانوا يقومون "بالتجسس المعرفي" على المستعمرات الفلاحية الأوربية، سعياً وراء اكتشاف سر تخلف إنتاجهم عن إنتاج المعمرين،

⁶³⁰ - عياش ألبير، م.س، ص. 248

أو سر عدم تأثر حقول المعمرين بأمراض تجتاح المنطقة، أو طرق تخلص الأوربيين من أعشاب ضارة تعجز الأساليب التقليدية عن مكافحتها⁶³¹.

فقد عانى الفلاحون المغاربة، من تجاوزات تملك المعمرين للأراضي متأخرين في ذلك عنهم بانعدام آليات العمل الزراعي والإمكانيات المؤهلة لهم لاستصلاح أراضيهم، أمام بدائية وسائلهم وأدواتهم، إضافة إلى كون غالبية أراضي الفلاحين القبليين كانت مجزأة وتحرث وتغرس بشكل بوري، حيث عرفت المنطقة بعد حرب الريف سنوات من الركود في النشاط الفلاحي خاصة الزراعي، نتيجة مخلفات هذه الحرب على قدرات الفلاحين الاقتصادية ونفاذ مدخراتهم، فكانت البداية كأنها عودة من نقطة الصفر.

⁶³¹ - تافسكا أحمد، م.س.، ص. 102

2- وضعية الفلاح القبلي تحت التدبير الفرنسي للمنطقة

لم تنتهي معاناة الفلاحين المغاربة ولم تتحدد بشكل عام فقط فيما سبق ذكره بل تعددت أوجهه، كان من أشدها فتكا بقدرات الفلاح "الأهلي" اقتصاديا والأكثر إضعافا له، هو الإجحاف الذي مورس في حقه من خلال الثقل الضريبي، ففي الغالب كانت هذه الضرائب تبنى على التقدير والتصور الذي يأخذه أعوان السلطة، الذين لن يدخروا جهدا في توظيف هذه الضرائب بشكل قاسي للانتقام من السكان المتورطين معهم في حسابات محلية حول الأراضي وتحقيق الثروة على حسابهم أو غيرها من الغايات. خاصة من جانب القياد والشيوخ حيث يمكن أن يكبد الفلاح القبلي ما لا طاقة له به نتيجة تعسف أحد هؤلاء الأعوان.

فتلك التعسفات تعبر عن شكل من أشكال التفجير لكل من يحاول رفض الأوامر أو يظهر نوعا من الاستعلاء أو عدم التقدير لهؤلاء الشيوخ، الذين لن يكونوا إلا أشخاصا من وسطهم، قس على ذلك الصراعات المتوارثة بين الأسر والفرق داخل القبيلة الواحدة فالضريبة إن صح القول هي فرصة لرفع أسهم شخص أو أسرة أو فرقة أو قبيلة على أخرى، فقط لتواجد عنصر منها أصبح اليد الطولى للمستعمر وعينها التي تسهر على خدمة مصالحه وتتبع حياة السكان.

أ- تأثير القياد ومعاونيهم على الفلاح "الترتيب"

مقدار الضريبة، لا يعكس دائما وضعية الفلاح الذي يجد نفسه ملزما بدفع مبالغ في الموسم الواحد دون مراعاة وقع تلك الضريبة على الفلاح فمثلا في موسم 1923-1924 وكما جاء في كتاب Daniel Rivet, (1912-1956) Lyautey et l'institution du protectorat Français au Maroc: " صرح كثير من المراقبين المدنيين بثقل الترتيب الذي أجبر الكثير من الفلاحين على بيع جزء هام من أراضيهم

بغية تعويض مداخيلهم المالية (...)، وأصبحت الضرائب القروية، بالنسبة لعدد كبير من الفلاحين واقعا مرهقا... وعامل إملاق⁶³².

رغم كون الإدارة الاستعمارية حاولت تقنين هذا المجال الضريبي وتعير قيمته بصدور ظهير 10 مارس 1915م الذي قدم الشكل التنظيمي والقواعد التقنية الواجب العمل بها لضبط مقدار الضريبة وطريقة تحصيلها، بغية ضمان ما يمكن أن يصطلح عليه بالعدالة الضريبية في حق الفلاح⁶³³، لكن مع تنامي سلط القواد بالبوادي وبرز أدوارهم الفاعلة كأداة لها ما يكفي من الأجرأة الواقعية للسياسة الضريبية الفرنسية على الساكنة، لم يكن هذا التنظيم لينقد الساكنة من جشعهم، فهؤلاء الممثلين المحليين هم أحسن وسيط بين السكان والجلابي الفرنسي.

تتقاطع المصالح الضيقة لهؤلاء الممثلين المحليين مع مصالح المستعمر الجابي، حيث سيصدر ظهير شريف سنة 1937 في الإذن للقواد في البادية بتعيين أسعار المحصولات الضرورية كنوع من توسيع الصلاحيات لهذه الفئة⁶³⁴، فالقواد بالبادية كانوا "يساهمون بكيفية فعالة، بمساعدة الشيوخ في إحصاء الثروات الخاضعة 'لترتيب'، مما يمكنهم من معرفة دقيقة لطبيعة وحجم الممتلكات التي يملكها السكان الواقعون في منطقة إدارتهم، فقراراتهم كانت تشكل المرجع الوحيد الذي تستند إليه السلطات لتعيين مبلغ الضريبة ويسهرون على تنفيذ الخدمات الواجبة على أفراد قبائلهم، وهي خدمات محدودة نظريا، ولكنها كانت تتمخض، في الواقع، عن التزام بسخرات متنوعة وتعسفية"⁶³⁵.

فبتوسيع تلك الصلاحيات سيظهر مدى الحيف الذي قد يطال الفلاح المحلي، سواء بعدم وجود ضمانات تحميه من تعسف القياد ونهب أرضه من قبلهم، أو الإفلات من ضريبة ثقيلة تتجاوز قيمة المحصول في حالة رفض

⁶³² - الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص. 209.

⁶³³ - "ظهير شريف في ضبط الترتيب"، الجريدة الرسمية، العدد 100، 29 مارس 1915، صص. 100-101.

⁶³⁴ - "ظهير شريف في الإذن للباشوات وقواد البادية بتعيين أسعار المحصولات الضرورية"، الجريدة الرسمية، العدد 1300، 24 شتنبر 1937، ص. 1959.

⁶³⁵ - عياش البير، م.س، ص. 106.

الأوامر ذات طابع السخرة والأعمال المجانية، خاصة أن من مظهرات السياسة القايديّة بالجمال القروي الارتكاز على تربص القياد بالرغبة في امتلاك أجود الأراضي، فكان القياد في الغالب يلجأون إلى توظيف العنف المشروع للإستحواذ على ممتلكات وموارد مادية هامة، لم يتم اكتسابها بانتهاج أساليب وسبل اقتصادية صرفة، بقدر ما وصلوا إليها بالاعتماد أساسا على ما كانوا يحظون به من إشعاع رمزي وسند مخزني⁶³⁶.

ب- تسلط القياد المحليين ومعاونيهم

لم يخرج قياد المنطقة وكسائر البوادي المغربية عن القاعدة المرتكزة على امتلاك الأراضي للتمتع بالجاء والنفوذ وتحقيق السيطرة الاقتصادية، لكسب الهيبة من خلال قوتها الرمزية، حيث وقع عديد القياد في الاستغلال المفرط للسلطة والتمادي في التعسف على سكان القبيلة، ما عرض البعض منهم للتوبيخ من ضباط الإدارة الفرنسية .

هذا التوبيخ سيطل القايدي علي ولد حمدان الذي تورط في التمادي للحصول على امتيازات ومنافع من القبيلة من أرض وامثتال للأوامر باستعمال نفوذه ، ليصل به الأمر إلى الإعتداء على سكان من قبيلة صنهاجة الشمس⁶³⁷، وما يمكن تفسير به هذا التوبيخ أنه لا يصدر عن الجهات الفرنسية للقياد إلا في حالة تمادي ذلك الشخص، تفاديا لإمكانية إشعال فتيل اضطرابات كما وقع مع الشيخ امحمد دحمو من فرقة مشكور-تزييرين (مثوية)- الذي أدى تماديّه في استغلال الأهالي والشطط في استعمال السلطة إلى حدوث اضطرابات في منطقته، أثّرت لسلطات الحماية على ضرورة تنبيه هذا الشيخ إلى عدم التمادي في تصرفاته⁶³⁸.

هذا التوبيخ من سلطات الحماية في شخص رؤساء المكاتب، لم يكن ليعطي نموذجا يحتدى به، كي يتوقف هؤلاء الأعوان عن توظيف منصبهم بشتى الطرق لتحقيق مكاسب مادية شخصية، ولم يكن كافيا للحد من جشع القياد وتماديهم في الاستيلاء على الأراضي القبليّة، حيث سيظهر هذا النوع من التمادي مجددا في قبيلة بني وليد، بعد

⁶³⁶ - الهراس المختار، القبيلة والسلطة: تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988، ص.104.

⁶³⁷ - A.M, R.P.M, cercle du Haut-Ouergha, 1^{er} partie, Mars 1933, p.7

⁶³⁸ - ibidem

قيام القايد الحاج العيد بكراء أرض فلاحية بمنطقة "صواطي" لأحد المعمرين الأوربيين سنة 1954م، حيث انتفض غالبية سكان المنطقة للاحتجاج ضده، لكون تلك الأرض تضم أجزاء من أراضي تعود إلى عديد السكان ترامي عليها القايد⁶³⁹.

ترامي القايد على ملك الساكنة، سيدفع رئيس مكتب بني وليد إلى القيام بتحقيق دقيق أسنده إلى قايد آخر، وقد أفضى التحقيق الذي أجراه القايد عمر من قبيلة صنهاجة الشمس ورئيس ملحقة بني وليد، إلى ثبوت التجاوزات في حق القايد الحاج العيد، الذي عبر عن سخطه من هذا التحقيق الذي يمس مصالحه حسب التقرير الفرنسي⁶⁴⁰.

يظهر شكل آخر لتجاوزات القيايد من خلال نموذج لجوء بعض القيايد إلى التزوير، حيث تظهر حالة القايد علي ولد جديدي من بني وليد، الذي تورط في عملية تزوير لأوراق أرض سنة 1948، بعد أن قام بجلب ملاك غير حقيقيين ليكتبوا معه عدليا، وهو الأمر الذي أدى إلى إيقافه من مهامه، بعدما اعتبره رئيس الدائرة على أنه قد كثرت أخطاؤه وغلبت عليه المصلحة الشخصية على مصلحة القبيلة، بعدما تورط السنة التي قبلها في قضية مقتل طفل، وهو ما دفع رئيس دائرة ورغة العليا إلى رفع تقرير وتقديم مطلب لعزله وتجريدته من مهام تقايديت على قبيلته، بعدها تم إسناد مهام قبيلته للشيخ عمر ولد حميدو الرماش، حيث تم استدعاء القايد من قبل المحكمة العليا للدفاع، ليمثل أمامها في التهم المنسوبة إليه⁶⁴¹.

⁶³⁹ -A.D.N, B.R.P., poste de BENI OULID, 1^{er} partie zone intérieure, période du 20 Octobre au 4 Novembre 1954, p.1

⁶⁴⁰ - ibidem

⁶⁴¹ - A.D.N, Transmission N° 2243 du 9/07/1947, du Résidence Général de la République Française au Maroc, au Conseiller du Gouvernement Chérifien Directeur des Affaires Chérifiennes, sujet : **Rapport du chef du cercle du Haut-Ouergha demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH, et les fiches de renseignements des 3 candidats proposés**, n° 257 HO/2.C, 21 Juin 1947.

3- تهشيم البنى الاقتصادية القبلية (الملكية الجماعية)

إستعراض نماذج للقرارات الوزارية والظواهر الصادرة، التي عملت على تهيئ الأجواء لدخول الاستيطان الزراعي للدائرة، من خلال شراء أراضي التابعة للملك الخاص أو عبر تفويت الأراضي التي تم الاستيلاء عليها لصالح الجهاز الاستعماري، بعد نقلها من ملكية القبيلة إلى أملاك الدولة، أو من خلال ترامي القياد و أعوانهم على الأملاك الفردية والجماعية للسكان، يوضح على أن الأراضي الجماعية شكلت الهدف الأول لسلطات الحماية لكسر التدبير القبلي والتشاركي الذي كان سابقا، ونقله إلى تدبير جديد يستجيب لمتطلبات نظام الحماية.

لقد ساهم هذا التعدي على الملكية المشتركة في زعزعة النظام الاجتماعي والاقتصادي السابق، المعتمد على الملكية الجماعية للأراضي، وجعلها رهن إشارة المخططات الاقتصادية الاستعمارية، بتوزيعها على المعمارين، حيث "اتجهت إدارة الحماية إلى العمل على إحداث التغييرات المناسبة في قانون الأرض يسمح بخلق فائض من الأراضي الزراعية، وتقوم الخطة الفرنسية على تعميم الملكية الفردية لكسر روح الجماعة الحميمة للأرض، وأخذ من الأراضي الجماعية ما يلي حاجيات الاستيطان الزراعي، فنشطت مصالح إدارة الحماية لتحديد المالك الحقيقي لكل قطعة أرضية"⁶⁴².

3-1. دعم الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية

أ- التصور الاستعماري للملكية الجماعية

ركزت مؤسسة الحماية تحت رعاية ليوطي حول الملكية "الأهلية" على عدة مبادئ وكذا على وضع نظرة إستشرافية للملكية الأراضي، حيث يتحدث عن شكلها بالقول: "يجب أن يكون إحترام الملكية قاعدة سياستنا

⁶⁴² - تافسكا أحمد، م.س.، ص. 34

الأهلية، وإنكم مطلعون إجمالاً على نظام الأرض بالمغرب، فإنها تحتوي أراضي ملك مُملَكة للأشخاص وأراضي عرش مملكة جماعياً لدوار بكامله أو لفرقة أو للقبيلة كلها"⁶⁴³.

ويوجه ليوطي ضباطه ومختلف معاونيه إلى أن الأراضي التي قد تظهر غير مستغلة هي في حقيقة الأمر لها أصحابها الحقيقيون، كما تخضع لتدبير يتمشى مع حاجيات الساكنة "وكثيراً ما يخطر بالبال أن تلك الأراضي الجماعية التي تبقى عارية في الغالب تتجاوز حاجيات الساكن الأهلية المنتثر إلى حد ما، وأنه من المصلحة أن يقطع منها أجزاء لفائدة الاستعمار الأوروبي لتفوق أدواته ولحماسه في العمل. فنلاحظ أولاً أن تلك الأراضي الجماعية ليست مهمة على التمام كما يحلو للبعض أن يقول، لأن الكثير منها محروث بترخيص من الجماعة لبعض أعضائها وتوزيع يجري كل سنة، ويحتفظ بالمساحات الباقية لضرورات الرعي"⁶⁴⁴.

وضع ليوطي تصوره لاستغلال الأرض المغربية، وتوسيع المجال الاستيطاني دون الإخلال بالتوازنات، من خلال ترك أراضي للسكان القبليين، تماشياً مع التطور الذي سيحصل في أعدادهم مستقبلاً وتنامي حاجتهم للأرض، "ثم أن الساكن الأهلي من جهة أخرى، إذا كان في الوقت الراهن منهك القوى من جراء الصراعات والأمراض، فإنه سرعان ما سيتكاثر وستتفاقم حاجياته ولا بد للدولة أن تتوقع ذلك وأن تحتفظ له بالكافي من الإحتياجات العقارية. وأخيراً لا يمكن الاعتراض شرعاً على عدم جواز التصرف في تلك الأراضي، لكن لا سبيل أيضاً لجحد كونها غير مستعملة بكاملها، وكونها قابلة لأن تمتد فيها الزراعات، ولذلك من الجائز والمعقول أن يفكر المخزن، بصفة استثنائية، في شكل من أشكال جمع أعمال بعض القبائل ممن تتميز بوفرة حظها على مساحة من أراضيها تستجيب لحاجياتها في الحال والمستقبل بعد تقدير ذلك بأوسع تقدير، والتفاوض معها في أمر تفويت الفائض لمصلحة الاستعمار"⁶⁴⁵.

⁶⁴³ - بوطالب إبراهيم، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر دراسات وبحوث، سلسلة بحوث ودراسات رقم 65، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بالباط، مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1، الرباط، 2014، ج.2، ص.498

⁶⁴⁴ - نفسه

⁶⁴⁵ - نفسه

من خلال توصيف ليوطي للملكية الجماعية للأرض وكذلك الأفراد، سيتضح بأن مؤسسة الحماية في شخص أعلى ممثلها يضع تحديدا لكيفية انتزاع هذه الأراضي، مع الإحتفاظ بالحد المقبول لسكان القبائل من الاستغلال، وحرمانهم من تواجد فائض في الأراضي، بحجة عدم قدرتهم على استغلالها مقارنة بالمعمرين الذين يملكون الوسائل والحماس الكافي. كتعبير صريح عن نظرة كولونيالية استغلالية تنفي عن الساكنة المحلية الأهلية والقدرة لاستغلال مجالها، الذي تتواجد بالقرب منه وتوارثته منذ قرون، استطاعت أن تنكيف معه من حيث أساليب التنظيم وطرق الاستغلال.

ب- آليات كسر الملك الجماعي

منذ سنتها الأولى عملت مؤسسة الحماية على إصدار قرارات وزارية، حيث كان في الأول من نونبر 1912 إصدار قرار وزيري حول الأراضي الجماعية، الذي سمح للمتفعين القدامى (القبائل والأفراد) الإنتفاع منها، لكن دون أي قدرة على البيع أو التشارك، ليأتي بعدها ظهير 7 يوليوز 1914، الذي جاء ليقر تعديلا لتفويت أو تشارك العقار، والذي كان الهدف منه إعطاء امتياز للمخزن بالحق في الدخول كشريك في الأراضي الجماعية أو كمراقب، ليأتي قرار وزيري في 23 يناير 1915 ليضع الإمتيازات مجتمعة تحت وصاية الحكومة الشريفة، التي أصبحت لها وحدها الأهلية للحفاظ أو حماية هذه الأراضي⁶⁴⁶.

لكن هذه الإضافات على المقاس مع عدم حذف المعنيين بالأرض نهائيا سيلخصها ظهير 21 نونبر 1916، الذي اعترف بالشخصية المعنوية لجماعة القبيلة أو الفخدة بحقها في التسيير تحت وصاية الدولة، مع الاحتفاظ بالإمتياز للنظام الذي تم إقراره في ظهير 7 يونيو 1914 ف"الجماعة بإمكانها أن تنظر في جميع العمليات العقارية، وتشمل البيع مع موافقة الحكومة الشريفة"⁶⁴⁷، هذا التأكيد على مراقبة نظام الحماية المختبئ وراء الحكومة الشريفة، ما هو إلى توجيه في كل الحالات لبيع الأراضي بالصيغة التي يريد هذا النظام، والتي

⁶⁴⁶ -A.M, Capitaine CALLIES, **les terres collectives au Maroc**, documents du C.H.E.A.M, université de paris, 1939, n°.322, p.3

⁶⁴⁷ - ibid, pp.3-4

على رأسها استغلال الأراضي الجماعية وشرعة التصرف فيها لمساعدة الاستيطان الزراعي على التنامي في مناطق الملكية الجماعية.

وبذلك فإن مبدأ عدم القابلية للتصرف لم يعد متاحا بالنسبة للجماعة بمفهومها السابق قبل مرحلة الحماية، "في الوقت نفسه أصبح الاستيطان الزراعي يتطور بسرعة، كنتيجة طبيعية لتواجد الأراضي الجماعية، التي أصبحت مهددة أكثر فأكثر بالمضاربة"⁶⁴⁸، ومعه أصبحت الجماعة بمثابة بنك للأراضي يلجأ إليها المستعمر بترسانته القانونية، ووضع قوانين للحفاظ عليها، وانتزاعها وقتما يشاء، وذلك تبعا لمدى اتساع رقعة الفلاحة الكولونيالية.

هذه المحافظة على الأراضي الجماعية من المنظور الاستعماري، ما هو إلا تجريد للفرد من إمكانية تتبع مسطرة التملك لتلك الأراضي القبلية خارج إرادة المستعمر، بحجة قطع الطريق على المضاربين، وهو الأمر الذي حدا بسلطات الحماية إلى الانخراط في عملية استباق ضبط الأراضي القبلية، من خلال القيام بعملية تقنين ما وصفته بـ "المضاربة"، والعمل على تطوير طريقة التعامل مع هذه الأراضي، حيث جاء ذلك من خلال ظهير 27 أبريل 1919 الذي قرر الحفاظ على نفس الوضعية القانونية للأمولاك الجماعية، وتنظيم الإشراف الإداري للأراضي الأهلية، وتنظيم طريقة التفويت والتدبير للأمولاك الجماعية، الذي كان من ورائه (الظهير) ثلاث أهداف أساسية:

"-التسوية النهائية لمسألة ملكية الأراضي الجماعية التي تركها ظهير 21 نونبر 1916 الذي لم

يسمح بإبرام التنازل الكامل عن حقوقها من قبل الدولة.

- حماية هذه الأراضي من الارتجالية الطبيعية لشاغلها وضد أطماع طرف آخر

- في نهاية المطاف تجميع هذه الملكيات سيكون لصالح الاستيطان"⁶⁴⁹.

⁶⁴⁸ - ibid, p.4

⁶⁴⁹ - ibid, p.4-5

انطلاقا مما سبق، يتضح بأنه قد أصبح الإعراف شكليا فقط بملكية الأراضي المزروعة من طرف القبائل والفخذات والدواوير وغيرها من المجموعات السكانية ، وكذلك المراعي التي يتمتعون بها بشكل جماعي، وفقا لأنماط الاستخدام والاستغلال المتعارف عليها سابقا، وبذلك خلق صعوبة أمام الأهالي لتمليك الأرض بشكل فردي، من خلال التأكيد على كون الأرض تكتسي أهمية كبرى للمجتمع القروي⁶⁵⁰.

فالحفاظ على الشكل الجماعي للاستغلايات القبلية، بحيث تدبر بشكل عرقي لكونها جماعية، هو شكل من أشكال إيهام سلطات الحماية للمجتمع القبلي في حرصها الحفاظ على الممتلكات الجماعية، فوحدة الأرض من أهم الأسس المادية التي تبني عليها حمة الجماعة العائلية كأدنى وحدة دفاعية داخل القبيلة⁶⁵¹، ومن خلاله يتم التفكيك المعقلن للبنية العقارية السائدة دون إثارة حفيظة الجماعة، بحجة المصلحة العامة أو أملاك مخزنية، لتحقيق الاستيلاء المدروس لأجود الأراضي.

من خلال اللجوء إلى إصدار مجموعة من القرارات الوزيرية أو الظهائر*، سيتم إستغلال الملك الجماعي بشكل مجتمع الملكية لجميع أفراد القبيلة، خدمة للإستيطان الزراعي مستقبلا، لأن التمليك الفردي لهذه الأراضي يعني ضمنا صعوبة تجميع ملكيات زراعية كبيرة، وهو ما جعل إدارة الحماية تلجأ لاستعمال الملك الجماعي، للقضاء على أي إمكانية للتمليك الفردي المغربي، وبذلك الحفاظ على ملكيات مستقبلية كبيرة للإستيطان⁶⁵².

هذا الأمر لن يظل ثابتا، فرغبة المستعمر في تكسير البنية العقارية، سيكتسي استعمالا عكسيا لهذه المقاربة في فترات لاحقة، وكلها خدمة للمعمرين، حيث "اتجهت إدارة الحماية إلى العمل على إحداث التغييرات

⁶⁵⁰ - بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط.1، بيروت، 1991. ص. 79

⁶⁵¹ - نفسه

* - سلطات الحماية قطعت مشورا طويلا فيما يخص إصدار القرارات الوزيرية والظهائر منذ سنة 1912، بغية شرعة سيطرتها على الأراضي الجماعية خدمة للإستيطان الزراعي وتنميته في مجال الأراضي الصالحة له، أنظر البحث الذي أنجزه كالييه من مصلحة الشؤون الأهلية حول أراضي الجموع بالمغرب من سنة 1912 إلى سنة 1938، والذي يلخص المسار الطويل الذي اتبعته سلطات الحماية فيما يخص أراضي الجموع وطرق تملكها وصولا إلى مرحلة تفويتها ومشاركتها، ثم التدخل في تفويتها للملك الخاص لتحطيم الشكل العتيق للملكية وتكسير شوكة الجماعة في السيطرة على الأراضي، عبر إدخال مجموعة من المتدخلين من مصالح أهلية وظهور التعاونيات الفلاحية الموجهة ودور الشركات الأهلية الاحتياطية في تشجيع هذه التعاونيات أو الملكيات الأسرية كشكل من أشكال التقزيم الملكيات الجماعية، وكذلك كيفية تحديد تسعيرة الأراضي الجماعية وقوانين استغلالها مع توظيف التجربة الجزائرية والتونسية لتجاوز مشاكلها بالمغرب، أنظر: A.M, Capitaine CALLIES, op. cit.

⁶⁵² - ibid, p.8

المناسبة في قانون الأرض يسمح بخلق فائض في الأراضي الزراعية، وتقوم الخطة الفرنسية على تعميم الملكية الفردية لكسر روح الجماعة الحميمية للأرض وأخذ من الأراضي الجماعية ما يلي حاجيات الاستيطان الزراعي، فنشطت مصالح إدارة الحماية لتحديد المالك الحقيقي لكل قطعة أرضية⁶⁵³.

تمظهرات استغلال الملك القبلي ستكون دائما تحت طائلة مصلحة الدولة والتفويت لها، والعمل على فك النزاعات القبلية حول الأراضي بالتفويت للدولة، أو استغلال الأملاك المشتركة للقبائل وجماعة من قبيلة واحدة لإدخال الأراضي ضمن ملك الدولة، الذي يصبح قيد التوظيف الاستعماري وقت الحاجة، بحيث يصبح للإدارة الفرنسية بمختلف إداراتها فائض من الأراضي للاستغلال المختلف التوجهات، كان زراعيًا أو إداريًا أو تجهيزيًا طرقيًا.

ت - شكل الملكية بدائرة ورغة العليا بعد تدخل المستعمر

أصبحت الأراضي التي ينتفع منها سكان دائرة ورغة العليا، تنحصر في الغالب ضمن المناطق الجبلية المتواجدة بالشمال، والمحادية أو المؤدية لمنطقة الريف، والتي توجد ضمنها قبائل صنهاجة الشمس وصنهاجة الظل وبني وليد، مثوية ومزيات ومزراوة، فأرض هاته القبائل حسب ما وصفها به COULEU - من مركز الدراسات العليا للإدارة حول أفريقيا وآسيا من جامعة باريس-، هي في الغالب عبارة عن "أراض جبلية ذات قمم حادة لكن ليست وعرة، مما يوفر العديد من المنحدرات الصالحة للزراعة، هاته الأخيرة التي تتركز بالأحرى في الأودية والأماكن الأقل تدرجًا تتنافس على منحدراتها أشجار الزيتون والكروم، كأنها غابات. في نهاية البلاد حيث تتوزع المناظر الطبيعية أغلب مواردها هي جبلية المولد وأخرى غير زراعية (من موارد غابوية، التشجير، تربية المواشي، الحرف الخشبية) فالفلاحة مجزأة أكثر من أي مكان آخر⁶⁵⁴.

⁶⁵³ - تافسكا أحمد، م.س، ص.34

⁶⁵⁴ - A.M, J. COULEAU, *Essai de Sociologie Rurale dans la région de Fès*, documents du C.H.E.A.M, Université de Paris, (sans année) n°1971, p.33

هذا المعطى يحيل على مدى انحصار النشاط الفلاحي للأهالي بالمناطق الصعبة الاستغلال، والتي لا تتواجد بها مساحات كبيرة من الأراضي المنبسطة، حيث توجد أراضي مقسمة تبعاً للمستوى الاجتماعي بكل من القبائل التي اعتبرها تتواجد بمنطقة الريف، بحسب الدراسة السوسولوجية التي قام بها COULEU، وتدخل ضمنها القبائل الجبلية للدائرة (صنهاجة الشمس، صنهاجة الظل، بني وليد، مثوية، مزيات ومزراوة)⁶⁵⁵.

- جدول رقم 22: شكل الاستغلاليات الفلاحية بالدائرة على عهد الحماية⁶⁵⁶

عدد الهكتارات	عدد المستغلين	الاستغلال بالهكتار
2257	16.207*	من 0 إلى 1
23255	5375	من 1 إلى 7
15501	1414	من 7 إلى 15
7465	453	من 15 إلى 30
3525	87	من 30 إلى 100

من خلال القيام بدراسة تحليلية للجدول، سيتضح أن غالبية الفلاحين بالمنطقة هم من الفلاحين الصغار، الذين يستغلون أراضي أقل من هكتار واحد، فالقيام بعملية مقارنة بسيطة بين عدد الهكتارات وعدد المستغلين، سيعطي ما معدله 7.1 شخص للهكتار الواحد، وهو ما يحيل على مدى صغر الملكيات لأغلب الفلاحين، الأمر الذي لن يجعلهم ينتجون أكثر من فلاحه معيشية، مع استحضر كون أن هذا العدد قد يزيد مع مسألة الإرث، فتصبح الاستغلاليات أكثر صغراً، إضافة إلى غياب الفئة التي لا تملك أي أرض بالأساس عن الإحصاء.

⁶⁵⁵ -ibidem

⁶⁵⁶ -ibidem

* - هذا الرقم اعتبره صاحب الدراسة "قابل للزيادة بالنسبة للملكيات الصغيرة (أو المشتغلين بأنشطة مختلفة والموسمية المرتبطة بالأشجار المثمرة أو تربية القطعان وليس لهم مزارع خاصة بهم)، أي الفلاحون الذين يعيشون بالتحديد من عمل أيديهم قد تم استبعادهم"، وهنا يقصد الباحث بالمستبعدين أولئك الأشخاص الذين يشتغلون كميّامين بعرق جبينهم كما هو الحال بالنسبة للخماس الذي يشتغل بأرض ليست بملكيتهم وفي الغالب يكون إلى جانبه أفراد أسرته مقابل حصوله على القسمة الخامسة من المحصول.

بالمقابل، سيتضح من خلال الجدول على أنه كلما قل عدد المستغلين كلما كبر عدد الهكتارات المملوكة، إلى غاية الوصول إلى مستغلين كبار بالمنطقة لأكثر من 30 هكتارا، الذين وصل عددهم إلى 87 فقط، وهو الأمر الذي يحيل على تراتبية طبقية عمل صاحب الدراسة على استحضارها⁶⁵⁷، والتي يمكن التساؤل معها من هي تلك الفئة القليلة المستأثرة بتلك الملكية من الأهالي؟، وهل هم أصحاب النفوذ من قياد وشيوخ وأعيان المنطقة الذين لهم علاقات مع جهاز الحماية؟.

الإجابة على السؤالين السابقين ستكون من خلال ما قدمه صاحب الدراسة، التي تميل في جوانبها التحليلية إلى موضوعية كبيرة من صاحب الدراسة، حيث قدم توجيهها صوب تلك الفئة التي تشكل من أعيان المنطقة، خاصة القياد والشيوخ الذين تكون لهم اليد الطولى بمنطقتهم، ويحكمون ثروات كبيرة عن طريق الإرث أو من خلال استغلال نفوذهم في سلب الأراضي من الفئات المستضعفة أو شراؤها منهم بثمان زهيد، وهو الأمر الذي أكدده صاحب الدراسة عند تفصيله لطبيعة هذه الاستغلاليات تبعا للسلم الاجتماعي⁶⁵⁸.

3-2. التملك الغابوي

لجأت سلطات الحماية إلى شكل آخر من التملك تزامن مع التملك الاستيطاني وهو التملك الغابوي، الذي يقلص مجال نفوذ التشارك لدى الأفراد أو القبائل، ويقنن عمليات الاستغلال والانتفاع بالنسبة للسكان القبلية، إلا وفق ضوابط محددة، تتماشى مع الاختيار والتصور الفرنسي، الذي من المؤكد أنه تصور يخدم الاستغلال الفرنسي بالدرجة الأولى وليس مصالح الساكنة المحلية أو القبيلة، حيث تعزز هذا التصور للمجال الغابوي كما هو الشأن بالنسبة للأراضي الجماعية.

فالترسنة القانونية تخدم كل الإجراءات التي سيتم تفعيلها لاستغلال هذا المجال، بداية من إصدار قرار ثم تحديد المكان المراد ترسيمه، وصولا إلى ترسيم هذا المجال المحدد، دون البحث في خصوصيات الملك القبلي، وتحويله

⁶⁵⁷ - ibid, p.29

⁶⁵⁸ - ibidem.

من خلال المصطلحات القانونية فقط، من خلال التأكيد على حق الساكنة المحلية المجاورة لهذا الملك الغابوي في ارتياد قطعانها المنطقة، واستغلال الحطب الميت، حيث سيصدر قرار وزيري في 21 مارس سنة 1950، يضم مناطق غابوية لقبائل الدائرة إلى الغابات المخزنية المتواجدة بدائرة ورغة العليا⁶⁵⁹.

شمل هذا التحديد الغابوي بالدائرة ستة أقسام، وضعت تحت التحديد لترسيمها تمهيدا لوضعها تحت الوصاية التدبيرة للجهاز الفرنسي، ثلاثة منها تواجدت بمجال تاونات لقشور والثلاثة الأخرى بالمنصف والتيجدة وجبل أغيل، حيث جاء تحديدها مجاليا على شكل غابات غير مترابطة فيما بينها⁶⁶⁰.

هذا التحديد للمجال الغابوي والعمل على ضمه لمصلحة المياه والغابات، كملك خاص بالدولة، من المؤكد أنه كان يؤثر سلبا على النشاط الفلاحي، خاصة الرعوي منه لسكان المنطقة، وهو ما أصبح يعرض الساكنة لعقوبات في حالة التعدي على هذا الملك، مما شكل تضيقا على هامش المناورة الاقتصادية لدى الساكنة المحلية في حالة فقدانهم للأراضي، والرغبة في الاعتماد على النشاط الرعوي.

إضافة إلى ما سبق، فالملك الغابوي كان مجالا لتوسعة الملكيات الصغيرة للفلاحين، وصناعة الأدوات الفلاحية والمنزلية وبيع الفائض منها بالأسواق، وبظهور هذه الترسيمات للمجال الغابوي بالدائرة، أصبح الفلاح والصانع المحلي مجردا من مجال حيوي في حياته اليومية، وهو الأمر الذي لم يعد ممكنا لقبائل مزراوة ومزيات ومشوة، حيث أدى هذا التحديد إلى حرمان الساكنة المحلية من أي انتفاع من الغابة، غير السماح للقطعان بالمرور وجمع الأخشاب الميتة للإستهلاك المحلي فقط⁶⁶¹.

⁶⁵⁹ -A.M, dossier Service de Législation, **Arrete viziriel du 21 Mars 1950, « ordonnant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha située sur le territoire du Cercle du Haute-Ouergha (Région de Fès) »** .

⁶⁶⁰ - A.M, Rapport de l'Inspecteur General des Eaux et Forêts, Chef de la Division des Eaux et Forêts, **concernant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha** , Division des eaux et forêts, et dossier Service de Législation : **ordonnant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha située sur le territoire du cercle du Haute-Ouergha (Région de Fès)** , 1950.

⁶⁶¹ - ibidem

- جدول رقم 23: الأقسام الغابوية المحددة للتقسيم بالدائرة سنة 1950.⁶⁶²

إسم القسم	المساحة	الحدود	القبائل، الفخدات والدواوير التي تنتفع منها
القسم رقم: 1، 2، 3 من تاونات لقشور	132 هـ	شمالا: حدود المنطقة الإسبانية مع المنطقة الشريفة غربا: من واد الصفاح وأراضي فلاحية إلى غاية باب-صباح جنوبا: أراضي فلاحية شمال دوار تاورطة شرقا: أراضي فلاحية تتواجد شمال وجنوب مركز تاونات لقشور.	قبيلة مثوية فخدة تاونات لقشور (دواوير تاونات لقشور، علاوة والبرابر) فخدة بني خالد (دوار تورطة)
المنصف والتيجدة	1750 هـ	شمالا: حدود المنطقة الإسبانية مع المنطقة الشريفة غربا: الحدود الإدارية بين دائرة ورغة العليا ودائرة ورغة الوسطى جنوبا: أراضي فلاحية بدوار التيجدة والتيجدة المزمالا Tijda-Mezmala شرقا: أراضي فلاحية بدواير حاج-حوجة -Haj-Houja و تاورطة Taouerta	قبيلة مثوية فخدة تاونات لقشور (دواوير حاج-حوجة، التيجدة و التيجدة مزمالا) فخدة بني خالد (دوار تاورطة)
جبل أغيل	300 هـ	شمالا: الحدود الإدارية بين دائرة ورغة العليا ودائرة ورغة الوسطى جنوبا: أراضي فلاحية بدواير مزراوة الفوقانية (العليا) ومزراوة السفلى شرقا: أراضي فلاحية بدوار حجر معبد ودوار لعشايش ودوار أستر غربا: أراضي فلاحية بدوار عين اللوح ودوار دمينات	قبيلة مزيات الفخدة: حجر معبد (دوار عمر بن الحسن، أستر، العشاشيش) قبيلة: مزراوة (دوار مزراوة الفوقانية، مزراوة السفلى، دمينات وعين اللوح)

المؤكد أن الجهاز الاستعماري لم يترك مجالا للصدفة، في التضيق على استغلال القبائل لمواردها الطبيعية، عبر وضع مختلف الأجهزة للسهر على ضبط هذا الميدان وتدبيره تشريعا وإجرائيا، كما هو الشأن بالنسبة لمصلحة المياه والغابات، وكذلك من خلال أطر تسهر على مراقبة هذا المجال الغابوي، ومراقبة الساكن المحلي ومدى التزامه بطرق الاستغلال لذلك المجال والتعامل المشروط مع الغابة، من خلال وضع حراس يكونون على إتصال دائم بالسلطات المحلية، الممثلة في رؤساء المكاتب، لضبط المخالفين وإطلاعهم على التجاوزات التي تقع بهذا المجال الغابوي التابع لنفوذهم الإداري.

هذا الترسيم للملك الغابوي على حساب الملك الجماعي، الذي أُجبر سكان المنطقة على الاستئناس به، لم يخلو من تصادم للسكان المحلية مع حراس المياه والغابات، اختلفت حدته من منطقة إلى أخرى من الدائرة، تبعا لمدى ارتباط الفرد والجماعة معا بذلك المجال الغابوي، الذي سلبه المستعمر بقوانين وتدابير لا عهد للسكان بها غير ما كانت تقتضيه الأعراف والاتفاقيات القبلية.

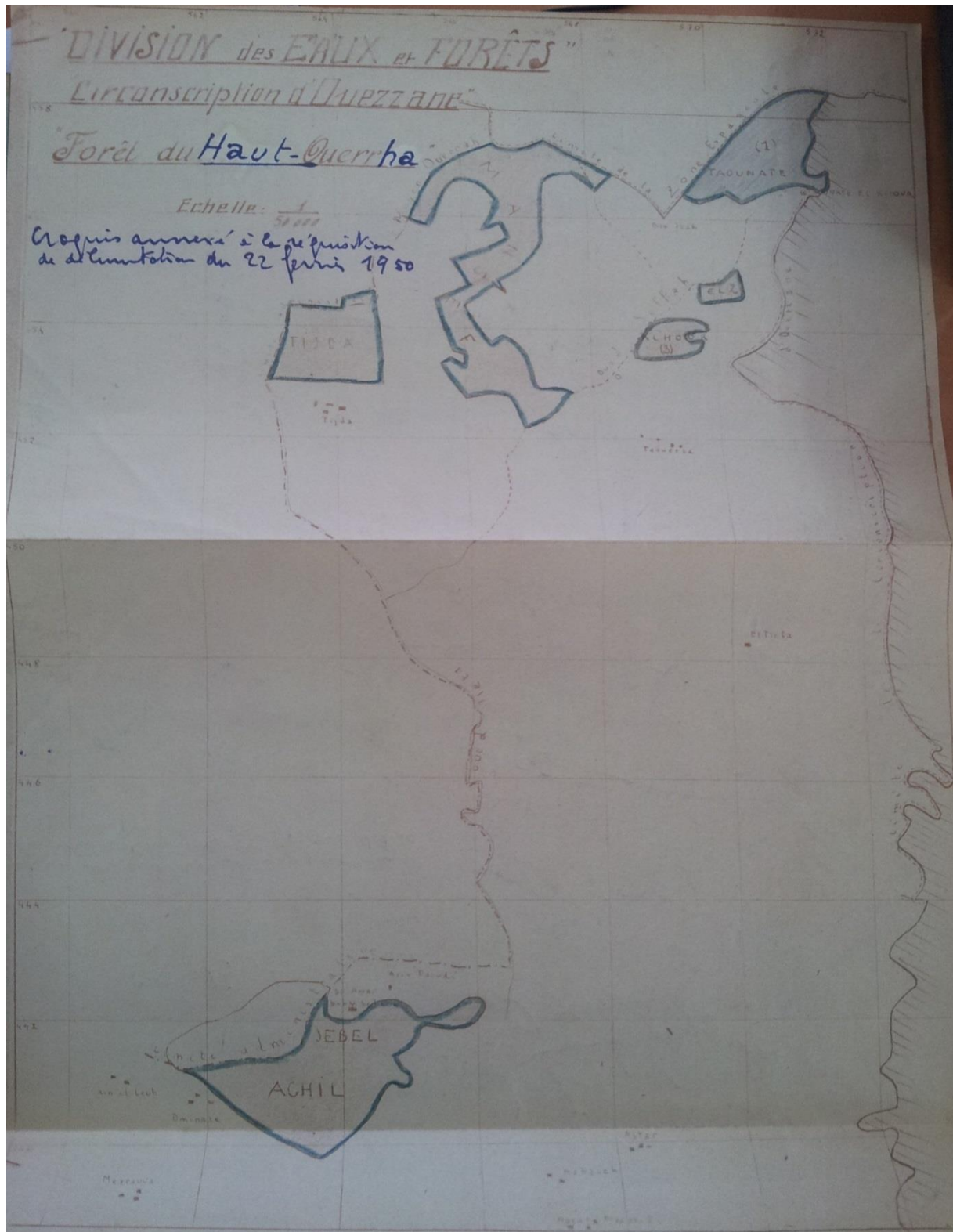
ارتباط السكان بهذا المجال، كان لا بد وأن تتمظهر عواقب التحديد الذي فرضته سلطات الحماية عليهم، كشكل من أشكال التضيق الاقتصادي، فعلى سبيل المثال في 25 يوليوز من سنة 1955 اصطدم الحرس الغابوي بساكنة Ameskeur على أرض تم تحديدها ضمن الملك الغابوي، بعد أن قامت الساكنة بإزالة الترسيم الذي وضعه الحرس الغابوي، حيث "تلقت مديرتي فاس وشمال تازة إشعارات بجرائم الغابات من عين مديونة وبني وليد، مرتبطة بتطهير الأراضي (بعضها تم تحديدها مؤقتا) والعقوبات التي حددت لمعاقبة السكان الذين اعتبروا متورطين في ذلك تبعا لما هو معمول به، هي:

أ- 8 أيام حبس و 7.800 فرنك كغرامة للإضرار بها .

ب- شهرين من السجن و 80.000 فرنك كغرامة للإضرار بها"⁶⁶³.

⁶⁶³ -A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, premier partie, période du 20 Juillet au 4 Aout, zone intérieure 1955, p.2.

- رسم فرنسي للمجال الغابوي الذي تم تحديده من قبل مصلحة المياه والغابات بالدائرة⁶⁶⁵



⁶⁶⁵ -A.M, Division des eaux et forêts, dossier du Service de Législation, **ordonnant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha située sur le territoire du cercle du Haute-Ouergha (Région de Fes), 1950.**

انطلاقا مما ذكر يتضح بشكل جلي مدى الضرر الذي كان يخلفه التملك الغابوي على الساكنة المحلية، وعلى القبيلة بصفة عامة، عبر حرمان ساكنتها من مورد اقتصادي مهم لا طالما استأنسوا باستغلاله، وطوروا أساليبهم الخاصة في ذلك، ومن جهة ثانية التأثير الذي يقع على الفرد المنتمي إلى القبيلة في حالة ضبطه مخالفا، نظرا لما وضعه المشرع الفرنسي للمخالف لقوانينه من غرامات مادية تفوق طاقة الفرد⁶⁶⁶.

هذا التغريم للفرد باعتباره منتهكا لما وضعه المشرع الفرنسي، يعطي ترسيخا لفكرة إنتفاء الحماية الجمعية التي لطالما تمتع بها الفرد في كنف القبيلة قبل دخول التحديد الغابوي مع المستعمر الفرنسي، الذي عمل على تمهيش هذا الترابط الأمني الاقتصادي والغذائي بين الفرد والقبيلة، كضامن لاستمرار استغلاله للمجال الغابوي، إضافة إلى التهجير القسري الذي قد يخلفه التملك الغابوي، والتضييق على توسيع الفلاح البسيط لملكيته الصغيرة باتجاه المجال الغابوي، الذي سيصبح في أقصى الحالات للفلاح محالا للإنتاج لا أقل ولا أكثر، أمام ظهور مصلحة تفوض استغلال ذلك المجال الغابوي وتفويته لأصحاب رأس المال الذين لن يكونوا رحيمين به، في ظل توجيهه لاستغلال ممنهج يخدم الحاجيات الصناعية والاستهلاكية وفق مبدأ السوق.

⁶⁶⁶ - قام رئيس ملحقة بني وليد بإيقاف محاكمة المخالفين من منطقة عين مديونة وبني وليد بحجة انتظار استيلاء التعليمات في هذا الصدد أو إرجاع القضية إلى الجهات المختصة، معترفا بكون شدة العقوبات المسلطة في ظل الظروف الحالية التي كان يعرفها المغرب سنة 1955 من انتشار للعمل السياسي وعمليات جيش التحرير، حيث قال "لن يؤدي تطبيقها بالتأكيد إلى تحسين العلاقات الصعبة بالفعل بين مصلحة المياه والغابات والسكان، حيث يتم التحديد وأشغال DRS" (لمعرفة الموضوع بحيثياته، أنظر التقرير نفسه)، تأجيل متابعة الساكنة المحلية الرافضة للتحديد الغابوي يرجع كما أشار رئيس ملحقة بني وليد إلى الظرفية السياسية التي يعرفها المغرب وعدم الرغبة في تأجيج العداء للفرنسيين، ما يجعل الاستنتاج ممكنا، بالقول أنه قبل هذه المرحلة كانت تفعل تلك العقوبات القاسية على الساكنة المحلية.

4- آليات التدخل الفرنسي في الفلاحة " الأهلية "

عملت الإدارة الفرنسية جاهدة لإظهار صورتها الإيجابية ومحاسنها لدى الساكنة المحلية منذ حضورها بالمغرب، حيث كانت تواكب كل تقدم عسكري بإظهار نفسها بمظهر المصلح، الذي يعطي الإضافة للساكن المحلي، وبأنها جاءت لإخراجه من أمراضه المتفشية وعوزة وتطوير معيشته وحياته، خاصة بالميدان الفلاحي الذي يشكل عصب حياة الإنسان المغربي، فقد اتخذت هذه الإدارة مبادرات للنهوض بالفلاحة التقليدية، من خلال تأسيس التعاونيات الفلاحية لتخزين المنتج وتحويله وبيعه، وإمداد الأهالي بالطرق والمسالك، لتصريف منتوجاتهم نحو الأسواق وتقديم القروض للفلاحين الصغار، فكان من بين أبرز هذه المؤسسات في المجال الفلاحي "الشركة الأهلية الاحتياطية".

4-1. الشركة الأهلية الاحتياطية لورغة العليا ومرحلة ما بعد حرب الريف

نظمت الشركات الأهلية الاحتياطية وتأسست بمقتضى ظهير 26 ماي 1917⁶⁶⁷، كانت عبارة عن أقدم مؤسسة بالقطاع الفلاحي، تهدف إلى النهوض بأوضاع الفلاح "الأهلي" والإرتقاء بنشاطه الفلاحي ليصبح في وضع أفضل من الذي كان عليه سابقا⁶⁶⁸. ومن غاياتها إدخار المال على سبيل الإحتياط والإعانات المتبادلة لأجل تخزين الأموال والحبوب لوقت الحاجة، يستعان بها على نقصان الحاصل في الغلات، بحيث كان "يجب أن يتكل عليها الفلاح ويجد في السنين المجدة إعانة فعالة تسهل عليه حيازة بذور للزراعة أو حبوب للمعيشة مستغنيا بها عن مديده إلى المرابين المقرضين برى فاحش"⁶⁶⁹.

⁶⁶⁷ - "ظهير شريف في إحداث شركات احتياطية مختصة بالأهليين"، الجريدة الرسمية، العدد 215، 11 يونيو 1917، ص. 460-461.
⁶⁶⁸ - MERAUD Marc, *op.cit.*, p.244

⁶⁶⁹ - "بيان أعمال الشركات الأهلية الاحتياطية والتعاون المتبادل بخلال ميزانيتها المالية لسنة 1925-1926"، الجريدة الرسمية، العدد 801، 28 فبراير 1928، ص. 550

وقد تم منح هذه الشركات الأهلية الاحتياطية مبالغ مالية، لتسليف أعضائها قروض لتجاوز آثار خسائر حرب الريف لتعويض الأهالي عما فقدوه من قطعان للماشية ومحاصيل زراعية، نظرا لما عرفته المنطقة من خسائر وآثار اقتصادية مستفحلة، حيث تم توزيع ما مجموعه مليون فرنك على الشركات الأهلية التي تأثرت بمجريات حرب الريف، وكان نصيب شركة ورغة العليا قد وصل سنة 1926 من هذه المساعدات المالية إلى 224300 فرنك، ليصبح مجموع ما لدى الشركة من أموال يبلغ 68404348 فرنكا⁶⁷⁰.

حصلت الشركة بالدائرة على حصة الأسد، مقارنة مع قلعة سلاس وقرية با محمد وأحواز فاس، وهو ما يوضح حجم الخسائر التي عرفت، والكساد الحاصل في المجال الفلاحي، الذي أصبحت الإدارة الاستعمارية تريد إعادة إعطائه انطلاقة جديدة، فمع انتعاش الإقتصاد المحلي تتحقق المنفعة الضريبية بالدرجة الأولى لجهاز الحماية، فالنهوض بوضع الفلاح المحلي والرقى بمنتوجه وضمان تزوده بالحبوب أو القروض، ما هو إلا ارتقاء لضمان إستخلاص أفضل لضريبة الترتيب على وجه التحديد، وتشجيعه على التطور أكثر والتحمس للقيام بنشاطه الفلاحي طيلة السنة، ومنه ضمان مداخيل مضاعفة للخزينة تبعا لما سيدفعه كضريبة عن المحاصيل.

جدول رقم 24: الوضعية المالية لشركة ورغة العليا بتاريخ 30 شتنبر سنة 1926⁶⁷¹:

مبالغ الاشتراك	40269101 فرنك
الأموال المستودعة	39879789 ف.ف.
ما بذمة المقترضين	19570000 ف.ف.
هبات واعانات مالية غير قابلة للاسترجاع	2240000 ف.ف.

⁶⁷⁰ - نفسه، ص. 551

⁶⁷¹ - "شركة ورغة العليا الحالة المالية بتاريخ 30 شتنبر سنة 1926"، الجريدة الرسمية، العدد 801، 28 فبراير 1928، ص. 565

آلات وأدوات فلاحية-شراؤها	926870 ف.
الإهتمام بالآلات	355.75 ف.
سماد ومحصولات كيماوية -شراؤها كذلك -التخلي عنها	3.440.00 ف.
اوراق السلفات - رسوم وغيرها	224.300.00 ف.
صوائر الإدارة	17.807.20 ف.
صوائر التصرف	18.738.53 ف.
المجموع	646.749.54 ف.

استمرت الشركة في العمل على النهوض بأوضاع القطاع بالدائرة، من خلال توفير الدعم الفلاحي في مختلف السنوات، وتشجيع تقديم القروض للفلاحين لتمكينهم من إطلاق موسم الحرث بشكل جيد، كما سهر رؤساء المكاتب والضباط على تحديد الحاجيات اللازمة للمنطقة والتصريح بها للجهات المختصة، ومراقبة توصل الأهالي بالإمدادات من البذور، ففي سنة 1949 سيؤكد رئيس مكتب الدائرة بتاونات توصل قبائل المكتب، مثوية ومزراوة ورغوية، بالإمدادات اللازمة من بذور الشعير، المستعملة من قبل الساكنة في نشاطهم الفلاحي⁶⁷².

4-2. مراحل تطور الشركة الأهلية بدائرة ورغة العليا:

مع انتقال مركز دائرة ورغة العليا من مكتب تيسة إلى مكتب الشؤون الأهلية بتاونات سنة 1927، تم إصدار قرار وزيري يهتم تغيير تركيبة الشركة الأهلية الإحتياطية للدائرة، تماشيا مع التغيير التراي والإداري الجديد للمنطقة⁶⁷³.

⁶⁷² - MERAUD Marc, *op.cit.*, p.244

⁶⁷³ - "قرار وزيري في تغيير تركيب الشركة الأهلية الإحتياطية بورغة العليا"، الجريدة الرسمية، العدد 748، 1927، ص.398

جدول رقم 25: القرارات الوزارية المحدثه أو المعدلة للشركة الأهلية الإحتياطية بدائرة ورغة العليا.

تاريخ صدور القرار	محتوى القرار
30 أبريل 1918 ⁶⁷⁴	إحداث الشركة الأهلية الإحتياطية بالحياينة، تضم ثلاث فروع: أولاد عليان، أولاد رباب، أولاد عمران ⁶⁷⁵ .
10 يوليوز 1926 ⁶⁷⁶	تحويل إسم الشركة الأهلية الإحتياطية بالحياينة إلى الشركة الأهلية الإحتياطية بورغة العليا، فأصبحت الشركة تنقسم إلى ستة فروع: أولاد رباب، أولاد عليان، أولاد عمران، مزراوة، مزيات، رغيوة، صنهاجة مصباح. ⁶⁷⁷
22- فبراير 1927 ⁶⁷⁸	تم إلغاء القرار الوزيري الصادر بتاريخ 10 يوليوز 1926 وتم تعويضه بقرار وزيري، الذي أشار في فصله الثالث على كون الشركة أصبحت تنقسم إلى سبع فروع: فرع أولاد رباب - وفرع أولاد عليان - وفرع أولاد عمران - وفرع لمزراوة ومزيات ورغيوة - وفرع لصنهاجة مصباح - وفرع لمثوية الجبل ولوطا - وفرع لبني وليد.
02 شتنبر 1931 ⁶⁷⁹	إصدار قرار وزيري لإحداث تغيير في تركيب الشركة الأهلية الإحتياطية بورغة العليا- وذلك تماشيا مع التقسيم الترابي الإداري الجديد الذي أحدثت معه شركة أهلية جديدة بالمنطقة المدنية سوق الأربعاء بتيسة (الحياينة) التي تضم كل من قبيلتي أولاد عليان وأولاد رباب- ⁶⁸⁰ لتصبح مقسمة إلى خمسة فروع: الفرع الأول: أولاد عمران؛ الفرع الثاني: مزيات ورغيوة ومزراوة؛ الفرع الثالث: مثوية؛ الفرع الرابع: صنهاجة مصباح؛ الفرع الخامس: بني وليد.

⁶⁷⁴ - "قرار وزيري في إحداث شركة إحتياطية أهلية بالحياينة" و"قرار وزيري في تعيين أعضاء أعضاء المجلس الإداري للشركة الإحتياطية بالحياينة"، عدد 264، 30 ماي 1918، صص. 521-22

⁶⁷⁵ - تم وضع القرار بعد أن تم إحداث جماعات للفروع الثلاثة من القبيلة، وقد خصص عدد 30 ماي 1918 من الجريدة الرسمية بشكل كلي لقبيلة الحياينة، أنظر: م. نفسه.

⁶⁷⁶ - "قرار وزيري في إطلاق إسم جديد على الشركة الأهلية الإحتياطية بالحياينة وتغيير تركيبها"، الجريدة الرسمية، العدد 718، 27 يوليوز 1926، صص. 1287-88.

⁶⁷⁷ - هذا القرار جاء لينمأشا مع مقتضيات القرار الوزيري 7 يوليوز 1927، القاضي بإحداث جماعات بقبائل دائرة ورغة العليا.

⁶⁷⁸ - "قرار وزيري في تغيير تركيب الشركة الأهلية الإحتياطية بورغة العليا"، الجريدة الرسمية، العدد 748، 22 فبراير 1927م، ص. 398.

⁶⁷⁹ - "قرار وزيري في إحداث تغيير في تركيب الشركة الأهلية الإحتياطية بورغة العليا" الجريدة الرسمية، عدد 986، 18 شتنبر 1931، ص.

1799

⁶⁸⁰ - "قرار وزيري في إحداث شركة أهلية إحتياطية بدائرة المراقبة المدنية بالحياينة"، الجريدة الرسمية، عدد 986، 18 شتنبر 1931،

ص. 1799.

ارتفع عدد المنخرطين بالشركة الأهلية الاحتياطية لدائرة ورغة العليا، حيث وصل عددهم في 30 يونيو 1933 إلى ما مجموعه 12348 عوض 8265 سنة 1926، ليستمر العدد في الارتفاع إلى حدود 18938 عضو في موسم 1935-1936، وبلغت السلفات الممنوحة عروضاً ابتداءً من تاريخ تأسيس الشركة إلى: 48217670 فرنك سنة 1926، و في 30 يونيو 1933 ما مجموعه 159341612 فرنكا و 159347612 إلى حدود 30 يونيو 1936 موسم 1935-1936.

وبلغت قيمة السلفات النقدية الممنوحة ما بين 1925-1926 ما مجموعه 70.000.00 فرنكا، والسلفات الممنوحة ابتداءً من تأسيس الشركة إلى فاتح أكتوبر 1925م. 49.620.00 فرنكا، نظراً لما عرفته المنطقة خلال هذه الفترة من تبعات الحرب مع المقاومة، التي دارت عديد المعارك منها على أراضي الدائرة، لتبلغ في مجموع سنتين 60179670 فرنكا كمقدار للسلفات الممنوحة والمصاريف التي تمت للموسم 1925-1926⁶⁸¹، وبلغت من تاريخ تأسيس الشركة إلى 30 يونيو 1933 : 1929620 فرنكا ، و 3299620 فرنك إلى حدود 30 يونيو 1936 للموسم 1935-1936 ، فيما قدرت قيمة مجموع السلفات و الإعانات القابلة للاسترجاع منذ التأسيس إلى حدود نفس التاريخ بـ 352309012 فرنكا ، وقد بلغت الأموال الصافية التي هي في حوزة هذه الشركة خلال نفس التاريخ بـ 82228416 فرنكا و 489309612 كمجموع لسلفات الإعانات القابلة للاسترجاع منذ تأسيس الشركة إلى حدود 30 يونيو 1936 للموسم 1935-1936⁶⁸².

وبلغت المداخل المتحصلة بصفة صوائر لتدبير شؤون الشركة الأهلية بورغة العليا لموسم 1932-1933: 2475030 فرنكا، و 4300288 فرنكا ما دفعه أعضاء الشركة بأوقات معينة خلال سنة 1932، وبلغت نسبة

⁶⁸¹ - "بيان أعمال الشركات الأهلية الاحتياطية والتعاون المتبادل بخلال ميزانيتها المالية لسنة 1925-1926"، الجريدة الرسمية، العدد 801، 28

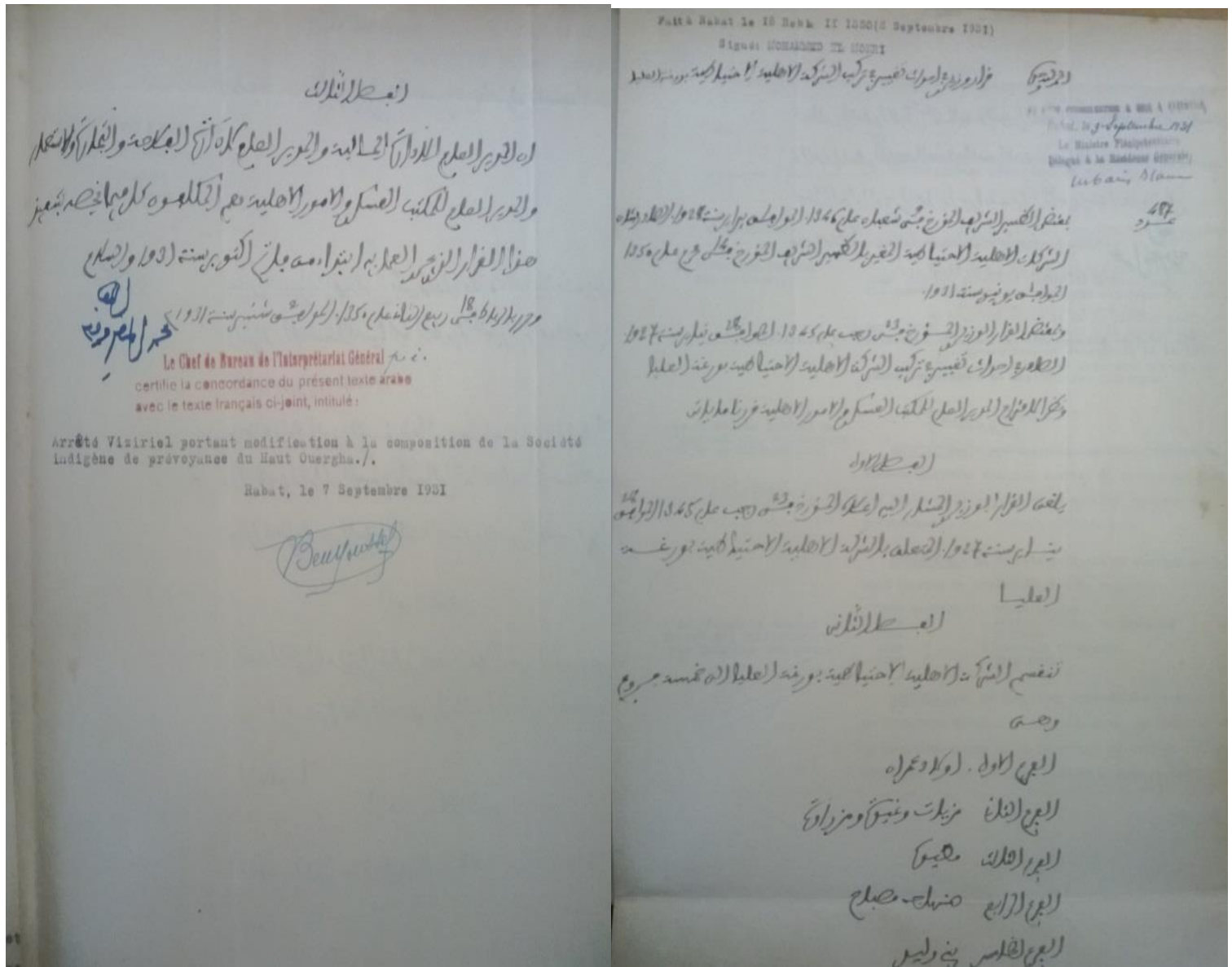
فبراير 1928، ص. 559

⁶⁸² - "جدول في بيان عدد أعضاء الشركات ومقدار السلفات الممنوحة لموسم 1935-1936"، الجريدة الرسمية، عدد 1304، 22 أكتوبر 1937،

ص. 1728

ما يدفعه الأعضاء من صوائر الإدارة ما نسبته 25%⁶⁸³، كشكل من المساهمات التي تتم من خلال الأعضاء كاستثمار لرأس المال في أعمال الشركة.

القرار الوزيري لإحداث تغيير في تركيب الشركة الأهلية الاحتياطية بورغة العليا⁶⁸⁴

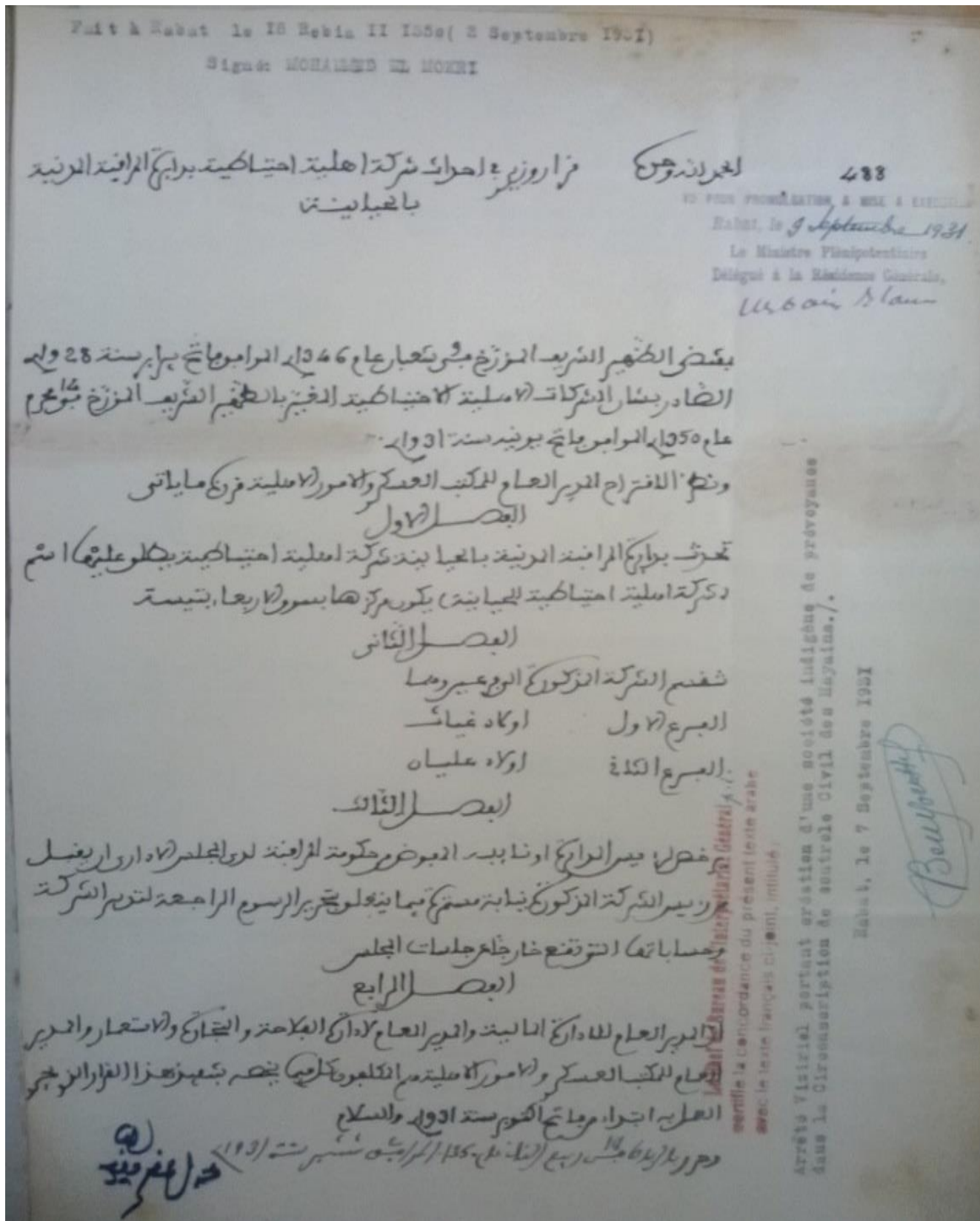


⁶⁸³ -"بيان أعمال صندوق السلف الفلاحي الأهلي خلال السنة المالية 1932-1933" الجريدة الرسمية ، العدد 1151، 16 نونبر 1934 ، صص.

1640-1642.

⁶⁸⁴ - A.M, dossier des Etudes Législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 986, **modification à la composition de la Société Indigène de prévoyance du Haut-Ouergha** , 1931.

● القرار الوزيري القاضي بإحداث الشركة الأهلية الاحتياطية بالحيانة 1931⁶⁸⁵.



⁶⁸⁵ - A.M, ARRETE VIZIRIEL n° 986 /2 Septembre 1931, « création d'une société indigène de prévoyance dans la circonscription de contrôle civil des Hayaina », in dossier des Etudes Législatives, 1931.

3-4. أهداف الشركة الأهلية الاحتياطية بالدائرة:

كان من أولويات الشركة النهوض بالقطاع الفلاحي بالمنطقة، وتدارك مخلفات فترة حرب الريف عليها، من خلال وضع برنامج سنة 1930، الهادف إلى توسيع نطاق المغروسات بالدائرة والعمل على توجيه الساكنة المحلية، ودعمهم بالشتائل اللازمة لغراسة الأشجار ذات الصنف الجيد والتنويع منها، حيث وزعت على أهالي مكتب تاوانات أنواع مختلفة من الشتائل لغراستها (السفرجل، البرقوق، التفاح، المشمش، الزيتون، التين، الكروم، الخوخ، الكرز، اللوز، الرمان، الجوز)⁶⁸⁶.

مجهودات الشركة توضح رغبتها ومعها سلطات الحماية في تقديم صورة المصلح للأوضاع، ومراعاة خصوصية المنطقة الجبلية التي هي بالضرورة تعتمد على المغروسات لتغطية النقص الحاصل في الحبوب، وبذلك خلق مداخل متنوعة طيلة السنة، حيث يتم وضع مشاتل تهم بتجويد نوعية الشتائل التي توجه للأهالي إنطلاقاً من مكاتب الدائرة، أو لتحسين السلالات المتواجدة بالمنطقة⁶⁸⁷.

بالمقابل عملت على مد ساكنة بني وليد بأصناف أخرى من البرتقال، ذات إنتاجية جيدة، نظراً لاهتمام ساكنة المنطقة بغراسة هذا النوع من الأشجار المثمرة، وبلغ عدد الشتائل الموزعة على ملحقي تاوانات وبني وليد في شهر فبراير 1931م: 3000 غرسة تين و 2000 سفرجل و 2400 برقوق و 1200 زيتونة بتاوانات و 600 شتلة من أشجار الحطب، وواكبت العملية مراقبة من قبل مفتشين مفوضين من مديرية الفلاحة، للتأكد من عملية الغرس والقيام بأبحاث حول نوع من البرتقال المستورد لتجربته بصنهاجة مصباح، كما تم التنسيق في فترات لاحقة مع مفتشين لدراسة أنواع الأمراض المنتشرة في الأشجار بالمنطقة للقضاء على الطفيليات⁶⁸⁸.

⁶⁸⁶ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^{em} partie, Février 1930, pp. 3-4

⁶⁸⁷ - MERAUD Marc, **op.cit.**, pp.289-91

⁶⁸⁸ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^{em} partie, Février, p1, et 3^{eme} partie, Mars, p.1, et 3^{em} partie, Août 1931, p. 1

تتبع مسار هذه التقارير التي توضح الجانب المصلح والمطور للمستعمر كان يفضي دائما إلى وجود زيارات لمستعمرات زراعية، الأمر الذي يوضح أن هذا الاهتمام بالمشاكل الفلاحية لسكان القبائل، كان يأتي على هامش مراقبة هؤلاء المفتشين للمستوطنات، حيث تكون هذه الزيارات تهدف بالأساس لخدمة المعمرين، والتعرف على المشاكل التي يمكن أن تعترضهم من منطلق تجربة الأهالي السابقة مع أنواع متعددة من الأمراض والطفليات التي تصيب مغروساتهم⁶⁸⁹.

كانت عمليات الدعم والإشراف التي تقدمها الشركة الأهلية لسكان المنطقة تحت إشراف ومواكبة من مديرية الفلاحة متنوعة، بداية من توفير شتائل الأغراس وتوجيه السكان لنوعية المغروسات التي تكون معتمدة لديها، نظرا لخصوصية المنطقة، لخلق منتج متنوع من الثمار، وصولا إلى دخول الشركة كفاعل في الحفاظ على المنتج من الجني قبل مرحلة النضج، من خلال تقديم قروض "خولت للأهالي تجنب بيع محصولهم من الزيتون وهو أخضر بغية الحصول على بذور الحبوب"⁶⁹⁰.

الظاهر أن الشركة والصندوق الفلاحي اهتمتا بتقديم القروض ودعم الفلاحين، لكن في حقيقة الأمر ماهي إلا قروض ضئيلة، تهتم في الأساس الحفاظ على حد أدنى من مستوى العيش لدى الساكنة ولا ترتقي إلى مستوى القروض المؤهلة للرفعي بالقطاع، مقارنة بأشكال الدعم التي خصصت للمعمرين لتأهيل الأراضي واستصلاحها، أو تزويد السكان بوسائل التطور الفلاحي خاصة الآلات العصرية التي كانت تحدث فجوة كبيرة بين المعمر والفلاح المحلي⁶⁹¹.

خدمة الفلاح المغربي "الأهلي" لم تكن من مصلحة الاستيطان والمعمرين بصفة عامة ومعمرين ورغة بصفة خاصة، أمام "ظهور صعوبات لتوسيع مستوطناتهم الزراعية فقد واجهوا صعوبات للشراء، فالأهالي لم يظهروا

⁶⁸⁹ - ibidem.

⁶⁹⁰ - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 3^{eme} partie, Novembre 1931, p.1

⁶⁹¹ - MERAUD Marc, **op.cit.**, p.244

رغبتهم في بيع أراضيهم⁶⁹²، وهو ما يجعل القول ممكنا بأن الفلاحة التي كانت تدعمها الجهات الاستعمارية ماهي إلا فلاحة بسيطة ومعيشية، لا ترقى إلى مستوى وجود رغبة حقيقية في النهوض بالقطاع الفلاحي لدى الساكن المحلي من طرف هذه الجهات، فكيف وأن الفلاح الأهلي في ظل صعوباته يرفض التفریط في الأرض، فكيف سيكون الوضع إن تم إمداده بوسائل التطور الفلاحي، ما يعني ازدياد مشكل المعمرين في نقص الأراضي الممكن شراؤها لتوسيع مستوطناتهم، ومنافستهم في مميزات إنتاجهم الموجه للتسويق بالأساس.

4-4 التعاونيات والصناديق الفلاحية

إضافة إلى الشركات الأهلية الاحتياطية، عرف المغرب تأسيس التعاونيات الفلاحية الأهلية سنة 1937 من خلال إنشاء 11 تعاونية بمجموعة من الجهات⁶⁹³، كانت تهدف بالأساس إلى الحفاظ على المنتج وتأطير عملية التسويق، وقبل هذا تم إنشاء صندوق للإقتصاد الأهلي والسلف الفلاحي الأهلي لفاس في 26 مارس 1933⁶⁹⁴.

حيث منحت من قبل الشركة الأهلية 80000 فرنك كقروض خاصة بفصل الربيع لقبيلة ملحقة بني وليد، ويعمل الصندوق على تقديم القروض الفلاحية المتوسطة التي لا تتعدى قيمتها 1000 فرنك مقابل تسديد هذا القرض على مدة لا تتجاوز 18 شهرا⁶⁹⁵، ويقدم هذا القرض للملاكين الذي يتوفرون على استغلاليات يوم حرث ب"الزوجة" أي حوالي 10 هكتارات، مع قبول إعطاء هذا القرض للذين يضمنهم شخص قادر على سداد القرض، فقد حصلت دائرة ورغة العليا على ما معدله 489309612 فرنكا كمجموع للسلفات المقدمة كدعم⁶⁹⁶.

⁶⁹² - A.M, R.P.M, Territoire de Fès Nord, 1^{ère} partie, Août 1931, p.2

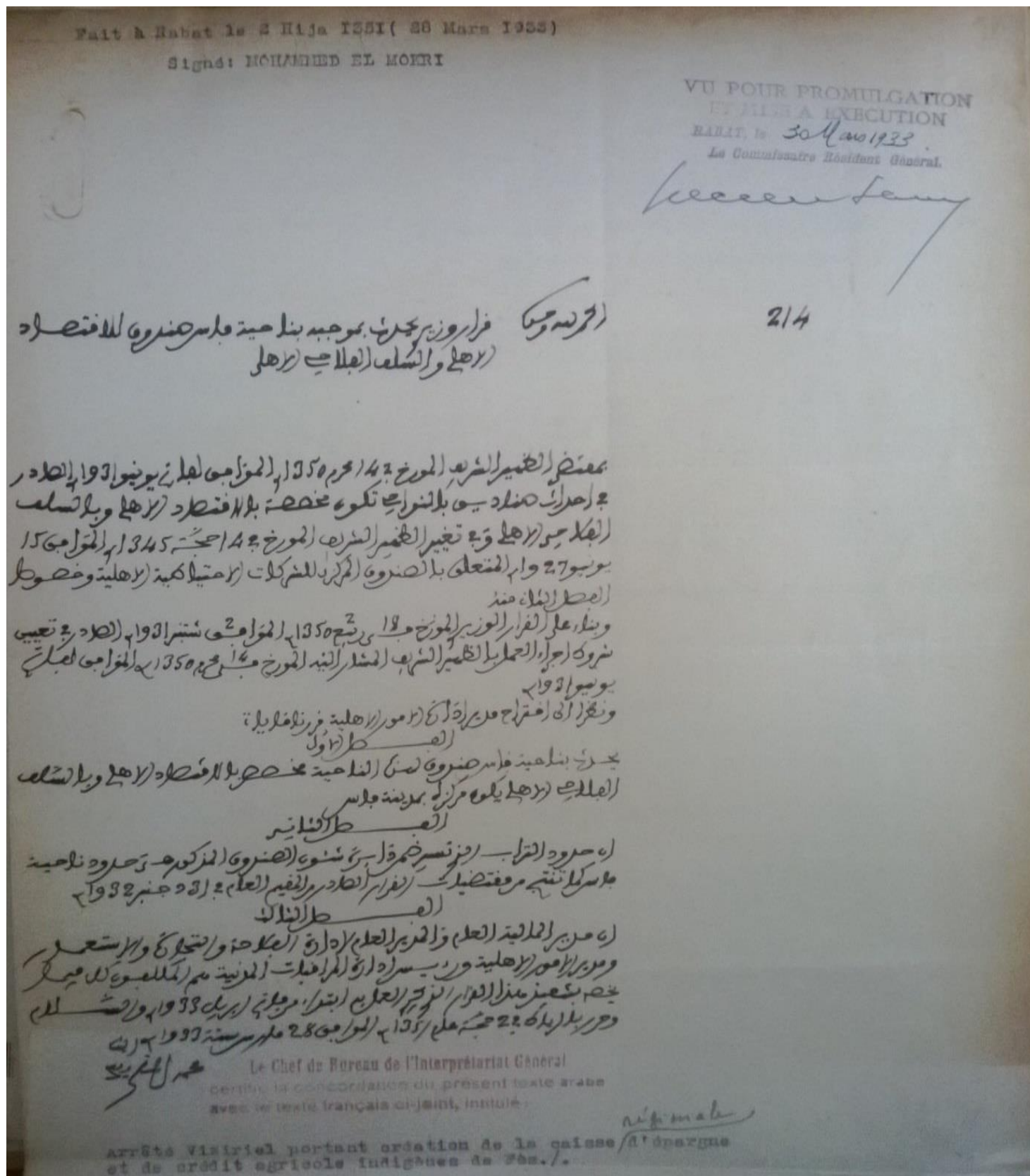
⁶⁹³ - MOTHES J., « le développement et l'évolution du mouvement coopératif en milieu autochtone marocain de 1934 à 1950 », in B.E. M, n°45, volume XII, imprimerie officielle, Rabat, 1^{er} trimestre 1950, p.270

⁶⁹⁴ - A.M, dossier Etude Législatives, ARRETTE VIZIRIEL n° 1073/ 26 Mars 1933, portant création de la caisse régionale d'épargne et de crédit agricole indigènes de Fès.

⁶⁹⁵ - A.M, R.P.M, Région de Fès, 3^e partie, Avril 1933, p.13

⁶⁹⁶ - "بيان أعمال الصندوق الفلاحي الأهلي أثناء السنة المالية 1935-1936"، الجريدة الرسمية، عدد 1304، 22 أكتوبر 1937، صص. 1722-

قرار وزيري في إحداث صندوق للإقتصاد الأهلي والسلف الفلاحي بنواحي فاس 697



اهتم الصندوق الجهوي للقرض الفلاحي الأهلي لجهة فاس، بتقديم مختلف هذه القروض القروية، القرض الفلاحي والقرض العقاري والقرض الشخصي، ووجهت عموما للقيام بغراسة أشجار الزيتون وإنشاء مزارب للماشية⁶⁹⁸. ليأتي بعد ذلك إصدار قرار وزيري، لإحداث صندوق الناحية الخاص بالتوفير والسلف الفلاحي الأهلي لفاس وتازة بتاريخ 1 يونيو 1935⁶⁹⁹.

كما تم إصدار ظهير شريف في تغيير صناديق النواحي المخصصة للتوفير والإقتصاد الأهلي، وتغييره بالصندوق المركزي للسلف والاحتياط الأهلي الذي أصبح المزود الأساسي للشركات الأهلية الاحتياطية بالقروض⁷⁰⁰، حيث تحصلت الشركة الاحتياطية الأهلية لورغة العليا سنة 1938 على تسبيق قرض من الصندوق المركزي وصل إلى 300000 فرنك⁷⁰¹.

كما وجدت محاولات من قبل الساكنة المحلية للتكتل في إطار تعاونيات، لتصريف المنتج أو لضمان تواجد مشتري قار لمحاصيلهم، كان من أبرزها التعاونية الفلاحية لبوعادل، التي اهتمت بشراء محاصيل الزيتون من ساكنة مشوة وغيرها من قبائل ورغة العليا، كما توفرت للتعاونية معصرة لعصر الزيتون، والتي كانت مهمة بالنسبة للأهالي لاستخراج الزيت وبيعها بالمناطق المجاورة، بهدف الاستفادة من هذا المنتج وتحصيل الأموال لأداء ضريبة الترتيب⁷⁰².

كما أن هذه المعصرة لعبت دورا كبيرا خلال مرحلة الخمسينيات، باستقبالها محاصيل الزيتون من مناطق مختلفة، وشكلت محطة استقطاب اقتصادي بالنسبة لمنطقة بوعادل التي تواجد بها أكبر المنتجين للزيتون، حيث وظفها القايد

⁶⁹⁸ - Robert Forichon, « la caisse régionale de crédit agricole indigène de Fès-Taza », B.E.M, n° 15, volume IV, imprimerie officielle, Rabat, Janvier 1937, p.47

⁶⁹⁹ - A.M, dossier étude législatives, ARRETE VIZIRIEL, n° 1182/ 1 Juin 1935, création de la caisse régionale d'épargne et de crédit agricole indigènes de Fès et Taza, page 701.

⁷⁰⁰ - "ظهير شريف في تغيير الظهير المؤرخ في 02 ربيع الأول 1356هـ الموافق 13 مايو 1937 الصادر في تأسيس صناديق بالنواحي تخصص بالتوفير والإقتصاد الأهلي وبالسلف المنعقد للأهليين وفي إحداث الصندوق المركزي المخصص بالسلف والإحتياط الأهلي"، الجريدة الرسمية، عدد 1307، 12 نونبر 1937، ص. 1826

⁷⁰¹ - "جدول في بيان جملة الأموال التي للشركات الأهلية الاحتياطية بتاريخ 30 يونيو 1938"، الجريدة الرسمية، عدد 1421، 19 يناير 1940، ص. 66

⁷⁰² - A.D.N, B.R.P., poste d'el Haddada, zone intérieure, période du 5 au 20 Novembre 1954, p.1

الفصل الثالث: معالم من السياسة القايدية بدائرة ورغة العليا وملاقتها بالجهاز الاستعماري

يعتبر القيادة ومعهم الشيوخ والمقدمين، من أنجع الأدوات التي سعت مصلحة الشؤون الأهلية بالمنطقة إلى توظيفها بشكل جيد، هذا التوظيف كان منذ البدايات الأولى للتوغل الاستعماري، حيث سعت هذه المصلحة إلى التواصل مع ممثلي المخزن بالمنطقة، فقد دخل ولد جديدي والمهدي الداودي في مراحل متقدمة من التواصل مع القوات الفرنسية، كما حضرا إلى جانب القوات الفرنسية أثناء تقدمها لطرد العناصر الريفية (المقاومين) من قبائل الدائرة سنة 1926، وبذلك حافظا على دورهما كوسيط بين الأهالي والسلطة الاستعمارية، ولعبا دورا بارزا في تدبير السياسة الأهلية وفق المنظور الفرنسي.

عرفت الدائرة تركيبة متنوعة من القيادة، لكن كانت لهم سمات ومحددات وضعها المستعمر في اختيارهم، حيث برزوا كشخصيات تتنافس أو لهم منافسين حول منصب القايد، كما أن العديد منهم لم يكن محط رضا وتقدير من قبل الضباط الفرنسيين (رئيس الدائرة ورئيس مكتب بني وليد). كما عرف هؤلاء القيادة فترات من اللا استقرار عقب دخول المغرب في مرحلة القطيعة بين السلطان والحركة الوطنية من جهة وسلطات الحماية من جهة ثانية، بداية من سنة 1953، حيث عرفت المنطقة متغيرات ومؤثرات خاصة منها المرتبطة بالمجال الحدودي، فكان القيادة في صلب تحديدها ومحاولة الحد منها تماشيا مع الإجراءات التي كان يفعلها رؤساء المكاتب، خاصة بمكتبي تاونات وحدادة.

المحور الأول: التركيب القايدي بالدائرة وأوضاعه

1- القيادة والتوظيف الاستعماري

1-1 القايد وعلاقته بالمخزن

مفهوم القيادة: هي كما وصفها بول باسكون بـ "أنها فئة تنتمي إلى الجماعات المرجعية باعتبارها تتكون من موظفي المخزن المشرفة على جبي الضرائب واستثاب الأمن. وقد برزت هذه الفئة كظاهرة اجتماعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثم ما لبثت أن نمت وتطورت إلى مرحلة أكثر هيمنة وسلطة وهي مرحلة القايدية الحربية، حيث مارست القهر على السكان وأرهبت القبائل التي أخضعتها ودمرت ميكانزمات دفاع المجتمع المدني وخاصة بالأطلس والجنوب"⁷⁰⁴.

حضور المخزن كان لا يستدل عليه داخل القبيلة وعلى أنها مستمرة في ولائها له إلا بحضور عنصر القائد، الذي يُكن الولاء بدوره لشخصية السلطان الذي قد قبل به قائدا على قبيلته من خلال تعيينه. وبذلك يصبح القائد وأعوانه جزءا من النظام التدييري للمخزن وعينه التي تسهر على مصالحه ومن مغبة تمرد القبائل على هذا المخزن ومناصرته لقبيلة على أخرى من منطلق هذه التبعية والحضور القايدي بالقبيلة"⁷⁰⁵.

فحضور القايد كممثل للمخزن هو بمثابة ورقة رابحة للقبيلة، لمناصرتها من قبل المخزن في حالة الإعتداء عليها من قبيلة تعتبر متمردة بالنسبة له، ويصف أحمد توفيق علاقة القيادة مع سكان قبيلته على "أن العلاقات بين القائد وشركائه مهما اختلفت صفاتهم هي من نوع خاص، فهي قبل كل شيء بين حاكم ومحكومين، فهي ليست

⁷⁰⁴ - الهروي الهادي، م.س، ص. 144

⁷⁰⁵ - التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط - اطروحات ورسائل، مطبعة النجاح الجديدة، ط.2، الدار البيضاء، 1983، ص. 359

مبنية على تعاقد إرادي بل على قسر إرهابي⁷⁰⁶، كدليل على بحث القايد عن مشروعيتها مع المخزن قبل أهليته لقيادة القبيلة من منطلق توافق سكانها حوله.

يرى باسكون بأن سلطة القواد لا تنبع إلا من خلال وجود صراع داخل القبيلة، وأنها ظاهرة تنمو من الداخل " نقول إذن بأن نظام القواد، الذي ظهر على هامش الغزو الاستعماري وبالموازاة معه، دون أن يتخذه مثلاً أعلى، يعيد تغييراً مجتمعياً من صميم المجتمع المغربي، ولكنه نظام لم يستطع أن يتطور إلا في ظل ضعف السلطة المركزية إثر الغزو الاستعماري نفسه"⁷⁰⁷.

من خلال هذا الاستبداد الذي تحدث عنه التوفيق، يصبح للقائد تركيز أكثر للنفوذ والسلطة بالقبيلة، فيسعى لشرعنة هذا التحكم بطلب حصوله على ظهور تعيينه من السلطان ليكون الممثل الشرعي للمخزن على رأس قبيلته، وبذلك يصبح القواد الممارسين المباشرين لأجرة الحضور المخزني بالقبيلة، ويختلف هؤلاء القياد من حيث ثقلهم بداخل القبائل ومدى ضبطهم لمجالمهم.

ثقل القياد بقبائلهم ينضاف إلى الإمكانيات البشرية والطبيعية لقبيلة القايد، التي تؤهله ضمناً لتبوء المكانة التي يستحقها، يصنف بها ضمن القواد الكبار أو مع القواد الصغار، فكل هذا النفوذ يكون بمرجعية مخزنية ترتكز في اختيار أعوانها على الانتماء للأسر الكبيرة والغنية، التي تمنحهم منزلة كبيرة بقبيلتهم وتمكنهم من الحصول على الجاه المخزني، الذي "كان يخول لهم إمكان الزيادة من ثرواتهم الأمر الذي كان يجعل منهم الرتبة الأولى وسط الأعيان سواء كانوا زراعاً أو تجاراً أو غير ذلك"⁷⁰⁸.

706 - نفسه

707 - ابن المليح عبد الله، م.س، ص. 316

708 - نفسه، ص. 374

2-1 التوظيف الاستعماري للقياد

مع توقيع المغرب معاهدة الحماية مع الدولة المستعمرة فرنسا، كان لزاما على هذه الأخيرة أن تظهر بمظهر المصلح وعلى أنها جاءت للمغرب للنهوض به لا لتغيير طبيعة نظام الحكم تبعا لمخرجات المعاهدة الموقعة، حيث استشعرت صعوبة الاستغناء عن النظام الإداري المخزني العتيق وضرورة الحفاظ على رموزه بداية من السلطان وصولا لأقل عنصر من هذه الإدارة المغربية، خاصة أمام بروز مقاومة شرسة من قبل المغاربة منذ البداية.

الاستغناء عن هذا النظام التقليدي يعني فتح أبواب المقاومة على مصراعيها أمام المغاربة، لطبيعة تكوينهم الثقافي والديني، اللذان على مر التاريخ يدفعانهم لمقاومة أي دولة أجنبية تحاول الدخول إلى المغرب، فتصبح الحرب حربا مقدسة لديهم كافة لأنها تمس دينهم وحياتهم بكل مركباتها. وهو ما تفتن الجهاز الاستعماري له من خلال الحفاظ على الرموز السيادية السابقة لإضفاء الشرعية على نواياه الاستعمارية والاستغلالية بالأساس، بغية تمرير ثوابت نظامه الجديد.

هذه الثوابت الاستعمارية ستمظهر في شكل الإدارة الاستعمارية العصرية الموازية للإدارة المخزنية التقليدية، لكن تكون الأولى هي المتحكم الفعلي في النظام العام للبلاد أمام إدارة تقليدية مسلوقة الإرادة، " بدعوى أن تغيير طبيعة المخزن قد يتسبب في خلخلة التوازن السياسي والاجتماعي، وأن يفقد هذا الكيان قدرته على التأثير في المجتمع المشبع بروح التقاليد، وأن يحرم فرنسا بالتالي، من الاستفادة من ثمرات سياسة المخزن"⁷⁰⁹.

ظلت القبائل بفرقها ودواويرها تحت قيادة الشيوخ والقواد، نظرا لما أدركته سلطات الحماية من أهمية بالغة للقواد في سياستها إبان فترة "التهدة" خاصة بالجنوب المغربي، حيث عملت على تقوية السياسة القايدية، بغية خلخلة التكتل القبلي الذي كان يتمركز حول مؤسسة الجماعة سابقا. وضربها في العمق القبلي من خلال العمل على تقوية

⁷⁰⁹ - احساين عبد الحميد، م.س، ص. 51

صلاحيات القيادة والزعماء المحليين، عبر تقديم الإغراءات لهم ومنها التمتع بالقوة التي يستحقونها كممثلين للسلطة⁷¹⁰.

تتضح أهمية تقوية نفوذ ممثلي السلطة القاعدية بالنسبة للجهاز الفرنسي، من خلال ما جاء في تقرير حول الوضع السياسي والعسكري في المغرب بتاريخ 15 يونيو 1919 " يقول ليوطي، فحرماتهم من هذه القوة، وتشديد المراقبة عليهم دون مراعاة، سيؤدي إلى إثارة قلق خطيرة (...) وفي جميع الأحوال لن نتمكن من الحفاظ على الأراضي الشاسعة التي أصبحت خاضعة لنا بفضل أسمائهم وسلطتهم وإشاعة النظام فيها باستخدام وسائل عسكرية ضخمة يستحيل علينا توفيرها"⁷¹¹، الأمر الذي يوضح أهمية الأعيان وحضور القيادة على وجه الخصوص في تهدئة مناطقهم، دون حاجة فرنسا لتعبئة كبيرة لقواتها التي قد تجدي أو لا تجدي نفعا أمام رغبتها في البقاء لأطول مدة، مما يؤكد على أهمية الأسلوب السياسي في التوغل بعدد المناطق، ومعه سيكون المركز العسكري حقق السيطرة على أطرافه بثوابت محلية داخل المكون القبلي والجغرافي الذي ينتمي إليه القيادة.

تُشكل البادية الخزان الفعلي للعنصر البشري والمهدد الحقيقي للتواجد الفرنسي بالمغرب، فنسج السلطة الاستعمارية لعلاقات مع القواد يرجع بالأساس إلى " الأهمية العددية للسكان القرويين الذين يمثلون 80% من مجموع السكان، والبادية التي تعتبر موطناً للثورات المزمّنة (السيية)"⁷¹². فالبادية شكلت المحرك الأساسي للأحداث في تاريخ المغرب وكانت عنصراً مؤثراً في الوقائع التاريخية، وهي نفس البادية التي شكلت عقبة في وجه المستعمر الأجنبي الذي تكبد أثناء محاولته التوغل بها خسائر فادحة، فالبادية كانت الفاعل الأساسي في المقاومة المسلحة التي واجهت المستعمر، نظرا لعدة اعتبارات منها خصوصية المجال طبيعيا وقوة العنصر البشري، والرفض القاطع سياسيا واقتصاديا لوجود أجنبي بأرض المغاربة المسلمين.

⁷¹⁰ - ابن المليح عبد الله، م.س، ص. 319

⁷¹¹ - نفسه.

⁷¹² - نفسه، ص. 318

توجه المؤسسة الاستعمارية بأبحاثها السوسولوجية والميدانية خاصة مع البعثات العلمية قبل الدخول إلى المغرب عسكريا، حيث كان الإهتمام منصبا على دراسة تركيبة البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالقبيلة قبل الدولة، جعلها على دراية تامة منذ البداية بأهمية الحفاظ على النظم التقليدية والبحث عن الفئات القبلية التي ستخدم أهدافها الاستعمارية، لتسهيل تغلغلها في هذه البنى واختراقها بأقل تكلفة ممكنة. ومعه تجنب المواجهة مع الساكنة الأصلية إلا للضرورة القصوى، فالانتصار في المعارك لا يعني النجاح التام، فالنجاح التام لدى الفرنسيين هو أن تكسر شوكة المقاومة بدون قتال، فما كان لفرنسا أن تجد أفضل من بعض الأعيان المتواجدين بالقبيلة، فغالبا ما يكونون قيادا على العهد السابق، تكون لهم الكلمة المسموعة بالقبيلة، فيصبحون الممثلين الفعليين لإدارة الحماية بمناطقهم .

شكل المكون القايدي مكسبا استثنائيا، استفادت منه المؤسسة الاستعمارية، وهو ما أكدته رحمة بورقية عندما قالت "لقد تمت مراقبة القبائل بواسطة أطرها ومؤسساتها وأعرافها المحلية، لكي لا تشعر القبائل بثقل الإدارة الاستعمارية. وعوض أن تورط نفسها في مواجهة قد تؤدي بها إلى ما أدت إليه في الجزائر، فضلت أن تنهج منهج السياسة غير المباشرة، لتحكم بواسطة القواد لا ضد القواد كما يقول ليوطي"⁷¹³.

سعى من الجهاز الاستعماري قلب صلاحية القواد من التبعية إلى المخزن سابقا إلى تبعية مطلقة للدولة الحديثة، فقد زود النظام القايدي بترسانة قانونية لضبط عملهم وتأطيرهم ضمن النموذج العصري، وذلك باللجوء لوسائل إدارية مختلفة لجعل القائد رجل سلطة ينصهر في النظام العصري الجديد وليس المخزني القديم، فقد "كانوا يعينون ويقالون من طرف السلطان باقتراح من الإقامة العامة، أما بعد 1953 فقد أصبح الصدر الأعظم -بمعنى الإقامة العامة- هو الذي يعينهم ويقيلمهم"⁷¹⁴.

فالقواد إلى جانب الشيوخ يعتبرون موظفون مخزنيون، لكنهم لا يندرجون تحت رئاسة الصدر الأعظم إلا إسميا، بل كانوا تابعين لمديرية الداخلية. بامتلاك القواد لسلطات قانونية تؤطر عملهم، أصبحوا يشتغلون كإداريين ضمن

⁷¹³ - بورقية رحمة، م.س، ص. 122.

⁷¹⁴ - عياش البير، م.س، ص. 105.

صلاحياتهم المخولة لهم لقيادة القبائل، بمساعدة الشيوخ في الفرق والمقدمين في الدواوير، مع التبعية لضباط مصلحة الشؤون الأهلية، الذين هم المسيروون الفعليون للشؤون المحلية.

تمتع القياد بفضل الترسانة القانونية، بصلاحيات واسعة لتمكينهم من ضرب العنصر القبلي الجمعي لأي قبيلة، عبر تكسير الأعراف والأشكال المعمول بها سابقا داخلها. ما جعل من القايد كحاكم للملكية قبلية خُولت له صلاحية الإشراف عليها، كما أصبحوا اليد والعين التي توظفهما الحماية الفرنسية لتحقيق مآربها.

فالقواد أصبحوا أداة لتصريف وأجرأة السياسة الاستعمارية، بإطلاق يدهم في مجال نفوذهم مع العمل على تقييم عملهم، تجنباً للانتفاضات التي قد تنتج عن بطش مفرط منهم بالقبيلة، فهم كما يقول البير عياش "يمارسون القضاء المدني والجنائي، كانوا قضاة وحيدين، ولم تكن مشاريع الإصلاح القضائي لتمسهم، وكانوا بالإضافة إلى ذلك، يساهمون بكيفية فعالة، بمساعدة الشيوخ في إحصاء الثروات الخاضعة للترتيب، مما مكنهم من معرفة دقيقة بطبيعة وحجم الممتلكات التي يملكها السكان الواقعون في منطقة إدارتهم"⁷¹⁵.

على الرغم من كل ما قيل عن السياسة القايدية ودورها الإجرائي في خلخلة بني اللحمة داخل القبيلة من خلال تكسير مؤسسة الجماعة، أو غيرها من مظهرات المجتمع القبلي الذي يسعى لأن يبقى بعيد عن سيطرة المخزن أو المستعمر، وعلى كثرة الصلاحيات التي خولت للقياد على عهد الحماية فسلطات هذه الأخيرة لم يكن غيرها الأمر والنهي بجميع المناطق، وأن القايد يُمنح ملكية يتوهم من خلالها السيطرة والقوة، لكنه في حقيقة الأمر ليس سوى عبارة عن أداة لأجرأة سياسة استعمارية محضة، تساهم في تحقيق سيطرة على المجال بواجهة مغربية، لا تجعل الأهالي يأخذون موقفا من الرجال الفرنسيين.

فالضباط هم المركز الذي تدور حوله رحا السلطات بالدائرة، فهم يمثلون سلطات مزدوجة بتمثيلهم الدولة الحامية ووكلاء للمخزن من خلال التفويضات الوزيرية التي أشار إليها ألبير عياش في كتابه، فهم "لم يكن يغرب

عنهم أي شيء في الحياة العامة، فهم يوحون للباشوات والقواد بالقرارات ويساعدونهم في دورهم القضائي، ويقومون بتنسيق عمل المصالح الشريفة الجديدة في مناطقهم، (...) كان على القواد والشيخ والمقدمين والفلاحين، إذا ما اقتربوا منهم في الطرقات العامة أن يظهروا الامتثال ويبادروهم بالتحية⁷¹⁶.

ستصبح الإدارة الفرنسية المحلية المتمثلة في ضباطها الملجأ الذي يستنجد به الأهالي للنجاة من طوق الظلم والتعسف الذي قد يمسهم، كإطار تحويري للعلاقة التي من المفترض أن تكون تنافرية لتصبح منشودة للتخلص من القهر، فهنا تظهر مؤسسة الحماية بدعايتها المعهودة على أنها تريد الخير للمغاربة وجاءت لحمايتهم من بطش أبناء جلدتهم.

فيما هو قادم من الفقرات سيتم استعراض مثالين عن لجوء الساكنة المحلية للضباط للتخلص من بطش القياد، من خلال نموذج سي علي ولد جديدي والحاج لعبد، كرمزين للقايدية بمجال نفوذ مكتب بني وليد، اللذان ذاق منهما السكان درعا، بعد تماديتهما في استعمال الشطط في السلطة، كشخصين لم يحققا التوافق والرضا الكلي لدى مسيرهم الفرنسيين، خاصة رئيس دائرة ورغة العليا ورئيس مكتب بني وليد.

تبقى القراءة من زاوية المستعمر قراءة ناقصة لحيثيات تجاوزات هذين القائدين، في ظل غياب الزاوية الثانية التي ستظهر فقط من خلال موقف القايد ولد جديدي، الذي لم يظهر موقفه سوى من خلال أطوار مساءلته حول التهم المنسوبة إليه بالحكمة العليا، كذلك الرسائل الموجهة للمسؤولين من قبل ولد جديدي، التي لم يأتي فيها شيء غير التبريرات المقدمة منه، يدافع فيها عن نفسه لتبرئة ذمته من التهم المنسوبة إليه.

2- نماذج من قياد وشيوخ دائرة ورغة العليا

يعتبر القايد ومساعداه الأول الذي هو الشيخ مركزا محوريا يشرفان على مئات أو آلاف الساكنة المتواجدة باتحادية قبلية أو فرقة الخ، فمؤسسة الحماية ارتكزت على تواجد هؤلاء الشيوخ والقياد بقبائلهم لتسيير منطقتهم، الشيء الذي لم يختلف فيه منطقة ورغة العليا عن باقي مناطق الحماية الفرنسية، تبعا لنفوذ هؤلاء الأشخاص أو الخدمات التي قدموها للجهازين العسكري والاستخباراتي الفرنسي، سواء في مراحلهما الصعبة بالمنطقة خلال فترة حرب الريف أو بعد تلك الفترة⁷¹⁷.

لاستخلاف القايد أو الشيخ لابد من التمتع بصفات ومزايا يكون على رأسها الإخلاص لفرنسا وخدمتها، لتكون منفعة في ظاهرها متبادلة -حصول القياد والشيوخ على امتيازات عينية واقتصادية وأخرى اجتماعية، التي تعزز سلطة الإشراف على سكان القبيلة كأنها ملكية صغيرة، بمقابل تسخير هؤلاء السكان لخدمة الفرنسيين وضمان عدم تمردهم على القوات الفرنسية أو الدخول في مؤامرات ضدها، فيصبح القايد يملك شعور الأمر والناهي.

لكنها في الحقيقة سلطة تحت رحمة الإدارة الفرنسية، ما دامت هي التي تتكفل بمراقبة هذا القايد أو الشخص المرشح للحصول على هذه المناصب، التي سيفخر بها الزعيم المحلي، من منطلق مصلحة الشؤون الأهلية ورؤسائها، وهو ما يظهر من خلال ما يصدره رؤساء المكاتب التابعة لدائرة ورغة العليا من تقارير، أو من قبل رئيس الدائرة الذي يرفع تقريره إلى الجهات المختصة، لتقييم عمل القياد والشيوخ سواء من خلال الرغبة في تزكية أحدهم على آخر أو في اختيار خليفة، أو تقارير العزل لتجاوزات غير مقبولة وعدم حضور الكفاءة⁷¹⁸.

⁷¹⁷ هنا يستحضر نموذج ولد الجديدي، الذي ظل ملازما للقوات الفرنسية طيلة الفترة التي خاضت فيها بني وليد المقاومة ضد المستعمر، وعين قائدا عليها" قايدا" سنة 1926 مباشرة بعد انتهاء المقاومة المسلحة بالمنطقة.

⁷¹⁸ بخصوص هذا النوع سيتم التطرق للتقارير التي أنجزها كل من رئيس مكتب بني وليد ورئيس دائرة ورغة العليا، حول القايد علي ولد الجديدي والقايد الحاج لعبد اللذان لم يلقيا الرضا من قبل الضابطين حول طريقة تأدية مهامهما.

2-1 - القايد عبد العزيز لحلو

هو عبد العزيز بن أحمد لحلو عين قائدا بتاونات، لتكون تحت إشرافه القبائل الثلاث بالمنطقة وهي مزريات، رغيوة ومزراوة، صدر ظهير تعيينه بتاريخ 06 يوليوز 1936 الموافق لـ 02 ربيع الثاني 1355هـ⁷¹⁹، وجاء تعيينه ليخلف مولاي أحمد الجرموني القائد السابق، بعد أن أسندت له مهمة قيادة قبيلة أولاد عمران بالحياينة.

اختلف هذا القايد عن باقي قياد المنطقة (سي علي ولد جديدي، الرماش) بكونه لا ينتمي للقبائل التي أسندت له مهمة الإشراف عليها (لا يستقر ولم يزداد بها)، فهو من مواليد مدينة فاس، لكنه كان على اطلاع بالمنطقة بحكم دوره كتاجر سابقا، فقد كان بمثابة مخبر للفرنسيين بالجهة ومبعوثا لهم عند محمد بن عبد الكريم سنة 1925م⁷²⁰، لذلك فقد لا يكون للقائد ذاك الارتباط الوثيق بالجال، ونظرة سكان المنطقة إليه في بسط نفوذه أو تعزيزه، وبذلك فهو لم يستند على المكون القبلي في الحصول على منصب القيادة ولم يركز على العنصر البشري القبلي.

اعتمد هذا القايد بالدرجة الأساس على مكائته الشخصية، وكذا دعم السلطات الفرنسية له لتزكيته في هذا المنصب، خاصة أن الاطلاع على إحدى مراسلاته التي راسل فيها السيد مستشار الحكومة الشريفة بالرباط **لوجير** يسأل فيها عن حاله، بشكل يحيل على الإغراق في التمجيد والتودد يشكره على حسن الاستقبال بمكتبه لينتقل للسؤال عن ما رآه حول تعيين **الحاج الفاطمي بن سليمان** خليفة لباشا مكناس⁷²¹.

أظهرت رسالة القايد لحلو، الرغبة التي كانت تحدوه في الحصول على هذا المنصب على الرغم من إخفائه ذلك بكلامه المعبر عن اختيار هذا الشخص، حيث يقول " فما أحسن الأشياء تحل محلها وتيقنت أن سيادتكم

⁷¹⁹ - أنظر نموذج ظهير باللغة الفرنسية حول تعيين القايد سي عبد العزيز لحلو للإشراف على قبائل مزراوة رغيوة ومزريات.

⁷²⁰ A.D.N, Lettre n° 2265, du Capitane GAROUTE au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien à Rabat, 10 Juillet 1950.

⁷²¹ - A.D.N, dossier du Caïd LAHLO n° G.III.2, Lettre (sans .n°), du Caïd Si Abdelaziz Ben Ahmed LAHLOU au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, sujet : **nomination du Pacha de Meknès**, 25 Novembre 1937.

ستسعى لنا فيما هو أحسن من ذلك لأنكم أكثر من نفسنا وأنتم تعلمون ما يصلح بنا راجيا من علاكم جعل قضيتنا نصب عينكم في أول فرصة تسنح لكم⁷²².

هذا الكلام يظهر بشكل جلي الرغبة التي كانت تحدو **لحل**و للحصول على منصب باشا مكناس، وأن القيادة بتاونات لم يكن يعتبرها إلا محطة ينتقل منها عاجلا أم آجلا، بحيث أن الرسالة جاءت بتاريخ 25 نونبر 1937 أي لم يتجاوز بعد السنة عن تاريخ تعيينه، الشيء الذي قد يظهر عدم ارتياحه للمنطقة وعدم الاندماج مع مهمة التقايدت بالجمال القروي، عكس الباشوية التي يظن أنه سيجد فيها نفسه، مما يحيل على شعوره بالغربة في بداية مهمته وطابعه الحضري من خلال الرغبة في تقلد منصب يوجد بالمدينة.

هذه الغربة كانت الأمر الواقع للقائد، الذي استمر في الإشراف على قبائل منطقته، ومع تقدم حلول في السن أصبحت مشاكله الصحية تزداد، حيث أوضحت المراسلات الخاصة برئيس دائرة ورغة العليا **GAROUTE** عن حاجة هذا القائد للراحة، مع تأكيده على النظر في رسالة القاييد التي أرسلها تحت رقم 333 للصدر الأعظم بغية الحصول على إجازة. ووضع رئيس الدائرة ملاحظة بالرسالة يؤكد خضوع القاييد لعملية جراحية وأن طبيبه قد أوصى من أجل صحته بالإقامة شهرين في "فيشي" بفرنسا، ملتصقا للقاييد في رسالته الحصول على شهرين بداية من تاريخ 1 شتنبر 1950، مؤكدا على أن مهام القاييد ستسند لابنه **سي محمد عبد العزيز** **لحل**و خلال فترة غياب والده⁷²³.

رغبة القائد في الحصول على إجازة لم تتحقق، ليعيد رئيس الدائرة **BOULET-DESBAREAU** التأكيد في مراسلة ثانية سنة 1951 على طلب حلول من الصدر الأعظم مجددا، الحصول على إجازة من شهرين، والتي لم يحصل عليها في مراسلته السابقة في القرار رقم 2481 من 28 شوال 1339 لظروفه الصحية. وقد وضع

⁷²² - ibidem

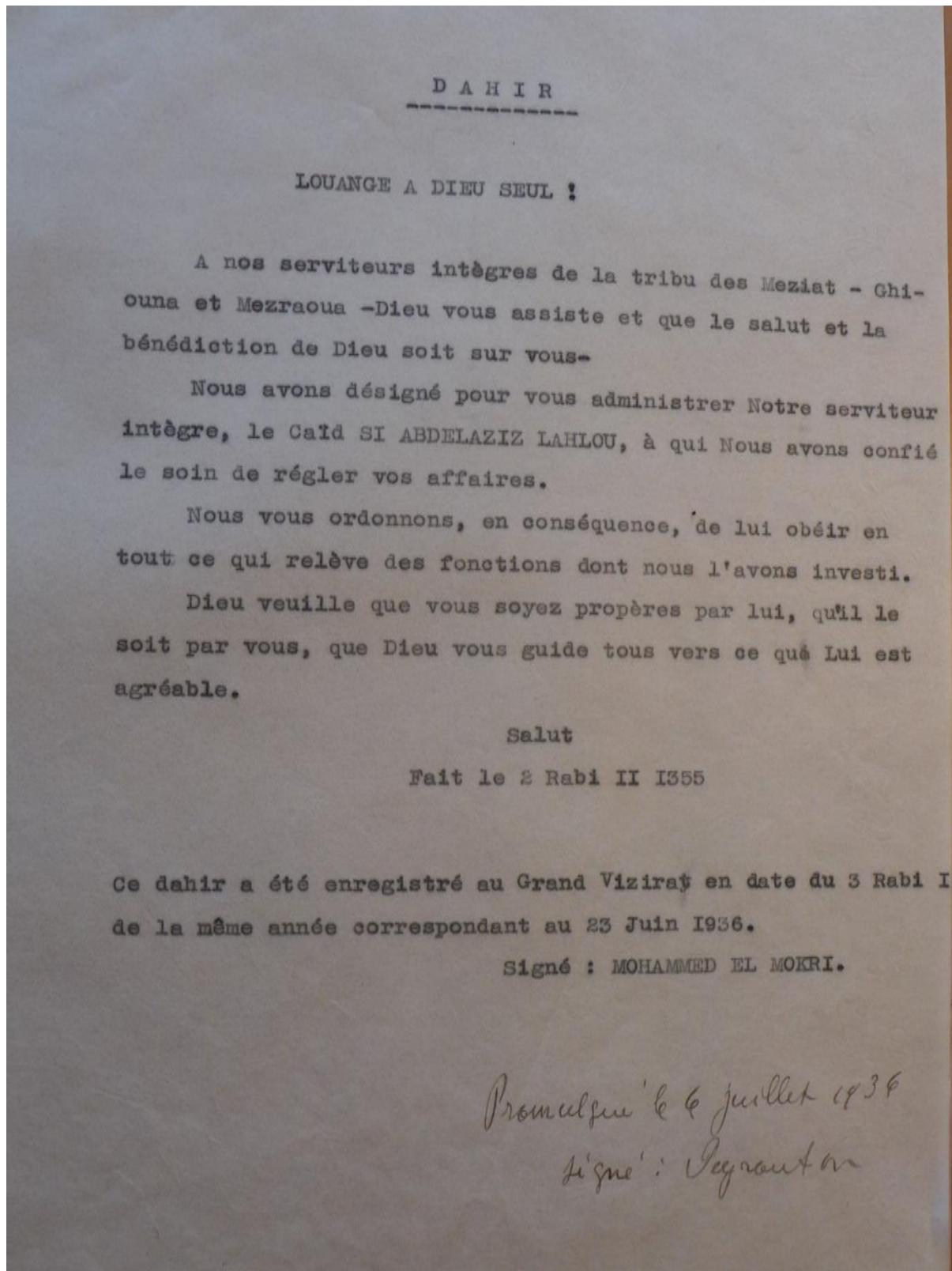
⁷²³ - A.D.N, Lettre n° 2265, du Capitane GAROUTE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien à Rabat, sujet : **le Caïd demander à S.E. le Grand VIZIR de lui accorder un Congé de deux mois**, 10 juillet 1950.

رئيس الدائرة تأكيداً على تمكين القاييد لحلو من هذه الإجازة لتغيير الأجواء خاصة بعد وفاة زوجته⁷²⁴، وهو الأمر الذي لقي جواباً من قبل مستشار الحكومة الشريفية بمنح القاييد شهرين كإجازة وفق القرار وزيري رقم 2627⁷²⁵، لكن استمرار القاييد لحلو بالمنطقة أكد على تسليمه بالأمر الواقع، والقطع مع الأماني التي كان ينشدها في الإنتقال صوب المجال الحضري.

⁷²⁴ - A.D.N, Transmission N° 2371/402, du Lt- Colonel BOULET-DESBAREAU Chef du Cercle du Haut-Ouergha à Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, objet : **lettre du Caïd LAHLO à S.E. le Grand Vizir de la Justice de lui accorder une permission**, 16 Mai 1951.

⁷²⁵ - A.D.N, Transmission n° 10519, du Conseiller du Gouvernement Chérifien au Monsieur le Chef du Cercle du Haut Ouergha, sujet : **décision vizirienne n° 2627 accordant un congé de 2 mois au caïd LAHLO de Meziat Rhoua Mezraoua Cercle de taounat**, 12 Juillet 1951.

- ظهير تعيين سي عبد العزيز لحلو باللغة الفرنسية⁷²⁶:



⁷²⁶ - A.D.N, Dossier N° G.III.2, Sujet « Caïd SI ABDELAZIZ LAHLOU, Région de Fès, Cercle du Haut-Ouergha ».

مراسلة القايد لحلو التي تظهر رغبته في الحصول على منصب أفضل⁷²⁷:

Si Tahar

الحرم

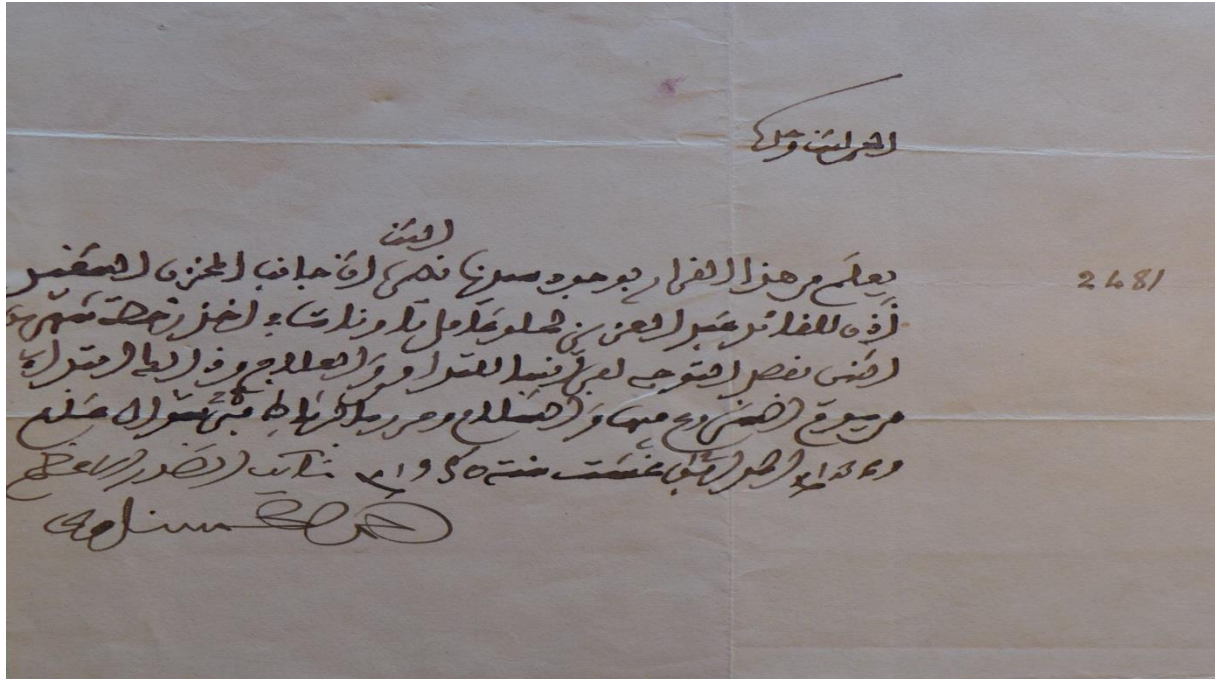
صديقنا العزيز المستعرب البليغ العلامة الخبير ديسر الفيل والصيد السيد السياسي الخفي
السيد لويس سلاخ تبارك وتعالى فداكم في الاسمى اولا عر صوبه تحرير العهر في والسؤال
عن احوالكم العرفية دمت بخير وعافية
هذه اوراق على ما عرفتكم عليه في محبتكم الخالة سيعلم انكم تمول لنا في
البسالة والوداد الخالو حبي زرتكم فريدا بكنتم في بلادكم والحر والحب في ذلك
هي عادتكم مع كل احسبها اصر فداكم في الخالو ولفرايت على صباحة العنبر العار عيسى
الادب الاجل السيد الحاج الباشا في اسلمنا خليفة لياسا مكنا من هذا الحصى الاشياء
تخللها وتنفذ اه سيادتكم ستسعى لنا في ما هو احسن في هذا الذي انتم في انتم في
وانتم تعلمون ما لي بدار اجيكم على علكي جعل فليت لي عيني في اوار في سنة تفتي لي
دمت رايلي في حلل العز والهدوء في الختار وجود هذا السلام على عيني في المحترمة
مراة لومير وكلمة الاصحاب ومن اجمع الانجال وبه الاعلى لعيادتكم وعلى خالوكم
والصالح عليكم في صديقكم الخالو عبد العزيز الخلو
وكتب في نوفمبر سنة 1937

A M le conseiller-adjoint du Gouverneur

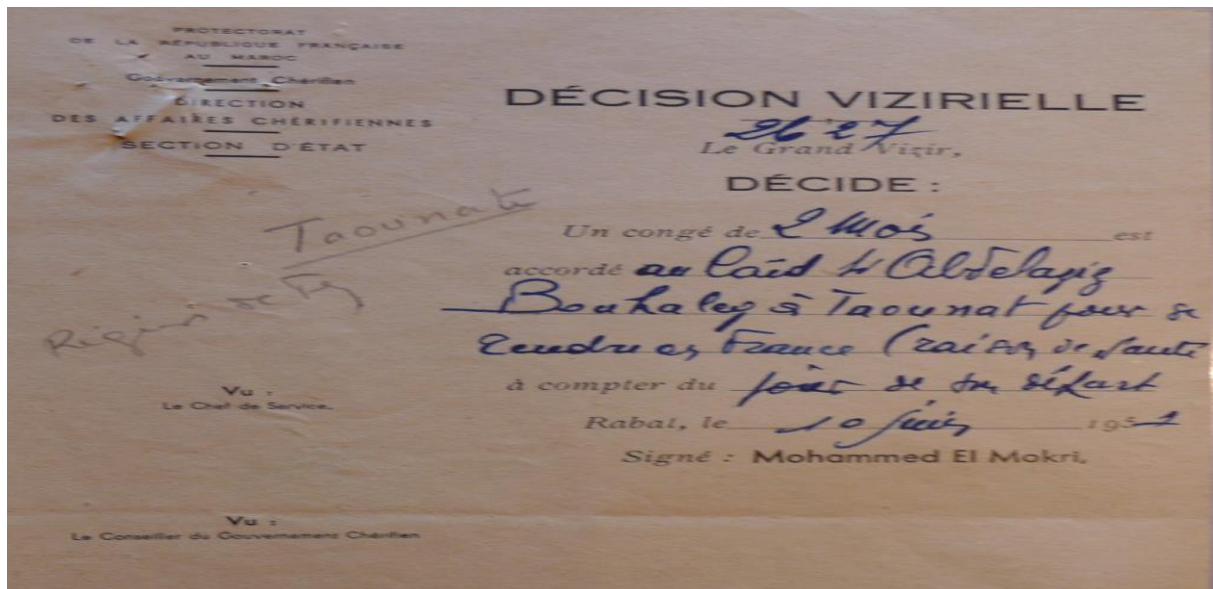
Abdelaziz Tahar a appris avec plaisir la nomination
de Si El Gharbi ben Sliman au poste de Khalifat du
Pacha de Meknes. Il nous prie de penser à lui
pour lui faire obtenir une situation analogue
à celle de Ben Sliman.
Le 25 Nov. 1937

-قرار رقم 2481 ، 12 غشت 1950 الذي صدر ليستفد لحلو من إجازة شهرين حسب مراسلة رئيس

الدائرة⁷²⁸:



- نموذج توصيل للحصول على إجازة بقرار وزيري للقايد لحلو⁷²⁹:



⁷²⁸ - ibidem

⁷²⁹ - ibidem

2-2 - القايد علي ولد الجديد (1926-1947)

ولد في حوالي سنة 1989م بقبيلة بني وليد، وقد ظل وفيا في التقرب للفرنسيين، ما جعله يفر من منطقته باتجاه القوات الفرنسية المتمركزة بعين معطوف سنة 1918 عند هجوم للمقاومين بصنهاجة مصباح عبر بني وليد، ليستمر بجوار الفرنسيين بمنطقة فراره، إلى أن رافق الرتل العسكري تحت قيادة كولومبا الذي زحف خلال شهر يونيو 1924 باتجاه مولاي عين جنان عند قبيلة رغيوة، حيث أسس الفرنسيون مركزي بوعزون ومولاي عين جنان⁷³⁰. عين قائدا على قبيلته منذ سنة 1926، وهي السنة الفعلية التي سيطرت فيها القوات الفرنسية على المجال الورغي الأعلى، بعد تمكنها من الوصول إلى الشريط الحدودي والالتقاء مع الإسبان، فتحقق طرد المقاومين الريفيين من المنطقة.

كان هدف القايد من الوقوف في صف الفرنسيين هو العودة إلى قيادة قبيلة بني وليد، حيث سيعين خليفة للقايد الداودي بها، لكن عودة المنطقة إلى حضن المقاومة بعد سيطرة المقاومين عليها قادمين من الريف وقبائل الدائرة خلال سنة 1925، سيدفعه إلى الفرار مجددا صوب القواعد الفرنسية. وأثناء عودة القوات الفرنسية لافتكاك المنطقة من يد المقاومين وتشكيل فرق من المناصرين من الحيانية وقبائل أخرى لإتمام السيطرة على باقي قبائل الدائرة، سيرافق هذه الفرق إلى أن تمت السيطرة على قبائل الدائرة والوصول إلى شريطها الحدودي، ليعين في غشت 1926 قائدا على قبيلة بني وليد⁷³¹.

بذلك يكون تعيين هذا القائد على رأس قيادة قبيلته من قبل سلطات الحماية، هو بمثابة اعتراف للخدمات التي قدمها للفرنسيين، خاصة إبان فترة حرب الريف، وهو الشكل الذي لطالما استغلت توظيفه القوات الفرنسية

⁷³⁰ - أنظر تقرير شهر يونيو 1924 وخريطة العمليات لنفس الشهر التي توضح مكان تموقع رتل كمباي :

- A.M, R.M.P, Juin 1924.

⁷³¹ -A.D.N, Rapport N° 257 HO/2.C, du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général Chef de Région à Fès, objet : **remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID** , 21 Juin 1947.

بجهازها العسكري والاستخباراتي على الوجه الأمثل، من خلال استمالة الأعيان ومكافأة الشخصيات المهمة من القبيلة التي ساندتها في التوغل بالمنطقة، حيث سيقلد ولد جديدي بوسام علوي نظير تلك الخدمات⁷³².

استمر في قيادته للقبيلة بشكل جيد إلى حدود سنة 1947م، بعد أن ظهر عليه العياء، فأصبح كما وصفه مدير الداخلية في رسالته لمستشار الحكومة الشريفة "متعبا ومهترئا"، كما سجلت عليه ملاحظة بكونه أصبح قائدا متواضعا بدون قدرات كبيرة، لامبالي، حريص على مصالحه الشخصية الصغيرة أكثر من تلك للقبيلة، وكان استبداله محتملا في سنة 1938⁷³³.

تم إيقافه عن ممارسة مهامه بعد أن تورط في عديد المشاكل ارتقت إلى مستوى التهم، التي يجب أن يتابع فيها، بحكم وضعه كمسؤول بمنطقته، حيث سيرفع رئيس دائرة ورغة العليا مراسلة مرفقة بتقرير بتاريخ 21 يونيو 1947 إلى الجنرال رئيس جهة فاس، يعلمه بتوقيف القايد السابق عن مهامه والذي كان قد وضع موضوع اقتراح تعويضه منذ سنة 1946 بقبيلة بني وليد، ليتم وضعه تحت المراقبة، بعدها رفع رئيس الدائرة تقريرا آخر و نهائي بعد موافقة سلطات المراقبة الجهوية والمحلية، إلى سيد مستشار الحكومة الشريفة ومدير الشؤون الشريفة⁷³⁴.

توقيف القايد عن مزاوله مهامه بعد تورطه في تهمة اختطاف طفل وقتله، ستبدأ معه مرحلة البحث عن بديل مؤهل للقايد (خليفة)، من خلال استعراض نماذج لبطاقات خاصة بمؤلاء المرشحين لاستخلافه على رأس القبيلة، ريثما يتم التوصل بقرار عزل القايد من مهامه بشكل رسمي، بعد مثوله أمام المحكمة⁷³⁵.

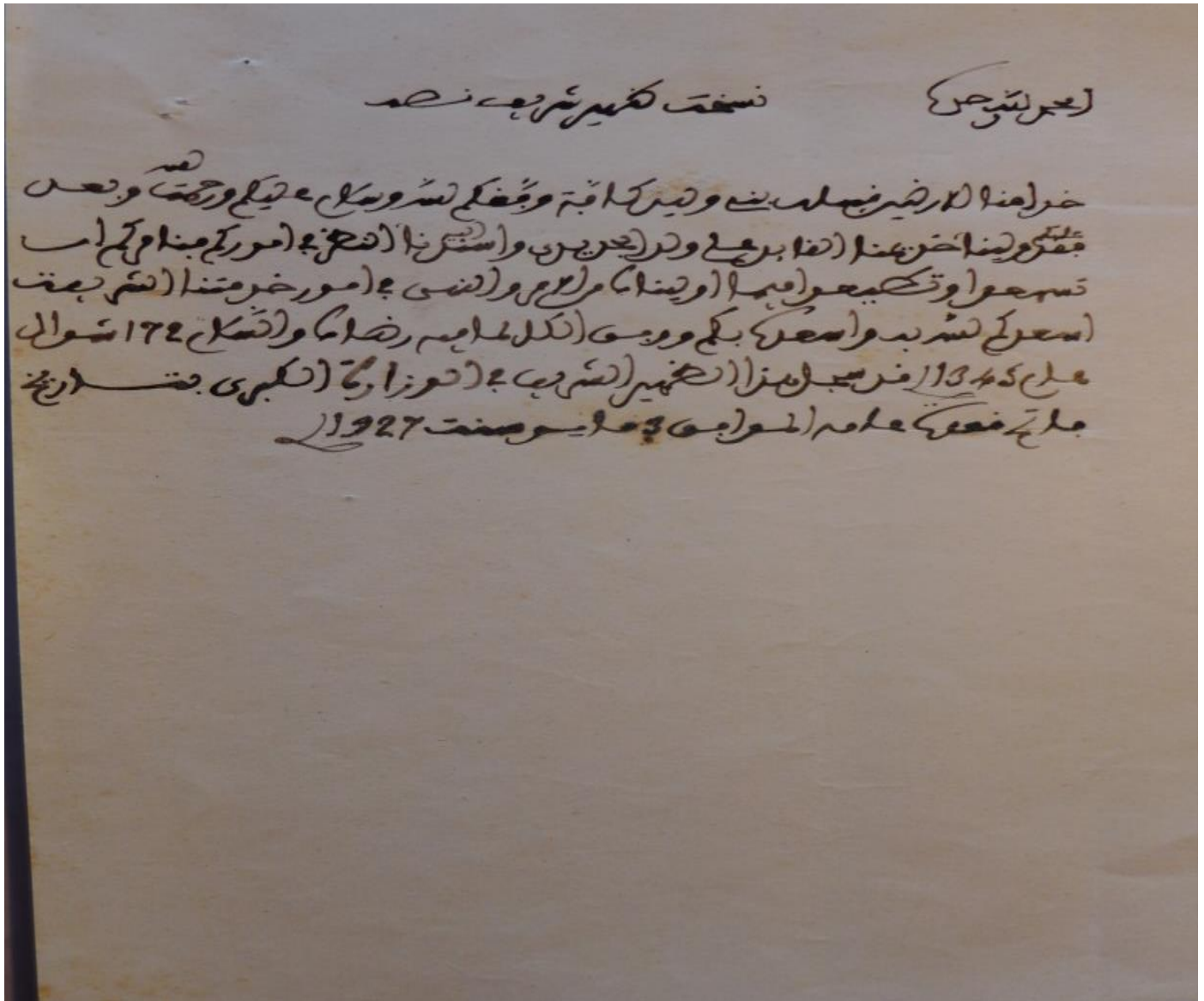
⁷³² ibidem.

⁷³³ - A.D.N, Lettre n° 244DI/POLC/1, du Directeur de l'intérieur à Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : **caïd JDIDI des Béni-Oulid** , 22 janvier 1948.

⁷³⁴ -A.D.N, Rapport n° 257 HO/2.C, du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, **demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid, et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH**, 21 Juin 1947, p.1

⁷³⁵ - ibidem

نسخة من ظهير تعيين القايد علي ولد الجديد، تم تسجيله في 3 ماي 1927⁷³⁶.



اقترح رئيس الدائرة ثلاثة شخصيات لخلافة القايد ولد الجديد في مهامه : القايد الحاج العيد⁷³⁷ وعمر

بن العربي، و شيخ فرقة القلعة سي عمر ولد حميدو الرماش، هذا الأخير هو من أسندت له مهمة تولي مهام

⁷³⁶ - A.D.N, dossier n° G.III.2, Cercle du Haut-Ouergha, Caïd Ali ou Jdidi .

⁷³⁷ - وُصف في أحد التقارير بالشخصية الأنانية والمراوغة، وشخصية لا يظهر عليه التأثير كان محط تهديد بالإقالة في عديد المرات . أنظر: A.D.N, B.R.P., poste des BENI OULID, premier partie, période du 20 Novembre au 4 Décembre, zone intérieur 1954, p.2

القايد السابق بشكل مؤقت (خليفة) في قيادة بني وليد، وهو الذي اعتبره رئيس الدائرة الأكثر أهلية لخلافة القايد⁷³⁸، حيث أرفق رئيس الدائرة تقريره ببطاقات تعريفية للمرشحين الثلاث.

2-3- القايد سي مفضل بن محمد الداودي

هو قائد قبيلة مثيوة إحدى أكبر قبائل دائرة ورغة العليا من حيث الامتداد الجغرافي والموقع الاستراتيجي والحساس للجهاز الفرنسي، فهذه القبيلة كانت في قلب النزاع الفرنسي مع المقاومة المحلية والريفية بالمنطقة إبان حرب الريف، حيث اعتبرت السيطرة عليها في سنة 1926 بمثابة السيطرة النهائية على الشريط الحدودي للدائرة، كما ظل شريطها الحدودي مع المنطقة الإسبانية هاجسا يوميا، حاضرا في قلب السياسة التديرية الفرنسية للمنطقة.

عين لمفضل قائدا على القبيلة بتاريخ 30 يناير 1940 بعد وفاة القائد سي المهدي الداودي، وتولى قيادة القبيلة قبل تاريخ تعيينه كخليفة منذ سنة 1935، نتيجة عدم قدرة عمه الداودي على أداء مهامه بسبب مرضه، حيث لقي رضا كبيرا من قبل رئيس مكتب تاونات le Capitaine DUGRAIS، الذي عبر عن احترامه وتقديره له نتيجة إستقامته⁷³⁹.

فقد تميز بالعمل تحت الأوامر والإلتزام بتطبيقاتها، إضافة إلى إلتزامه بمواعيده واستعماله للسلطة بشكل متميز، مضيفا في الشئاء عليه قائلا: " لديه حس جيد بالأرض، الذي يؤكد قضاءه على المكائد -مثلا عند بني بربر- يعطي الثقة، يحمي الناس البسطاء، فهو محبوب ومحترم"⁷⁴⁰، وقد اعتبره رئيس المكتب في ورقة ملاحظته بأنه المرشح الوحيد والمؤهل لشغل منصب قيادة قبيلة مثيوة، مستخلفا عمه المهدي الداودي، دون أية مشاكل وبدون

⁷³⁸ -A.D.N, Lettre n° S.G.RF/2, du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général, Chef de Région à Fès, objet : **remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID, Taounat**, le 21 Juin 1947.

⁷³⁹ - A.D.N, Lettre n° 446D.A.P./2, du Directeur des Affaires Politique au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : **commandement de la tribu des Mtioua**, 13 Janvier 1940.

⁷⁴⁰ - A.D.N, Capitaine DUGRAIS, Chef de Bureau de Taounat, **feuille d'observation générales et proposition diverses**, 13 Décembre 1939.

عناء في ممارسة مهامه عندما يغيب عمه. الأمر الذي يمكن اعتباره بمثابة تزكية رسمية من رجل سلطة فرنسي محلي يشرف على تتبع وتقييم مستوى الرجل.

وجاءت ورقة المعلومات الخاصة بالقائد "مفضل" الصادرة عن مكتب تاونات على الشكل التالي⁷⁴¹:

الإسم: سي مفضل بن محمد الداودي

إسم الأب: سي محمد بلحسن الداودي

إسم الأم: السعدية بنت سي محمد

مكان الإزدياد: الزاوية، قبيلة مثوية

السن: 45 سنة

الوضعية العائلية: متزوج، له ستة أطفال، بينهم فتاتين وأربع أولاد، ابن شقيق وصهر القائد

وضعية الثروة: غني إلى حد ما

المهام التي تقلدها: ناظر للحبوس بين سنتي 1927 و 1936، بين 1925 و 1926 ساعد عمه

القائد الداودي في الحصول على خضوع القبيلة.

المستوى التعليمي: متعلم جدا، لديه بعض الدراية بالقانون الإسلامي.

تاريخ تقلده بالمهمة الحالية: مارس 1935

الكفاءة وطريقة عمله: مرضية للغاية وجدد صحيحة وأكثر إخلاصا.

⁷⁴¹ - A.D.N, Direction des Affaires Politique, Capitaine DUGRAIS Chef de Bureau de Taounat, **feuille de renseignements, concernant le Khalifa SI M'FEDDEL DAOUDI Khalifa du Caïd de la tribu des Mtioua**, 1939.

الموقف تجاه الحماية قبل 1925: علاقات ممتازة مع السلطات المحلية،

خلال سنة 1925 وبعدها: جد مخلص، وأكثر احتراماً

العلاقات والنفوذ في الوسط الأهلي: جد نافذ وجد محبوب بقبيلة مثوية، بفضل سمعة عائلته ونشاطه

الشخصي.

الأوسمة والشهادات: لا شيء

المشاكل والعقوبات قبل وخلال هذه السنة: لا شيء.

من خلال الورقة التعريفية بشخصية لمفضل، سيتضح بأنه شخصية ذات مرجعية أسرية لها تاريخ طويل في مهمة التقايد وتتمثل السلطة بقبيلة مثوية⁷⁴²، حيث يعتبر أفراد عائلة الداودي من الأعيان الرئيسيين بقبيلة مثوية، كما تتميز هذه الشخصية بتعليمها الجيد وتقلدها لمهمة نايب الحبوس، إضافة إلى الخدمات التي قدمها إلى جانب عمه في فترة حرب الريف وضمان سيطرة المستعمر على مثوية، نظراً للمكانة التي تحتلها العائلة بداخلها.

تزيكية ثانية سيحصل عليها لمفضل وهذه المرة من قبل رئيس الدائرة **THAIBAUD** الذي قال عنه: "رئيس أهلي بماغ جيد، يقود فعليا قبيلة مثوية منذ مرض عمه. يمارس قيادته بالجمع بين اللطف والسلطة. على دراية كبيرة بالأموال والناس بالمنطقة المجاورة، ومدرك لأساليبنا، ويستحق بجدارة أن يخلف عمه القايد الداودي"⁷⁴³.

هاتين التزيكيتين من رئيس الدائرة ورئيس مكتب تاوانات، توضحان بشكل جلي التوافق التام حول شخصية القايد لمفضل وتوفره على المؤهلات الشخصية والكارزمية للقائد المطلوب، فإن كان رئيس المكتب ركز على

⁷⁴² - les Officiers de Renseignements du Cercle de Fès, op.cit, p.5

⁷⁴³ - A.D.N, Note du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, sur **le khalifa SI M'FEDDEL**, 14 Décembre 1939.

خصائصه في التدبير، بتقييم الرجل في الوسط الأهلي المحلي والمكانة التي يحظى بها، فرئيس الدائرة ذهب إلى أبعد من ذلك ورصد النقط الحساسة والمميزة في الرجل، وهي درايته بالجمال الحدودي للمنطقة ومعرفته بجوار القبيلة وأناسها من المنطقة الإسبانية وبالأساليب الفرنسية المتبعة⁷⁴⁴.

كل هذه الملاحظات تحيل على مواصفات الرجل القيادي المنشود لسلطات الحماية، بمواصفات استثنائية بالنسبة للفرنسيين، خاصة في مسألة الإشراف الحدودي، فدراية الرجل بالناس والأرض بهذا المجال دليل على أنه لن يفلت لا صغيرة ولا كبيرة بمنطقة لاطالما شكلت بؤرة الخوف والتهديد، الذي قد يحل بالدائرة من المنطقة الإسبانية أمام تماس القبيلة مع قبيلة صنهاجة السراير ذات الصيت القديم في التمرد والتهديد للمنطقة.

هذه الاعترافات في حق الرجل كرجل استثنائي على جميع الأصعدة، ستحضر أيضا في مراسلة مدير الشؤون السياسية لمستشار الحكومة للتأكيد على أحقية الرجل بالمنصب، بفضل مؤهلاته التي تسمح له بذلك، تبعا لما وصله من رئيس جهة فاس الذي اقترح تعيينه لخلافة عمه المهدي الداودي، حيث يقول: "هذا المرشح هو ابن أخ المتوفى. كان خليفته منذ سنة 1935. شخصية صريحة ومنفتحة، يتمتع في القبيلة بالسلطة بلا منازع فيها تأكدت خلال الأحداث التي وقعت في سنة 1938 بفرقة بني بربر المجاورة للمنطقة الإسبانية"⁷⁴⁵.

من خلال شهادات رئيس الجهة ورئيس الدائرة وما ورد في الورقة الاستخباراتية الخاصة بالقائد، تتضح أهمية الرجل في تثبيت السيطرة على المنطقة الحدودية، بداية من المساهمة في خضوع قبيلة مثيو وإمساكه الأمور بقبضة من حديد، وصولا إلى مهامه كناظر وكشخص عارف بالقضاء الإسلامي، والانتماء إلى عائلة نافذة بالقبيلة، سيتضح أن الرجل قدم خدمات جليلة للفرنسيين وأن مسألة تعيينه أصبحت أكثر ضرورة بعد أحداث بني بربر⁷⁴⁶.

⁷⁴⁴ - ibidem.

⁷⁴⁵ - A.D.N, Lettre n° 446D.A.P./2, du Directeur des Affaires Politique au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : **commandement de la tribu des Mtioua**, 13 Janvier 1940.

⁷⁴⁶ - ibidem.

من خلال ما قيل في حق هذا المرشح لخلافة عمه المهدي الداودي، يمكن القول أن لمفضل بن محمد الداودي قد قدم أوراق اعتماده للسلطات الفرنسية منذ أيامه الأولى إلى جانب عمه، كمشروع واعد لقائد متميز لم تسجل عليه أي نقطة تموقف من سلطات الحماية أو القيام بعمل ضدها.

كما أن رسالة مدير الشؤون السياسية، أبانت عن ما كان يهم السلطات الفرنسية في اختيار القايد، حيث تميز بالخدمات التي قدمها للفرنسيين، التي أبانت عن إخلاصه لهم وتمتعه بالشخصية القيادية في المواقف الصعبة، كرجل يعي حساسية المنطقة، لترك مسألة المميزات المادية وغيرها للمرتبة الثانية " سي مفضل بن محمد الداودي هو رجل نبيل خير وحازم وجدير بالثقة أكد ولاءه وتفانيه. أخيرا، وضعيته المادية مريحة. لذلك لا أحد مؤهل أكثر منه لممارسة القيادة، بسبب موقعه الحدودي الذي يتطلب من قائده تأثيرا شخصيا، ومعرفة دقيقة بالمنطقة ونشاطا كبيرا"⁷⁴⁷.

نسخة من ظهير رقم 64 لتعيين القايد لمفضل رسميا قائدا على قبيلة مشوية (1940).⁷⁴⁸

الحمد لله

نسخة كهنيس مشوية

64

خداوند ارغیر فیصله قضی که کلافه و منافع الهه و سلام
 علیکم و رحمت الله و بجز من و منافع علیکم خداوند ارغیر
 لمفضل بحکم الدوام و اسنن ناریه انشخیز امور کم
 مندر کم ان تسمعو او تخیمعو املا او لیقله و اراو
 و انتم من امور خداوند انشخیز امور کم الله به
 و اسعدکم بکم و منافع الکلی لملک به رضاه و اسلام
 من حاجت الحرام علم 1358 هـ من سجل هذا الرکن
 انشخیز به انوار اکا الکبری بتاریخ²⁰ حجة عام الحواما
 30 نیدار سنه 1340 هـ به الامم
 محمد المنیر و منافع الهه

⁷⁴⁸ - A.D.N, dossier n° G.III.2, Caïd Si M'feddel ben Mohamed DAOUDI.

3-وضعية قياد الدائرة والظرفية السياسية للمنطقة الحدودية (1954-1956)

عرف قياد الدائرة خلال مرحلة ظهور خلايا جيش التحرير وتسرب العناصر الوطنية صوب المنطقة الإسبانية، تحديات ومخاطر زعزعت ثقلها الرمزي بالمنطقة، وهددت بنسف تواجدهم في حالة استمرارهم في قطيعة القضية الوطنية الأولى المتمثلة في الاستقلال وعودة الملك الشرعي للمغرب، حيث برزت الحدود كمعقل للمشاكل التي تهدد الدائرة والسيطرة الفرنسية بالمغرب، فقد واجه القايد الداودي تحديات كبيرة مع انتشار مشكل التهريب، كما برز ابنه كشخص لم يستطع الرقي إلى تطلعات مصلحة الشؤون الأهلية بمكتب حدادة وتاونات، لتجاوز التحديات التي خلقتها حدود قبيلة مثوية.

3-1- السياسة التدبيرية للقايد الداودي (الأب) وخليفته (الإبن) بين الرضا والتقصير

أ- تمسك الجهاز الاستعماري بالداودي الأب والإبن (مثوية)

مع توالي شهور سنة 1954 أصبحت الوضعية الصحية للقايد الداودي (لمفضل) تتدهور بشكل مستمر، الأمر الذي خلف انزعاجا لسلطات الحماية، التي اعتبرته أمرا غير محمود في ظرفية جد صعبة، نظرا لما لهذا القايد من دور مهم طيلة سنوات عديدة في ضبط مجال قبيلته، بفضل النفوذ الذي يتمتع به، فأصبحت بحاجة إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، في ظرفية أصبح فيها الحس الوطني لدى المغاربة يزداد قوة، مستغلا في ذلك المرور عبر حدود قبيلة مثوية مع الجارة الإسبانية⁷⁴⁹.

تسرب هذا الحس الوطني وبرز رجال وطنيين بالمنطقة، جعل القايد وعائلته أكثر عرضة للتهديد من قبل الوطنيين المغاربة، تبعا لسياسته التي كانت تعبر عن الولاء التام لفرنسا، "يبدو أن عائلة القايد ما زالت تعيش في

⁷⁴⁹ - A.D.N, B.R.P, poste d'el HADDADA, 1^{er} partie-zone intérieure, période du 5 au 20 Octobre 1954, p.1

هدوء وتبني ضبط النفس منذ أحداث غشت⁷⁵⁰، مما يوضح كيف أن القائد وعائلته أصبحوا محط استهداف، خاصة أمام ما أصبح عليه وضع التهريب بالمنطقة الذي انتقل من نشاطه الاقتصادي المحض إلى العمل السياسي وتهريب الأشخاص (الوطنيين) والسلاح مستقبلا.

صرح ابن القايد الداودي الذي كان يخلف أباه في قيادة المنطقة، برغبته في التخلي عن قيادة فرقتي تيموراس وبني خالد، وهو الأمر الذي قوبل بالرفض من قبل رئيس مركز حدادة، معتبرا أن مثل هذا القرار سواء بالنسبة للأب أو للإبن لا يجب الاستخفاف به، ما دفع الخليفة سي الحاج محمد (ابن القايد لمفضل) إلى الاستمرار في قيادة هاتين الفرقتين بشكل إلزامي، علاوة على كونها صحيحة بحكم مهنته كخليفة⁷⁵¹.

عبر رئيس مركز حدادة بعد إصرار ابن القايد الداودي على إعفاء أبيه من تسيير الفرقتين، عن إمكانية النظر في طلب الإبن الحاج محمد بن لمفضل الداودي، والنظر بتمعن في المسألة وإمكانية قيادة الفرقتين من قبل شيعي الفرقتين. لكن مسألة تعويض القايد الداودي والقيام بمهامه مؤقتا أو دائما لن تكون إلا من نصيب إبن القايد الذي يساعد والده في أداء مهامه منذ 1950 بعد أن أصبح يشغل كخليفة لجانب أبيه⁷⁵².

تشبث الجهاز الإداري الفرنسي المحلي بالحفاظ على ولاء عائلة الداودي، يوضح مدى الخطورة التي أصبحت تكتسبها الأوضاع المحلية بقبيلة مثوية الحدودية، في ظل عدم قبول أية استقالة أو تغيير للسلطات المحلية، الأمر الذي قد يعطي انطبعا عن تفكك روابط التوافق بين أعيان القبيلة وعلى رأسهم الداوديين من جهة والسلطات الفرنسية من جهة ثانية.

التمسك الفرنسي بالقايد الإبن لخلافة أبيه، نابع من عدم السماح لشرح القطيعة بالظهور ولو من باب التأويل لدى الساكنة المحلية، كما أن القايد الداودي اعتبر مسألة استمرارته في قيادة القبيلة ممكنة، وأنه سيستمر في

⁷⁵⁰ - ibidem

⁷⁵¹ - ibidem

⁷⁵² - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, période du 20 Octobre au 5 Novembre 1954, p.1.

التبعية فقط لسلطات المراقبة لوحدها على الرغم من الظروف الصحية والتهديدات من قبل الوطنيين، وأن اتباع سياسة نشيطة بالمنطقة سيمكن من وضع جميع الإضطرابات الممكنة في الحسبان، بعد أن لاحظ انقساماً في العمل السياسي لدى الوطنيين، الأمر الذي خلف لديه ارتياحاً من تنامي التهديدات بمنطقة إشرافه، حيث يقول: "في السابق نجد الرعب يذهب إلى الجبل، بينما أصبحت الآن المدن خطيرة"⁷⁵³.

بعد قيام القايد برفقة وفد من ستون شخص -عمل على اختيارهم بعناية من قبيلة مثوية- بالتوجه إلى الرباط بمناسبة المولد النبوي حيث رؤيته للمظاهرات الراضية للسلطان المفروض، جعلته يتشبث بموقفه بأن البادية أكثر أماناً من المدينة ويجذب البقاء في وسط قبيلته، التي لم يكن يؤرقه بها سوى فرقي تموراس وبني خالد اللتان استمر ابنه الحاج في المطالبة بفصلهما من محاله الإداري لقبيلة مثوية، حيث ينوب فيها عن أبيه⁷⁵⁴.

تعددت مبررات الإبن للتخلص من المشاكل الحدودية للفرقتين، فحسب ما جاء بالنشرة الاستخباراتية، برر ذلك بأنه "أراد أن يكرس نفسه أكثر لمراقبة ممتلكات العائلة؛ ولكن يبدو أن لديه أسباب أخرى: ربما يريد تفادي الكثير من المسؤولية في قيادة الفرقتين الصعبتين من القبيلة، (خاصة من زاوية التهريب)، ومن الممكن أيضاً رغبته بأن يصبح من السهل لديه أن يكون أكثر تفرغاً لقصد مكان آخر، وهو ما يجب تجنبه بأي ثمن"⁷⁵⁵.

الفرضيات المقدمة من رئيس الدائرة حول مغزى إصرار ابن القايد على إعفائه هو وأبيه من فرقتين بالقبيلة، أو الإيحاء برغبة الداودي في التحلي عن القيادة ولو من منظور التأويل، يوضح الحساسية التي أصبحت عليها قبيلة مثوية والمناطق الحدودية منها على وجه التحديد، من درجة الخطورة البالغة في إمكانية تنامي العداء من قبل الوطنيين وعناصر جيش التحرير لعائلة الداودي، كمحاولة للإفلات من أن تصبح هذه العائلة محط تخوين واستهداف من قبل

⁷⁵³ ibidem

⁷⁵⁴ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, zone intérieure, période du 5 au 20 Novembre 1954, p.1

⁷⁵⁵ - ibidem

خلال جيش التحرير التي كانت تطالب بعدم التعاون مع المستعمر، أو إبعاد تهمة الخيانة والنظرة الاحتقارية من قبل أفراد القبيلة.

تشبث الحاج محمد باستقالته والقول بأنه سيعطى له قيادة قبيلة مجاورة تبعا لما نشره أحد مخبريه، خلف إستياء لدى الفرنسيين من انتشار مثل هذه الشائعات، التي تجاوز صدها حدود القبيلة إلى المنطقة الإسبانية، حيث صرح العقيد **Ramos** المسؤول بقبيلة كتامة بموقفه تجاه المسألة قائلا: " لن يرتكب أبدا الفرنسيون خطأ الزيادة في قيادة الداودي، خاصة في البلاد الحدودية: الداوديين جديدين مع قبيلة مثوية"⁷⁵⁶.

أقر الجهاز الفرنسي بصحة وجهة نظر الجانب الإسباني، مما يوضح التداخل الحاصل بين المنطقتين، وأهمية ما كان يقوم به قياد المنطقة الحدودية وحساسيته بالنسبة للجانبين، من خلال تتبع المسؤول الإسباني لما يجري وما يروج من أخبار بالمنطقة الفرنسية، الأمر الذي يؤكد التداخل الاستخباراتي بالمنطقة الحدودية بين الجانبين والإقرار به علانية. فعلى الرغم من تدهور الحالة الصحية للقائد الداودي وكثرة مشاكله وتنقله المستمر للداودي، لم ينقص هذا الأمر من نفوذ الداودي على قبيلته ولا من حجم السيطرة الكاملة عليها، أرجعه الفرنسيون بالأساس لنفوذ العائلة ونجاح ابنه ومعاونيه في الحفاظ على هذه المكانة، بحسب ما ورد في النشرات الاستخباراتية⁷⁵⁷.

ب - استياء الجهاز الاستعماري من تقصير الداودي الابن

نجاح الابن جعله يصبح رسميا المعول عليه مكان أبيه من قبل سلطات الحماية، إلا أنه كان مع كل الخدمات التي قدمها لنيل استحسان الفرنسيين محط انتقاد من قبل رئيس مركز حدادة، الذي وجه له تهمة التقصير في المراقبة بما

⁷⁵⁶ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, période du 20 Novembre au 5 Décembre, zone intérieur 1954, p.1.

⁷⁵⁷ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, période du 05 au 20 Février, zone intérieur 1955, p.1

يكفي للفرق التي كان الشيخ يشرف عليها، فخلال ثلاث ليالي تم تهريب 300 كلف من الكيف دون أن يكون على علم بذلك⁷⁵⁸.

تقصير القاييد في مراقبة مجال أعوانه من الشيوخ، تلق على إثره عتابا كتابيا وشفاهيا من قبل رئيس الدائرة حول تقصيره في مهمة المراقبة. خاصة أنه لم يكن السبب في ضبط هذه الكمية المهربة بفرقة مرزين التي تدخل تحت إشرافه حيث الشيوخ والمقدمين يمثلونه، الأمر الذي جعل رئيس الدائرة لا يبعد احتمال تقديم الداودي الإبن للمساعدة في عملية التهريب بشكل من الأشكال، ليلزمهم (القايد، الشيوخ، المقدمين) بإخبار مصلحة الاستعلامات بجميع الأحداث المهمة التي تقع بمناطق نفوذهم⁷⁵⁹.

بعودة القايد الأب للإشراف على القبيلة بشكل مباشر برفقة إبنه الخليفة، الذي يقوم بمهمة شيخ في الوقت نفسه، سعيًا لإحكام الإغلاق على القبيلة، ظهرت مجددا صعوبات بفرقتي بني خالد وتيموراس اللتان يشرف عليهما الداودي الإبن كشيخ.

ازدياد الاختراقات لنشاط التهريب التي تعرفها الفرقتين، سيدفع الفرنسيين وعلى رأسهم رئيس مكتب "حدادة" إلى توجيه أصابع الاتهام مجددا للإبن وهذه المرة كشيخ تحت إشراف أبيه، حيث رصد الجهاز الاستخباراتي تقصير الإبن في ضبط تهريب الكيف خلال ثلاثة أيام في دوار مرزين، وعدم ضبطه لسلاح كان بالقرب من منزل المقدم وأيضا ضبط 51 بندقية تبوردة غير مصرح بها⁷⁶⁰.

هذا العتاب للخليفة الإبن، قابله القايد الداودي الأب بتقارب مع رئيس مركز حدادة بالقول أن: "تلك القيادة لتيموراس وابني خالد ستم إزالتها لسي الحاج محمد، مضيفا أنه على الدوام كان يقترح بأن خليفته

⁷⁵⁸ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Mars, zone intérieur 1955, p.2

⁷⁵⁹ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 20 Mars au 05 Avril, zone intérieur 1955, p. 2

⁷⁶⁰ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 08 Avril au 05 Mai, zone intérieur 1955, p. 2

لديه قيادة فرقة"⁷⁶¹، وهو ما يوضح محاولة إبعاد الأب عن إبنه تهممة التواطؤ مع المهريين، وتبرير ذلك بنقص كفاءته لقيادة القبيلة وأنه يصلح فقط لقيادة فرقة.

التوافق بين الأب ورئيس المركز، جعل هذا الأخير لا ينفي محاولة الداودي الابن تدارك الوضع بسرعة وتحسين صورته من خلال منع التهريب في الفرق التابعة له، بعد أن أوقف شخصين من قبيلة مزيات كانا عائدتين من المنطقة الإسبانية محملين ب 50 كلف من مادة "طابة"، وفاسيين كانا يحملان أكياس فارغة موجهة لتهريب "الكيف"، معتبرا أن الداودي الابن يصلح أكثر كمعاون لأبيه ويجب عدم تركه شيخا، لديه فرصة مواتية ليصبح على رأس إحدى فرق الصعبة برجالها، الذين من المرجح أن يكونوا في الخدمة ومثابة ثقل وازن للداوديين⁷⁶².

سعى من رئيس الدائرة لتجاوز التقصير الحاصل إستخباراتيا من قبل الداودي الابن كخليفة، فقد جعل هذا الأخير ملزما على القيام بتحركات مكثفة داخل القبيلة، خاصة على الجانب الحدودي، فأصبح يشارك في جميع الخرجات المنجزة داخل القبيلة من قبل الدوريات، حاضرا في جميع العمليات حول ممرات مهربي الكيف التي تم التعرف عليها إستخباراتيا، فأصبحت مهام الشيوخ أكثر نشاطا وتفعيلا، حيث أعطيت لهم أوامر للعمل بشكل أكثر على رصد ما يجري في الفرق، حيث كان يتم توقيف المشتبهين بالانتماءات السياسية (الوطنيين) أو الارتباط بالتهريب في المنطقة، والبحث عن الأجانب المتواجدين بالقبيلة، والإبلاغ عن أي حوادث تسجل من قبلهم⁷⁶³.

هذه التحريات والتحركات ماهي حقيقة إلا إجراءات من قبل السلطات الاستعمارية للحد من توافد الوطنيين على المنطقة، الطامحين في إيجاد أرض خصبة لنشر الفكر الوطني، أو تعزيز خلايا نائمة لجيش التحرير تعمل على تأطير عناصرها، قبل انتقالها لمرحلة العمل المسلح والعمل الفدائي، ومهاجمة المصالح الفرنسية ورجالها من معمرين ورجال السلطة والمتعاونين معهم من المغاربة.

⁷⁶¹ - ibidem

⁷⁶² - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 08 Avril au 05 Mai, zone intérieur 1955, p. 2

⁷⁶³ - A.D.N, B.R.P, poste d'el Haddada, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Mai, zone intérieur 1955, p. 1.

إضافة إلى ما ذكر فالتناقض الحاصل في الجهاز الاستخباراتي حول تقييم تدبير القايد الداودي الإبن للمنطقة، قد يمكن إرجاعه إلى عدم تقبل السلطات المحلية للإنفلات الذي أصبح حاصلًا بالمنطقة، كنتيجة لاستمرارية الشرح الذي حصل بين القصر والوطنيين من جهة وسلطات الحماية من جهة ثانية، مما جعل الضباط الفرنسيين غير قادرين على الإقرار بعجزهم في ضبط هذا المد السياسي الوطني، ملصقين تقصيرهم بالقياد ومعاونيهم الذين كانوا الأداة الأمثل، والتي وظفوها طيلة سنوات للسيطرة على الوضع الأمني بالمنطقة وإنزال الإجراءات التدبيرية التي تريدها سلطات الحماية.

3-2 قياد مكتب بني وليد

أ- موقع القياد بين رضا الجهاز الاستعماري وتهديد الوطنيين.

سعيًا من سلطات الحماية لتجاوز مسألة تأثر أبناء الأعيان بما تعرفه فاس من انتشار للحس الوطني خاصة المتمدرسين منهم بـ"جامع القرويين"، مخافة نقل وعيهم السياسي الذي قد يتشكل نتيجة الاحتكاك مع الوطنيين، والذين ينتمون إلى نفس الجامعة، فكانت هذه السلطة تتخذ عديد الإجراءات لتفادي تبعية أبناء الأعيان لهذا التيار الوطني.

رصد الجهاز الاستخباراتي وجود معلومات عن عبد نبي ابن القايد الحاج العيد، الذي هو تلميذ بالقرويين وينتمي لعائلة وازنة بصنهاجة الظل، حيث اعتبر بعد مراقبته على أنه أصبح ذو ميولات وطنية، بعد موقفه الواضح من الأحداث التي وقعت بفاس خلال شهر غشت من سنة 1954، التي انخرط فيها تلامذة القرويين.

بعد انخراط الإبن في أحداث فاس، أصبح القايد لعيد محط إبلاغ من الجهاز الاستخباراتي بالمنطقة للعمل على ثني الإبن عن المشاركة في الأحداث التي قد تقع مستقبلا بفاس أو نقلها للمنطقة، فلم يجد القايد أفضل هذه الحلول غير تزويج الإبن، كدريعة لإبقائه بالقرب منه ومن السلطات الفرنسية، خاصة في ظل تواجد عناصر من عائلته

بالقرويين عملوا على محاولة دفع الإبن إلى عدم الخضوع للإرادة الفرنسية، لكونه يعتبر امتيازاً للدعاية الفرنسية في حالة قبل البقاء بمنطقته⁷⁶⁴.

نظراً لما للقياد وأعوأهم من أثر واضح في التأثير على نشاط الوطنيين والتضييق عليهم وعلى عناصر جيش التحرير لصالح سلطات الحماية الفرنسية، ووعياً من الوطنيين المغاربة بهذا التأثير، عملوا على الدفع برسائل الوعيد والتهديد للعناصر المغربية التي تستمد رضا الفرنسيين من خلال التضييق على الساكنة والوطنيين، الراضين للتواجد الفرنسي أو المطالبين بعودة السلطان. وقد تلقى القايد **عمر لعربي** رسالة تهديد بتصفيته، موقعة من "القيادة العليا للمقاومة المغربية"، حاولت النشرة الاستخبارية إظهار عدم مبالاة القايد بهذه التهديدات، بمقابل عدم تلقى القائدين الآخرين لأي تهديد⁷⁶⁵.

هذا التهديد لقايد دون غيره تجعل إمكانية عديد القراءات ممكنة، من بينها وجود مطامع للقايد **عمر بن العربي** واضحة في تمديد نفوذه بالقبيلة في فترة حساسة، ما يبين وجود حماس لدى هذا القائد في تقاسم المزيد من الخدمات للسلطات الفرنسية، بوجود شغف للاستئثار بالسلطة. والجانب الثاني هو ما عبر عنه القائد في التقرير نفسه من خلال رئيس مكتب بني وليد، عن انزعاجه من الانقسام الحاصل بين القيايد حول مسألة العرش، الذي يجعل حركة القيايد مشلولة وغير موحدة⁷⁶⁶، وهو ما قد يحيل على وجود موقف مبكر للقايد من مسألة العرش وعودة السلطان محمد بن يوسف.

تأثير العمليات التي تستهدف الشخصيات المنحازة للسلطات الفرنسية، دائماً ما كان يلقي وقعا لدى الشخصيات الأخرى مخافة أن تصاب بمكروه، نتيجة هذا التعاون مع الفرنسيين وعدم الإنحياز للوطنيين، حيث

⁷⁶⁴ - A.D.N, B.R.P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Octobre au 4 Novembre, zone intérieur 1954, p.1

⁷⁶⁵ - A.D.N, B. R.P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Février au 4 Mars, zone intérieur 1955, p.1

⁷⁶⁶ - ibidem

عملت التقارير الفرنسية على إبراز مدى تشبث معاونيها بالتعاون معها وتقديمهم كنموذج للمتعاونين الآخرين، خاصة بمدينة فاس، التي لسكان المنطقة وقيادها ارتباط وثيق بها وبما يقع فيها⁷⁶⁷.

حرص الفرنسيين من خلال معاونيهم على ضرورة عدم إظهار الضعف، سيصبح كسلسلة من الإنهيار في جهازها الإداري بالمكون القبلي من المتعاونين المغاربة، حيث ظهر هاجس تتبع أوضاع القياة المحليين وجس وضعهم الداخلي في علاقتهم بالوطنيين، ورصد حالتهم النفسية في ظل إمكانية تعرضهم لخطر محقق أو استهداف من قبل عناصر جيش التحرير، الذين أبانت تقارير سابقة عن بداية ازدياد نشاطهم.

ب- القايد عمر الزموري (صنهاجة الشمس) وضبابية القراءة الفرنسية

أوضح أحد التقارير الاستعلاماتية الفرنسية اندهاش القايد عمر **Aomar** من الثبات الذي أظهره الكتاني الأب في الهجوم الذي أصاب ابنه، حيث صادف تواجد القايد بفاس إستهداف ابن الكتاني الذي تعرض لهجوم من قبل الوطنيين. مسجلا عودة هذا القايد إلى تجديد إتصالاته الودية مع القايد رحو والبقالي بفاس ورجوعه إلى مكانه الطبيعي نظرا لما أصبح لديه من قلق وخوف على نفسه، "هذا الزعيم المغربي لا يزال قلقا للغاية بشأن الوضع الداخلي المغربي، ويأسف لغياب القرار حاليا"⁷⁶⁸.

التفسير الفرنسي يوضح مدى الإنزعاج الفرنسي من عدم الثبات في المواقف أو التعبير عن الضعف من قبل أحد القياة تجاه ما يقع من هجمات، كما أن الملاحظات المتكررة حول عدم حضور القايد عمر في قبيلته، فقط فيما يخص المهام الإدارية والرسمية التي تنظم في علاقته بالقبيلة أو رئيس مكتب عين مديونة، الذي لم تكن علاقاته جيدة

⁷⁶⁷ - A.D.N, B. R. P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 20 Mars, zone intérieur 1955, p.1

⁷⁶⁸ - ibid, p. 2

مع هذا القايد، عبر عن تدبده في مواقفه واهتزازه في ظل استهداف الهجمات والتهديدات لباقي زملائه في الدائرة⁷⁶⁹.

عبر رئيس ملحقة بني وليد للشؤون الأهلية في نشرة للإستعلامات السياسية، عن هذه العلاقة الغير الجيدة بين القايد ورئيس مكتب مديونة، قائلا: "العلاقات بين هذا القايد و رئيس مكتبه تعود تدريجيا إلى مسارها الطبيعي. يبدو أن موقف عمر المشبوه كان بسبب حقيقة أن رئيس المكتب إستقبل مرارا وتكرارا مخبرين مشكوك فيهم كثيرا أو قليلا، و مستهدف من مجموعة أعدائه في القبيلة"⁷⁷⁰.

تحليل كلام رئيس مكتب بني وليد، يوضح ازدواجية في التموقف من هذا القايد، والشك في مدى إخلاصه في أداء مهامه لسلطات الحماية من قبل رئيس مكتبه بعين مديونة، الذي أصبح يشك في ميولاته السياسية بعد توصل القايد حسب زعمه بالتهديدات، وبين موقف رئيس ملحقة بني وليد الذي يشرف على الإثنين معا، الذي ركز على كون القايد لم يثبت ضده شيء بقرائن دامغة، وأن مسألة الإعتماد على مخبرين غير حياديين قد يسقط رئيس مكتب عين مديونة في التقييم الخاطئ في تقاريره⁷⁷¹.

يبقى الأمر الآخر الذي يمكن أن يستنتج من خلاصة قول رئيس مكتب بني وليد، هو أن تقييم رئيس مكتب بني وليد لم يكن وليد تخمين خلال مرحلة الشك في القايد سابقا، بل كل التقارير السابقة كانت تشير إلى عدم وضوح موقف القايد عمر بناء على ماكان يستعين به من تقارير رئيس مكتب عين مديونة، الأمر الذي لم يمكنه من وضع تقييم حقيقي للوضع مسبقا، وأن التقييم الحالي جاء بعد إنجازه لتحقيق خاص حول الذي كان ينسب للقايد، باعتماد مخبرين أكثر مصداقية من الذين اعتمد عليهم رئيس عين مديونة، خاصة مع وجود طموحات لدى القايد عمر في توسيع مجال نفوذه على فرقة صنهاجة الظل.

⁷⁶⁹ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Mai au 3 Juin, zone intérieur 1955, p.2

⁷⁷⁰ - ibidem.

⁷⁷¹ - ibidem.

ت - عزل القايد لعيد (صنهاجة الظل)

صرامة تعامل الجهاز الفرنسي مع مسألة تقصير أي قايد في مهامه، أو تورطه في تجاوزات، تؤدي به إلى عدم تواجد توافق تام حوله من قبل فرق القبيلة التي يشرف عليها، وكذا الجهاز التدبيري المحلي الممثل في رئيس المكتب، سيؤدي بالقايد الحاج لعيد إلى العزل من مهامه، الأمر الذي استحسنه عديد الفرق المؤثرة بقبيلة صنهاجة الظل (ولاد أزم وبني قورة)⁷⁷².

إقالة القايد السابق من مهامه سيخلف إستياء فرقة بوعادل، التي ستعود لسكة التوافق بعد قبول ترشيح القايد عمر الزموري (قائد قبيلة صنهاجة الشمس) لهذا المنصب، هذا الأخير الذي بعد تحقق رضا إحدى الفرق تجاهه سيعمل على البحث عن تحقيق إجماع لقياد دائرة ورغة العليا حوله، فقد عقد اجتماع مع زملائه (القايد رحو، اليزيد، البقالي، بزاري Bezzari، فشتالي، لعموري Lamouri، أحمد بن علي) وقياد الدائرة للتدارس حول معاناة كل من القايد لحلو والداودي⁷⁷³، بهدف النزول بثقله لدفع باقي القياد للتسليم بأحقية الريادة.

لكن مسألة دخول القايد عمر كمنافس للقائد السابق وخليفته عبد الله، لم يكن سوى كمحاولة من الجهاز الفرنسي للحفاظ على طموحات هذا القايد في خدمة المستعمر، ومعه الرفع من التنافسية حول قيادة قبيلة صنهاجة الظل، التي من المؤكد أن فرقها لن تجتمع حول اختيار قائد من قبيلة مجاورة لها من نفس القبيلة الأم (صنهاجة مصباح). خاصة مع ما تميل له القبيلة من الرغبة في الحفاظ على استقلاليتها إداريا، من خلال التبعية لقائد محلي ينتمي لأعيانها، يحرص على الدفاع عن مصالح ساكنتها ويمنع تجاوزات القبائل وقياد المناطق المجاورة عليها، وهي الخصائص التي يتوفر عليها الخليفة عبد الله الذي ينتمي لنفس القبيلة وله استمرارية حضورية وتجربة في تسيير القبيلة

⁷⁷² - A.D.N, B. R. P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Mars au 4 Avril, zone intérieur 1955, p.1

⁷⁷³ - ibidem

من منطلق خلافة القايد⁷⁷⁴، حيث سينزل هذا القايد بثقله الاقتصادي لاستمالة أعيان القبيلة⁷⁷⁵، ليعين في نهاية المطاف قائدا على فرقة صنهاجة الظل.

⁷⁷⁴ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Mai au 3 Juin, zone intérieur 1955, p.2

⁷⁷⁵ - لمعرفة الشكل الاقتصادي المتبع من قبل الخليفة عبد الله أنظر الجزء المخصص للحديث عن التنافس الحاصل بين القيايد والمرشحين لخلافة القايد الحاج لعيد.

المحور الثاني: الجهاز الاستعماري بين تجاوزات قياد المنطقة، والتنافس في خدمته .

1- تجريد القايد ولد جديدي من مهامه

سيكون هنا الحديث مباشرة في حيثيات تجريد هذا القايد من سلطاته، بعد حرمانه من ممارسة مهامه على قبيلة

بني وليد، بحكم أنه قد تم التعريف سابقا بالقايد علي ولد جديدي، حيث جاءت مجريات هذا العزل وفق تراتبية زمنية

وإدارية طويلة مدة أربع سنوات تقريبا، بداية من تقرير رئيس الدائرة وصولا إلى الإقرار بعزله رسميا من مهامه.

وقع هذا القائد محط عدم الرضا من قبل رئيس مكتب الدائرة، الذي رفع تقريراً حول إيقافه عن ممارسة مهامه

سنة 1947، بعد أن أصبح متهما في قضية اختطاف طفل وقتله، وفي سنة 1948 سيتهم في قضية الزور باستعمال

التزوير للحصول على أرض، وبذلك أصبح القايد موضع انتقاد واتهام، مع تركيز تقرير رئيس الدائرة على عدم قدرة

القايد على أداء مهامه صحيا وعقليا وأخلاقيا، وعجزه عن مزاولة مهامه، وأن قبيلته لم تعد تعترف بسلطته عليها.

هذا الأمر قد يجر إلى التساؤل ما حقيقة هذه التهم والأسباب الحقيقية لإلحاح رئيس الدائرة على إقالة هذا

القايد، بعد أن وجد التهمة التي ربما كان ينتظرها ليضفي المشروعية على قرار توقيفه، الأمر الذي لم يتقبله ولد

جديدي الذي أظهرت مراسلاته أنه ظل متشبثا بالعودة إلى منصبه، وتأكيد على قدرته في ممارسة مهامه.

1-1 تقرير رئيس الدائرة ودفعات ولد الجديد لتبرئة ذمته:

أ- خلاصة تقرير رئيس الدائرة:

تتبع تقرير رئيس الدائرة Lt-Colonel MARTINIE يحيل على عدم رضا رئيس فرنسي على معاونه المغربي ورغبته في عزله من مهامه بأي شكل من الأشكال أمام تعدد هفواته، حيث وضع على رأس تقريره المرسل إلى رئيس الجهة طلب إحالة القايد علي وجديدي على التقاعد⁷⁷⁶.

أشار رئيس الدائرة في تقريره إلى أنه قد وضع من قبل هذا التقرير تقريراً في سنة 1946، حول وضعية القيادة الأهلية للمحققة بني وليد، تتعلق حول السنتين المقبلتين لإحالة القايد علي التقاعد، وهو الأمر الذي يوضح أن تهمة قتل طفل أصبحت النقطة التي أفاضت الكأس والتي أرادها رئيس الدائرة، لإيقاف هذا القايد رسمياً والمطالبة بالتعجيل بتقاعده⁷⁷⁷.

أكد التقرير على أن القائد أصبح مسناً لا يقوى على ممارسة مهامه " في الواقع، هذا الرئيس المغربي، مسن، بدون تأثير، حيث لوحظ عليه القصور ونقص القدرات في كثير من الأحيان، تم إدانته للتو بإهمال خطير في التحقيق في قضية جنائية وقعت في مجال قيادته"⁷⁷⁸، هذا التقصير من قبل القايد دفع رئيس الدائرة إلى إعطاء ملف التحقيق لقائد مجاور له لم يتم ذكر اسمه في التقرير، حيث نجح هذا القائد المكلف بالتحقيق في إثبات وجود عملية الحرق العمد والاختطاف والقتل الخطأ، واعترفت المتهمه التي هي ابنة أخت القايد الجانية الرئيسية بالتهم المنسوبة إليها.

⁷⁷⁶ -A.D.N, Chef du Cercle du Haut-Ouergha, Rapport n° 2243, sujet : **demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid, et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH**, 21 Juin 1947. P.1

⁷⁷⁷ - ibidem

⁷⁷⁸ -A.D.N, Lettre N° S.G.RF2 , du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général Chef de Région à Fès, objet : **remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID, Taounat**, le 21 Juin 1947.

هذا الأمر يوضح الطريقة التي لجأت إليها السلطات الفرنسية لإنجاز تقارير بعد قصور القاييد في تأدية مهامه، من خلال الاستعانة بقياد آخرين، يكونون أكثر إخلاصا وطامحين لرضا ضباط المصالح الأهلية، أو ربما لعدم امتلاكهم علاقات مباشرة مع القاييد، حيث بفعل هذا التحقيق ثبت تورط القاييد في عملية تغطية على أحد فروع، وهو الأمر الذي بسببه وضع جديدي تحت أعين المراقبين الإداريين، حيث أعلمه رئيس الدائرة بحرماته من جميع أنشطته إلى غاية صدور الحكم وتحويل مهامه للشيخ سي عمر ولد حميدو رماش⁷⁷⁹.

كل المعلومات التي أوردها رئيس الدائرة ورغبته في إحالة علي ولد جديدي على التقاعد منذ 1946، بالإضافة إلى مراسلاته مع مدير الداخلية، يؤكد على أن القاييد كان محط إمكانية الاستبدال منذ 1938، مما يوضح على أن هذا القائد لم يلق القبول المراد من قبل المسؤولين الفرنسيين، الذين برروا السبب من خلال وثائقهم والتي أشارت في الغالب لكبر سن القاييد وجشعه والدفاع عن مصالحه الشخصية، وعدم توفر القدرة البدنية، وأن تورط ابنة أخته في الجريمة كان كافيا لتوقيفه عن ممارسة مهامه⁷⁸⁰.

عدم رضا رئيس الدائرة على ولد جديدي منذ 1938، الذي حصل على منصبه بعد الإعتراف له بالخدمات التي قدمها للفرنسيين في مواجهة الريفيين، ستصبح التهم الموجهة له من قبل رئيس الدائرة كافية لعزله من مهامه تبعا لما ورد في كلام مدير الداخلية، الذي اعتبر أن هذه التهم "بدت جدية بما يكفي لتكون الفرصة مواتية لإحالاته على التقاعد"⁷⁸¹.

من خلال كلام مدير الداخلية، يظهر بأن السلطات الفرنسية كانت تبحث عن الفرصة المواتية (تهمة مكتملة المراحل)، لعزل القائد من مهامه بشكل مشروع ومقبول، وإعطاء المبرر المقنع على أن الظلم مستبعد في التعامل مع

⁷⁷⁹ -ibid, p.2

⁷⁸⁰ - A.D.N, Lettre n° 244DI/POLC/1, du Directeur de l'intérieur au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : **Caïd JDIDI des Béni-oulid**, Rabat le 22 Janvier 1948.

⁷⁸¹ -ibidem

أي قايد محلي، قد يجز آخرين لفقدان الثقة في مدى نزاهة الجهاز الفرنسي وإمكانية نكرانه لجميل ما يقدموه من خدمات⁷⁸².

ب- ولد الجديد وتوضيحه لحشيات إيقافه

تتبع مراسلات ولد الجديد يحيل على عدم تقبله لقرار رئيس الدائرة، مفسرا ذلك بأن المسألة لا تعدوا عن كونها تتعلق بتصفية حسابات، كما أنه متشبت بقدرته على ممارسة القيادة عل القبيلة، حيث لم يقف جديد مكتوف اليدين بل راسل مستشار الحكومة الشرفية ليشرح له الواقعة، معتبرا أن مسألة الجريمة التي أوقفت مهامه على إثرها تعتبر سببا تافها، مادام أنه لم يشارك فيها بأي شكل من الأشكال، فبدأ في إعطاء وجهة نظره حول الموضوع بالقول أن:

"إمرأة تدعى زهرة بنت لشقر، بدون أطفال، خططت لإنجاب طفل لهذا سرقت طفل يقل عمره عن الشهر من أبويه.

توصلت بشكوى الوالدين، دون إضاعة الوقت شرعت في القبض على السيدة المذكورة التي إرتكبت السرقة. لمجرد أن هذه المرأة لها معي درجة من القرابة العائلية بعيدة جدا، تحدثني سلطات المراقبة والتحقيق مفتوح ضد الخاطفة وأسندته إلى قايد آخر من الدائرة"

فهذه هي الشكاوى المقدمة ضدي.

يجب أن أوضح سيدي، أنه لا علاقة لي بهذه القضية المحزنة، وعلاوة على ذلك فإن الاختطاف من الكبار يحدث باستمرار في المدن الكبرى بالبلدان الأكثر تحضرا، ولم يكن أبدا رجال الشرطة متورطين. أنا بلا شك موضوع مكيدة غادرة ولا أستطيع مقاومتها ولا يمكن ذلك بدون تحقيق جاد، أعتبر نفسي ضحية خطأ

⁷⁸² - أنظر الجزء الخاص بالقائد والإعتراف الفرنسي بخدمات هذا الرجل التي شفعت له لتقلد المنصب.

مؤسف، جئت يا سيدي لأناشد مقامكم العالي وعدلك العادل، من أجل استعادة وظيفتي كقائد على بني وليد (...)»⁷⁸³.

1-2- قراءة في دفعات القايد ورئيس الدائرة

من خلال تتبع كل من خلاصة تقرير رئيس الدائرة ورسالة القايد ولد جديدي، سيتضح بشكل مضمّر أن هنالك ما يكفي من الحقائق الخفية حول عدم أهلية ولد جديدي من وجهة نظر سلطات المراقبة بالدائرة، من خلال رئيسها الذي أشار إلى أن هذا القائد كان محط استبدال سابقا، كما أن هذا القايد عمل على تأكيد احتمال استهدافه ووجود فرضية المؤامرة المحبوكة ضده، وتتبع ملف هذا القائد من مراسلات وبرقيات سيظهر بشكل واضح أن هذا القائد لم يكن محط استحسان حول طريقة تأديته لمهامه من قبل الضباط الفرنسيين.

كانت الأجهزة المحلية وعلى رأسها رئيس الدائرة يبحثون عن المبرر المشروع لتنحيته وتوقيفه عن ممارسة مهامه، بغض النظر عن التهم المنسوبة إليه، هذا المعطى تأكد من خلال إحدى الوثائق وعلى رأسها الوثيقة التي أجاب فيها مدير الداخلية على مستشار الحكومة، بعد أن استفسره على حقيقة التهم المنسوبة لجديدي، حيث قال "عجز القايد جديدي خلال التحقيق الجنائي (الجريمة) أدى إلى إبعاده عن كل قيادة في 20 يونيو الأخيرة، والذي أدى إلى إثبات تورط ابنة أخته، بدت جدية بما يكفي لتكون الفرصة مواتية لإحالة على التقاعد"⁷⁸⁴، وهو الكلام الذي يؤكد صحة فرضية الرغبة لسلطات الحماية في عزل الرجل بأي شكل، فقط كان انتظار وقوعه في هفوة مكتملة الأركان.

⁷⁸³ -A.D.N, Lettre en arabe, du Caïd ALI DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le CONSEILLER du Gouvernement Chérifien, sujet: **de la demandant du chef du Cercle du Haut-Ouergha la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid**, Fès le 20 Décembre 1947.

⁷⁸⁴ - A.D.N, Lettre n° 244DI/POLC/1, du Directeur de l'Intérieur au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Directeur des Affaires Chérifiennes, objet: **Caïd JDIDI des Béni-oulid**, Rabat le 22 janvier 1948.

لم يستصغ القايد مسألة التوقيف فظل متشبثا بمسألة الرجوع لممارسة مهامه، بالقول أن التهمة المنسوبة إليه تافهة ولا ترقى لعزله، فهو محط مؤامرة مدبرة من أشخاص لا يريدونه أن يستمر في قيادة قبيلته، حيث عمل على بعث مراسلة ثانية لمستشار الحكومة الشريفة، دون أن يتلقى الرد على مراسلته⁷⁸⁵.

عدم تلقي القايد لجواب حول وضعيته سيحعله ملحا على طرق باب مستشار الحكومة لطلب العدالة في قضيته، ومصر على تبرئة نفسه من التهم المنسوبة إليه، فهو الرجل المخلص لفرنسا التي يجبها حسب قوله⁷⁸⁶، لكن مشاكل هذا القايد لن تنتهي هنا بل انضافت له تهمة ثانية سنة 1948 حول شراء أرض باستعمال الزور والتزوير، الشيء الذي جعل النطق بعزله يبقى إلى غاية وقوفه أمام المحكمة العليا الشريفة، للنظر في تهمة الأخيرة احتراما لرغبة جلالة الملك بعد التشاور معه⁷⁸⁷.

الأمر الذي يؤكد أن القايد السابق لبني وليد، لم تبعد عنه السلطات الفرنسية مراقبة جميع تحركاته والعمل جاهدة على ضبطه في تهم تزيد من توريطه ليقال من منصبه، حيث أدت به هاتين التهمتين إلى الوقوف أمام الصدر الأعظم بمكتبه بحضور الحاج الفقيه بوعشرين ورئيس المحكمة العليا والسيد عمر عواد القاضي بهذه المحكمة العليا⁷⁸⁸، ليصبح القايد في سنة 1950 وبشكل رسمي مقالا من مهامه بقرار من الصدر الأعظم⁷⁸⁸.

⁷⁸⁵ -A.D.N, Lettre n° 6207 GMII, du Caïd ALI DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, **la demandant du chef du Cercle du Haut-Ouergha de la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid**, 29 Mars 1948.

⁷⁸⁶ -A.D.N, Lettre n° 912, du Caïd Ali DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le CONSEILLER du Gouvernement Chérifien, au sujet : **Lettre du 29 Mars 1948**, 30 septembre 1948.

⁷⁸⁷ - A.D.N, lettre n° 305, du CONSEILLER du Gouvernement chérifien au Monsieur Directeur de l'Intérieur Section Politique, objet: **Caïd JDIDI des Béni-oulid**, 30 juillet 1949 .

*- أنظر حيثيات مساءلة القايد ولد الجديد حول التهم المنسوبة إليه أمام المحكمة العليا وتبريراته المقدمة، في وثيقة وجدت باللغتين العربية والفرنسية ضمن ملف القايد.

⁷⁸⁸ - A.D.N, Lettre n° 4154, du CONSEILLER du Gouvernement chérifien au Monsieur Directeur de l'Intérieur Section Politique, objet : **SI ALI OU JDIDI des Béni-oulid**, 07 Mars 1950.

2- الإدارة الاستعمارية والبحث عن بديل ولد الجديد

عدم رغبة رئيس الدائرة في استمرار القايد في مهامه، بعد الإقرار بعدم أهليته في الاستمرار على رأس قيادة قبيلته، من خلال القيام بتوقيفه سنة 1947 في انتظار أن يتم الحسم في مصيره أمام المحكمة الشريفة، سيلجأ دون انتظار للحكم للبحث عن بديل القايد، وذلك بالبحث عن خليفة له من بين أحد شيوخ المنطقة، الذي سيكون له من القدرة والخبرة ما يكفي لشغل مجال نفوذ القايد السابق بقبيلة بني وليد. استقر قرار رئيس الدائرة على ثلاث منافسين كمرشحين رئيسيين للخلافة، بفضل توفرهم على المؤهلات التي تراها سلطات المراقبة المحلية تمكنهم من الدخول كمنافسين على منصب القايد، حيث سيتم دراسة نقط قوتهم وضعفهم، من خلال العمل الاستخباراتي الذي ينجزه الضباط على شكل ورقة (بطاقة) إستخباراتية حول المرشحين الثلاث، لتكون المفاضلة على أساس مميزات يراها المستعمر - في شخص رئيس دائرة ورغة العليا- مناسبة لتعيين الشخص الأجدر.

2-1 . مميزات الشيوخ المؤهلين لشغل منصب القايد ولد جديد

أ- ورقة الشيخ محمد ولد عبد السلام من فرقة "الغرفة" بقبيلة بني وليد: ⁷⁹⁰

الإسم: محمد بن سي عبد السلام

اسم الأب: سي عبد السلام بن سي علي

إسم الأم: فاطمة بنت علي

⁷⁹⁰ -A.D.N, Rapport n° 257 HO/2.C, Chef du Cercle du Haut-Ouergha, objet : **feuille de renseignements concernant le cheikh MOHAMED OULD SI ABDESLAM de da la fraction RHARFA- tribu de BENI-OULID** , Région de Fès, Cercle du HAUT-OUERGHA, 21 Juin 1947, p.2

مكان الازدياد: رباينة - قبيلة بني وليد

السن: يفترض أنه ولد سنة 1905

الوضعية العائلية: متزوج - 8 أطفال

وضعية الثروة: متوسطة 3000 فرنك كترتيب في سنة 1946

الخدمات السابقة وتاريخها: خضع مع قبيلته سنة 1926

المستوى التعليمي: أمي

تاريخ التعيين في الوظيفة الحالية: 15 يونيو 1939

موقفه تجاه السلطات: مخلص

الكفاءة وطريقة عمله: جيد

علاقته ونفوذه في الأوساط الأهلية: بدون علاقات خارجية. تعتبر -له سلطة - إكتسب جزءا منها من الانتماء للإخوة التيجانيين* .

الأوسمة والشهادات الحاصل عليها: لا شيء

-ملاحظات عامة ومقترحات مختلفة: تم تنصيبه على قبيلته بتاريخ 15 دجنبر 1939. يعمل دائما جاهدا للقيام بالأفضل. نفسية جيدة -متفاني - بالإمكان تجربته على رأس القبيلة كمرشح ثالث.

* - انتسابه للزاوية أو الطريقة التيجانية.

ب-ورقة الشيخ سي عمر بن سي حميدو رماش من فرقة "القلعة" - قبيلة بني وليد⁷⁹¹:

-الإسم: سي عمر بن سي حميدو رماش

-إسم الأب: حميدو رماش

-إسم الأم: فاطمة بنت رومان

ازداد ب: قلعة- قبيلة بني وليد

السن: يفترض في سنة 1904

الوضعية العائلية: متزوج وله طفلان

وضعية الثروة: جد ثري

المهام السابقة وتاريخها: اشتغل 9 سنوات بمخزن بني وليد، مديونة وبولمان، وستان بالكوم، شيخ فرقة القلعة منذ 1946.

المستوى التعليمي: يعرف القراءة والكتابة

موقفه تجاه السلطات: مرجعي.

العلاقات والنفوذ بالوسط الأهلي: جد مسموع بالقبيلة

الأوسمة والشهادات التي حصل عليها: لا شيء

⁷⁹¹ -A.D.N, Rapport du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, Lt-Colonel MARTINIE, **feuille de renseignements concernant le cheikh SI AMAR BEN SI HAMIDOU ROMMACH de la fraction Kelâa- tribu de BENI-OUlid** , Région de Fès, Cercle du HAUT-OUERGHA, 21 Juin 1947, p.3

ملاحظات عامة ومقترحات مختلفة: رئيس فرقة ممتاز، هادئ، ثابت ونزيه في قيادته. هو الشخصية الأكثر تميزا في قبيلته. أقترحه لخلافة القايد جديدي (المرشح رقم 1)

ت - ورقة الشيخ لزرق بن سي علي - دوار أمسكر فرقة "زيامة" قبيلة بني وليد⁷⁹²:

الإسم: لزرق بن سي علي

إسم الأب: سي علي بن أحمد

إسم الأم: فاطمة بنت سي محمد

إزداد: دوار أمسكر-فرقة زيامة- قبيلة بني وليد

السن: يفترض أنه ولد في سنة 1906

الوضعية العائلية: متزوج - ثلاثة أطفال

وضعية الثروة: ثري - 5035 فرنك من ترتيب 1946

المهام السابقة ومدتها: مقدم بدوار أمسكر لمدة 9 سنوات، إستقال في سنة 1941 ليكون خبيرا زراعيا بالشرع.

المستوى التعليمي: يعرف قراءة وكتابة اللغة العربية.

تاريخ التعيين في المهمة الحالية: 8 دجنبر 1943

موقفه تجاه السلطات: قيادته صحيحة لم تسجل ضده أي ملاحظة خاصة

⁷⁹² -A.D.N, Cercle du HAUT-OUERGHA, Rapport du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, Lt-Colonel MARTINIE, objet : **feuille de renseignements concernant le cheikh LAZRAK BEN SI ALI- douar Amesker fraction- Ziama-tribu BENI-OULID**, Région de Fès, 21 Juin 1947, p.4.

الكفاءة وطريقة عمله: جيد جدا- مؤهل للحصول على مهام قائد شاب، نفسية جيدة.

علاقات ونفوذ بالوسط الأهلي: جد معروف ومحترم بفرقة زيامة

الأوسمة وشهادات الرضا المحصل عليها: لا شيء

ملاحظات عامة ومقترحات: شيخ يعطي الرضا في قيادته، بحاجة إلى الدعم -يمكن تجريبه على رأس قبيلة صغيرة من

بني وليد (المرشح رقم 2).

2-2- قراءة في خصوصيات الاختيار الفرنسي

التدبر في المعطيات الاستخباراتية التي وضعها رئيس الدائرة في تقريره، حول المرشحين الثلاث لخلافة القايد ولد جديدي المعزول من مهامه، وأفضلية الترتيب بينهم التي يديها أسفل الورقة الشخصية، كإقتراح من رئيس الدائرة تبعا لقراءته الخاصة من منظور سلطات المراقبة الأهلية، هذا الأمر يحيل على مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات التي يمكن الخروج بها:

- أن القائد وإن كان يمارس سلطته بشكل مطلق كما يتوهم على أفراد قبيلته، فهو يخضع لمراقبة دقيقة من قبل ضباط الشؤون الأهلية، كما أن اختيار أي قائد جديد، يكون نابعا من تتبع دقيق لحياة هذا القايد المستقبلي بحاضره وماضيه، ومدى توفره على شروط التبعية المطلقة للجهاز الفرنسي، إضافة إلى أهليته لتقدم السيطرة المثلى للفرنسيين على قبيلته.
- اختيار هذا القايد يأتي من منطلق تقلده لمهام سابقة وتتبع مسارها، إضافة إلى الطريقة التي كان يوظف سلطاته مع الأهالي كشيخ، إلى جانب مكانته كرجل قيادي بالقبيلة. وكذا الوضعية الاجتماعية والاقتصادية له.

- النماذج الثلاث للشيخ المؤهلين لخلافة ولد جديدي، يتوفرون على خاصية الانتماء القبلي للمنطقة، ويتميزون بالثراء وكذلك النفوذ بالفرق التي يشرفون عليها، إضافة إلى حضور العامل الديني بالنسبة للتأثير المحلي بالنسبة لمحمد ولد عبد السلام من فرقة الغرفة الذي ينتسب للطريقة التيجانية.

- الفصيل في اختيار القائد الجديد من قبل رئيس الدائرة واقتراحه كمؤهل، يأتي من خلال الملاحظات الأخيرة التي يضعها الضابط في تقريره، عبر إعطاء الترتيب تبعا لدرجة الأهلية، فنجد أن رئيس الدائرة وضع سي عمر بن سي حميدو رماش من فرقة القلعة على رأس القائمة، وذلك يرجع بالأساس لعدة اعتبارات منها:

- كون هذا الشخص له تجربة 9 سنوات بمخزن بني وليد ومديونة وبولمان، وستان بالڭوم، وهو الأمر الذي يحيل على وجود تجربة في الامتثال للأوامر للجهات العليا، والإنضباط في الالتزام بتنفيذ الأوامر، وله مرجعية عسكرية الأكثر تحبيذا لدى الجهاز الفرنسي، خاصة عند جهاز مصلحة الشؤون الأهلية التي تعتبر موجهة للسياسة القايديّة، سواء عبر الاختيار أو التوجيه أو التقويم لعمل القياد أو كموجهة نحو الغزل والاستبعاد.
- تغليب كفة هذا الشيخ يرجع لتحليله بعدد المزايا الاقتصادية والنفسية والشخصية، إضافة لتوفره على الثروة المادية فهو يتميز بخصائص الشخصية القيادية من هدوء وثبات ونزاهة في التعامل مع الآخرين، وهو ما جعله يصبح أكثر شخصية بارزة في قبيلته، وأهله مكانته بها لأن تكون كلمته مسموعة في الوسط القبلي، على عكس أقرب منافسيه⁷⁹³ الشيخ لزرق بن سي علي- دوار أمسكر فرقة زيامة، الذي حسب الملاحظة التي وضعها الضابط، على أنه بحاجة إلى الدعم ولا يمكنه قيادة قبيلة بني وليد الكبيرة من الأفضل إحدى فرقها، فهذا

⁷⁹³ - بحلول سنة 1954 ستتغير هذه المعطيات من قبل رئيس مكتب بني وليد، الذي سيصف هذا القايد بأنه قليل الحيلة، وعلى أنه سوى رجل حسن النية، ويتلقى ملاحظات تجعله كطفل يوبخ من أجل القيام بما هو أفضل مستقبلا، وهو ما يحيل على عدم رضا كلي من قبل رئيس الدائرة واستصغاره لإمكانات هذا القايد، بسبب الملاحظات التي تسجل عليه باستمرار أثناء مراقبة عمله، كتعبير على كونه شخص بحاجة إلى التوجيه والنصح دائما في القيام بأي عمل، ولم يكتمل فيه بعد النضج الفعلي لشخصية القايد المراد توفرها فيه. أنظر:

- A.D.N, B.R.P., poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Novembre au 4 Décembre, zone intérieur 1954, p.2.

يرجع بالأساس لعدم وجود إجماع قبلي عليه وليس له سمعة عند كل فرق القبيلة على الرغم من توفره على عديد المزايا التي أهلته لأن يكون منافسا للرماش.

● إضافة لتلك العوامل فالعامل البشري كان له دور كبير في اختيار الرماش، بحيث أن هذا الأخير كان ينتمي لأكبر فرق قبيلة بني وليد وهي "القلعة"، وتتبع بسيط للإحصاء السكاني لسنة 1936 الذي قامت به السلطات الفرنسية، سيتضح الغلبة للعنصر البشري للقلعة على باقي الفرق التي ينتمي إليها منافسيه الشيخ لزرق بن سي علي- دوار أمسكر فرقة زيامة، التي تواجد بها مكتب بني وليد بـ 1352 نسمة، ثم الشيخ محمد ولد عبد السلام من فرقة الغرفة 921 نسمة، بالمقابل فرقة القلعة التي ينتمي إليها سي عمر بن سي حاميدو رماش بلغ تعداد سكانها 1519 نسمة⁷⁹⁴.

هذا المعطى البشري لا يمكن استبعاده في تفضيل اختيار قايد على آخر، فإلى جانب الموصفات المادية والاجتماعية من ثروة وجاه، ونفوذ على القبيلة، ونفسية من هدوء وثبات لكسب ثقة الناس، فالعنصر البشري الذي يستند إليه هذا المرشح ومدى ولائه له، يكون له أثر كبير في اختياره إن وجدت فيه الموصفات المناسبة، فهو بمثابة تشريف لفرقة إن حصل على منصب القيادة على باقي الفرق.

بذلك فالفرق الصغيرة دائما ستراعي للقايد الثقيل البشري الذي وراءه، في حالة التمرد عليه أو رفضه، إلى جانب ما سيمنح من قوات من قبل السلطات الفرنسية، تماشيا مع أهمية إسناد الأمر لرجل قوي لا يتغي الإغثناء من قبيلته الصغيرة بالدرجة الأولى، ولديه طموح في القيادة "لا أعتقد أن هذه القيادة لـ 5000 روح قد تهيم غريبا عن القبيلة الذي لن يجد مصدر دخل كاف"⁷⁹⁵.

⁷⁹⁴ -Direction des Communications de la Production Industrielle et du Travail, **REPERTOIRE ALPHABETIQUE des agglomérations de la zone française de l'empire chérifien classées par tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936**, imp. J. Thévenin, Rabat, 1941, p.127

⁷⁹⁵ -A.D.N, Lettre N° S.G.RF/2, du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général Chef du Région de Fès, objet : **remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID**, Taounat, le 21 Juin 1947.

2-3 قراءة في تعيين الرماش رسميا

مسألة تعيين القايد عمر رماش لم تكن بشكل رسمي مباشرة بعد إسناد قبيلة بني وليد لتكون تحت قيادته، حيث ظل في مهامه قائدا مؤقتا (خليفة) إلى غاية سنة 1951، بعد أن صدر ظهور تعيينه بشكل رسمي كقائد على قبيلة بني وليد يوم 07 مارس 1951⁷⁹⁶، الأمر الذي يضع مسألة تعيينه رسميا بعد مدة أربع سنوات، محط قراءة استخباراتية بالدرجة الأولى ويمكن إرجاع هذا الأمر لافتراضين مهمين:

أولا: قد تكون هذه المدة اعتبرت مدة تجريبية للقائد المؤقت باعتباره موظفا لدى جهاز الحماية، لوضعه تحت المراقبة أكثر والعمل على تقييم مستواه ميدانيا، لإصدار قرار رسمي ونهائي بتعيينه أو إبعاده، هذا الأمر سيحيل ضمنا على كون السلطات الفرنسية المتمثلة في مصلحة الشؤون الأهلية بدائرة ورغة العليا، قد جعلت من هذا الشخص في وضعية تأهب واستعداد دائم لتقديم الأفضل طيلة الأربع سنوات، بمقابل جعل منافسيه يعملون أكثر على تقديم الأفضل، مادام الأمل قائما في الحصول على منصب القيادة في ظل عدم صدور ظهور التعيين.

هذا الاحتمال سيكون في مصلحة الأجهزة الفرنسية للحصول على الرجل الأكثر إخلاصا، باعتبارهم موظفين لديها، في ظل تنامي تسرب المناضلين السياسيين من الحركة الوطنية لمختلف المناطق، وكذلك في سنوات مقبلة ستكون قاسية على التواجد الفرنسي بالمنطقة، كأنه سباق محموم تضع حلبة السلطات الفرنسية بين المرشحين.

ثانيا: وهو احتمال غير مستبعد، ويتمثل في طول مدة توقيف القايد السابق ولد جديدي، الذي تورط في عدة تجاوزات، تم ذكرها في الجزء الخاص به وعدم صدور الحكم في حقه على الرغم من تأكيد رئيس دائرة ورغة العليا على كبر سن القايد وعجزه عن ممارسة مهامه بدنيا وأخلاقيا، إضافة إلى تورطه في تهمة القتل والتزوير، في ظل تأكيد التهم

⁷⁹⁶ - A.D.N, Lettre n°3847, du Conseiller du Gouvernement Ghérifien au Monsieur le Directeur du Cabinet civil à Rabat, objet : **dahir confiant le commandement de la tribu BENI-OLID au CAÏD OMAR GHAMACH**, 8 Mars 1951.

المنسوبة إليه من قبل قايد تاوانات، الذي كُلف بالبحث في التهم السالفة، وتأكيد رئيس الدائرة منذ سنة 1946 على ضرورة استبداله⁷⁹⁷.

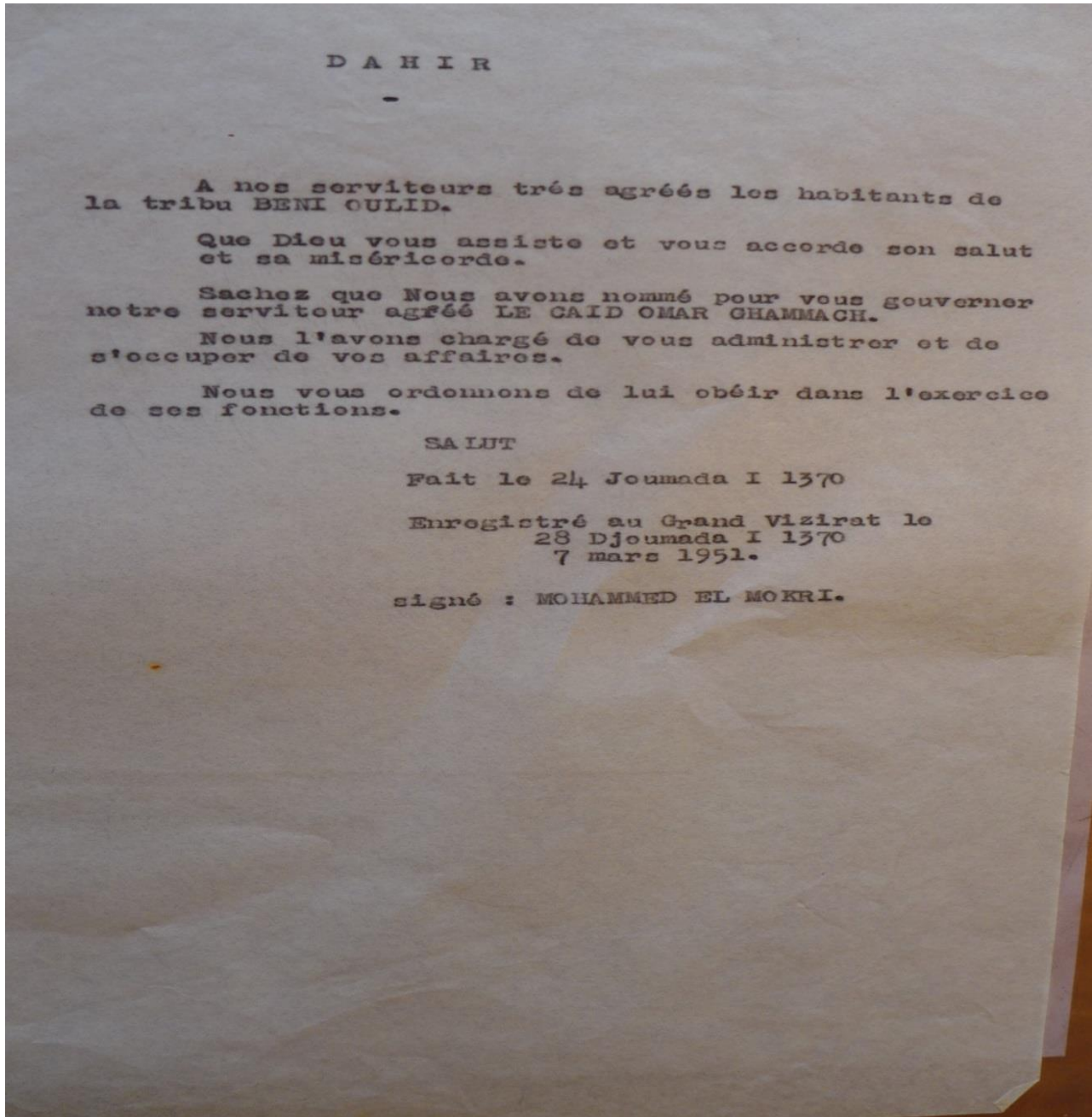
كذلك ما جاء على لسان مدير الداخلية، الذي ذكر أن القايد كان محط احتمال استبدال منذ سنة 1938، والذي أصر على ضرورة تغيير القايد رسمياً، وإيجاد الحلول لذلك حتى ولو رفض السلطان، حيث يقول في رسالته "أضيف على أنه لا يمكن إطالة الوضع الحالي لفترة طويلة دون صعوبة، وأنه في حالة رفض جلالته اعتماد الحل المقترح، فإن المقيم العام سينظر في إتخاذ إجراء تعليق بخصوص القايد علي ولد جديدي"⁷⁹⁸.

طول مدة التحقيق مع القايد جديدي قد يطرح عديد التساؤلات، فهو لم يقف أمام المحكمة العليا إلا بحلول سنة 1950، كما أن تتبع وثائق ملف القايد من خلال مراسلاته أبانت على تشبث هذا الأخير بمنصبه واستمراره بتتبع ملفه، من خلال مراسلته لعدة جهات حول موضوعه، كما أن هذه المراسلات أبانت عن شخصية هذا القايد في تمكنه من ربط علاقات مع الأجهزة الإدارية، التي ربما قد تكون هي التي شفعت له منذ سنة 1938 في البقاء بمنصبه على الرغم من وجود احتمال إقالته.

⁷⁹⁷ -A.D.N, Rapport n° 257 HO/2.C, du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, op.cit, p.1

⁷⁹⁸ - A.D.N, Lettre n° 244DI/POLC/1, op.cit.

- .ظهير تعيين القايد عمر الرماش (كتب باللغة الفرنسية)⁷⁹⁹.



⁷⁹⁹ - A.D.N, lettre n°.3847, op.cit.

3- التنافس بين الرؤساء الأهليين، وخلاصة الشكل القايدى بالدائرة

كسائر المجالات التي يسعى أصحابها إلى الترقية والوصول إلى مرتبة أفضل، فالقايدية لم تكن إلا المجال الأرحب لهذا التنافس، الذي يختلف في عديد المقومات عن باقي المجالات، ما دام الأمر يتعلق بمنصب سلطة، حيث سيظل هذا التنافس بوسائل وأساليب مختلفة بدائرة ورغة العليا في هذه الدراسة، من خلال استعراض نموذج لقايد مهدد بالإقالة، تنافس كل من خليفته وشيخ من فرق القبيلة إلى جانب ناظر الأحباس حول منصبه، منذ بداية ظهور بواذر إقالته.

فقد دخلت هذه الشخصيات في سباق محموم طيلة سنة تقريبا، قبل أن يستقر الجهاز الإداري الفرنسي في النهاية على اختيار واحد، بذلك فالحديث عن مظاهر ممارسة القايدية أو التنافس حول المنصب، تتعدد تجلياته وتختلف من منطقة إلى أخرى من الدائرة وهو ما سيتم تقديم خلاصة عن شكله، وخصوصيات الاختيار الذي عينته سلطات الحماية بالدائرة بصفة عامة، من خلال النماذج التي تم استعراضها طيلة هذا الفصل.

3-1 التنافس على منصب القايد الحاج العيد "صنهاجة الظل"

نتيجة للتنافس المحموم بين القياد من جهة وبين القياذ والمنافسين المحتملين لشغل مناصبهم من جهة ثانية، وبين المنافسين لبعضهم من زاوية ثالثة -الذين يكونون في الغالب عبارة عن شيوخ طامحين لمهمة تقايدية-، ستظهر عديد الأساليب الموظفة من هذه الأطراف الثلاثة للحفاظ على المنصب بالنسبة للقياد، عبر محاولة القضاء على خصومهم، أما بالنسبة للمنافسين فسيكون من خلال البحث عن هفوات هؤلاء القياد، والعمل بشتى الطرق لتجريدتهم من منصبهم، خاصة إذا ما كان من وراء المنافس ثقل قبلي أو يحقق توافق عديد فرق القبيلة حوله.

انطلاقا مما سبق، سيكون الإنطلاق صوب تفكيك شكل هذا التنافس وفق خصوصية منطقة دائرة ورغة العليا وبالتحديد عبر مكتب بني وليد، من خلال استعراض بعض المناوشات بين أعوان السلطة المحليين (شيوخ، قياد،

ناظر الحبوس) للوقوف على جوانب من الدسائس والمضايقات، التي تقع بين المتنافسين لخدمة الجهاز الاستعماري، الذي يكون في نهاية المطاف هو الحكم والأكثر دراية بما يقع من تنافس بين مختلف معاونيه.

لم يغب عن مجال تدبير القيادة وجود رافضين لطريقة اشتغالهم والرغبة في الإيقاع بهم، ونظير صراعات ثنائية حاصلة في المجال، يصبح القائد محط استهداف عبر التبليغ عنه لدى رؤسائه من الضباط (رئيس المكتب التابع له أو بالدائرة)، حيث توصل رئيس دائرة ورغة العليا برسالة مجهولة تحمل استنكارا للانتهاكات والتجاوزات التي يقوم بها القائد الرماش، فتم فتح تحقيق بهذا الصدد تبين من خلال المعلومات التي جمعت أن المشتبه فيه الأول الذي أرسل الرسالة هو **المقدم العربي** من "تمضغاس السفلية"⁸⁰⁰.

اعتبر رئيس الدائرة أن ما يدعيه المقدم مجرد افتراءات حول القائد، كما برزت أطماع قايد صنهاجة الشمس **عمر بن العربي** في توسيع نفوذ سلطاته إلى قبيلة صنهاجة الظل، في ظل انتشار أخبار عن عزل قايد القبيلة (**القائد الحاج لعيد**)⁸⁰¹ وهو ما يوضح مدى الصراع الخفي والتنافس الذي يحضر لانتزاع منصب قيادة القبيلة حتى في ظل حصول الشخص على ذلك المنصب، فهو ليس بمعزل عن وجود طامعين يتحينون فرصة الانقضاض على المنصب بشتى الوسائل.

هذا الصراع لم يغب عن دخول نواب الحبوس في الصراع حول تمديد النفوذ والصلاحيات، عبر الارتقاء لمهمة تقايديت وضرب أقرب المنافسين، كما هو الشأن بالنسبة لنائب الحبوس **سي أحمد بن المختار**، الذي بدأ في توجيه اتهامات ضد عدوه القديم **الخليفة عبد الله** (خليفة القائد الحاج العيد)، متهما إياه بأنه ينوي منعه بكل الوسائل من الوصول إلى قيادة القبيلة⁸⁰²، الأمر الذي يظهر عدد المنافسين المتواجدين حول قيادة صنهاجة الظل، كما لم يقتصر

⁸⁰⁰ - A.D.N, B.R.P., poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Février au 4 Mars, zone intérieur 1955, p.1

⁸⁰¹ - ibidem

⁸⁰² - ibidem

الأمر فقط على شيوخ وقياد آخرين كالقايد عمر بن العربي، بل تعداه إلى دخول منافسين آخرين على الخط للتنافس حول قيادة القبيلة.

أ- صراع الخليفة ونائب الحبوس

الصراع بين النائب الطموح سي أحمد بن المختار والخليفة عبد الله من صنهاجة الظل، لم تغب شمس عن جهاز الاستخبارات الفرنسي، الذي ظل يراقب ما يحكيه الطرفان ضد بعضهما البعض للإيقاع بالطرف الآخر، حيث خلف الحديث بين النائب وصديقه سي بوزيد بكونه يعد "قنبلة" ضد الخليفة عبد الله، "لا يتعلق الأمر بعبوة ناسفة بل بنشر إشاعة مفادها أن الخليفة قام بتصفية طفله الذي أنجبته إحدى زوجاته. الكذبة تستند إلى حقيقة أن الخليفة صدّق هذه المرأة التي لعبت معه الكوميديا وأعدت حفلة لموعد الولادة. لكن المناورة تظهر في ملاحظة بسيطة مفادها أنه إذا كان لدى الأطفال الطبيعيين فرصة ضئيلة للحياة في هذه البلاد، فلا يوجد مثال على مقتل طفل شرعي عند الولادة من قبل هؤلاء الآباء. تم فتح تحقيق للتدقيق في تفاصيل هذه المسألة حيث مرة أخرى تختبئ خلفها الأرواح الميكافيلية للقائد الحاج العيد و النائب سي أحمد اللذان يبحثان عن التقليل من شأن خصمهما، فالأول على أمل الاحتفاظ بمكانه، والثاني ليحل في مكانه"⁸⁰³.

هذا الكلام الصادر عن رئيس ملحقة بني وليد يؤكد مما لا مجال فيه للشك، على تفاني المنافسين في إبداع الوسائل الممكنة للإطاحة بخصم معين بأي وسيلة كانت، وهو ما وصف في نشرة الاستعلامات "بالأرواح الميكافيلية"، التي تنطلق من مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ولو على حساب الضرب في عرض ذلك الشخص، لتشويه سمعته لدى الساكنة المحلية وكذا في أعين الجهاز الإداري الفرنسي، الذي كان جهازه الاستخباراتي متفطنا للعبة المنافسة التي تقع بين أعوانه المحليين، هذه المنافسة التي من المؤكد كانت تخدم مصالحه في بدل هؤلاء المعاونين

⁸⁰³ - A.D.N, B. R. P, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Mars, zone intérieur 1955, p.1

مجهودات أكبر للتعبير عن الإخلاص للفرنسيين، ومعه يكون عدم الزجر أو قطع الأمل لدى هؤلاء المنافسين في الوصول إلى سدة التقايد.

البحث عن التوافق القبلي حول شخصية معينة، سيجعل نايب الجبوس يبحث عن كل الوسائل الممكنة لدعم ترشيحه، عبر زيارة فرقة أولاد أزم لحشد التأييد، كذلك كان الشأن بالنسبة لشيخ بوعادل (عبد السلام بن عمار) الذي ضاعف من مبعوثيه لحشد التأييد حوله من فرق صنهاجة الظل، والضرب في مصداقية الخليفة عبد الله، من خلال التوجه لأحد المدرسين لكتابة رسالة مجهولة، لإرسالها لرئيس مكتب بني وليد⁸⁰⁴.

ب- دخول القايد عمر (صنهاجة الشمس) على خط المنافسة

هذه المنافسة غير الشريفة في الغالب التي دخل فيها كل من النايب سي أحمد بن المختار والشيخ عبد السلام والخليفة عبد الله لخلافة القايد لحاج العيد، بعد تأكدهم من حتمية إقالة هذا الأخير بعد تورطه في تجاوزات لم تُرق للجهاز الإداري الفرنسي، هذا الجهاز الذي تنافس المرشحون السابقون لخدمته بمختلف الوسائل، سيرسل رسالة مقلقة لطموحاتهم وضعتهم محط الريب والشك، فبعد إقدامه على إقالة القايد الحاج العيد بتاريخ 18 مارس 1955⁸⁰⁵، تم قبول ترشيح شخص آخر لخلافة هذا القايد على رأس فرقة صنهاجة الظل وهو القايد عمر الزموري قائد قبيلة صنهاجة الشمس.

هذا المنافس الجديد كان مدعوما فقط من فرقة بوعادل من صنهاجة الظل، فسر التقرير الاستعماري الفرنسي دعم فرقة بوعادل للقايد عمر، بكون الخليفة عبد الله يوجد لديه عدوين من هذه الفرقة وهما الشيخ سي عبد السلام والنايب السي أحمد بن المختار⁸⁰⁶، مما يوضح بأن لعبة المنافسة لن يكون ملعبها سوى الجهاز

⁸⁰⁴ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Avril, zone intérieur 1955, p.1.

⁸⁰⁵ - A.D.N, B.R.P, poste des BENI OULID, premier partie, période du 20 Mars au 4 Avril, zone intérieur 1955, p.2.

⁸⁰⁶ - ibid, p.1-2

الاستخباراتي، وحكمها رئيس مكتب بني وليد الذي قبل دخول القايد عمر بن العربي الزموري على الخط لإذكاء المنافسة، كشخصية تتوافق عليها فرقة معارضة لخصم الحاج لعبد الذي هو الخليفة عبد الله.

لعبة المنافسة بالنسبة للجهاز الفرنسي كانت تنبني على اختيار لعب ورقة تأجيحها بشخص يكون بعيدا عن الاستهداف من أعداء محليين، حتى لو أدى الأمر إلى إمكانية توسيع مجال نفوذ قايد لقبيلة ما على قبيلة أخرى تنتمي للقبيلة الأم (صنهاجة مصباح). وبذلك إظهار للمتنافسين احتمالية وجود إمكانية الابتعاد عن تلك الشخصيات التي تعتمد المكر والخداع في الإطاحة بمنافسيها، عوض البحث عن المكانة والسلطة التي يتمتع بها القايد المرشح بقبيلته، ومدى توافق القبائل الأخرى حول أهليته.

فقد حرص القايد عمر الزموري على زيارة معارفه السابقين، والتوجه إلى الرباط بهدف حضور مؤتمر للإلتقاء بهم، للدفاع عن حضوره في قيادة "صنهاجة الظل" وتوسيع مجال قيادته⁸⁰⁷، بالمقابل سعى القايد الحاج العيد إلى تدارك الوضع بحل مشكلاته وعدم التمادي في العداء مع محيطه⁸⁰⁸، من خلال تصالحه وأخيه وديا مع ورثة القايد الحاج أحمد، بعد أن تقدموا بشكوى ضدهما أمام قاضي تاونات⁸⁰⁹.

ت- القايد "عمر" ومنافسه الشيخ "محمد بن حسين"

طموح القايد عمر بن العربي في توسيع نفوذه لم يكن ليحمله بعيدا عن وجود مؤامرات للإيقاع به، خاصة بعد الملاحظات التي أصبح يأخذها عليه رئيس مركز مديونية وميولاته الوطنية، حيث برز منافس له المقدره على تهديده في الاستمرار على رأس قبيلة صنهاجة الشمس.

⁸⁰⁷ - رغبة القايد في توسيع مجال نفوذه من صنهاجة الشمس إلى صنهاجة الظل يظهر الرغبة في بسط قيادته على كامل القبيلة الأم (صنهاجة مصباح) بفرقيتها، ومعه سيحقق مكاسب اقتصادية وشخصية أكثر، فالإشراف على مجال أوسع للقايد يعني إشرافا على عدد أكبر من سكان القبيلة ومعه ضمانا لتحقيق الزيادة في قيمة الترتيب المستخلص، ومن ثمة فائدة أكثر للقايد من حيث الحصص التي سيحصل عليها من الترتيب، عوض الاكتفاء بما يستخلص من فرقة واحدة ومعه لن تكبر طموحات القايد أكثر في علاقته مع الجهاز الاستعماري.

⁸⁰⁸ - الرغبة في تصفير القايد لمشكلاته هو مرتبط بالأساس بالوضعية التي أصبح يعيشها قبيل إقرار المحكمة الشريفة بأمر استقالته الذي صار مؤكدا، بحيث حاول تجاوز مشاكله الخاصة بشكل ودي وعدم وصولها للمحاكم، كونها أمرا يؤثر على مصداقية الرجل ودوره كرجل ممثل للسلطة، و تعتبر الشكاوى المقدمة للمحاكم ضد القيايد بمثابة إثباتات تقدم لدى المحكمة الشريفة في حالة رغبة سلطات الحماية في إقالة قايد معين وفق إثباتات وشهادات حقيقية لا تنبني على تقديرات، وهو التقارب نفسه الذي نجده في طريقة إقالة القايد ولد الجديد والقايد الحاج لعبد، فهما معا تورطا في نزاعات محلية بمناطق نفوذهم، حول ملكيات عقارية وكذا حول مسألة المساهمة في تنبني أحد أفراد العائلة لطفل بشكل غير شرعي.

⁸⁰⁹ - A.D.N, B.R.P, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Avril, zone intérieur 1955, p.1

ظهر الشيخ محمد بن حسين من فنانة-بني سلمان- المنتمي لقبيلة صنهاجة الشمس، كأبرز متحد لهذا القائد، يهدده في قيادته للقبيلة بعد إقدامه على تقديم ملاحظات لرئيس المكتب حول طريقة تأديته لعمله، هو الأمر الذي لم يستحسنه القائد بعد معرفته بالأمر، فحسب ملاحظة رئيس المكتب "من المتوقع أنه في المستقبل القريب جدا "عمر" سيحاول التخلص من هذا الشيخ ، فهو الزعيم الوحيد بفرقة من صنهاجة الشمس الذي يملك الجرأة بما يكفي ليرد عليه، وعلى تواصل مع سلطات المراقبة"⁸¹⁰.

ظهور هذا الشيخ كشخص مؤهل لتعكير صفو القائد عمر، من منطلق الوشاية والتحدي، هو إعلان صريح من قبل الشيخ الوقوف في وجهه، الأمر الذي جعل القائد متخوفا من استمرار هذا المنافس، وهو ما قد يؤدي بالقائد إلى البحث عن مختلف الطرق لإزالته من طريقه، مستفيدا من العلاقات الجيدة مع القياد الآخرين بالدائرة و مع المسؤولين الفرنسيين، كاستمرارية تلقائية للمنافسة المحمومة حول منصب القيادة تحت أنظار الجهاز الفرنسي المحلي.

ث- الخليفة عبد الله وإثبات الذات

على عكس ما قام به المنافسين السابقين حول منصب القائد الحاج العيد، لم يكن الخليفة عبد الله مرتاحا لنوايا خصومه، حيث سعى لكسب المعركة ميدانيا واقتصاديا على وجه التحديد، باعتراف رئيس المكتب قائلا: "لقد حقق نجاحا في أولاد أزم بحصوله على دعم العديد من كبار أصحاب بساتين الزيتون، وعقد عمل مخصص مع تعاونية مطحنة الزيت، وقد نظم بطريقة مرضية التجمعات بمناسبة إحصاء الترتيب"⁸¹¹.

نُهج الخليفة عبد الله لسياسة الاستقطاب الاقتصادي للأعيان المحليين، تبين مدى التوجه المغاير لهذه الشخصية، من خلال أسلوب الجذب الاقتصادي، المتمثل في استمالة فرق القبيلة وخلق إجماع حوله من خلال

⁸¹⁰ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Juin au 4 Juillet, zone intérieur 1955, p.2.

⁸¹¹ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Avril, zone intérieur 1955, p.1.

الحصول على دعم الملاك الكبار، عبر عقد شراكات مؤثرة في الوضع الاقتصادي بالمنطقة، الأمر الذي عبر عنه رئيس مكتب بني وليد بقوله أن هذا الخليفة قد نجح في توظيف الأسلوب المناسب لتحقيق التوافق حوله، خاصة في ظرفية تتسم بتعزز الحس الوطني، والخوف من انشقاق فرقة معينة وانضمامها إلى جناح الممانعة، بسبب عدم الرضا عن شخص معين مع بروز مخاطر تحدى بمستقبل التواجد الفرنسي بالمنطقة.

قلق الخليفة عبد الله ازداد حدة لكثرة مناورات منافسيه للإطاحة به، خاصة بعد أن تم تغيير رئيس ملحقة بني وليد، معتبرا أن هذا التغيير لرئيس المكتب وفي هذه الظرفية يذكر لعبة الدسائس⁸¹²، كما لم يخفي عبد الله عن الرئيس الجديد للملحقة بني وليد بعد وصوله، الصعوبات التي يواجهها في قيادته لقبيلة صنهاجة الظل، بالتحديد عند فرقتي بوعادل وأولاد أزم المتمردتين بحسب قول الخليفة، والخاضعتين لنفوذ أحد أعدائه من الأعيان⁸¹³، ما يوضح عدم تمكن الخليفة من القضاء على منافسيه المحليين (نايب الأحباس وشيخ بوعادل)، بل أصبح يعيش اختراقا داخليا لمجال نفوذه يصعب معه تطويقه دون وقوف الرئيس الجديد للمكتب إلى جانبه.

- تعيين القايد عبد الله:

بتوالي الأحداث وجد الجهاز الفرنسي في القايد عبد الله المرشح الأنسب لخلافة القايد السابق، حيث تم تعيينه كقائد على قبيلة صنهاجة الظل، التي أقيّل الحاج العيد من الإشراف عليها، هذا الأخير الذي سارع إلى عرض جزء مهم من ممتلكاته العقارية للبيع مع تواجد تحفظ من شقيقه الذي يعارضه في مسألة البيع⁸¹⁴.

رجحت النشرة الاستخباراتية إمكانية رغبة القايد السابق العيد في الحصول على عدة ملايين لشراء منصبه والعودة إليه، من خلال تقديم رشوة، لكن يبقى التحليل المغيب عن التفسير في النشرة هو أن هذا القائد، ربما سارع لبيع ممتلكاته قصد منع القايد عبد الله من الانتقام منه، أو ظهور مطالبين بحقوقهم المسلوقة منهم خلال فترة قيادة

⁸¹² - ibidem

⁸¹³ - A.D.N, B.R.P, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Juillet au 4 Aout, zone intérieur 1955, p.1.

⁸¹⁴ - A.D.N, B.R.P, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Aout, zone intérieur 1955, p.1.

العبد للقبيلة⁸¹⁵، فقد رصد هذا الأمر في عديد من حالات الانتقام لقايد جديد من قايد قديم، أو ظهور مطالبين بممتلكات مسلوقة بالقوة بعد أن تم تجريد القايد السابق من منصبه الذي كان يحميه في الغالب من هكذا شكايات.

تعيين عبد الله كقايد على قبيلة صنهاجة الظل، لم يتم وفق المراسيم المعمول بها، حيث ظل في حالة ترقب لرؤية شيء يثبت ذلك رسمياً، أو أن تتم المناداة عليه للملحقة لإخباره بذلك رسمياً، بهدف إزالة المعارضة التي في الأساس من "بوعادل"، حيث أراد القايد الجديد أن يعمل على تصفية حساباته مع منافسيه القدامى، وتصفية أجواء اشتغاله⁸¹⁶.

بعد تيقن الجميع من صحة تعيين عبد الله كقايد بالقبيلة، بدأ في العمل على تضيق الخناق على منافسيه السابقين، من خلال نهج سياسة التقارب مع معارضه أحمد بن المختار نايب الحبوس، ومن جهة ثانية من خلال تجديد المقدمين بفرق القبيلة في انتظار الفرصة للانتصار على الشيخ حسب وصف النشرة الاستخباراتية⁸¹⁷.

رغبة عبد الله في الحصول على أوراق اعتماده الرسمية كقائد للقبيلة، ستمكنه من العمل على تصفير مشكلاته بها، عبر قطع الطريق نهائياً على نايب الحبوس والشيخ عبد السلام من فرقة بوعادل، اللذان شكلا له طيلة فترة خلافته للقايد العبد حجرة العثرة ومصدر التهديد الحقيقي لعزله من مهامه⁸¹⁸، إضافة إلى قيامه بتجديد المقدمين الذين قد يكونوا في الغالب اعتبرهم عبد الله موالين للشيخ عبد السلام.

⁸¹⁵ - يبقى التفسير الأقرب في ظل هذه الوضعية بعد تيقنه من إقالته ليس بالضرورة العودة إلى منصبه، بل يبقى بدرجة أولى مرتبط إضافة إلى صعود خليفته عبد الله للقيادة، بالرغبة في تصفية أملاك عقارية كانت بحوزة القايد، خاصة مع ورثة القايد الحاج أحمد. فتجريد من التقايد يعني انتهاء سلطته على القبيلة، وأنه أصبح كباقي سكان القبيلة ومعه سيتم إدخاله في منازعات قضائية يتم من خلالها إمكانية تجريده من الممتلكات الغير المشروعة التي ورثها عن فترة قيادته للقبيلة، بذلك يكون أفضل حل للقايد هو بيع هذه العقارات المشبوهة والقابلة للسلب من أملاكه.

⁸¹⁶ - A.D.N, B.R.P., Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Septembre, zone intérieur 1955, p.1

⁸¹⁷ - ibid, p1-2

⁸¹⁸ - كشكل من العقاب للنايب سي أحمد بن المختار بعد تيقنه من قطع الطريق نهائياً أمامه حول مسألة القيادة للقبيلة، تم حرمانه بتواطئ من القايد عبد الله، من استدعائه لزيارة تاونات بمناسبة زيارة الجنرال رئيس الجهة، كما أصبح الشيخ عبد السلام مهددا بالإقالة بعد أن قام الخليفة عبد الله بإقالة المقدمين الأربعة بفرقة بوعادل، كإعلان صريح من القايد الجديد على تصفية كل أعدائه المعارضين الذين كانوا يتواجدون بفرقة بوعادل، (للتعرف أكثر على حيثيات الإقالات وتهديد الشيخ بتقديم استقالته، وتضييق الخناق على النايب سي أحمد بحرمانه من حضور عدة اجتماعات ومراسيم كان يحضرها سابقاً، أنظر النشرة الاستخباراتية السابقة "أعلاه").

لكن في ظل كل هذه المنافسة سيصبح الوضع متأزما للقياد المحليين خلال سنة 1956، الذين تشبثوا بالوقوف مع المستعمر، خاصة بعد مقتل ناظر الحبوس أحمد بن المختار، كما شدد الوطنيون الخناق على عمل الشيوخ والقياد في نقل المعلومات، وقاموا بتشجيع ساكنة بني وليد على مقاطعة سلطاتهم وأعمالهم، التي تخدم المستعمر في مراحلهِ الأخيرة من نقل مهامه إلى المغاربة، حيث قام العديد من الأعيان والقياد إلى جانب الشيوخ القدامى بالفرار إلى فاس وتفضيل البقاء فيه على الرجوع إلى بني وليد⁸¹⁹.

3-2- قراءة في شكل المكون القايدي بالمنطقة

التمعن في المعلومات الخاصة بالقياد الذين مروا على منطقة ورغة العليا، يجعل القول بأن اختيار تلك الشخصيات تحكمت فيه عدة اعتبارات، على الرغم من الاختلافات الموجودة على المستوى الاجتماعي والتعليمي والاقتصادي، إضافة إلى الخدمات التي قدمت للفرنسيين، وحتى على مستوى القدرة على تقلد مناصب كبرى، وتبعاً لما ذكر تم الخروج بمجموعة من الملاحظات يبقى أهمها:

أولاً: يخضع كل قائد لعملية مراقبة دقيقة أثناء وقبل مزاولة مهام "تقايديت"، وهو ما تعبر عنه التقارير الاستخباراتية الدورية للضباط الأهليين، حيث لم يغب أي معطى عن تقاريرهم ولم يذكروه بخصوص ما يهم في حياة هؤلاء القياد، ما كان يخدم بدرجة كبيرة عملية اختيار القائد دون غيره، لتحقيق مبدأ الإرادة الاستعمارية في الحصول على الشخص المناسب في المكان المناسب، كشخص قابل للتوجيه والامتثال لسلطات رؤسائه الممثلة في شخص ضباط الشؤون الأهلية قصد أجراء السياسة الاستعمارية وفق المنظور المسطر له.

ثانياً: يرتبط القياد ارتباطاً وثيقاً بالإرادة الاستعمارية وليس بإرادة المخزن، الذي يبقى انتماءهم له شكلياً ليس إلا، فسواء من خلال شخصية القايد لخلو أو الداودي اللذان يعتبران النموذجين الأكثر أخذاً للرضا التام من قبل الضباط

⁸¹⁹ - A.D.N, Bulletin de Renseignements de Quinzaine, Annexe des BENI OULID, période du 06 au 20 Avril, 1956, p.1

الأهلين، أو الرماش كنموذج مقبول مقارنة بمنافسيه اللذان أوردهما رئيس الدائرة في تقريره، حيث تعبر كل بطاقة خاصة بكل قائد عن حجم التفاوت الحاصل بين كل قائد وآخر، وبين العوامل التي تم اعتمادها في المفاضلة بينهم، والمساهمة في تركية الشخص الذي سيتم تعيينه.

ثالثا: بالمنطقة تم تسجيل حضور قوي لقياد بارتباط تاريخي زمني لمرحلة حرب الريف، والخدمات التي قدموها للفرنسيين خلال هذه الفترة، التي جعلتهم يحصلون على منصب القايد، حيث يحضر هنا كل من ولد الجديدي ولفضل الداودي مع عمه المهدي، الذين ساهموا في تقديم قبائلهم الخضوع للمحتل الفرنسي بعد طرد العناصر المقاومة من المنطقة، وأقول مظاهر المقاومة المسلحة بآماكن تواجد المراكز الفرنسية في سنة 1926، كقياد ينتمون للمكون القبلي المحلي بالمنطقة، بمقابل ذلك نجد قائدا كان متواجدا بإسهاماته خلال مرحلة حرب الريف، كمبعوث من الفرنسيين للريف، ولا ينتمي للمكون القبلي بالمنطقة وهو القايد لحو، وبذلك هذا النوع من الاختيار يعتبر كجزاء لتلك الشخصيات، نظير الخدمات التي قدمتها للفرنسيين في مرحلة جد حساسة، عبروا فيها عن ولائهم ووفائهم التام للفرنسيين.

رابعا: لا يتحدد بقاء قائد معين في السلطة بشكل دائم نظير خدماته المقدمة، بل قد يصبح غير مرغوب فيه لدى السلطات المحلية الفرنسية، كما هو الشأن بالنسبة لولد الجديدي، الذي ظهر بشكل واضح عدم الرضا عليه من قبل رئيس الدائرة، وخروجه عن مواصفات القائد الذي تجبذه الإدارة الفرنسية لخدمتها، بحيث ظهرت مصلحة الشؤون الأهلية كجهاز يقض مضج القياد في استمرارهم من عدمه في "نعيم التقايديت"، بفعل التقارير الدورية التي ينجزها الضباط.

تحضر القراءة السابقة كذلك من خلال نموذج القايد الحاج العيد، قائد فرقة صنهاجة الظل من مكتب بني وليد، في تجاوزه استعمال نفوذه، عندما تورط في مناصرة أبيه على صهره وعمه في الوقت نفسه سي عبد الله بن سي ادريس، حول منزل اكتره هذا الأخير واحتله هذا القايد، حيث قام قاضي أرسل من لدن السلطات الفرنسية بزيارة

القايد العيّد، للتحقق من الأمر فألزمه بدفع ثمن المنزل لصالح المدعي⁸²⁰. كنوع من التوازن الذي تحاول سلطات الحماية خلقه حول نظرة السكان لها، من منطلق إنصافهم في حقوقهم وإظهار القوة الناعمة على القياد في إلزامهم بتأدية ما عليهم.

خامسا: نخبة القياد المختارة بعناية لتدبير الوضع الأهلي بدائرة ورغة العليا، ثلاثة أصناف، فهناك صنف صعد للقيادة نتيجة الخدمات التي قدمها لفرنسا من موقعه خلال مرحلة "التهدة" كالقايد ولد الجديدي والقايد المهدي الداودي عم لمفضل، وهناك الصنف الثاني الذي يعبر عنه لمفضل بن سي محمد الداودي، الذي أخذ القيادة من خلال مرافقته لعمه خلال فترة قيادته لقبيلة مثوية، وسمعة العائلة، إلى جانب خدمات مرتبطة بخصوصية المنطقة الحدودية، وحساسية تقليد هذا المنصب لمن هو خارج مجال القبيلة ونفوذ عائلة الداودي، ذات السمعة الكبيرة بالمنطقة، والصنف الثالث، هو للقايد **لحلو** الذي يعتبر عنصرا قادما من خارج المكون القبلي للمنطقة، والذي شفعت له مميزاته الشخصية كرجل عارف بالقضاء الشرعي وممارس التجارة كشخصية لها طموحات لتسلق المراتب.

⁸²⁰ - A.D.N, B.R.P., poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Janvier, zone intérieur 1955, p.2

خاتمة الباب الثاني

خلال هذا الباب تم التعرف على بعض جوانب الحضور الفرنسي بدائرة ورغة العليا، بعد التقسيم الإداري الجديد ونهاية أشكال المقاومة المسلحة، وظهر مكتب تاونات مشرفا على جميع مكاتب ومراكز الدائرة، حيث برز شكل هذا الحضور في ثلاث مستويات، تم من خلال كل مستوى إبراز شكل من أشكال التدبير الفرنسي للمنطقة بعد سنة 1927، وتم التعرف على التحديات التي وجدها الضباط الفرنسيون في تأطير المنطقة وفق التصور الذي تريده سلطات الحماية، حيث جاءت هذه المستويات لتبرز جوانب مهمة من تاريخ المنطقة على عهد الحماية.

المستوى الأول: تم التطرق لمسألة الحدود الخاصة بالدائرة وترسيمها مع الجانب الإسباني من خلال الاتفاقيات الموقعة، حيث جاء ترسيم حدود الدائرة بعد مفاوضات طويلة بين الدولتين المحتلتين، برز خلالها تمسك الجانب الفرنسي بإرادته العسكرية والسياسية. كما لعب مكتب تاونات دورا مهما في الإشراف على تتبع هذه الاتفاقيات وترسيمها بشكل رسمي، حيث ظهر كمكتب له خاصية الإشراف الداخلي على الدائرة والإشراف الحدودي، حيث كان يشرف على حل المشاكل الحدودية والسهر على تجاوزها سواء مع الجانب الإسباني أو في علاقة القبائل والسكان بين المنطقتين فيما بينهم.

ظلت الحدود تشكل للفرنسيين هاجسا على الدوام لابد من التفطن لمخاطره، حيث برزت مخاوف أمنية أثناء التقدم الإسباني صوب منطقته، مما طرح العديد من المشاكل سعى ضباط الدائرة لتجاوزها عبر اتخاذ مجموعة من الإجراءات، كما خلفت هذه الأوضاع تحديات على مختلف المستويات، جعلت الفرنسيين يقرون بصعوبتها وضرورة إيجاد حلول لها، فخصوصية المنطقة من خلال الشريط الحدودي للدائرة جعلت الإدارة الفرنسية تعمل بشكل جدي على تفعيل سياسة تديرية تتماشى مع خصوصيات المنطقة.

المستوى الثاني: وهو المستوى الخاص بإبراز وسائل تثبيت سلطات الحماية سيطرتها على المنطقة، حيث شكلت البنية التحتية وسيلة مهمة لتثبيت السيطرة على المنطقة وإحكام الإرادة الفرنسية عليها، فقد لعبت الطرق دورا مركزيا في عملية الربط الاقتصادي وتسريع وثيرة الاستغلال، بمقابل ذلك شكلت المباني الإدارية الممثلة في المكاتب، أهم أدوات تفعيل السيطرة الإدارية على المنطقة خاصة مكنتي بني وليد وتاونات. كما سعت الإدارة الفرنسية إلى التدخل في الحياة الاقتصادية للسكان وتوجيهها في الميدان الفلاحي من خلال الشركة الأهلية الاحتياطية، وتشجيع الاستيطان الزراعي الذي سلب القبائل مساحات مهمة من الأراضي، وتوظيف مختلف الوسائل للقضاء على الملكية الجماعية وإعطاء الأولوية للملكية الفردية وملكية الدولة، من خلال اللجوء إلى ترسانة قانونية على المقاس.

المستوى الثالث: وهو المستوى الإجرائي، الذي هدف إلى التعرف على إحدى أهم الأدوات التي وظفها المستعمر لأجراً سياسته من خلال توظيف المكون القايدي، حيث تم التعرف على نماذج من قياد حققوا الرضا لدى الجهاز الفرنسي، ونماذج أخرى لم ترقى إلى تطلعات الضباط الفرنسيين الذي عملوا على إبعادها عن مهمة القيادة لقبائلهم، كما لم يغب في هذا المستوى إيضاح شكل العلاقة التي جمعت بين الضباط الأهلين ومعاونيهم المحليين من جهة، ومن جهة ثانية تم التعرف على التنافس بين الأعيان والقياد المحليين حول منصب القايد، وتبيان بعض الأساليب الموظفة في هذه المنافسة، على مرأى من سلطات الحماية.

في الأخير كان التعرف على وضعية هؤلاء المعاونين لفرنسا، خلال مرحلة جد حساسة من تاريخ المغرب كانت تمهيدا لاستقلاله (1953-1956)، حيث برز نشاط الوطنيين وظهرت خلايا جيش التحرير والعمل الفدائي، فقد أثرت هذه المستجدات على حياة فئة القياد، التي وجدت نفسها بين مطرقة الاستمرار في موالاة الفرنسيين أمام تهديد الوطنيين لهم، وسندان الخروج عن الطاعة الفرنسية.

خاتمة عامة

تميزت منطقة الدراسة بخصوصيات طبيعية وجغرافية وبشرية، جعلت من دائرة ورغة العليا تتميز بها عن باقي المناطق، حيث شكل الطابع الجبلي للمنطقة ملجأ مهما للمقاومة، التي سعت إلى توظيف هذه الخاصية منذ البداية في مواجهة القوات الفرنسية التي زحفت سنة 1913 باتجاه تيسة و 1917 صوب عين معطوف وعين عائشة سنة 1920، حيث شكلت المناطق الجبلية المتواجدة بمزيات ومزراوة ومثوية مكانا يعتمد عليه المقاومون في تنظيم صفوفهم، فلم تتقدم القوات الفرنسية في السيطرة على مزيات ومزراوة ورغوة إلا بحلول سنة 1924 أمام وجود طارئ تقدم المقاومين الريفيين لقيادة المقاومة الموحدة بالمنطقة.

أما على المستوى البشري فقد تعددت قبائل المنطقة التي كانت متواجدة بحوض ورغة، حيث رغوة ومزيات ومزراوة وفرقة أولاد عمران (الحيانة)، التي عملت القوات الفرنسية على تتبع تطور أعدادها ورصد توزيعها بالمنطقة، بهدف وضع السياسة اللازمة لتدبير المنطقة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، كما لم تغفل هذه السياسة الجانب الإداري، فقد عرف إحداث الدائرة تطورات وتعديلات مهمة قبل أن تستقر على شكلها النهائي في سنة 1931، لكنها ظلت منطقة إدارية بخصوصيات تدبيرية عسكرية.

أثناء تقدم القوات الفرنسية للمنطقة، سارعت القوات الفرنسية منذ حلولها بتيسة سنة 1913 إلى تنزيل سياسة اختراقية تجاه قبائل المنطقة، أظهرت بعضها نجاحاتها وأخرى لم تصمد أمام إرادة المقاومة في التخلص من التواجد الفرنسي، حيث وظفت القوات الفرنسية أساليب سياسية لزرع التفرقة بين قبائل المنطقة واستمالة الأعيان، والضغط على القبائل بحصارها اقتصاديا أو حرمانها من مقومات عيشها، إضافة إلى تفعيل عقوبات قاسية "غرامات حرية" كشكل من أشكال الإفقار للقبائل المقاومة، ودفعها بكل الوسائل للخضوع. فقد جاء توظيف هذه الأساليب مع تطور الأجندة والمخططات الفرنسية التي حكمتها الظرفية الدولية والمحلية، حيث ركزت سلطات الحماية على الاختراق السياسي وتوظيف المراكز العسكرية خلال فترة الحرب العالمية الأولى، خوفا من إثارة لهيب المقاومة لدى

القبائل التي قد تجهز على القوات الفرنسية المتناقصة العدد، وفي مرحلة أخرى على القوة العسكرية بعد أن برز التحدي الريفي القادم من الشمال، مما جعل القوات الفرنسية تعجل بالزحف على المنطقة على غير عادتها، ودون الإعداد المتأني في إيجاد نوع الأساليب التي قد توظفها، فقد كان ههما الوصول إلى السيطرة على المنطقة.

التقدم الريفي ونجاحه في سحب البساط السياسي من القوات الفرنسية على قبائل المنطقة، سيجعل المقاومة المحلية تتحمس أكثر لرفع نسق المقاومة بتأطير من الريفيين، حيث عرفت المنطقة محطات تاريخية مجيدة من الدفاع والمقاومة للسكان المحلية، حيث برزت مقاومة منظمة لها أهداف ورؤى، عملت على مواجهة القوات الفرنسية بأسلوب يتمشى مع خصوصيات تقدمها، من خلال الإقدام على تجهيز مناطق المقاومة وشن هجمات مباغثة على المراكز الفرنسية ومحاصرتها.

تطور المقاومة واشتدادها جعل القوات الفرنسية تعيش أحلك فتراتهما بالمنطقة، هذه المنطقة التي قلت الكتابات عن ملاحمها وإسهامها في المقاومة المغربية داخل كتابات الباحثين، بحيث قلما ما توجد إشارة إلى قبائل مزيات ورغوة ومزراوة ومثوية وإسهاماتها في تسطير ملاحم المقاومة، كأنها قبائل الهامش مقارنة بمناطق أخرى، لكن حقيقة الأمر أن المنطقة لم تقل في شيء عن باقي المناطق، نظرا لموقعها الاستراتيجي والتجاذبات السياسية والعسكرية التي حكمت التدخل الفرنسي بالمنطقة، فقد خاضت هذه القبائل مقاومة شرسة ضد القوات الفرنسية بداية من سنة 1925 حيث لاقت الفرقة المتحركة لفريدنبورغ صعوبات حمة في مواجهة هاته القبائل، حيث لم تُجد كل الخطط الفرنسية نفعا أمام حصار المقاومين للقوات الفرنسية بمراكزها وإسقاط العديد منها كسُكر وأستر والصفصافات وغيرها، لم تجد القوات الفرنسية أمامها من وسيلة غير التراجع إلى الوراء، الأمر الذي يؤرخ لملاحم وأجناد هذه القبائل، التي لم تخفي التقارير الفرنسية جزءا من نتائج تلك المعارك الضارية التي واجهتها القوات الفرنسية مع المقاومين.

شهدت القوات الفرنسية نكسات متتالية خلال شهري ماي ويونيو 1925، نتيجة المقاومة التي قادتها قبائل مزيات ومزراوة ورغوة ومثوية وصنهاجة مصباح، لم تستطع معها العودة إلى معاقلها إلا بعد تغيير قيادتها العليا

(ليوطي) وتوظيف عتاد ضخمة تم جلبه من مستعمرة الجزائر، إضافة إلى خلق شراكة عسكرية مع الإسبان للقضاء على الثورة الريفية، لتنتهي بذلك ملاحم من المقاومة التي قادتها قبائل المنطقة بوصول القوات الفرنسية خلال الأشهر الأخيرة من سنة 1926 إلى الحدود الشمالية لقبيلة مثوية، حيث بدأت سلطات الحماية في مواجهة تحديات من نوع آخر كانت الحدود العامل الأساسي فيها.

بعد سيطرة القوات الفرنسية على مجال الدائرة وشريطها الحدودي، أصبح لزاما عليها الدخول في المرحلة الثانية، المتمثلة في تأهيل المنطقة وفق التصور التدبيري الفرنسي لمرحلة ما بعد الحرب، وهي مرحلة التدبير والأجرة الفعلية للسياسة الاستعمارية لجني ثمار المنطقة واستغلالها على جميع المستويات، فقد وجدت هذه السلطات أول مشكل أمامها يتمثل في تصفية مسألة الحدود مع الإسبان بتوقيع مجموعة من المعاهدات الحدودية، التي أبان فيها الفرنسيون عن نجاعة قوتهم أمام الإسبان من منطلق أنهم هم الموقعون لمعاهدة الحماية مع المغرب وليس الإسبان، من خلال تحقيق مكاسب حدودية على مستوى الدائرة أو على مستوى مناطق أخرى، حيث ظهر الإسبان بموقف الجبر على التوقيع، على الرغم من محاولة إظهار التقارير الفرنسية بأن العلاقة الحدودية مع الإسبان حكمتها المشاورات والتفاوض والتنسيق.

لقد كان الإسبان على إدراك تام بالحيف الذي مورس في حقهم من قبل الفرنسيين في مسألة الحدود، وهو الأمر الذي يبرر عدم تفريط الإسبان في جعل الحدود في مراحل أخرى معقلا للمشاكل بالنسبة للفرنسيين، الذين لم يهنأوا بهذه المكاسب الحدودية، حيث لم يكن بمقدور الإسبان مواجهة هذا الظلم الفرنسي في حقهم إلا من خلال جعل فرنسا تتحمل وزر هذه الحدود، سواء خلال مرحلة تقدمها للسيطرة على قبائل صنهاجة السراير أو خلال مرحلة اضطراب الوضع الداخلي الإسباني منذ سنة 1931، حيث لم تجد فرنسا بدا من غير التجند بإمكاناتها لمواجهة هذه التحديات، والتي كان أشدها خطورة خلال فترة الخمسينيات بظهور خلايا جيش التحرير بالمنطقة الشمالية، وتوظيف المنطقة الإسبانية للإجهاد على التواجد الفرنسي بالمغرب ككل، حيث سارعت فرنسا إلى الخروج

منه بأقل الخسائر، من خلال إرجاع السلطان إلى المغرب والدخول في مفاوضات "اكس لبيان" للخروج بتوافق حول استقلال المغرب عوض أن يتحقق استقلاله بالسلاح، الذي ستكون معه فرنسا فاقدة لكل شيء، وهي المرحلة التي تؤرخ لمرحلة القطيعة بين الإسبان والفرنسيين الذين لم تدم شراكتهم بالشكل الذي أراده الجهاز الفرنسي خلال مرحلة الخمسينات، لما شاب علاقتهم من بروز لثنائية التفوق الفرنسي والقصور الإسباني.

وتماشيا مع القضايا التي تم طرحها كأئلة مؤطرة لإشكالية البحث، من خلال رصد المتغيرات التي وقعت بالمنطقة، كما كان لزاما التحقق من صحة الفرضيات والخلاصات المتوصل إليها بعد الوصول إلى نهاية البحث، وبذلك التحقق من مصداقيتها وقد جاءت على الشكل التالي:

- استطاع الجهاز الاستعماري استيعاب الخصوصيات الطبيعية والجغرافية في تدبيره للشأن الأهلي المحلي، كما عمل جاهدا على إحداث تغييرات جذرية في طريقة تدبير المجال القبلي، والانتقال من مرحلة الصدام مع الساكنة إلى مرحلة التأطير، لكن هذا الاستيعاب بداية من سنوات الخمسينات سيبدأ في الانفلات من يد سلطات الحماية شيئا فشيئا، حيث ستدخل المنطقة في مرحلة وجودية بالنسبة للمستعمر بجميع مكوناته، بعدما أصبحت تنفلت ملفات مهمة من يد الجهاز التدبيري الفرنسي، وعلى رأسها التهريب الذي أثر بشكل كبير في بداية عودة العمل المسلح وظهور خلايا جيش التحرير.

- التوغل الفرنسي بالمنطقة لم يكن يحيل على نجاح جميع خطط الفرنسيين أثناء توغلهم بالمنطقة، فقد فرضت الظروف الدولية والمحلية بالأساس من خلال المقاومة والثورة الريفية، ضرورة تغيير القوات الفرنسية لخططها وأهدافها.

- واجه الجهاز العسكري والتدبيري بالمنطقة مجموعة من التحديات خاصة الناتجة عن المشاكل الحدودية وهو ما جعله يعيش لحظات من التخبط، ومحاولة تطبيق هذه المشاكل، والبحث عن تطوير أساليبه باستمرار لاحتواء التحديات التي تظهر بالمنطقة.

- ما تطرق له هذا العمل في جوانب خاصة بالمجال الاجتماعي والاقتصادي والأمني، لا يمكن القول عنه بأنه وصل لدرجة الكمال والإلمام بجميع الجوانب، ولا يكفي للحكم بشكل قطعي على نجاح أو فشل الاستراتيجية الفرنسية بالدائرة، ففي الأخير هذه المؤثرات تفاعلت على مستويات مختلفة، مكنت المغرب في نهاية المطاف من الحصول على استقلاله، والخروج بموروث استعماري لا يمكن نكرانه ويفرض نفسه مع مغرب الاستقلال.

- هذا العمل هو ثمرة جهد ست سنوات من العمل الجاد والبحث، وهو قاعدة مرجعية يمكن أن يعود إليها الباحثون والمهتمون بتاريخ منطقة تاونات، للانطلاق صوب البحث في مواضيع أخرى، أو استكمال ما يوجد داخل هذا العمل والتركيز على موضوع بحد ذاته، من قبيل التهريب ودوره قبيل استقلال المغرب في دعم مجهودات الوطنيين وأعضاء جيش التحرير، كما يمكن الانفتاح على السياسة القايديّة بشكل أوسع، فهذا العمل يشكل أساسا مرجعيا يمكن الاستناد عليه مستقبلا لتعزيز الدراسات حول منطقة وقبائل تاونات، واختصار الجهد في التعرف على المنطقة أو أخذ نظرة عن ما سيتم البحث فيه، وهو ما سيكون عكس ما تم مواجهته أثناء بداية الاشتغال على المنطقة، في ظل غياب أبحاث ودراسات سابقة يمكن أن تساعد على فهم مجال الاشتغال بشكل دقيق خلال الفترة الزمنية المؤطرة للعمل، فأفاق هذا البحث هي مفتوحة وواعدة، وتوجد قابلية التطوير والإغناء أو الامتداد نحو آفاق ومواضيع بحثية أخرى تخص منطقة تاونات، وباقي المناطق الحدودية خلال فترة الحماية.

البيبليوغرافيا :

I. باللغة الفرنسية

1. Archive du MAROC : (A.M)

☞ Arrêté n°.72 A.P, le 21 Avril 1927. Direction général des affaires indigènes.

☞ Carton (B24), statistique de la population par région, TABLEAU G, **Etat récapitulatif de la population civil par région**, région de Fès, 1936.

☞ Carton (B26), statistique de la population par région, TABLEAU M., **statistique de la population civile marocaine par tribus et fractions de tribus**, région de Fès, 1936.

☞ Carton (C 2211), dossier Amendes de guerre N° V, Direction des Affaires Indigènes, Lettre n° 1290 RC, 12/12/1925, sujet: **les Amendes de guerre : tribus du Cercle du Haut-Ouergha**, Région de Fès, 1926.

☞ Carton (C2211), Amendes de guerre V/2, n° 1006 D.R.8, dossier XIV/5, Région Fès, 6 juillet 1918.

☞ Carton (C2212), Amendes de guerre, 12/12/1925, n° 1290 R.C , Région de Fès.

☞ Carton (C2212), dossier Amende de guerre n° V/2, Direction des affaires indigènes, Lettre N° 1733R, du Général de CHAMBRUN le Général Commandant supérieur les Troupes du Maroc aux Messieurs le Général Cdt le Groupement de Fès et le Résident Général, sujet :

les Amendes de guerre infligées aux tribus du Cercle du Haut-Ouergha, 23 septembre 1926.

☞ Carton (C2215), dossier Amende de guerre, n° 18347/1733R., septembre 1926, Direction des affaires indigènes.

☞ Carton (C2215), dossier Amendes de guerre XIV/5/2, Direction des Affaires Indigènes, Réponse N° 178 D.R.C2, du BERRIAU au General et Directeur Intendance (Région Fès), sujet : **Réponse à 65 R.C. du 6 Juillet**, 7 juillet 1918.

☞ Carton (C2215), Lettre n° 388 dr², du Anonyme au Monsieur le Directeur Général des Services Financiers du Protectorat, sujet : **Païement de dégâts commis à SOUQ EL ARBA de TISSA**, 28 juillet 1914.

☞ Carton (D071), dossier études législatives, ARRETTE VIZIRIEL n° 1073/1933, **portant la création de la caisse régionale d'épargne et de crédit agricole indigènes de Fès.**

☞ Carton (D072), dossier étude législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1182/1935, **création de la caisse régionale d'épargne et de crédit agricole indigènes de Fès et Taza.**

☞ Carton (D072), dossier des études législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 986/1931, **modification à la composition de la société indigène de prévoyance du Haut-Ouergha.**

☞ Carton (D077), dossier étude législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1016, DU 28 MARS 1932, **autorisant l'acquisition d'une parcelle de terrain nécessaire à l'emprise d'un tronçon de la rectification de la route n° 302, de Fès à Sker par Souk el Arba de Tissa et Aîn Aïcha, entre les P.K. 44,507 et 47.**

☞ Carton (D077), dossier étude législatives, ARRETE VIZIRIEL n° 1187, DU 23 JUIN 1933, **portant reconnaissance d'une emprise supplémentaire de la route n° 302(de Fès à Sker par Souk el Arba de Tissa a Aîn Aïcha .**

☞ Carton (D365), dossier du Secrétariat Général du Protectorat (études législative), ARRETE VIZIRIEL N° 446/ 3 Août 1929, **ARRETE VIZIRIEL autorisant l'Etat à accepte la donation d'une parcelle de terrain situé à Tleta du Beni-Oulid .**

☞ Carton (D365), dossier du Secrétariat Général du Protectorat (Services des études législatives), Lettre N° 3234, du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat (Service des Etudes législatives), sujet : **domaines-Fez , Cercle Du Haut-Ouergha, Beni oulid, installation du Bureau des Affaires indigènes**, 2 Juillet 1929.

☞ Carton (D365), dossier du Secrétariat Général du Protectorat études législatives, ARRETE VIZIRIEL N° 850/ 1929, **autorisant l'acquisition pour le compte du domaine privé de l'Etat, de trois parcelles habous sur le terrain du bureau du affaires indigènes de Taounat (région de Fès) et de ses dépendances.**

☞ Carton (D366), dossier du Secrétariat Général du Protectorat Etudes Législatives n° 877/ 1929, registre des transactions immobilières, Lettre N° 1718 S.E.L., du Secrétaire Général du Protectorat au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Sujet : **Projet d' ARRETE VIZIRIEL N° 446 autorisant l'Etat à accepte la donation d'une parcelle de terrain**

situé à Tleta du Beni-Oulid (Cercle du Haute-Ouergha, Région de Fès), 23 Juillet 1929.

☞ Carton (D366), dossier du Secrétariat Général du Protectorat Services des études législatives n° 877/ 1929, Lettre N°3234F.SD., du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat (Service des Etudes Législatives), sujet : **installation du bureau des Affaires Indigènes, Donation d'un terrain à l'Etat Chérifien**, 2 Juillet 1929.

☞ Carton (D366), dossier du Secrétariat Général du Protectorat études législatives, ARRETE VIZIRIEL N° 870/ 1929, **autorisant l'acquisition pour le compte du domaine privé de l'Etat, des donations des terrains situés aux abords du poste de Taounat (Cercle du Haut-Ouergha-territoire du fes-nord-région de Fès) et de ses dépendances.**

☞ Carton (D366), Secrétariat Général du Protectorat études législatives, ARRETE VIZIRIEL N° 877, traduction N° 812, **Arrêté viziriel autorisant l'Etat à accepte la donation d'une parcelle de terrain situé à Tleta du Beni-Oulid**, Bureau des Affaires Indigènes du Territoire de Fès-Nord, registre des transactions immobilières, 1929.

☞ Carton (D436), Domaine Colonisation Fès, Secrétariat Général du Protectorat n° 1001/, **NOTE : relative au rajustement des lots : Sahal Bou Tahar n° 1-2-3-4-5**, Fès le 1931.

☞ Carton (D437), dossier Domaine Colonisation Fès N° 15761 F.S.D/2, Lettre N° 1001, du Directeur Général des Finances au Monsieur le Secrétaire Général du Protectorat, sujet : **rajustement des lots Sahal Bou Tahar n° 1-2-3-4-5**, le 17 Novembre 1931.

☞ Carton (D437), dossier Domaine Colonisation Fès, secrétariat général du protectorat **Dahir n° 1001, autorisant la vente d'une parcelle de terrain dominal (Fès), 1931.**

☞ Carton (D685), Secrétariat Général du Protectorat (service des études législatives), Domaine colonisation, Dahir n° 248, septembre 1922, **cession cheikh Jillali BEN EL HASSAN et Caïd Fedhoul BEN EL GOUÏD.**

☞ Carton (E979), Direction Générale des Finances (Service des Douanes et Régies), Lettre N° 210, du Inspecteur des Finances (directeur général des finances) au Monsieur le Directeur des affaires indigènes à Rabat, sujet : **Avis de fraude- Prohibition de sortie des animaux**, 1 Mai 1935.

☞ Carton (E979), Lettre n° 531 e. dég., du directeur général des finance au monsieur le Générale de Division Commandant la Région (Affaires Indigènes) , sujet : **projet d'ARRETE VIZIRIEL fixant les conditions dans lesquelles les animaux de l'espèce bovine pourront être admis au pacage sur les confins de la zone espagnole**, 9 août 1930.

☞ Carton (E979), Lettre N°645, du Générale de division PETIN Commandant la Région de Fès au Monsieur le Directeur Général des Affaires Indigènes, Sujet : **contrebande des bovins par la frontière nord**, Région de Fès, le 25 Avril 1930.

☞ Carton (E980), Transmission N° 848, du Directeur des affaires indigènes à Rabat au Monsieur le Général de Division Commandant la Région Fès, objet : **contrebande commerciale sortie d'animaux en fraude**, 8 Mai 1935.

☞ Carton (F155), SEPARATION ADMINISTRATIF AU MAROC 1919, Région de Fès.

☞ Carton , Arrete viziriel du 21 Mars 1950, **ordonnant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha située sur le territoire du Cercle du Haute-Ouergha (Région de Fès)** , dossier Service de législation

☞ Carton , Service de législation (Division des eaux et forêts), Rapport de l'Inspecteur General des Eaux et Forêts Chef de la division des eaux et forêts, **concernant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha**, et sur : **ordonnant la délimitation de 6 cantos de la forêt domaniale du Haut-Ouergha située sur le territoire du cercle du Haute-Ouergha (Région de Fès)** , 1950.

➤ **Territoire de FES NORD:**

- R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mai 1925
- R.P.M, Territoire de Fès Nord, février 1927
- R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mai 1927
- Carton (E926), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Juin 1927.
- Carton (B73), R.P.M, situation du désarmement des tribus du Territoire de Fès Nord, septembre 1927.
- Carton (B76), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Septembre 1927.
- R.P.M, situation du désarmement des tribus du Territoire de Fès Nord, octobre 1927
- Carton (B76), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Octobre 1927.
- Carton (B76), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Novembre 1927.
- Carton (B74), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Janvier 1928.

- Carton (B74), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Février 1928.
- Carton (B74), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mars 1928.
- Carton (F257), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Avril 1928.
- Carton (F257), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mai 1928.
- Carton (F257), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Juin 1928.
- Carton (F257), R.P.M, Territoire de Fès Nord, juillet 1928.
- Carton (E918), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Septembre 1928.
- Carton (E918), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Octobre 1928.
- Carton (E918), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Novembre 1928.
- Carton (E936), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Janvier 1929.
- Carton (E936), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Février 1929.
- Carton (B82), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mars 1929.
- Carton (B82), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Avril 1929.
- Carton (B04), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Septembre 1929.
- Carton (B04), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Octobre 1929.
- Carton (B66), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Novembre 1929.
- Carton (B06), R.P.M, Territoire de Fès Nord, décembre 1929.
- Carton (B04), R.P.M, Territoire de Fès Nord, février 1930.
- Carton (B04), R.P.M, territoire de Fès Nord, Mars 1930.
- Carton (B04), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Août 1930.
- Carton (B77), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Septembre, 1930.
- Carton (B75), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Novembre 1930.
- Carton (B75), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Décembre 1930.
- Carton (B79), R.P.M, Territoire de Fès Nord, février 1931.
- Carton (B70), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Mars 1931.
- Carton (B70), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Avril 1931.

- Carton (B73), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Juillet 1931.
- Carton (B73), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Août 1931.
- Carton (B04), R.P.M, Territoire de Fès Nord, Novembre 1931.

➤ **Rapport de Situation politique et Militaire :**

- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 04 au 10 Mai, 1925.
- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 11 au 18 Mai, 1925.
- Carton (S17), Situation Politique et Militaire, du 19 au 25 Mai, 1925.
- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 24 au 30 Mai, 1925.
- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 26 Mai au 1^{er} Juin, 1925.
- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 2 au 8 Juin, 1925.
- Carton (S17), Situation politique et Militaire, du 02 au 08 Juin, 1925.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 13 au 19 juillet 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 27 Juillet au 02 Août 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 03 au 09 Août 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 17 au 23 Août 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 23 au 30 Août 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 31 Août au 06 Septembre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 07 au 13 Septembre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 14 au 20 Septembre 1926.

- Carton (F263), situation politique et Militaire, du 21 au 27 Septembre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 28 Septembre au 4 Octobre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 05 au 11 Octobre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 12 au 18 octobre 1926.
- Carton (F263), Situation Politique et Militaire, du 19 au 26 Octobre 1926.

➤ **Rapport Mensuel du Protectorat (R.M.P)**

- ◆ Carton (F159), R.M.P, Mars 1913.
- ◆ Carton (F159), R.M.P, Avril, 1913.
- ◆ Carton (F253), R.M.P, Avril 1914.
- ◆ Carton (F253), R.M.P, Mai 1914.
- ◆ Carton (F253), R.M.P, Août 1914.
- ◆ Carton (F236), R.M.P, Juillet 1915.
- ◆ Carton (F253), R.M.P, Septembre 1915.
- ◆ Carton (F252), R.M.P, Novembre 1915.
- ◆ Carton (F239), R.M.P, Février 1916.
- ◆ Carton (E936), R.M.P, Janvier 1917.
- ◆ Carton (F171), R.M.P, Mars, 1917.
- ◆ Carton (F240), R.M.P, Juin, 1917.
- ◆ Carton (F240), R.M.P, Octobre 1917.
- ◆ Carton (F170), R.M.P, Novembre 1917.
- ◆ Carton (F167), R.M.P, Juin 1918.

- ♦ Carton (F167), R.M.P, Juillet 1918.
- ♦ Carton (F168), R.M.P, Septembre 1918.
- ♦ Carton (F168), R.M.P, Novembre 1918.
- ♦ Carton (F165-166), R.M.P, Février, 1919.
- ♦ Carton (F155-166), R.M.P, Mars 1919.
- ♦ Carton (F155-166), R.M.P, Mai 1919.
- ♦ Carton (F155-166), R.M.P, Juillet 1919.
- ♦ Carton (F155-166), R.M.P, Août 1919.
- ♦ Carton (F155-166), R.M. P, octobre, 1919.
- ♦ Carton (F159), R.M. P, Mai, 1920.
- ♦ Carton (F162), R.M.P, octobre, 1920.
- ♦ Carton (F162), R.M.P, Novembre, 1920.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Janvier 1921.
- ♦ Carton (F160), R.M.P, Juin 1921.
- ♦ Carton (F160), R.M.P, Juillet 1921.
- ♦ Carton (F160), R.M.P, Août 1921.
- ♦ Carton (F162), R.M.P, Septembre 1921.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Mars 1922.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Avril 1922.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Mai 1922.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, juin 1922.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Juillet 1922.
- ♦ Carton (F159), R.M.P, Novembre 1922.
- ♦ Carton (C522), R.M. P, Août 1923.

- ♦ Carton (C522), R.M.P, Novembre 1923.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Mai 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Avril 1924.
- ♦ Carton (C522), R. M.P, Juin 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Juillet 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Août 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M. P, Septembre 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Octobre 1924.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Novembre 1924.
- ♦ Carton (B84), R.M.P, Janvier 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Mars 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Avril 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Mai- Juin 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Juillet- Août 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, juillet 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Septembre 1925.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Octobre 1925.
- ♦ Carton (C522), R.P.M, Novembre 1925.
- ♦ Carton (C522), R.P.M, Décembre 1925.
- ♦ Carton (F157), R.M.P, Janvier 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Février 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Mars 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Avril 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Mai 1926.

- ♦ Carton (C522), R.M.P, Juin 1926.
- ♦ Carton (F157), R.M.P, Juillet 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Août 1926.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Août 1927.
- ♦ Carton (C522), R.M.P, Novembre-Décembre 1927.

➤ **REGION DE FES :**

- Carton (B4), R.P.M, Région de Fès, du 1ere au 31 Août 1923.
- Carton (B4), R.P.M, Région de Fès, décembre 1923.
- Carton (B4), R.P.M, Région de Fès, 20 Avril au 19 Juin 1924.
- Carton (B4), R.P.M, Région de Fès, juin 1924.
- Carton (B83), R.M.P, Région de Fès, Juillet 1925.
- Carton (B83), R.P.M, Région de Fès, Juin 1929.
- Carton (B06), R.P.M, Région de Fès, Avril 1933.

➤ **TAZA**

- R.P.M, Région de Taza, Avril 1927
- R.P.M, Territoire de Taza nord, juin 1927.
- Bulletin mensuel de renseignements, cercle de Tahla, Mai 1933.

➤ **Rapport Economique Mensuel: (R.E.M)**

- Carton (C195), Rapport Economique Mensuel, l'Annexe des Hayaîna « tissa », Juillet 1921.
- Carton (C198), Rapport Mensuel Economique D'ensemble, situation au 1^{er} Août 1921.
- Carton (C195), Bureau Economique de Fès, Rapport Economique Mensuel, Août 1925.

- Carton (C199), Bureau Economique de Fès, R. Economique de Fès, Août 1926.
- Carton (C199), Bureau Economique de Fès, Rapport Economique de Fès, Novembre 1926.
- Carton (C199), Bureau Economique de Fès, Rapport Economique de Fès, Décembre 1926.
- Carton (C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut-Ouergha, Septembre 1926.
- Carton (C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut-Ouergha, Octobre 1926.
- Carton (C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut-Ouergha, Novembre 1926.
- Carton (C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut-Ouergha, Décembre 1926.

➤ **CERCLE DU Haut-Ouergha :**

- R.P.M, Cercle du Haut Ouergha, Tissa, le 30 Mai 1925
- R.P.M, Cercle du Haut Ouergha, Août 1925
- R.P.M, Cercle du Haut Ouergha, 1^{ere} Septembre 1925
- R.P.M, Cercle du Haut-Ouergha, période du 26 février au 25 Mars 1931. (B75)
- R.P.M, cercle du Haut-Ouergha, du 26 mars au 25 Avril 1931. (B70)
- R.P.M, cercle du Haut-Ouergha, du 26 juin au 25 juillet 1931. (B73)
- R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, Période du 26 juillet au 25 Août 1931. (B73)

- R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, Période du 26 Novembre au 25 décembre 1931. (B04)
- R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, Période du 26 Février au 25 Mars 1932. (B05)
- R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, Période du 26 Mars au 25 Avril 1932. (B05)
- R.P.M, Cercle du HAUT-OUERGHA, Période du 26 Avril au 25 Mai 1932. (B05)
- R.P.M, cercle du Haut-Ouergha, Mars 1933. (C201)

❖ **R.E.M du Cercle**

- Carton(C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut Ouergha, Septembre 1926.
- Carton(C199), Rapport Economique Mensuel, Cercle du Haut Ouergha, Octobre 1926.
- Carton(C200), Statistiques économiques mensuelles, Cercle du Haut Ouergha, décembre 1932.

➤ **Bureau du Tleta des Beni Oulid**

- Carton(C201), Statistiques économiques mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, bureau A.I. de Tleta des Beni-oulid, du 21 Novembre au 20 décembre 1932.
- Carton(C201), Statistiques Economiques Mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, bureau A.I. de Tleta des Beni-oulid, du 21 Janvier au 20 Février 1933.

➤ **Bureau de TAOUNAT**

- Carton(C201), Statistiques économiques mensuelles, Cercle du Haut Ouergha, B.A.I. de Taounat, décembre 1932.
- Carton(C201), Rapport économiques mensuelles, Cercle du Haut Ouergha, B.A.I. de Taounat, Février 1933.
- Carton(C201), Rapport économiques mensuelles, Cercle du Haut-Ouergha, Bureau .A.I. de Taounat, décembre 1933.

➤ **Rapport Economique du Cercle du Moyen Ouergha :**

- Rapport Economique Mensuel, Cercle du Moyen Ouergha, Bureau du kalaa des sless, Octobre 1926

➤ **Mémoires du C.H.E.A.M.**

- MILLIOT M., **L'Exode Saisonnier des Riffains vers l'Algerie**, documents du C.H.E.A.M, université de Paris, n.330
- CALLIES Capitaine, **les terres collectives au Maroc**, documents du C.H.E.A.M, université de Paris, 1939, n°.322
- COULEAU J., **Essai de Sociologie Rurale dans la région de Fès**, documents du C.H.E.A.M, université de Paris, (sans année) n°197

2. centre des Archives diplomatiques de Nantes :

- ☞ Carton (1MA/100/272), Rapport des Commandants des Territoires de Fès-Nord et d'Ouezzan, sujet : **la délimitation des zones françaises et espagnoles au Nord du Maroc**, le 15 août 1927.
- ☞ Carton (1MA/100/272), Annexe à la Lettre de Madrid n° 4 du 3 juillet 1925, **résumé de l'entretien entre experts militaires qui a eu lieu le 1er juillet 1925 au sujet de la limite des zones française et espagnole.**
- ☞ Carton (1MA/100/272), Direction des Affaires Politique, **Accord du 10 juillet 1926 entre la France et l'Espagne : Délimitation de la frontière franco-espagnole.**
- ☞ Carton (1MA/100/272), Direction des Affaires Politique, **Accord entre la France et l'Espagne sur la limite des deux zones d'influence française & Espagnole (signé le 25 juillet 1925).**
- ☞ Carton (1MA/100/272), Lettre du Peretti de la Rocca Ambassadeur de la France au Monsieur le président du directoire Militaire de l'Espagne « Marquis de Estelle », **Sujet : l'occupation des Beni Zeroual** , 25 juillet 1925.
- ☞ Carton (1MA/100/272), Lettre N° 338/R.C./2, du Général PETIN Commandant la Région de Fès au Monsieur le Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc, sujet : **Délimitation de la frontière franco-espagnole**, 18 Août 1927.
- ☞ Carton (1MA/100/272), Lettre N° 3523DR/3, du Commissaire Résident Général de la République Française au Maroc, aux Messieurs : le Général

de Division et Membre du Conseil Supérieur de la Guerre et commandant Supérieur des Troupes du Maroc, sujet : **la Collaboration Franco-espagnole**, le 11 Décembre 1926,

☞ Carton (1MA/100/274), Rapport n° 376-RC, du lieutenant RAYNAUD Commandant le 43° Goum Mixte à HADADA, **sujet d'une entrevue avec des Officiers espagnols**, Territoire de Fès-Nord, Fès le 19 Avril 1933.

☞ Carton (1MA/100/274), Rapport N° 376-RC, du lieutenant RAYNAUD Commandant le 43° Goum Mixte à HADADA, sujet : **d'une entrevue avec des Officiers espagnols**, Territoire de Fès-Nord, Fès le 19 Avril 1933.

☞ Carton (1MA/100/274), Dossier n° 344 R.T./1, service des affaires indigènes, Région de TAZA, copie de la traduction d'un accord entre les Mtioua et les Beni Bou Chibet, **en raison de la durée des litiges entre les fractions**, le 19 juin 1931.

☞ Carton (1MA/100/274), Rapport N° 2997 D.A.I, Etude sur la frontière Franco-Espagnole sur le front de la Région de Fès, du Général PETIN Commandant la Région de Fès, sujet : **la délimitation de la zone française et de la zone espagnole dans la Région de Fès**, 16 Août 1927.

☞ Carton (1MA/100/274),-Réponse du Marquis de Estella à l'Ambassadeur de la France, au Sujet : **de l'occupation des Beni Zeroual** , Madrid le 25 juillet 1925.

☞ Carton (1MA/300/36), lettre n° 305, du CONSEILLER du Gouvernement chérifien au Monsieur Directeur de l'Intérieur Section Politique, objet : Caïd JDIDI des Béni-Oulid, 30 juillet 1949.

- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 244DI/POLC/1, du Directeur de l'intérieur au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : Caïd JDIDI des Béni-oulid , Rabat le 22 janvier 1948.
- ☞ carton (1MA/300/36), Rapport n° 257 HO/2.C, du chef du Cercle du Haut-Ouergha, **demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH**, 21 juin 1947.
- ☞ carton (1MA/300/36), Cercle du HAUT-OUERGHA, Rapport du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, Lt-Colonel MARTINIE, objet : **feuille de renseignements concernant le cheikh LAZRAK BEN SI ALI- douar Amesker fraction- Ziama- tribu BENI-OULID** , Région de Fès, 21 juin 1947.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Direction des Affaires Politique, Capitaine DUGRAIS Chef de Bureau de Taounat, **feuille de renseignements, concernant le Khalifa SI M'FEDDEL DAOUDI Khalifa du Caïd de la tribu des M'tioua**, 1939.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Direction des Affaires Politique, Capitaine DUGRAIS, Chef de Bureau de Taounat, **feuille d'observation générales et proposition diverses**, 13 décembre 1939.
- ☞ Carton (1MA/300/36), dossier Caïd si Omar RAMMACH, Lettre n°.3847, du Conseiller du Gouvernement Chérifien au Monsieur le Directeur du Cabinet civil à Rabat, objet : **Dahir confiant le commandement de la tribu BENI-OULID au CAÏD OMAR GHAMACH**, 8/03/ 1951.

- ☞ carton (1MA/300/36), dossier du caïd SI M'feddel ben Mohamed DAOUDI, n° G.III.2.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Dossier N° G.III.2, Sujet : **Caïd SI ABDELAZIZ LAHLOU-Région de Fès, cercle du Haut-Ouergha-**.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre en arabe du Caïd ALI DJEDIDI des Beni-Oulid au monsieur le CONSEILLER du Gouvernement Chérifien, **sur la demandant du chef du Cercle du Haut-Ouergha : la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid** , Fès le 20 décembre 1947.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre N° S.G.RF/2, du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général Chef de Région à Fès, objet : **Remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID**, le 21 juin 1947.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 2265, du Capitane GAROUTE au Monsieur le Conseiller du gouvernement chérifien à Rabat, 10 juillet 1950.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 2265, du Capitane GAROUTE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien à Rabat, sujet: **le Caïd demander à S.E. le Grand VIZIR de lui accorder un Congé de deux mois**, 10 juillet 1950.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 4154, du Conseiller du Gouvernement chérifien au Monsieur Directeur de l'Intérieur Section Politique, objet : **SI ALI OU JDIDI des Béni-oulid**, 07 mars 1950.
- ☞ carton (1MA/300/36), Lettre n° 446D.A.P./2, du Directeur des Affaires Politique au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifian

Directeur des Affaires Chérifiennes, objet : **commandement de la tribu des Mtioua**, 13 janvier 1940.

☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 6207 GMII , du Caïd ALI DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, **la demandant du chef du Cercle du Haut-Ouergha : la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid**, 29 Mars 1948.

☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 912, du Caïd Ali DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le CONSEILLER du Gouvernement Chérifien, sujet : **Lettre du 29 Mars 1948**, 30 septembre 1948.

☞ Carton (1MA/300/36), Lettre n° 912, du Caïd Ali DJEDIDI des Beni-Oulid au Monsieur le CONSEILLER du Gouvernement Chérifien, sujet : **Lettre du 29 Mars 1948**, 30 septembre 1948.

☞ Carton (1MA/300/36), Note du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, **sur le Khalifa SI M'FEDDEL**, 14 décembre 1939.

☞ Carton (1MA/300/36), Rapport N° 257 HO/2.C, du Lt-Colonel MARTINIE Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Général Chef de Région à Fès, objet : **remplacement du Caïd de la tribu BENI-OULID**, du 21 juin 1947.

☞ Carton (1MA/300/36), Rapport du chef du cercle du Haut-Ouergha, **feuille de renseignements concernant le cheikh MOHAMED OULD SI ABDESLAM de da la fraction RHARFA- tribu de BENI-OULID**, Région de Fès, Cercle du HAUT-OUERGHA, 21 juin 1947.

☞ Carton (1MA/300/36), Rapport du Chef du Cercle du Haut-Ouergha, Lt-Colonel MARTINIE, **feuille de renseignements concernant le cheikh SI AMAR BEN SI HAMIDOU ROMMACH de la fraction Kelâa-tribu de BENI-OULID**, Région de Fès, 21 juin 1947.

- ☞ Carton (1MA/300/36), Rapport n° 2243, du chef du cercle du Haut-Ouergha, sujet : demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid, et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH, 21 juin 1947.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Transmission n° 10519, du Conseiller du gouvernement chérifien au Monsieur le Chef du Cercle du Haut Ouergha, sujet : **décision vizirienne n° 2627 accordant un congé de 2 mois au caïd LAHLO de Meziat Rhioa Mezraoua Cercle de taounat**, 12 juillet 1951.
- ☞ Carton (1MA/300/36), Transmission N° 2371/402, du Lt- Colonel BOULET-DESBAREAU Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Conseiller du gouvernement Chérifien, objet : **lettre du Caïd LAHLO à S.E. le Grand Vizir de la Justice**, 16 mai 1951 .
- ☞ Carton (1MA/300/36), Transmission N° 2371/402, du Lt- Colonel BOULET-DESBAREAU Chef du Cercle du Haut-Ouergha au Monsieur le Conseiller du gouvernement Chérifien, objet : **lettre du Caïd LAHLO au S.E. le Grand Vizir de la Justice de lui accorder une permission**, 16 mai 1951.
- ☞ Carton 1MA/300/36), dossier du Caïd LAHLO n° G.III.2, Lettre (sans .n°), du Caïd Si Abdelaziz Ben Ahmed LAHLOU au Monsieur le Conseiller du Gouvernement Chérifien, sujet : **nomination du Pacha de Meknès**, 25 Novembre 1937.
- ☞ Carton (1MA/100/274), Rapport spécial sur un incident de bordure à la frontière Espagnole , **affaire THARIA (Oulad BOU SLAMA) BENI AYACH (BENI BOUCHIBET)** , Région de Taza, 19 juin 1931.

☞ Carton 1MA/300/36), Transmission N° 2243 du 9/07/1947, du Résidence Général de la République Française au Maroc, au Conseiller du Gouvernement Chérifien Directeur des Affaires Chérifiennes, au sujet : **Rapport du chef du cercle du Haut-Ouergha demandant la mise à la retraite du Caïd ALI OU JDIDI de la tribu Beni Oulid et son remplacement par le Cheikh SI AMAR OULD HAMIDOU ROMMACH**, et les fiches de renseignements des 3 candidats proposés» , n° 257 HO/2.C, 21 juin 1947.

➤ **Poste des A.I. d'el HADDADA** : Carton (1MA/280/58)

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste d'el HADDADA, 1^{er} partie-zone intérieure, du 5 au 20 octobre 1954.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, période du 20 Octobre au 5 Novembre 1954.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, zone intérieure, période du 5 au 20 Novembre 1954.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, période du 20 Novembre au 5 décembre, zone intérieur 1954.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, période du 05 au 19 Janvier, zone intérieur 1955.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, période du 20 Janvier au 05 février, zone intérieur 1955.

☞ Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, période du 05 au 20 février, zone intérieur 1955.

- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Mars, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, 1^{ere} partie, période du 20 Mars au 05 Avril, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Avril, zone intérieur 1955.
- 📄 - Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, 1ere partie, période du 21 Avril au 05 Mai, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des A.I. d'el HADDADA, 1ere partie, période du 05 au 20 Mai, zone intérieur 1955.

➤ **Poste des A.I. Beni oulid :** Carton (1MA/280/58)

- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, zone intérieur, période du 20 Octobre au 4 Novembre 1954.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des BENI OULID, premier partie, période du 20 Novembre au 4 décembre, zone intérieur 1954.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Janvier, zone intérieur 1955.
- 📄 B. R. P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 février au 4 mars, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, poste des BENI OULID, premier partie, premier partie, période du 5 au 20 Mars, zone intérieur 1955.
- 📄 B. R. P, poste des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Mars au 4 avril, zone intérieur 1955.

- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 5 au 19 Avril, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 Mai au 3 Juin, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 20 juin au 4 Juillet, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, premier partie, période du 20 juillet au 4 Aout, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Aout, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements Politiques, Annexe des BENI OULID, 1^{er} partie, période du 05 au 20 Septembre, zone intérieur 1955.
- 📄 Bulletin de Renseignements de Quinzaine, Annexe des BENI OULID, période du 06 au 20 Avril, 1956.

3. OUVRAGE EN Françaises :

- 📄 - ANDRRE-JULIEN Charles, **le Maroc face aux impérialismes, 1415-1956**, Edition Jeune Afrique, Paris, 1978.
- 📄 - BARTHOU Louis, **La Bataille du Maroc**, Librairie Edouard champion, Paris, 1919
- 📄 -Coussin capitaine, **vers Taza : souvenir de deux ans de campagne au Maroc (1913-1914)**, Libraire militaire universelle, Paris 1922

- ☞ -DE BOISBOISSEL (Yves(Général)), **dans l'ombre de Lyautey**, André Bonne éditeur, Paris, 1954
- ☞ -DE SEGONZAC M^{is}, **voyages au Maroc (1899-1901)**, Librairie Armand Colin, 2^{em} édition, Paris, 2008
- ☞ -Direction des Communications, de la Production Industrielle et du Travail, SERVICE DU TRAVAIL, **répertoire alphabétique des agglomérations de la zone Française de l'empire chérifien classes par tribus et par fractions de tribu, d'après les résultats du recensement quinquennal du 8 Mars 1936**, IMP.J. THÉVENIN, Rabat, 1941.
- ☞ -les Officiers de renseignements du cercle de Fes, **NOTES sur les Tribus du Maroc Oriental**, publication du COMITE DU MAROC, paris, 1912.
- ☞ -LYAUTEY Pierre, **Lyautey l'Africain : texte et lettres du Maréchal Lyautey 1913-1915**, T.II, Librairie Plon, Paris, 1954
- ☞ -MERAUD Marc, **Service des affaires indigènes du Maroc**, LA KOUMIA Public-Réalisation, Paris (s.a).
- ☞ -Rivet Daniel, **le maroc de Lyautey à Mohamed V : LE DOUBLE VISAGE** Du protectorat, Ed Noël, Paris, 1999.
- ☞ -Rivet Daniel, **Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc(1912-1925)**, tome I et II, l'Harmattan, Paris, 1996.
- ☞ -VIAL Jean, **le Maroc héroïque**, Librairie Hachette, Paris, 1938
- ☞ -VOINOT L.Colonel, **sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc**, charles-lavauzelle, Paris, 1939.
- ☞ - GUILLAUME A., **Homme de guerre**, Edition France-Empire, Paris, 1977.

4. Les Articles :

-Anonyme, « **les opération de montagne au Maroc** », Revue d'infanterie, 1^{er} juillet 1933, n° 490, Charles-Lavauzelle, Paris.

-MOTHES J., « **le développement et l'évolution du mouvement coopératif en milieu autochtone marocain de 1934 à 1950** », B.E.M., n°45, volume XII, imprimerie officielle, Rabat, 1^{er} trimestre 1950.

-Robert Forichon, « **la caisse régionale de crédit agricole indigène de Fès-Taza** », B.E.M., n° 15, volume IV, imprimerie officielle, Rabat, Janvier 1937

5. Journaux :

-A.M, Anonyme, « **l'orge dans le RIF** », EL ECO DE TETUAN, 6 Juin 1917

-A.M, Anonyme, « **les Arabes moissonneurs, pour L'Algérie** », EL TELEGRAMA DEL RIF, 8 Juin 1917.

II. باللغة العربية

1- المصادر:

- ✓ -البوعياشي ج. أحمد عبد السلام ، حرب الريف التحريرية ومراحل النضال، نشر عبد السلام جسوس وسوشبريس، جزأين، مطبعة دار الأمل، طنجة، 1975، ج.2.
- ✓ -مولييراس أوجيست، المغرب المجهول: اكتشاف جبالة، ترجمة وتقديم د. عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة الجديدة، ط.1، الدار البيضاء، 2013، ج.2.

2- المراجع:

- 📖 - ابن المليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار -البنيات السياسية، ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2014.
- 📖 - احميدوش عبد الكريم، قبيلتا مزيات وامثوية، بوابة طريق الوحدة بين تاونات واكتامة، معلم ومدرسة لأجيال الأمة المغربية، مطبعة أميمة، ط.1، فاس، 2014.
- 📖 - التوفيق أحمد، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط -أطروحات ورسائل-، مطبعة النجاح الجديدة، ط.2، الدار البيضاء، 1983 .
- 📖 - الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن: مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010
- 📖 - الهراس المختار، القبيلة والسلطة: تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988.
- 📖 - برادة عبد الرحيم، اسبانيا والمنطقة الشمالية المغربية 1931-1956، جزأين، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ج.1 و2.
- 📖 - بنعدادة آسية، الفكر الإصلاحى في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجاً)، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، الدار البيضاء، 2003.
- 📖 - بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط.1، بيروت، 1991

بوزويطة سمير ، الاحتلال العسكري الفرنسي للمغرب: دراسة في الاستراتيجية العسكرية 1912-1934، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كنانبرانت، ط.1، الرباط، 2007.

- بوطالب إبراهيم، تاريخ المغرب الحديث والمعاصر دراسات وبحوث، سلسلة بحوث ودراسات رقم 65، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1، الرباط، 2014، ج.2.

- تافسكا أحمد، الفلاحة الكولونيالية في المغرب 1912-1956، مطابع أمبريال، ط.1، الرباط، 1998.

- رويان بوجمعة، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، الرباط، 2013.

- عياش ألبير، المغرب والاستعمار، حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين السعودي، الطبعة الأولى، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1985.

- عياش جرمان، أصول حرب الريف ، ترجمة محمد أمين البزاز وعبد العزيز التمساني خلق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

- لكريط عبد الرزاق، مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب: مخاض الأفول (1935-1945)، مطبعة أنفو-برانت، ط.1، فاس، 2014.

- ليوطي بيبير، ليوطي الإفريقي: نصوص ورسائل حول الثورة الريفية 1924-1925، ترجمة وتقديم عز الدين الخطابي، منشورات تيفراز، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013.

3- الأطروحات الجامعية:

- العمراني عبد الواحد، أطلس العيون المائية بعالية حوض ورغة الأوسط ودورها في تنظيم المجال والمجتمع (حالة جماعات: عين مديونة وبوعادل وبني وليد)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس-فاس، السنة الجامعية 2013-2014م.

4- الجرائد

- الجريدة الرسمية، عدد 23، 1913
- الجريدة الرسمية، عدد 33، 1913
- الجريدة الرسمية، عدد 100، 29 مارس 1915
- الجريدة الرسمية، عدد 215، 11 يونيو 1917.
- الجريدة الرسمية، عدد 264، 30 ماي 1918.
- الجريدة الرسمية، عدد 718، 27 يوليوز 1926
- الجريدة الرسمية، عدد 744، 1927
- الجريدة الرسمية، عدد 745، 1927.
- الجريدة الرسمية ، عدد 748، 1927.
- الجريدة الرسمية، عدد 748، 22 فبراير 1927.
- الجريدة الرسمية، عدد 795، 1928
- الجريدة الرسمية، العدد 801، 28 فبراير 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 824، 1928
- الجريدة الرسمية ، عدد 835، 1928
- الجريدة الرسمية، عدد 836، 1928
- الجريدة الرسمية، عدد 794، 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 795، 1928
- الجريدة الرسمية ، عدد 796، 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 801، 28 فبراير 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 805، 27 مارس 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 850، 1928.
- الجريدة الرسمية، عدد 877، 1929.
- الجريدة الرسمية، عدد 897، 1930

- الجريدة الرسمية، عدد 907، 1930
- الجريدة الرسمية ، عدد 910، 1930
- الجريدة الرسمية، عدد 986، 18 شتنبر 1931
- الجريدة الرسمية، عدد 1016، 1932
- الجريدة الرسمية، عدد 1063، 10 مارس 1933
- الجريدة الرسمية ، العدد 1151، 16 نونبر 1934
- الجريدة الرسمية، عدد 1219، 06 مارس 1936
- الجريدة الرسمية، عدد 1220، 1936
- الجريدة الرسمية، العدد 1300، 24 شتنبر 1937
- الجريدة الرسمية، عدد 1304، 22 أكتوبر 1937
- الجريدة الرسمية، عدد 1307، 12 نونبر 1937
- الجريدة الرسمية، عدد 1421، 19 يناير 1940
- جريدة السعادة، العدد 759، 4 غشت 1914
- جريدة السعادة، العدد 760، 5 غشت 1914

5- المونوغرافيات:

- مونوغرافية إقليم تاونات، المملكة المغربية، وزارة الداخلية، إقليم تاونات، 2010.

➤ فهرس الجداول:

20	جدول رقم 1: مساحة الدائرة وكثافتها السكانية.
33	جدول رقم 2: القرى الرئيسية ببني وليد حسب مخبر موليراس
34	جدول رقم 3: القرى الرئيسية بمثوية حسب مخبر موليراس
36	جدول رقم 4: القرى الرئيسية بمزيات حسب مخبر موليراس
37	جدول رقم 5: القرى الرئيسية برغوة حسب مخبر موليراس
38	جدول رقم 6: القرى الرئيسية بصنهاجة لوطا حسب مخبر موليراس
39	جدول رقم 7: معطيات قبائل دائرة ورغة العليا حسب ضباط دائرة فاس 1912
43	جدول رقم 8: ساكنة دائرة ورغة العليا من المغاربة حسب إحصاء سنة 1936
44	جدول رقم 9: العنصر اليهودي المتواجد بالدائرة سنة 1936
45	جدول 10: العنصر الأجنبي المتواجد بالدائرة سنة 1936
45	جدول 11: تصنيف الساكنة المغربية القروية بالدائرة سنة 1936 (المسلمين واليهود).
46	جدول رقم 12: أسماء قبائل وفرق ودواوير الدائرة وتعدادها السكاني
51	جدول رقم 13: التقسيم الإداري الخاص بملحقة الحيانة سنة 1919
58	جدول رقم 14: رؤساء دائرة ورغة، وتاريخ تعيينهم خلال السنوات الخمس الأولى من تفعيل عملها بتاونات.
215	جدول رقم 15: أنواع المواد المعروضة بأسواق الدائرة خلال شهر غشت 1925
256	جدول رقم 16 : المهام التي أصبح ضباط الدائرة يشرفون عليها ومنها التنسيق الحدودي

260	جدول رقم 17: مجريات حل مشكل النزاع حول أرض بين بني بربر وبني بوشيب
267	جدول رقم 18: أنواع الأسلحة المسترجعة من قبل القوات الفرنسية إلى حدود شهري شتنبر وأكتوبر 1927
274	جدول رقم 19: الدوريات المخزنية التي كانت تتم بتاونات ومساراتها الحدودية 1931
297	جدول رقم 20: دورية للضباط بالأسواق لمراقبة و جمع ضريبة الترتيب وتفقد مسالك التهريب
324	جدول رقم 21: أسعار بعض المنتوجات بالأسواق المحلية 1931-1932
358	جدول رقم 22: شكل الاستغلاليات الفلاحية بالدائرة على عهد الحماية
361	جدول رقم 23: الأقسام الغابوية المحددة للتقسيم بالدائرة سنة 1950
367	جدول رقم 24: الوضعية المالية لشركة ورغة العليا بتاريخ 30 شتنبر سنة 1926
369	جدول رقم 25: القرارات الوزارية المحدثّة أو المعدلة للشركة الأهلية الإحتياطية بدائرة ورغة العليا

فهرس الخرائط

23	خريطة قبائل دائرة ورغة العليا
31	خريطة نهر ورغة وأهم روافده
59	خريطة مراحل تطور دائرة ورغة العليا
140	خريطة عمليات القوات الفرنسية بجبهة ورغة يونيو 1924م
165	وضعية الجبهة الشمالية للقوات الفرنسية (ورغة العليا) بين المقاومين وقوات الاحتلال الفرنسي (ماي 1925)
173	خريطة شهر ماي 1925م: توضح وضعية الجبهة الشمالية للمغرب بين المقاومة المغربية والقوات الفرنسية
187	خريطة المناطق التي تبقت تحت سيطرة محمد بن عبد الكريم الخطابي (شتنبر 1925)
191	خريطة توضح العمليات العسكرية للقوات الفرنسية خلال شهر شتنبر وأكتوبر بشمال ورغة 1925م.
228	خريطة إسبانية توضح ترسيم الحدود بين المنطقتين وفق المعاهدات المبرمة إلى حدود 1912م
233	خريطة إسبانية توضح التصور الإسباني للحدود بين المنطقتين الفرنسية والإسبانية خلال سنة 1922م
240	خريطة إسبانية: توضح ترسيم حدود المعاهدتين لسنة 1925 و 1926
246	خريطة إسبانية توضح معالم ترسيم المعاهدات بين المنطقتين والقبائل الحدودية 1902-1928م

فهرس الرسوم التوضيحية

26	رسم فرنسي للمعالم التضاريسية المتواجدة على الضفة اليمنى لنهر ورغة وأهم الأماكن بها
183	رسم توضيحي: لأماكن وتاريخ العمليات العسكرية التي أجرتها الفرق المتحركة خلال شهر يوليوز 1925
254	رسم يوضح منطقة تواجد النزاع الذي وقع بين تارية وبني بوعياش
364	رسم فرنسي للمجال الغابوي الذي تم تحديده من قبل مصلحة المياه والغابات بالدائرة سنة 1950م

فهرس الموضوعات

مقدمة عامة..... 2

الباب الأول: التدخل الاستعماري والأهمية الاستراتيجية لقبائل دائرة ورغة العليا

1912-1926.

مقدمة الباب الأول..... 16

الفصل الأول: خصائص منطقة ورغة العليا وأساليب التوغل الفرنسي..... 18

المحور الأول: الخصائص الطبيعية والبشرية والحدود الإدارية..... 19

1- الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية..... 19

1-1 الموقع الجغرافي..... 19

2-1 الخصائص الطبيعية..... 24

2- الخصائص البشرية..... 32

2-1 إثنوغرافيا مولييراس ووصفه لقبائل المنطقة..... 32

2-2 المعطيات الإحصائية الفرنسية لقبائل دائرة ورغة العليا..... 38

3- التنظيم الترابي لدائرة ورغة العليا..... 50

3-1 العوامل المتحركة في التقسيم الإداري للدائرة..... 50

3-2 مراحل تطور الدائرة بداية من سنة 1926..... 53

المحور الثاني: آليات تدخل المؤسسة العسكرية الفرنسية لإخضاع قبائل الدائرة..... 60

1- الأسلوب السياسي كمنفذ للتوغل بورغة العليا..... 63

1-1 أهمية المركز العسكري في العمل السياسي..... 66

2-1 توظيف سياسة الاستقطاب وكسر وحدة القبائل..... 68

3-1 توظيف العمل السياسي مع العسكري..... 75

2- أهمية العامل الاقتصادي في التوغل الفرنسي..... 78

2-1 مقومات الحصار الاقتصادي وخصائصه بالمجال الورغي..... 78

2-2 مظاهر الحصار الاقتصادي..... 82

3- الغرامات الحرية و ضريبة الترتيب افقار اقتصادي 88

88..... 1-3 مرحلة التوغل 1913-1922م..... 88

90..... 2-3 مرحلة عودة السيطرة الفرنسية 1925-1926..... 90

93..... الفصل الثاني: الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة والمنافسة الريفية..... 93

94..... المحور الأول: الأجندة الفرنسية لاحتلال المنطقة 1913-1924..... 94

94..... 1- الوضع الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى 94

94..... 1-1. حتمية الحرب العالمية وأثرها على القوات الفرنسية بالمغرب 94

96..... 2-1. إجراءات ليوطي لتجاوز مخاطر نشوب الحرب العالمية على جبهاته في المغرب..... 96

97..... 3-1. الاستراتيجية الفرنسية المتبعة بالمنطقة 97

101..... 2- زعماء المقاومة ودورهم في تأخير الاحتلال الفرنسي..... 101

101..... 1-2. عبد المالك والتحالفات، التحدي الصعب 101

105..... 2-2. الخطر الريفي وتأثيره على خطة فرنسا 105

109..... 3- التقدم الفرنسي صوب المجال الورغي الأعلى (1924) .. 109

109..... 1-3. دوافع تعجيل سلطات الحماية بالتوجه صوب ورغة 109

112..... 2-3. التعجيل بمسألة ورغة العليا..... 112

117..... المحور الثاني: التنافس الريفي الفرنسي على منطقة ورغة العليا 117

117..... 1- الدخول الريفي إلى المنطقة 117

117..... 1-1 حقيقة التواجد الريفي بالمنطقة 117

121..... 2-1 الدعاية الريفية بورغة العليا: الطموحات والتحديات 1921-1923 121

131..... 2- التدخل الفرنسي لصد تنامي النفوذ الريفي م1924 131

131..... 1-2 مرحلة الترقب والتقدم المفاجئ 131

137..... 2-2 الإجراءات الفرنسية للحد من التوسع الريفي .. 137

- 3- احتدام الصراع الريفي الفرنسي على المنطقة 1925..... 144
- 3-1 الزحف الريفي لتثبيت تواجدده 144
- 3-2 تجهيزات المقاومة الريفية والمحلية 152
- 3-3 العنصر البشري و الأسلحة الموظفة 158

الفصل الثالث: اندماج المقاومة ومواجهة الاحتلال، وآثار الحرب على المنطقة 1925-1926..... 162

- المحور الأول: احتدام المواجهة بين المقاومة والقوات الفرنسية 1925..... 163
- 1- زحف المقاومين على المواقع الفرنسية وأهم المعارك..... 163
- 1-1 وضعية القوات الفرنسية بالمنطقة..... 163
- 2-2 محاولة ليوطي تدارك الوضع..... 169
- 2- تراجع القوات الفرنسية أمام ضغط المقاومة..... 174
- 2-1 مآل التعديلات الفرنسية..... 174
- 2-2 تغير استراتيجية المقاومين وتغيير القيادة الفرنسية..... 180
- 3- عودة السيطرة الفرنسية وبداية التراجع الريفي..... 186
- 3-1 احتلال القوات الفرنسية لمعقلها القديمة..... 186
- 3-2 النتائج السياسية والعسكرية..... 190
- المحور الثاني: آثار حرب الريف على المنطقة..... 196
- 1- الوضع الاجتماعي..... 196
- 2- الوضع الاقتصادي..... 201
- 3- التجارة و الأسواق 1925-1927..... 210
- 3-1 فترة احتدام المواجهة العسكرية بالمنطقة 1925: 210
- 3-2 الأسواق بُعيد حرب الريف:..... 217
- خاتمة الباب الأول 221

الباب الثاني: جوانب من الاستراتيجية الفرنسية في تدبير المنطقة: على المستوى الحدودي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

مقدمة الباب الثاني..... 224

الفصل الأول: مسألة حدود الدائرة مع الجانب الإسباني، والتحديات المترتبة عنها 225

المحور الأول: تسطير الشريط الحدودي لدائرة ورغة العليا..... 226

1- الاتفاقيات الفرنسية الإسبانية..... 227

2- تسطير حدود ورغة العليا..... 230

2-1 الخصوصيات المحلية والسياسية للمنطقة في صلب التفاوض الفرنسي الإسباني. 231

2-2 تمسك فرنسا بالسيطرة الميدانية والسياسية على ورغة العليا..... 241

3- دور مركز تاونات في العلاقات الحدودية..... 247

3-1 - خاصية الإشراف الحدودي..... 247

3-2 - مكتب تاونات ومرجعيتها في التسطير الحدودي 1930-1933 253

المحور الثاني: المشاكل الحدودية والإجراءات الفرنسية للحد منها..... 263

1-التحدي الأمني و السياسي 265

1-1 التحدي الأمني بعد حرب الريف 1927-1930م..... 265

2-1 مخاوف تأثير الوضع الإسباني الداخلي على المنطقة 1931-1932 273

3-1 فترة زعزعة الاستقرار السياسي الفرنسي بالمغرب 1954-1956 277

2- التحديات الاجتماعية والاقتصادية..... 282

2-1 على المستوى الاجتماعي..... 282

2-2 على المستوى الاقتصادي..... 288

3- مشكل التهريب وحساسيته السياسية والاقتصادية 1927-1955م..... 292

3-1 الإجراءات الفرنسية للتخفيف من ظاهرة التهريب 293

3-2 التهريب وارتباط الاقتصاد بما هو ساسي..... 300

- 304.....الفصل الثاني: البنية التحتية والتدبير الاقتصادي آلية لإحكام السيطرة الفرنسية.
- 305المحور الأول: البنية التحتية كأداة لإحكام السيطرة الإدارية والاقتصادية 1913-1936
- 3061-السياسة الطرقية بالدائرة وأهدافها.
- 321.....2- . الأسواق والربط بالنظام المالي.
- 3263- . تهئية وتشديد المقرات الإدارية.
- 3271-3 مكتب تاوانات (مركز الدائرة).
- 3342-3 مكتب بني وليد.
- 339.....المحور الثاني: الفلاحة وملكية الأرض بين التحول والتدبير الفرنسي.
- 3401- زحف الاستيطان الزراعي.
- 3482- وضعية الفلاح القبلي تحت التدبير الفرنسي للمنطقة .
- 3523- تهشيم البنى الاقتصادية القبلية (الملكية الجماعية).
- 3521-3 دعم الملكية الفردية على حساب الملكية الجماعية .
- 3592-3 . التمليك الغابوي .
- 366.....4- آليات التدخل الفرنسي في الفلاحة " الأهلية".
- 3661-4 . الشركة الأهلية الإحتياطية لورغة العليا ومرحلة ما بعد حرب الريف .
- 3682-4 . مراحل تطور الشركة الأهلية بدائرة ورغة العليا .
- 373.....3-4 أهداف الشركة الأهلية الإحتياطية بالدائرة.
- 375.....4-4 التعاونيات والصناديق الفلاحية.

379 الفصل الثالث: معالم من السياسة القايدية بدائرة ورغة العليا وعلاقتها بالجهاز الاستعماري

380 المحور الأول: التركيب القايدي بالدائرة وأوضاعه

382 1- القيادة والتوظيف الاستعماري

380..... 1-1 القايد وعلاقته بالمخزن

382 2-1 التوظيف الاستعماري للقياد

387 2- نماذج من قياد وشيوخ دائرة ورغة العليا

388 1-2 - القايد عبد العزيز حلو

394..... 2-2 - القايد علي ولد الجديدي (1926-1947)

397 3-2 - القايد سي مفضل بن محمد الداودي

403 3- وضعية قياد الدائرة والظرفية السياسية للمنطقة الحدودية 1954-1956

403..... 1-3 - السياسة التدبيرية للقياد الداودي (الأب والإبن) بين الرضا والتقصير

409 2-3 - قياد مكتب بني وليد

415..... المحور الثاني: الجهاز الاستعماري بين تجاوزات قياد المنطقة، والتنافس في خدمته

415 1- تجريد القايد ولد جديدي من مهامه

416..... 1-1 تقرير رئيس الدائرة ودفعات ولد الجديدي لتبرئة ذمته

419..... 2-1 - قراءة في دفعات القايد ورئيس الدائرة

422. 2- الإدارة الاستعمارية والبحث عن بديل ولد جديدي

422..... 1-2 . مميزات الشيوخ المؤهلين لشغل منصب القايد ولد الجديدي

425..... 2-2 - قراءة في خصوصيات الاختيار الفرنسي

429 3-2 - قراءة في تعيين الرماش رسميا

432..... 3- التنافس بين الرؤساء الأهليين، وخلاصة الشكل القايدي بالدائرة

432 1-3 - التنافس على منصب القايد الحاج العيد "صنهاجة الظل"

440 2-3 - قراءة في شكل المكون القايدي بالمنطقة

خاتمة الباب الثاني..... 443

خاتمة عامة..... 445

البيليوغرافيا..... 450

فهرس الجداول..... 480

فهرس الخرائط..... 482

فهرس الرسوم التوضيحية..... 483

فهرس الموضوعات..... 484